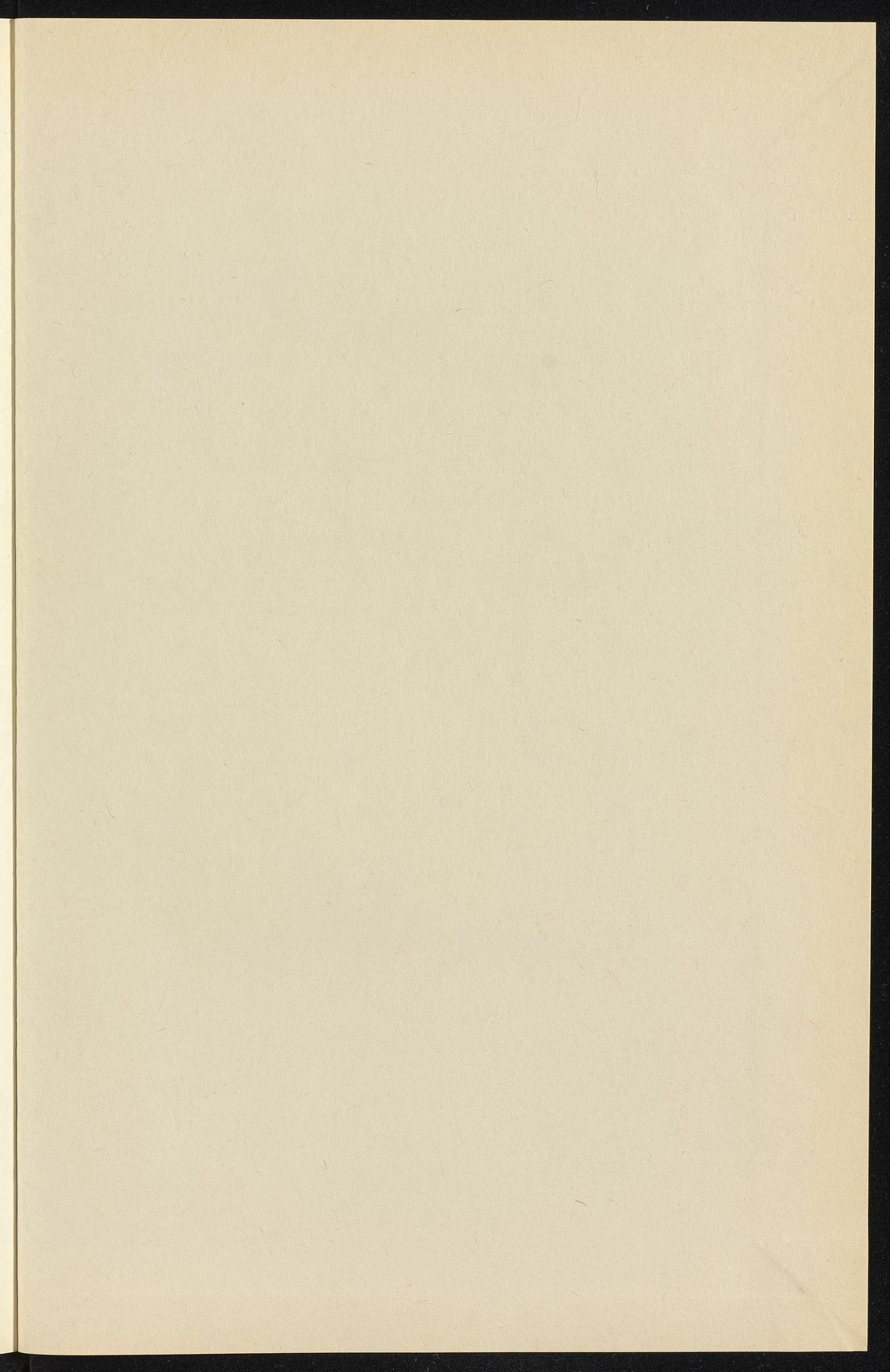
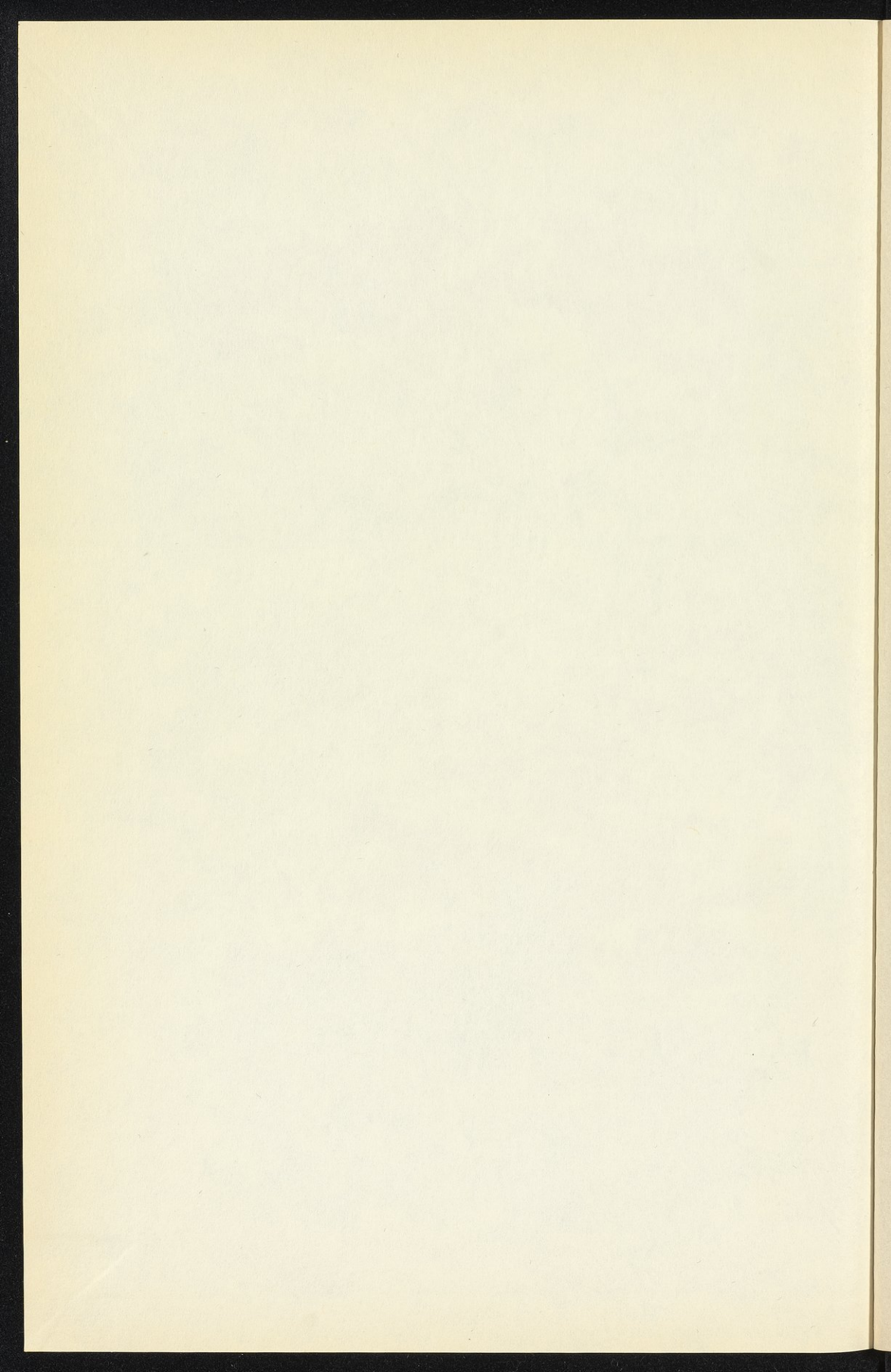


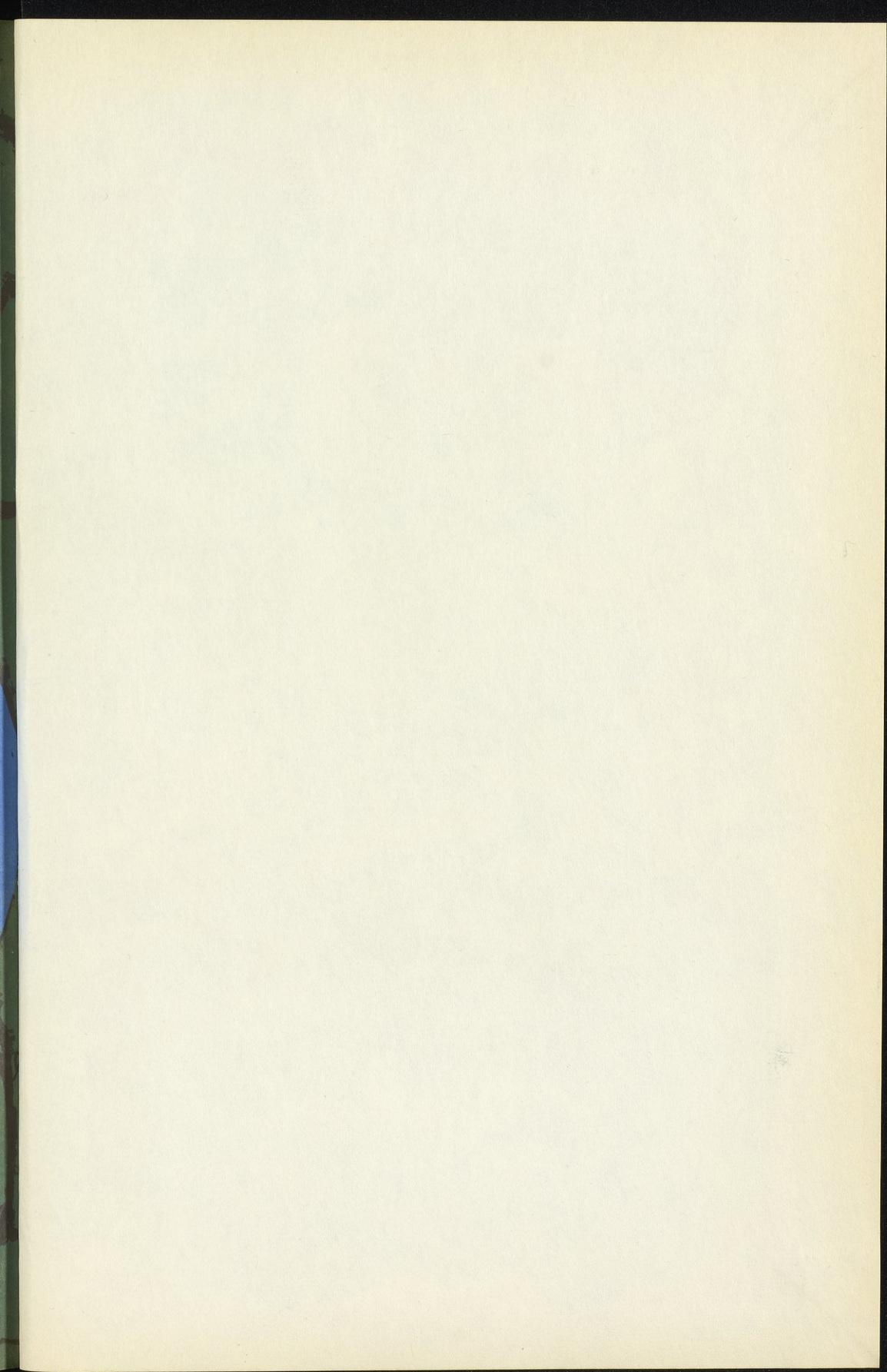
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY



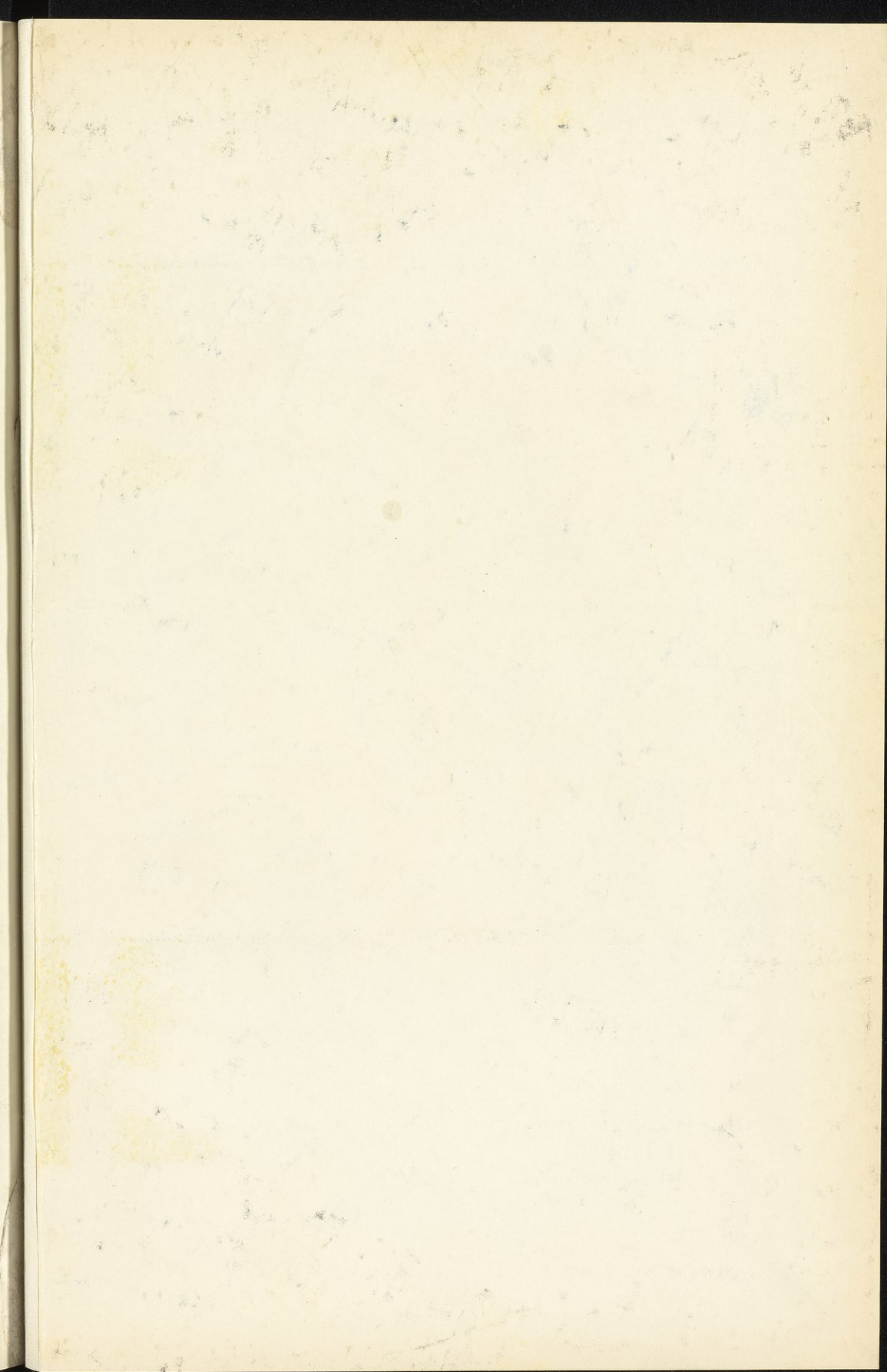




جعفر الخلیلی

هنگام عرفان





هكذا عرفتموها

خواطر عن اناس افذاذ عاشوا بعض
الاحيان لغيرهم أكثر مما عاشوا لانفسهم *

تأليف
جعفر الخليلي

١٩٦٣

DS
79.9
NH
K33

شريعة

مكتبة جامعة القاهرة
القاهرة - مصر

Vol

شريعة

١٩٥١

مكتبة جامعة القاهرة
القاهرة - مصر

هكذا عرفتهم

هذا عرض موجز لجانب من حياة بعض الاشخاص الذين كان لهم ذات يوم بعض الشأن في الحياة العامة والخاصة أو هو في الواقع عرض موجز لبعض ما احتفظت به الذاكرة عن بعض من عرض لي في طريق الحياة وكيفية تعرفي بهم وماهية هذا التعرف ولونه، وهو لون من الادب والتاريخ المبتكر ، وليس من الغرور ولا التشدق ان اقول انه لون قائم بنفسه ، وانني لم اجار في عرضه احدا من قبل ولم يسبق لي ان قرأت عرضا على هذا النسق يجمع بين الادب والتاريخ ، ويربط بين النواحي الخاصة والعامة ، جمعا وربط لا تكاد تتبين او لاتكاد تعزل ما يخصك منه وما يهملك وما يخص اصحابه وما يهمهم ، وما يخص الناس ويعنيهم .

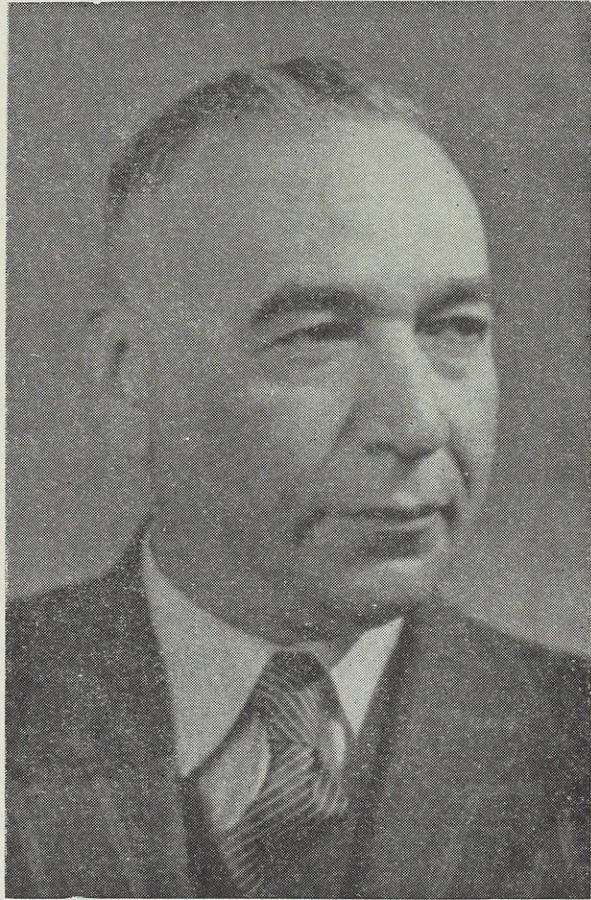
والواقع اني لم احس بانى بدأت اكتب شيئا جديدا مبتكرا يحسن ان تكتب به التراجم وتوضع على نمطه الاحاديث حتى نبهني الى ذلك عدد من الادباء ، وحتى صار يسألني الكثير حين يتوفى الله شخصا من معارفي عما اذا كنت ساكتب عنه كلمة من هذا القبيل ؟ والذي زادني يقينا بان الذي كتبه كان نوعا جديدا : هو ان بعض الذين تلذذوا به لم يكن لهم باى وجه اى اتصال او معرفة سابقة بمن تحدثت عنهم ، وقال لي هذا البعض - ان حقا ام باطلا - ان هذا العرض على رغم كونه يخص جماعة عاشوا في جهة معينة ، وفي محيط خاص وعلى رغم انه جانب من تاريخ معرفتي انا بحفنة من الرجال ، لقد قال لي هذا البعض ان ذلك لا يقلل من شأنه

كأدب جديد يلذ اي قارئ عربي في أية بقعة من البقاع ان يقرأه سواء عرف المحدث والمحدث عنه ام لم يعرفهما *

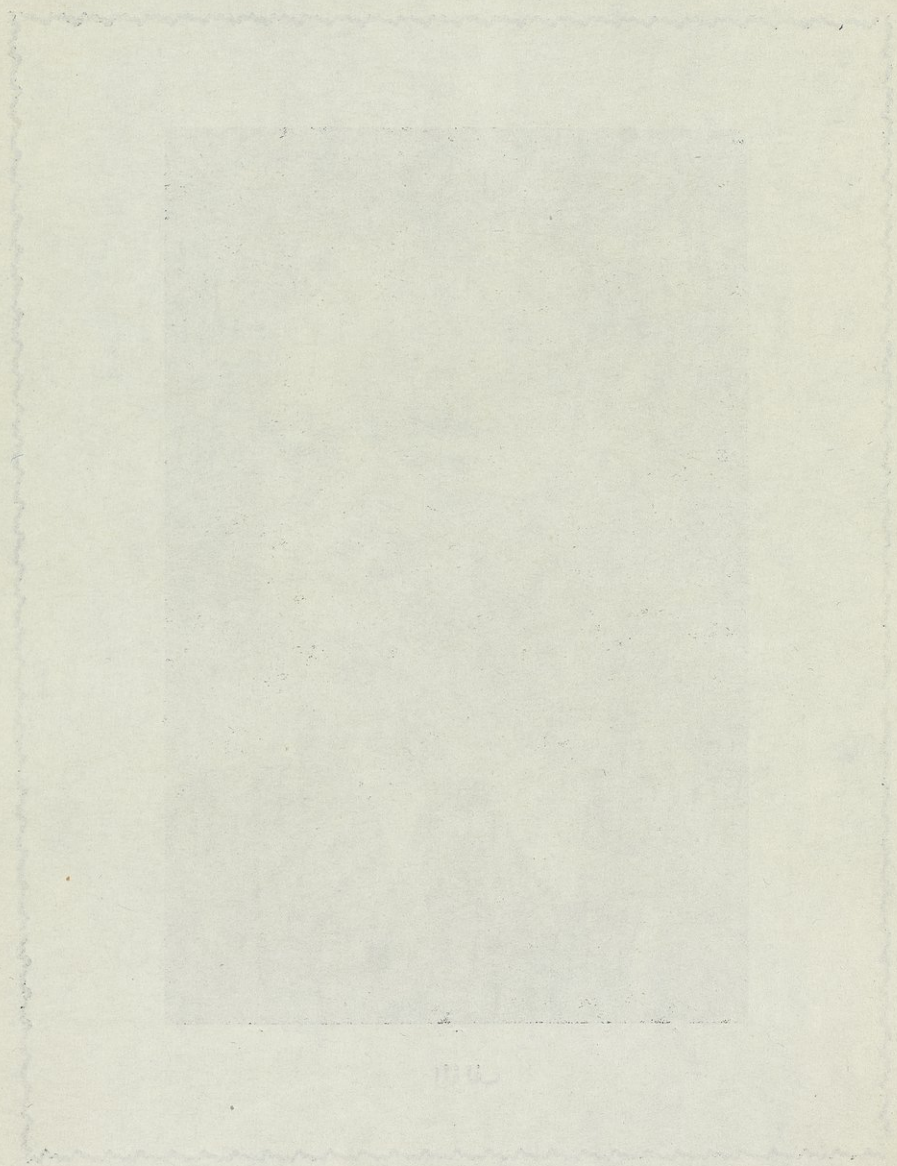
وسواء صح هذا الذي قيل ام لم يصح فقد وجدتني أو من بعض الايمان بصحته ، واتقدم لجمع ماتائر منه هنا وهناك في هذا الكتاب على اعتباره عرضا موجزا غير كامل لبعض من عرفت من الاشخاص الذين صادفتهم في حياتي ، اقول عرضا غير كامل لانه ما من شخص - ممن ذكرته هنا - الا وكان الذي اعرفه عنه اكثر مما ذكرته **** وقد اضطرت بل واضطرتني ما تباين عليه الناس واصطلحوا عليه: بان (ليس كل ما يعرف يقال) اجل اضطرتني هذا الى ان اقتصد في القول الذي حسبته مستساغا ، واوردت بعض ما عرفت عن بعض من عرفت ، فان صح انني قد جئت بشيء جديد من الادب في سياق الترجمة وكيفية العرض فضلا عما تضمن الكتاب من الوقائع التاريخية والادب الذي قد ينطبق عليه قول حبيب جاماتي (تاريخ ما اهمله التاريخ) - اقول ان صح هذا ، فهو المقصود ، والا فليست بأول من ظن انه فاعل شيئا بينما هو لم يقدم شيئا ولم يؤخر *

بغداد - كراة مريم

بغداد - كراة مريم



المؤلف



السيد مير علي^(١)

كنت ابن عشر سنوات او اكثر قليلا حينما كنت اختلف الى مدرسة اسرتنا الدينية المعروفة بمدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي في النجف لاحمل الى اخي الاكبر الطعام والالبسة او بعض الحاجات فقد كان اخي يقيم في احدى غرف الطابق الاعلى من هذه المدرسة ولا يتركها الا حينما تضطره الحاجة الى الخروج لزيارة أحد او حضور البحث ، او الذهاب الى البيت . وكنت ارى - في جملة من ارى بين اسبوع واسبوع أو يوم ويوم من طلاب الدين الداخلين الى المدرسة والخارجين منها ، المنكبين على المطالعة والجالسين القرفصاء في زاوية من الايوان ، او ركن من الاركان ، ليدخوا غليوننا ، او يسرحوا الطرف في الافق او ليتناقشوا في مواضيع دروسهم مناقشة تكون فاترة حينا ، وحادة في اكثر الاحيان - اجل لقد كنت ارى بين هؤلاء الطلاب بمختلف صورهم سيدا في العقد الثالث من العمر ، اسمر اللون ، خفيف اللحية ، ربع القامة تملو رأسه عمة سوداء قد تكون اكبر عمة رأيتها على رؤوس أقرانه وزملائه الطلاب ، وهو يرتدى ثيابا مترفة تدل على تأثق باعتدال ، ويحتذى جوربا ابيض ، ونعالا اصفر من النوع الجيد ، وهو يتحرك باتزان ، ويخطو باتزان ، ويتكلم بصوت هادىء في نبرات موسيقية جذابة ، ولست اذكر الان متى القيت النظرة الاولى عليه وكيف؟ وكلما اذكر هو اننى رأيت في هذه المدرسة وفي غرفة اخي ثم في منزلنا وقد دعاه اخي لتناول العشاء مرة او غير مرة وهناك عرفت انه السيد مير علي ابو طيخ .

(١). الهاتف السنة (٨) العدد ٣١٨ الجمعة ٢٥ كانون الاول ١٩٤٢ ومن هذه الكلمة انتزعت مقدمة ديوان (الانواء) . للسيد مير علي ابى طيخ .

ومرت الايام سراعا وغادر اخي النجف هاربا من وجه السلطة الانكليزية ولم
تعد تنقلني رجلاى الى المدرسة ، ولا المرور عليها على رغم وجود اقارب لى فيها ، وعلى
رغم كونها مدرسة الاسرة ، وذلك لان بيتنا يقع فى طرف آخر من هذه المحلة ،
ولانى اصبحت غير ملزم بنقل الطعام او الحاجات الاخرى لاحد آخر ، أو قل اننى
كبرت فلا يسوغ لاحد اقربائى ان يسخرنى لمثل ما كان يسخرنى اخى قبل هربه ،
ولم اعد ارى السيد مير على الاماما ، وفى فترات قصيرة ، فى الطريق ، او فى الصحن
الشريف ، فلا تزيد تلك الفترات على القاء السلام منى عليه وتلقى الجواب منه بشيء
من الاعتداد بالنفس ، او عدم المبالاة ، حتى لقد حسبه غير مرة كثير الرضا عن
نفسه ، عظيم الاعتداد بها ، فلم اشعر نحوه بما كنت اشعر به من ميل نحو اصدقاء
اخي الذين ما التقوا بى مرة حتى سألونى عن اخبار اخى وشؤونه ، او راحتى انا
وشؤونى ومع ذلك فقد كنت احترمه كثيرا ، وابلغ فى احترامه كلما التقيته فى
الشارع ، او فى مجلس ، فالقى عليه السلام كما يلقيه شبابنا الصغار على علماء الدين
الكبار ، ويرد هو على السلام كما يرده اباؤنا على ابنائهم ، ثم يمر زمن آخر فألقى
نفسى وقد انتقلت من دور الى دور قد لا تكون له بالماضى اية علاقة او اى اتصال ذلك
هو دور الشباب الذى اذا اجتازه اثناب بسهولة فلن يستطيع ان يجتاز زهوه
وعروره وكبرياءه بتلك السهولة ، فأجدنى معترا مغرورا بكلمتين تعلمتهما من
النحو والصرف ، وآخرين من المنطق والمعانى والبيان ، وثالثة بما بقى فى ذهنى
أو استعدته فى ذاكرتى من دروس المدرسة الحديثة ، فاذا بى شامخ بعض الشموخ ،
واذا بى وانا التقى السيد مير على مرات فاصفح عنه دون ان احياه او اسلم عليه كأن
ليس لاهى حرمة فى نفسى ، وكان ليس لاصدقائه اثر فى ذاكرتى ، ويبدو لى ان
هذا السلوك منى قد لفت نظره الى فلم يلاق عنده القبول ، او انه عز عليه ان يرى
اخا صديقه جافيا ، قاليا ، خارجا على الادب .

وذات يوم وانا ادخل مجلسا من مجالس النجف المكتظة بالفضلاء والادباء
لفت نظرى ازيدحام صفوف الجانسين فاهم بالجلوس فى مكان قصى من الحضار وقد

احسست بالخجل يستحيل الى قربة من العرق البارد ، واذا بصوت من صدر المجلس وبكل لطف واحترام يدعوني الى الجلوس عنده وما كادت تحين التفاتنى الى مصدر الصوت حتى رأيت السيد مير على واقفا ، ومفسحا لى فى المجال ، واذا بى اجلس اليه جنبا الى جنب فيسألنى عن حالتى ، ويسألنى عن اخى ويكثر من السؤال والاستفسار ، ويقص على قصة كان لها مغزى عظيم فى عالم الغرور والكبرياء فالتقاها صدمة عنيفة منه كانت بمثابة قرص الاذن ، كما كانت السبب المباشر لان يثوب الى رشدى قبل اوان ثوبانه عند الشباب ، فعدت كلما رأيتة انمق له اسنى التحيات واعطرها ، فيتقبلها قبولاً حسناً ويرد عليها باحسن منها ، فصرت ارى فيه رجلا غير الذى ظننت ، وارى قلبا غير الذى حسبت ، واشعر بجاذبية تجذبنى اليه ، وتحييه الى نفسى على رغم تباين هدفى وهدفه ، وسلوكى وسلوكه ، ووجدتني اذكره بشيء من الارتياح فى كثير من المناسبات الادبية ونم يمر بعض الزمن حتى اشتدت بيننا اواصر المودة وحتى بدأت ارى فى شخصه الرجل الطيب المفعم باسمى العواطف نحو البشرية وارى فى احاديثه اصدق الدعوات لانتشال الانسان من هوة الوحشية وارى فى حركاته وسكناته شيئا غير قليل من المثالية فاعجب به غاية الاعجاب ، واكبره غاية الاكبار ومع ذلك كله فلم تكن لى به تلك الصلة التى تخولنى ملازمته ملازمة اخى أو اى صديق اخر ، فهو قد توغل فى دراسة الفقه والاصول والحكمة ومقتضيات الدين والآخرة ، وانا توغلت فى (السطوح) ومقتضيات الدنيا لحد اذا لم يكن بعيدا فهو حد فاصل بين غايتى وغايتيه على الاقل ، فكان التقاؤنا مقتصر على الصدق من غير ميعاد وعلى المنتديات والمجالس العامة والخاصة بحيث لم تزد مدة هذا الالتقاء او المقابلة على نصف ساعة على الاكثر فلا اغادره بعدها الا وانا مغمور ومسحور بعقله وحديثه واهدافه ، ولا اراه الا وانا مشتاق للاستزادة من تلك

الذهنية الفياضة ومن ذلك القلب النابض بحب الانسانية والفضيلة •

وفى اثناء السنة كنت احس بخلو مكانه فى المجالس والمنتديات زما قد يطول حيناً ، وقد يقصر حيناً آخر ، فاعلم انه يقضى بعض ايام عطلاته عند قسم من اعمامه

في (غماس) او عند القسم الاخر من اعمامه في (الطابو) فقد كانت المودة بينه وبينهم على غاية الصفاء ، وكانت عنايتهم به مفرطة وهو يكاد يدوب في حبهم ، فلا تحين عطلة الدرس حتى يخف الى زيارتهم ويقضى شطرا من الوقت في ربوعهم ثم لا تكاد تنتهي ايام العطل حتى يعود الى التجف ليواصل درسه وبحثه •

وظالت ذات سنة غيبته فلم أسأل عنه حاسبا لتعلق اعمامه الشديد به وتعلقه الشديد بهم كل الاثر في تلك الغيبة الطويلة ، ولكن غيبته قد طالت كثيرا ، وتجاوزت حد الحسبان ، وحينئذ علمت بانه مريض ، وانه يشكو وجعا حادا في مفاصله ورجليه وان المرض قد الزمه البيت فلم يطق الخروج منه ، وبعد شهر او اكثر من ذلك التقيته في الشارع بشيء كثير من الالفة والسؤال عن الحال والعافية ، وسررتني كثيرا ان اجده متهللا ، ومكثرا من الحمد لله كلما كررت عليه السؤال عن الكيف والاستفسار عن الصحة •••••

ومر زمن اخر ، علمت ان مرض الروماتزم قد عاوده ، وان رجليه اصبحتا لاتطيقان النهوض به بدون واسطة ، وانه قد اضطر الى مراجعة الاطباء ببغداد كما اضطر الى السفر (لحمام العليل) في الموصل وانه لم يترك وسيلة من الوسائل الحديثة دون ان يتمسك بها في شفائه فلم يجده ذلك شيئا ، فراح يلتمس شفاء في وصفات المجربين والعجائز حتى لقد جرب الف صنف وصنف من العقاقير المألوفة فلم يحصل على فائدة ، وشاء الله ان تقف رجلاه عن الحركة فوقتا ، وان ينفض يديه من كل رجاء فنفض يديه ، وان يقتعد جانبا من البيت لاينتقل من مكان الى اخر الا بحمله على الاكتاف فاقعد ، وان تظل اعصابه مرهمة الحس تشعر بالاجوع حين بعد حين فظل كذلك • اما الشيء الذي لم يشأ الله ان يسلبه اياه فهو الابتسامة المرتسمة على ثغره والصبر الذي يغمر وجوده •

ولم يجانب السيد احمد الموسوي الهندي الواقع حين رثاه بقوله :-

حوشيت لم تجزع ولا طول السقام زعزعك

قالوا تن للضنا فهل وساد سمعت ؟

أسهرك المجد وما سقم أفض مضجعت
يا بطل الصبر الجميل أى قرن صرعت ؟
يا ذاهبا بالصبر محمود التنا قد رجعت

اجل لقد وقفت حركة رجليه ونم يبق ما يدل على وجود الحس فيهما غير
اوجاع شديدة طالما اقضت مضجعه فلازم البيت كسيحا مقعدا لايجد عن مقعه
قيد شبر الا بمشقة كبيرة ، وجهد عظيم ، وراح اصداؤه يزورونه صباحا ومساء
ويقصدونه كلما افتقدوه وشعروا بفراغ محله فى متدياتهم ، وحلقات دروسهم ،
وكل زائريه من اولئك الذين قطعوا واياه شوطا كبيرا من مراحل العلوم والبحوث
الدينية ، فكانت هذه الزيارات المتتامة المتصلة سبب مشقة له اكثر مما كانت سبب
سلوى ، لاسيما والرجل مقعد لايطيق ان يستغنى بنفسه فى خدمة نفسه ، ولو ترك
الامر له لظل فى قيد لانفصام له ، وعذاب لا انتهاء له ، من كثرة الداخلين عليه
والخارجين منه ، ولكن طائفة من اخواله آل الشيخ راضى واصدقائه المتفانين فى حبه،
والمفكرين فى راحته وهنائه ، قد وقفوا سدا فى وجه الزائرين وخصصوا لزيارته
يوما واحدا فى كل اسبوع وهو يوم (الاربعاء) واعلنوا ذلك للجميع دون ان يهتموا
برضاه او عدم رضاه وصار يوم الاربعاء من كل اسبوع يوما يفتح فيه الباب على
مصراعيه لاصدقائه ومعارفه والمعجبين به ، واصبح يقضى كل ايام اسبوعه هادئا
بعض الهدوء ، ساكنا بعض السكون ، يقطع شطرا من النهار فى مطالعة كتب الفقه
والاصول والحكمة ويقطع الشطر الاخر منه فى قراءة بعض مؤلفى العصر كالرافعى
والعقاد ، والدكتور طه حسين ، وهيكىل ، قراءة دقيقة وبذلك استيقظت موهبته
الادبية فى نفسه وتنبهت ملكته الشعرية وكان قعوده فى البيت اول مرحلة لمزاوته
الشعر .

نعم انه كان يفهم الادب فهما جيدا وقد جرب غير مرة نظم الشعر فافلح ،
وتليت له بعض قصائده من قبل ، كما انه كان يحسن نقد الشعر وانتقاء ارق معانيه
ولكنه ما كان ليتخذ منه وسيلة تسلية ، ولم يشتهر به الا يوم قعد به المرض ، والا

يوم تفرغ من تبعات المجتمع وتقاليده ، فخلا بنفسه ليقراً ويتأمل ، حتى اذا مل القراءة ، وسأم التأمل ، عمد الى النظم يعث بقوافيه واوزانه عبث الناطر اللاهية ، واذا بهذا العبث المقصود يجره الى نتيجة غير مقصودة ، ويخرج منه شاعرا من طراز خاص فلا يترك مناسبة تمر دون ان يصور فيها خاطرة من خواطره الشعرية فيقول عن كساحه وحمله على الاكتاف مثلا :

أنت ان تصافح الارض رجلى فاستوت في منابر الاكتاف
فكأنى وقفت فيها خطيبا او كأنى في القوم (عد مناف)
ويكتب لصديق له معذرا ويقول :-

هذا كتاب الله فينا ناطق لسانه : ليس على المرضى حرج
وقد شهدتم مرضى وحرجى فأسأل الله الشفاء والفرج

اجل لقد مضى يتخذ من الشعر وسيلة للتعبير عن خواطره وخواجه ، ويصور فيه لحد ما افكاره ، وجده ، وهزله ، ولم يعد يوم الاربعاء مقتصرا على زيارته فحسب ، وانما صار يوما يتنافس فيه البعض من حضاره فى الآراء والافكار ، ويتنافر فيه الادباء بالشعر والنثر ، فيسمعون منه منظومه ومثوره ، ويرددون على مسامعه اصداه وما يعلق فى نفوسهم ، وطابت هذه المجالس ، ولدت احاديثها فى افواه زملائه واصدقائه من علماء وادباء ومحبين ، فمضوا يسعون لاستغلالها فى مجالس خاصة تقتصر عليهم وحدهم واقترحوا ان لا يتركوا دار السيد مير على نهار الاربعاء مع من يتركها من بقية الزائرين ، وان لا ينصرفوا عندما يحين وقت الانصراف فاذا ما حان الظهر حمل كل فرد من هؤلاء الاصدقاء غداه الى بيت السيد مير على ، ودعا هو بغدائه ، فكانت من كل ذلك مائدة واحدة وقد اطلق على طائفة خاصة من هؤلاء الاصدقاء اسم (الصفوة) كان منهم الشيخ حسين الحلى ، والسيد على بحر العلوم ، والشيخ محمد حسين المظفر ، والشيخ محمد جواد الحجامى ، والشيخ محمد حسين الجواهرى ، والشيخ كاظم على بيچ ، وحضر هذا اليوم غير مرة ، الشيخ عبدالحسين الحلى والشيخ محمد حسن حيدر وغيرهما ، وحرصت هذه

الصفوة كل الحرص على ان تجعل من يوم الاربعاء بعد انصراف الزائرين يوم متعة ولذة ربما كانت تتجرد فيه من قيود المجتمع ، ليواجه بعضها بعضا بحقيقته ، وبذاته ، ومبازله ، ولم يكن هذا التجرد عن القيود والسلاسل والظهور بالحقيقة المطلقة من قبل (الصفوة) غير الافساح فى المجال لانفسهم ليضحكوا ماشاء لهم الضحك ، وليعلقوا على الاخبار الادبية والمقاطع الشعرية بما شاءت لهم الحرية والفكاهة ويعطوا لانفسهم المتعة الكاملة فى الاكل حتى وان جاءت هذه المتعة عند الصفوة عن طريق اختطاف اللقمة من فم صاحبها ، أو الاسراع بانتزاع اللحم من الحساء ، وحرمان الآخرين منه ، او بمهاجاة شعرية مستملحة مقبولة تتجاوز العشرات من ابيات الشعر المرتجل الهازل ، الى غير ذلك من اللذة البريئة التى تشدها نفوس ادياء تعبوا على انفسهم بعض التعب ، وعلى هذا فقد يتغير مجلس الواحد من الصفوة عدة مرات ، فحين يكون الى جانبك فى هذه الدقيقة لا يلبث ان يكون فى طرف بعيد الى جانب شخص آخر فى الدقيقة الثانية ، اما الذى لا يتغير مجلسه ، وحديثه ، ولون وجهه ، فهو السيد مير على وحده ، وقد اعتاد ان يضحك كثيرا لنكت الزمرة ، اما نكته هو فقد اعتاد ان يرسلها هادئة بغير ضحك ولكنها على الغالب تكون من النكت المبتكرة الحارة ، وانى لاذكر يوما من ايام مرح الزمرة حول الخوان وقد انقلبت دلة القهوة على الكنب وتسربت نار الموقد الى الفراش فاحرقته ، وادى عمل اخماد النار واطفائها ومزاح الصفوة الى نوع من الفوضى كان من جرائه اصطدام جبين السيد مير على با (المنقل) الحديدى عفوا *

نعم انى لاذكر ذلك اليوم واذكر تلك الابتسامة التى ارتسمت على ثغر السيد مير على واذكره حينما التفت الى الجميع قائلا - اشهد انه لا يلىق بمثل هذه الفوضى التى جثم بها غير بيت من شعر (الابودية) العامى ، فمن منكم يجيز هذا الشطر :

(جماعته باكلهم كسفونه)

فضحك الجميع واجازوا البيت حتى جعلوه عشرين شطرا وليس ثلاثة شطور كما هى القاعدة فى نظم (الابودية) ، والتفت فاذا بكدمة وتوء بحجم الجوزة تعلقو

جيينه من اثر الاصطدام ، .. ولكن هل تغير وجهه ؟ هل تنكر لجلسائه ؟ وهل قال شيئا ؟

وشاع مجلس (الاربعاء) باحاديثه وأدب (الصفوة) وشعرهم ، وظرفهم ، ومبادلهم فى مجالس النجف ومنتدياتها ، واصبح الاستقراء والاستسناخ والمساجلات فى الشعر وتبادل النكات وابتكار الملح والفكاهة كشيء ملتصق بنادى السيد مير على الادبى أو باسمه على الاصح ، حتى صار الكثيرون يحيلون النقاش والاحتكام فى بعض المشاكل الشعرية والمساجلات الادبية ليوم الاربعاء ، ولمجلس السيد مير على وكثيرا ماتكون هذه المشاكل من التعقيد بحيث تستعصى الاجابة عليها سريعا ، وتتطلب ان يتناولها من يحضر منتدى الاربعاء من العلماء الذين لم يدخل نادية منهم فى صباح الاربعاء ، وطالما اختير السيد مير على حكما مطلقا فيما اختلف فيه من بعض الاراء وبعض الافكار الادبية ولست انسى تلك الحلبة الادبية التى اشتركت فيها طائفة من الادباء بالاراجيز حتى كانت منها مجموعة بلغت اثنتى عشرة ارجوزة طويلة وقد كتب لى انا ان اكون احد المشتركين بها فى وليمة غداء فاخرة اقامها الشيخ قاسم محيى الدين فى بيته ، اقول لست انسى تلك الحلبة الشعرية التى انتهت بمعركة ادبية اضطرت البعض الى اختيار حكم يضع حدا نهائيا لتلك المعركة فوقع الاختيار بالاجماع على السيد مير على ورفعت اليه تلك الارجيز ومعه كتاب موقع عليه من قبلهم وهم يلتمسون صدور حكمه فى هذه المعركة العنيفة وكان ان صدر حكمه فى ارجوزة شعرية تجلت فيها قوة الشعر كما تجلت خفة الروح والدعابة التى قلما خلا منها ارباب الذوق والنفوس المتفتحة ، وكانت الارجوزة بمثابة انتصار لامع للمشتكى المهور ضد جميع مهاجميه ، ومن المؤسف ان تودع كل تلك المقاطيع والاراجيز عند الشيخ قاسم محيى الدين لسبب من الاسباب الخاصة فيحصر عليها الشيخ ، ولم يدعها ترى النور ومعهما قصيدة عبر فيها الشيخ محمد طاهر الشيخ راضى عن رأيه وحكمه فى ذلك النقاش ، ومعهما قصيدة السيد مير على التى كانت بمثابة التميز والاستيناف فى تلك المعركة .

وصار يوم الاربعاء من تلك الفترة من اشهر ايام النجف المعروفة وقد اشار
اليه الكثير ممن رثى السيد مير علي وكان منهم ابراهيم الوائلي الذي جاء في
مرثيته قوله :

متدى العلم في الغريين اخفى الموت رمز الفخار من اعضائه
شاعر مرهف الاحاسيس ليس (البعض) من نده ومن اكفائه
حدث (الناس) عن سواء فصولا وحديث الزمان عن (اربعائه)

واهدى لى السيد مير علي ذات يوم (دلة) قهوة معدنية وارققها بقصيدة جاء
فيها :

منطق الفن وهو بعض الادلة دل ان الجمال في صنع (دلة)
صورتها كف الصناعات فوافت بمصب تصاغ منه الاهله
الى ان يقول :

شاقنى ان ازفها باحترام (للخليلي) فهو زين الأخله
انا ما ان ازال أكبر منه قلما رائعا وأكبر عقله
أتحرى نظيره جهد ما بي من نشاط لكنى لم اجد له ...

ونشر (الهاتف) هذه القصيدة وعلق عليها ولم تكذ تنشر حتى تناولها جمع
كبير من فحول الشعراء وباروها بقصائد رائعة وقد عزاني البعض في هذه المباراة
بابنى الوحيد (هاتف) ، وكان من اولئك الشيخ محمد حسين حيدر ، والشيخ
عبدالحسين الحلبي الذي تفنن في قصيدته هذه تفننا عجيبا ، جمع فيها عددا من
الانغراض التي قلما جمعها شاعر كما جمع هو من غزل الى نسيب الى مديح الى
هجاء ، الى رثاء ، وقد تعرض في هذه القصيدة للسيد مير علي ولمن نظم على غراره ،
وهجا اولئك الشعراء وعدهم مخفقين في اعطاء قافية (الدلة) حقها من صوغ رثائهم
وتعزيتهم لى على ذلك النمط من الرثاء الباكي الحزين فقال مما قال وهو يخاطبني :-
لك اهدى نجية من نجيب اوقفوا قلبها ببابك بغله

ألبسوها من العويل ثيابا وسقوها من واكف الدمع وبله
وحشوها من القديم حديثا ما اجادوا وما استجدوا أقله
وجلوها رسما اجل هي رسم قد دعوه قصيدة للتجله

• وكان عنوان قصيدة الشيخ عبدالحسين الحلبي هو (دلة من قريض ؟) ،
واغتاظ السيد مير علي ولكن غيظ السيد مير علي لم يكن مكشوفاً لكل احد ،
واغتاظ غيره من الشعراء وكان منهم السيد احمد الموسوي الذي حاول ان يناقش
الشيخ عبدالحسين الحلبي على رغم تهيبه له فقال مما قال :

ايها الشيخ ان للحب ثله لاتي للعدول في الشوق عدله
قد ينال الملام منهم ولكن هم على الحب في رحيل وحله
فاحتسبني منهم فدينهم ديني ومالي سوى المحبة قبله
أأوارى نوارتي ثم ارتد خليا - هذي حماقة (بقوله)

والتعريض باهل الحلة هنا واضح في قافية (البقوله) ، والقصيدة في نحو
مائة بيت واكثر وقد ارفق احمد الرضوي القصيدة بكلمة اعتذار نشرها الهاتف
يقول فيها مخاطبا الشيخ عبدالحسين :

« وبعد فمن التطفل على شيخنا قاضي القضاة ان ينشر لي (الهاتف) شعرا قد
يظن انه معارضة لقصيدته العامرة الخالدة ولكن هذا بمثابة الجلوس على مائدة
الكريم بغير دعوة يعده الناس تطفلا وهو احترام » •

والحق ان قصيدة الشيخ عبدالحسين كما اشار اليها السيد احمد قصيدة تفتن
فيها الشيخ تفتنا عجيبا غريبا جمع فيها مختلف الاغراض الاجتماعية والادبية ووفق
بين حلقاتها المختلفة توفيقا منعدم النظر وهي تقع فيما يقرب المائة بيت منشورة في
الهاتف وقد ختمها الشيخ الحلبي بالابيات التالية التي عبر فيها عن ماهية قصيدته
وصفتها من حيث الموضوع ، اما ماهيتها الادبية فلا احسب ان من الهين حصرها في
جمل صغيرة كهذه ، وقد ختم الشيخ القصيدة بقوله :

لك منى تبنى التحايا هدى
 لست ادري ولا الهدية تدري
 أم أرتاء أم دلة من قريض
 أم عظة تضم جدا وهزلا
 لك زفت من بعد بطء ومهله
 ما الذى قد تكلفت لك حملة
 ام هجاء ام مدحة للاجله
 ام تراها تحملت ذاك كله ؟
 ثقل بعدى ومن (خلى) ثكله
 جبر الله بالمسرات منى

ونظم السيد مير على قصيدة تضمنت شيئا من عدم رضاه ودفع الى بها لنشرها كرد على قصيدة الشيخ عبدالحسين الحلبي ولكنى لم استسغها لا لشيء الا لاننى لم ارها جديرة بالوقوف امام قصيدة الشيخ الحلبي الرائعة التى حفظ الكثير من الادباء ابياتها ، فقد صور فيها الشيخ عبدالحسين الشعر بابدع صور ، وتقنن فى صياغة (الدلة) تفننا عجيبا ، وقد صارحت السيد مير على برأىي وواقفنى وقبرت القصيدة فى مهدها • (وقد اوردت بعض الابيات من هذه القصيدة المعاصرة فى كلمتى عن الشيخ محمد حسن حيدر من هذا الكتاب) •

وفى تلك الاثناء رأى الشيخ محمد جواد قسام ان يتم قصة (الدلة) بفنجان من فناجين القهوة الخاصة ، وتفضل على مشكورا باهداء فنجان عمل الفن فيه عنله ، فصيغت فى وسطه قبة مشبكة من الفضة احتوت على مقدار من المسك لا يكاد الراشف يرشف منه رشفة حتى يحس بالطر يضحخ انفاسه ، وارفق الفنجان بقصيدة نشرها له (الهاتف) فى حينها وكان هذا مطلعها :

وافاك فنجان لدله يسقى بقهوته الأخله

وبالاجمال فقد صار (للدلة) وقع ادبى رائع بفضل السيد مير على ، ولم تنزل الدلة تشغل من خزانة محفوظاتى اسمى موضع واغلاه •

وكان السيد مير على سريع البديهة يأتيه الشعر عفو الخاطر معبرا به عن احساسه وكان بيته يقع على السور مطلا على صحراء النجف ومقبرة (وادى السلام) وكان لاعمامه (آل ابى طيخ) عبد يسمى (قنبرا) فاذا اتفق وجوده فى النجف وفى بيت السيد مير على تكفل هو بنقله الى تلك الغرفة المطلة على (الوادى) صباحا ثم قام بنقله

الى الحرير مساء ، وقد اوحى اشتراك اسم هذا العبد مع اسم عبد لعلى ابن طالب يدعى (قبرا) واشترك اسم السيد على ابي طيخ مع اسم على ابن طالب ، لقد اوحى له مشاركة الاسماء وهو مستقل كفى عبده قبر هذين البيتين :

ان تكن (قبرا) فاني (على) بك اهلا فانت لطف خفي
قال: فارك فانت (درة) تاجي قلت فاغنم لكنني (نجفي)

والدرة النجفية اشهر من ان تعرف للقراء اما الاشارة الثانية للنجفية في هذه التورية فتترك تقدير دعائها لذوق القراء من النجفيين وذكائهم * ولم يكن بيت السيد مير على القديم على هذا النحو من الموقع ، وانا كانت بينه وبين هذا الفضاء حوائل من ابناء استملكها بلدية النجف وشقت منها شارعا عريضا فتهدم من بعض البيوت جانب بسبب هذا الاستملاك ، وأضيف الى بعض البيوت جانب آخر من فضلات الطريق التي باعها البلدية ، وكنت انا من الساعين لشراء قسم من فضلة الطريق لبيت السيد مير على الذي تجدد جانب الديوان منه ، فكانت له من تلك الاضافة تلك الغرفة الجميلة المظلة على وادي السلام والتي تشرف منها على العابرين وعلى السيارات الجائية من كربلاء والذاهبة الى كربلاء وهذه الاطلالة كانت من اهم وسائل التسلية عنده ، حين يكل من المطالعة ، وحين يحتلى بنفسه ، ولقد عبر عن انتزاع بعض المساحات من بيوت هذه المحلة الواقعة على هذا الشارع ، واطافة بعض المساحات من فضلات الشارع لبعض البيوت ومنها بيته احسن تعبير في هذين البيتين :

شوارع وسعوها كي يكونا على رفة بها المستطرقونا
فكم صلّموا بها أذننا وانا بحمد الله زادونا قرونا

ومن أجمل ما قرأت له من البديع الذي تضمنه شعره تقيظه لكتاب (الضائع) وهو أحد مؤلفاتي الذي طبع ونفذ ولم تبق منه ولا نسخة عندي :

صناعة جلت تصاويرها في النفس مذجلي بها الصانع
كم من كتاب باطل في الوري يوجد والحق هو (الضائع)

وكنت ادخل عليه كلما سنحت لي الفرصة دون الاهتمام بيوم الاربعاء الا نادرا ولا يكاد يصل صوتي الى اذنيه وانا انادى من وراء الباب :

- السيد موجود ؟.....؟

حتى ينطلق صوته من الديوان مناديا :-

- مولانا مولانا

ثم يردف ذلك بصوت عذب وبنغمة حلوة صائحا :-

- صدقي صدقي

ويمط هذا النداء بتلك النغمة الرتيبة ، ويمده حتى يبلغ مسامع ولده الاصغر (صدقي) فيخفف ابنه مسرعا من الحرم الى الديوان وهناك تحضر دلة القهوة ، وتتفتح نفسانا معا مستعرضين ما تقتضيه المناسبة ، وما جد لي اوجد له من خاطرة بمشها مطالعة كتاب جديد او سماع قصيدة حديثة ، وما اكثر المناسبات التي كانت تتلى فيها القصائد يومذاك في النجف •

وعلى ان عددا من الامراض قد تضافرت على هدم عمره ، منها الرمازم الذي اقمده ، ومنها اعتلال الكبد الذي عانى منه الكثير من الالام ، ومنها السرطان الذي مات به •

وفي مرثيتي له اشرت الى ما كان يعاني من هذه الامراض والالام بقولي :-

دنيا الجميع لذاعة لكنما دنيك سلسلة من الالام

وحياتهم نعم موفرة وما خليت حياتك من ضنا وسقام

اقول :- وعلى ان عددا من هذه الامراض قد تضافرت على هدمه فاني اكاد

اجزم بانه لم يوجد بعد احد من اقاربه ، أو اصدقائه من سمعه شاكيا او رآه جازعا وقد ظلت تلك البشاشة تصحبه الى آخر ساعات حياته •

وكان آخر ما نظم مقطوعة رثي فيها نفسه ، وضمنها وصيته وليست وصيته

الا رغبة ملحة بان يقفوا به طويلا - اما مروا - على قبره ، ومن تلك المقطوعة هذه

الآيات :

واذا ما قضيت نحبي فخطوا لي قبرا بجنب (وادي السلام)
وقفوا وقفة الشحيح عليه لا تمروا به مرور الكرام
واذكروني مهما حيتم بخير رحمة واذكروا بها ايامي
كل حي وان يعش ابد الدهر بدنياه سوف يسقى بجامي

وانا اليوم امر على قبره واطيل الوقوف عنده ولا افارقه الا وقد ذرفت آخر
دمعة مما تخترنه ما قى ، غارقا في بحر من الذكريات والاحلام اللذيذة التي لن

تعود •

فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم
فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم
فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم

فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم
فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم

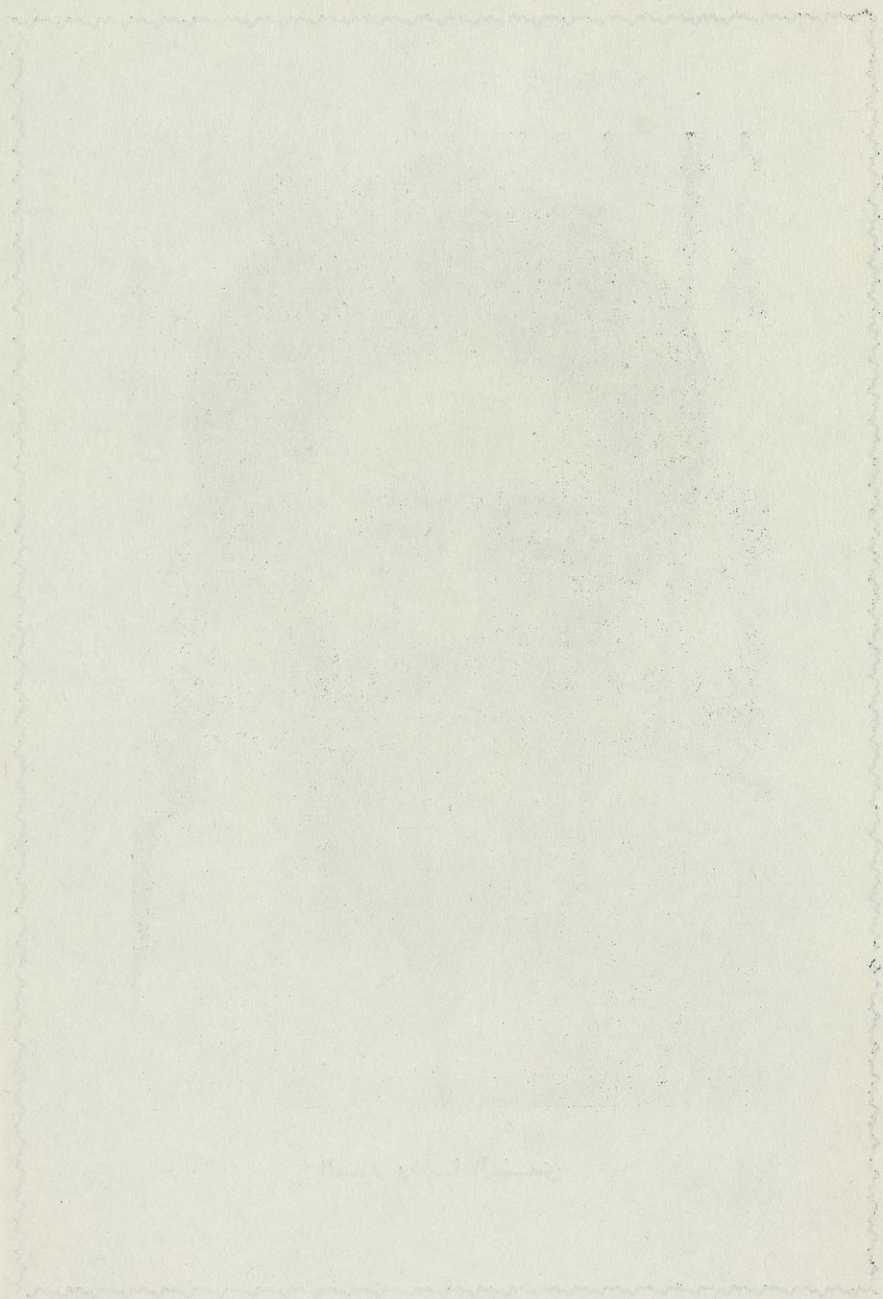
فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم
فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم

فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم
فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم

فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم
فما كان من ذلك من اني كنت قد كتبت في ذلك اليوم
وكانت قد كتبت في ذلك اليوم في ذلك اليوم



السيد رضا الهندي



(١) السيد رضا الهندي

كان ذلك قبل خمس وعشرين سنة أو أكثر عندما علمت بان صديقي السيد احمد الهندي انما هو ابن السيد رضا الهندي ، أو قل انني عرفت ان لصديقي هذا أباً له في عالم الادب والعلم شأن كبير ، ثم عرفت بان هذا الاب هو عم السيد صادق الهندي ، الذي تعرفت به فيما بعد ، ثم تحول هذا التعرف الى صداقة جد وثيقة ، ورحت كلما خطوت في السن احس بشخصية السيد رضا الادبية تمتلك نفسي ، ويلذ صدى ادبه في سمعي ، وتشد ما احببت ان استزيد سماع النكتة اللاذعة ، والنادرة المستفزة ، والتهمك الادبي الهادي المروى عنه في الاوساط النجفية ، وذلك اما لانني كنت مرحاً اميل الى الفكاهة والدعابة ، او لانني كنت لم افهم للادب حينذاك معنى آخر غير هذا النوع الذي كان يملأ نفسي اعجاباً بالسيد رضا الذي يجيد هذا اللون من الادب اجادة عظيمة .

ثم خطوت خطوة اخرى اتيح لي فيها ان اسمع للسيد رضا شيئاً اكثر وأكثر ، لقد اتيح لي ان اسمع اجود ما كنت افهم حينذاك من الشعر واسماء ، وابرع النكت الادبية واغزرها مادة ، واتيح لي ايضا ان ارى السيد رضا عن كتب فيما كنت ارتاد من المجالس الادبية ، وارى مقامه بين العلماء وبين الادباء ، فاسمع صوته الخافت واتميز نبراته بين مختلف الاصوات ، ولقد كانت بين مجلسي ومجلسه مسافة هي ما بين فهمي الادب وفهمه ، ومع ذلك فقد كنت اسمع احاديثه ، واسمع تعليقاته بكل وضوح ، واتسمع الى ما كان يراه ويديه من آراء لم افهم اكثرها ، ولكنني كنت افهم بعضها ، وبعبارة اخرى انني كنت افهم ما كان يتصل بالادب اكثر من فهمي للمواضيع الاخرى ، وكنت اطرب ايما طرب حينما كنت ارى نفسي قريبة منه ، وقادرة على سماع احاديثه بلا تكلف .

(١) الهاتف السنة التاسعة - العدد ٣٣١ - ٢٥ حزيران ١٩٤٣ .

وهنا خطوات خطوات اخرى الى الامام فاذا بي استطيع ان اتخذ من الفقيه حكما لرأى ارتثيه ، او مشادة ادبية تقع بينى وبين بعض الاصديقاء والادباء ، او استيضاح عن معنى مغلوط ، او جملة ملتبسة المعانى والاعراض ، ولقد حكم ذات مرة لخصمى فى قضية كنت احسبني فيها محقا ففضبت فلم يكن منه غير ان التفت الى وقال ما معناه :

« اذا كنت تريد العراك وكنت شجاعا فيجب ان تبحث عن (تركى) حاد المزاج لا ان تقصد (هنديا) بارد الطبع مثلى » فخرجت ووليت • ولقد كان حقا - كما قال - كان بارد الطبع ، لين العريكة ، وقد ساعدت صفاته هذه المختلفين فى الكثير من البحوث ولاسيما الشعر والادب على اختياره حكما نهائيا فى اختلافاتهم ، وظل يتمتع بهذه الصفة وتلك القابلية قابلية اصدار الحكم بكل اناة فى القضايا الادبية الى حين وفاته •

واتسعت دائرة معرفتى به ، وقرأت له اثارا كثيرة رائعة ، وصار لى به اتصال شديد اتاح لى ان اعرفه معرفة جيدة ، واسمع منه اخبار اعلام الجيل الماضى بكل دقائقها فقد كانت له المامة واسعة بالمشاهير من ادباء الجيل الماضى وكان ملما باخبارهم الماما كافيا بل كان صدره عبارة عن سجل تاريخى لاهم ما قيل وما يجب ان يقال فى اسعد الساعات واكثرها رضاء ، واشدها حرجا ، وتوثقت عرى هذا الاتصال بينى وبينه فما وجدتنى بعد ذلك الا وانا اسير الحديث معه كما أشاء وكما يلذ لى أن يكون ، ووجد منى مصغيا فصار يجتهد فى نقل ما وسع ذهنه الى ذهنى من روائع الادب ، ويتحبنى باسمى متوجه واغلاه ، وحتى غدا يزورنى فى مكتب جريدة الهاتف فى كثير من المناسبات ، وارتفعت الكلفة فيما بيننا ، وادرك اتى لست ممن الذين يتخيلون لعظمة صورة خيالية بحتة متى تجردت منها لم يعد للعظمة معنى عندهم ، كأن يطلبوا من العظيم ان لا يضحك مثلهم ، ولا يتحدث معهم والا فقد هبط من ملكوت عظمته مادام يجادلهم كما يحدثهم ند من اندادهم ، وكان اذا دخل مكتب الجريدة وهو متعطش لشرب الشاى - وكان منهمكا بالشاى كثيرا - نادى

(انا شايان) (انا شايان) ••• واعترضته اول يوم سماعى لهذه الصيغة الغريبة
واستعماله كلمة (شايان) بقصد طلب الشاي قال :

اذا حق لذلك الفقيه العجمى ان يستعمل هذا القياس فى كلمات ابعده ما تكون
معنى عن قياسى انا ويصيب المرمى بها فكم بالتحرى ان يحق لى انا استعمال هذا
القياس فى المعنى القريب •

ولما سألته عن قصة الفقيه العجمى قال :

هو فقيه عجمى لم يحسن غير اللغة العلمية الفصيحة وقد ضايقته بطنه ، وهو
فى السفينة مضايقة شديدة ارغمته على ان يطلب من الملاح الدنو من الساحل فنادى :
- ايها الملاح ادن من الساحل فاننى اريد الخلاء ••••• ولكن الملاح لم يفهم شيئاً
مما يقول هذا الفقيه فعاد الشيخ ينادى مرة اخرى - أن ادن من الساحل فاننى اريد
المرحاض ، فلم يفهم الملاح شيئاً ، وعاد للنداء الثالثة ورابعة وهو يستعمل اى رمز
للمرحاض فلم يفهم الملاح شيئاً ، وحينذاك سمع طفلاً فى السفينة يبكى ويصيح :
(جوعان) ، ويكررها مرات صائحا : جوعان ، جوعان ، فالتفت الشيخ الفقيه هنا
وقال :- الان فهمت ••• ان القياس يجب ان يكون على (فعالان) ، فيا ملاح انا زربان ،
انا خريان ، انا بولان ••• فضحك الملاح ومن كان فى السفينة وفهموا ما يقول
الشيخ •

وهنا قال السيد رضا - اذا حق لهذا الشيخ ان يستعمل قياسه المغلوط. على
(فعالان) وقد استطاع الملاح وغير الملاح ان يفهم مقصوده فكم بالاحرى ان تفهم انت
ويفهم الجميع قولى حين اقول انا (جيان) واقصد بذلك انى شديد العطش لشرب
الشاي ؟

وزارنى ذات مرة وانا اتلو قصيدة من هذه القصائد التى يظن اصحابها انهم
من الشعراء المغموطة حقوقهم ، والمجهولة اقدارهم ، وهى ابعده ما تكون عن الشعر
من حيث المعنى ، والوزن ، والقافية واسمعه طرفا منها ، وتلوت عليه ما يلفت النظر ،
فاذا بالذكري تعود به الى اربعين سنة خلت أو أكثر فتبدو على شفقيه ابسامة خفيفة

كثيرا ما كانت هذه الابتسامة مقدمة لحديث ادبي طريف واذا به يقص على
القصة التالية :

قال - كنا جماعة ندرس العلم وتتفكه بالادب ، وطالما تهادى بعضنا مع بعض
بالطرائف وما قد يتفق له في حياته اليومية الخاصة ، وما كان يتم له استكشافه في
اتناء العمل ، فكان احدا يهدى الى الاخر ما يعثر عليه من نوادر ادبية ، وطرف
شعرية كلما اجتمعنا ، وذات يوم تسوق المصادفة الى رجلا بغداديا جميل البزة ،
حلو الهندام ، نظيف الثوب والقلب ، تعلق رأسه (كشيدة) صفراء في غاية الاناقة
والزركمة ، فيشدني قصيدة من شعره المضحك المبكي وهي قصيدة اصدق ما ينطبق
عليها الوصف العامي الذي يجمع كل اطرافها بكلمة (خرايط) ولكن خرايطها
كانت من النوع الجيد الممتاز الذي لا يطبق المرء أن يتمالك نفسه من الضحك
امامها ، ومع ذلك فقد اطلقت انا ذلك ، وحسبت نفسي لغاية في نفسي وهي ان
اغرى هذا الرجل حتى أهيبء منه هدية نفيسة اقدمها الى صديقي كبير الشعراء
السيد محمد سعيد الجبوي ، فكان ما اردت ، وقد اغريت الرجل باز يعرض هذه
الجواهر النفيسة على مشتريها ، ومقدرى حقها ، وضربت له موعدا ، وحضرنا نادى
السيد السعيد معا وقدمته بهذه الالفاظ :

هذا الجلبى - قلت هذا وانا اشير اليه - هذا الجلبى شاعر ممتاز ولكنه كالقط
ينتج ويخفى ما ينتج في صدره * * * ، وسيقرأ لكم احدى قصائده العامرة لتروا
فيها مثال الشعاعية الفياضة ، وكان تعريفى هذا قد اعمى الجلبى عن الالتفات الى
الغمز اللفظى ، والكناية المعنوية في تشبيهه بالقط فصار ينشد بصوت اعلى ، واكثر
ترنيمه مما نشدني به شعره من قبل ، وما كاد ينهى مستهل القصيدة الا وانفجر
السيد محمد سعيد ضاحكا ، ثم اغرق الباقون في الضحك ، والشاعر مشغول
بتلاوة القصيدة ، ولكن الجبوي لم يلبث دقيقتين او اقل حتى بدأت الضحكة تغور
في فمه كما تغور الشمس في السحاب ، وتكمش منه السحنة ، وتختفى الابتسامة
في نفسه ، كما ينكمش الحلزون ويختفى في نفسه ، ثم اذا بالجبوي يتوجه الى
الرجل بقتة ويقول :

- لقد غشك يا جلبي هذا (وقد اشار الى) فانت رجل لاتفهم الشعر ، ولا تحسنه ، واذا بقيت مغرورا بنفسك ، فستظل سخرية الساخر ، وهزؤ المستهزى ، واني ارى من واجبي الدينى ان انصحك ، واصرفك عن نظم الشعر نهائيا فهل انت فاهم ما اقول ؟••

- قال الرجل - نعم فهمت •

اما انا فكان الارض قد ماتت بى من شدة الحياء ، وقد تصبب العرق من جينى ، وبقيت كلما رأيت (مكشدا) من بعيد يعرفونى مثل هذا الخجل الذى لا ياحتمل ولا يطاق •

وعلى ذكر هذا النوع من الشعر تذكرت انه عرض مرة على السيد رضا الهندي بيتان من الشعر لاحد الذين عرفوا بان فيهم (خيوطا) والخيوط كناية فى الفرات عن المس والخبال ، وقد يصغرونها فيقولون (خويطات) اذا كان خباله قليلا ، اجل لقد عرض على السيد الهندي هذان البيتان لصاحب الخيوط :-

اذا زفت عروس نحو عريس تشوش فكرتى وتجنن بالى
وان جلست على الكرسي يوما يهب الريح من طرف الشمال
ثم طلب من السيد رضا ، ان يجيز هذين البيتين بيت مناسب من نوعهما فقال :-
لقد زعموا بان به خيوطا لقد صدقوا ولكن كالجبال
فذهب هذا البيت مثلا واصبح كناية نلمخبولين فى جميع الاوساط •

قلت انى اعرف السيد رضا من حيث كنت افهم ، او مما يلذنى ان افهم ، على الرغم من ان النواحي التى كانت تجتذب المتصلين به كثيرة ، وعلى الرغم من ان ابرز صفاته لم ينحصر فى الادب وحده فقد كان فقيها ، غزير المادة ، واسع الاطلاع وكان من مشاهير تلامذة الاستاذ الاكبر (الاخوند) وله فى العلوم الدينية ولاسيما الردود على الذين تناولوا الدين الاسلامى جولات ، وصولات ، يعرفها المتصلون به والمحيطون بها • ولا شك ان الذى يتصدى لترجمته سيخرجه صورة كاملة من جميع جهاتها اما انا فلم احاول غير ان استعيد ذاكرتى واحكى شيئا عن كيفية معرفتى له واتصالى به •

اجل اننى عرفت السيد رضا من حيث اردت انا لا من حيث يجب ان يعرف، وعرفت انه زاول الادب زمنا طويلا فابدع فيه ابداعا كان المجلى فيه بين جمع كبير من الادباء والعباقرة فى زمانه ، ولقد ولع (البديع) ولعا سما به الى منزلة قل من ارتفع اليها من قبل ، وان لدى الكثير من الشواهد من نظمه ونثره ومنها (مقامات) اذا شئتها شعرا كانت شعرا ببحور مختلفة ، وقوافي مختلفة ، وان شئتها نثرا كانت نثرا مسجعا او مرسلا ، ولم يكن هذا غريبا بمقدار غرابته خلو هذه المقامات من التكلف ، فقد كان بحق امام البديع وشيخ الادباء فضلا عن كونه عالما ومن علماء الفقه المعروفين .

ومن ابرع بدائعه فى وضع التواريخ الابجدية التى سمعتها منه هو تاريخه لشهادة الامام ابى عبد الله الحسين الذى وقع سنة ٦١ هجرية وهو عدد صغير جدا كما يرى القارىء يستحيل على الشاعر ان يستخدمه لوضع تاريخ شعري متين وبدون تكلف ، ولكن براعة السيد رضا قد تغلبت على هذه الصعوبة فوضع التاريخ التالى وهو شاهد على منتهى ما يبلغ المنقن مما يتصور المتصورون للمكات الصياغة اللفظية والفنون الادبية فى ذلك العصر فجاء التأريخ على هذا النحو :

صرخ النادبون باسم ابن طه وعليه لم تجبس الماء (عين)

لم يصبوا (الحسين) الا فقيدا حينما ارخوه (أين الحسين) ؟

وحساب هذا التأريخ يجرى بان تتبع الاشارة فى صدر البيت التى تقتضى تنزيل اسم (الحسين) باعتباره (فقيدا) من قوله (أين الحسين) فيكون التأريخ مجموع حروف (أين) وذلك سنة ٦١ هـ وهو المطلوب

وعلى ذكر تواريخ الائمة من آل البيت اسجل بعض ما يحضرنى من تواريخ السيد رضا الهندى لباب حرم (العسكريين) بسامراء فلقد صيغ لحرم العسكريين باب فضى اجهد الصانغ المشهور (رجب على) نفسه فى اخراجه اخراجا بارعا من حيث الفن والنقش وقد اخرج من وسط الباب طغرى ذهبية ابدع فى صياغتها ابداعا كبيرا فعهد للسيد رضا الهندى تسجيل تاريخ الباب على هذه الطغرى الذهبية ففعل ،

الا انه لم يمض بعض زمن حتى اقتلعت الطغرى من الباب وسرقت ، وقد لها الناس
 بحديث الطغرى وسرقتها وكثر حولها اللفظ ونسوا الابيات والتاريخ الذى وضعه
 السيد رضا لباب (الامامين العسكريين) والمنقوش عليها وهو :

عبدكما واقف بياكما يعفر الخد فى توابكما
 يلثم اعتاب بقعة فخرت اركانها أنجم السما بكما
 مذ اثقلت جنبه الذنوب أتى يلتمس العفو من جنابكما
 يعتقد الفوز فى ولائكما ويوقن النجاح فى اياكما
 ويبتغى الأمن فى المعاد وأن يسقيه الله من شرابكما
 جاء كما زائرا وارخ (هل - يخيب - مستمسك - بياكما)

وتاريخ اخر قاله السيد رضا فى باب (الامامين العسكريين) بسامراء وقد ركب
 قافية لا يستطيع ان يعطيها حقها الا الشاعر الفحل وقد كان شاعرها الفحل نفسه
 وهذا هو التأريخ :

قل لمن يمموا النقى وأموا من حمى العسكرى افضل خطه
 جئتم (سر من رأى) فاقيموا أبدا الدهر فى سرور وغبطه
 زرتم لجتى عطاء وفضل يعتدى فى يديهما البحر نقطه
 خيرة الناس هم ومن ذا يساوى فى المزايا آل النبي ورهطه
 قيل ارخ باب (النقى) فارخت بيت فى قلبى الوحي خطه :
 ادخلوا الباب سجدا ان باب العسكرين دونه باب خطه

وللسيد رضا الهندى (تواريخ) فية شعرية كثيرة وكلها من النوع انذى يدل
 على علو كعبه فى البديع ، وميزة البديع عند السيد رضا هو ان يأتى به فى الشعر أو
 يأتى به فى الحديث بعيدا عن التكلف كما لو كان يرتجله ارتجالا ويرسله ارسالا
 ومن ذلك كان التأريخ الذى وضعه لضريح زعيم الثورة العراقية السيد (نور)
 الياسرى والذى كتبوه على قبره ، وقد اورده موريا بين اسم (نور) وبين معناه من
 قوله :-

وكيف يخشى ظلمات الثرى رخ (ضريح ملؤه نور)
واظن ان هذا التأريخ شطر من ابيات قرأها على مرة وقد كتبت على الضريح
المذكور فلم يعلق فى ذهنى غير التأريخ وغير هذا البيت :

هذا ضريح فيه (نور) الهدى وهو بلطف الله مغمور
ومن ابرع آثاره الشعرية المتضمنة لاروع انوان التورية والجناس المؤلف
فى ذلك العصر قصيدة عامرة رثى بها اباة الزعيم الروحانى الكبير السيد
محمد الهندى *

والسيد محمد الهندى كاد ينفرد بالزعامة الاندية لو لم يحدث له حادث غير
ذى قيمة ولكن منافسيه قد اتخذوا منه ذريعة للدعوة الى زعيم روحانى آخر ، اما
الحادث فهو يتعلق بحكم رؤية هلال العيد لشهر رمضان ، فقد حكم السيد محمد
برؤية هلال العيد ثم ثبت بعد ذلك ان العيد لم يحل ، وان الرؤية لم تثبت ، فقامت
على أثر ذلك ضجة كبرى على ما كان يروى الشيوخ والمسنون ، سببت ان يرفض
بعض مقلديه من حوله ، ويتضعضع الاجماع الكلى انذى اتجه اليه قبل هذا الحكم *
اقول ومن ارووع آثار السيد رضا الهندى الشعرية تلك القصيدة العامرة التى
رثا فيها اباة وضمنها شيئا من (بديعه) الرائع فى قوله :-

ولا بكين على نواك (متما) عمرى لانك (مالك) لغنائى

ومتتم هذا كما هو معروف شقيق مالك ابن نويرة الذى قتل ، والذى بكاه
اخوه متمم حتى دمعت عيناه العوراء * * * على ما روى المؤرخون *

ومثل هذا التفنن وان لم يتعاطه الادباء اليوم ولكنهم لا ينكرون انه يصلح ان
يكون وسيلة من وسائل قراءة الاديب وتبين ملكاته ومدى استعداده فى علم الصياغة
وطرازها وطريقة نسجه فى النظم *

وكان قد نقل عن السيد رضا الهندى بيتان من الشعر الذى تضمن هذا
النوع من البراعة الشعرية ، وحكى جانبا من تفننه فى البديع ، وقد حفظ البيتين
المذكورين جميع من سمع بهما فكثر اللفظ عن قيل فيه البيتان المذكوران ، فقال

البعض انهما قد قيلا في السيد محسن الامين لتبنيه فكرة الاصلاح الديني والدعوة الى تحريم اللطم على الصدور وشح الرؤوس بالسيوف في يوم عاشوراء حزنا على الحسين ، تلك الدعوة التي كان لها انصار ، وكان لها خصوم فكان السيد رضا من خصومها على ما عرفت .

وقال البعض ان البيتين قيلا في السيد محسن (ابو طيخ) لان السيد محسن (ابو طيخ) كان قد هاجم الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في رسالة طبعت باسم (المبادئ والرجال) وفسر هجومه هذا تفسيراً غير مرضي اثار حماة الدين واهله ، فقال السيد رضا فيه ما قال - وقال الآخرون غير هذا ، اما البيتان اللذان يحفظهما جميع من سمع بهما على اساس براعتهما البيعية او على اساس الغرض الذي يرمى اليه كل واحد وفق مزاجه فهما :-

ذرية الزهراء ان عددت يوما ليطري الناس فيها التنا
فلا تعدوا (محسنا) منهم لانها قد اسقطت (محسنا)

وسقوط (محسن) هو اشارة كما يعرف المتبعون الى انه كان لفاطمة الزهراء ولدان هما الحسن والحسين وكانت حاملا بثالث اسقطته وكان قد سمي با (محسن) عند سقوطه .

ولقد سألت السيد رضا يوما وهو عندي في مكتب (الهاتف) يحسو الشاي ويدخن ، وكان يسرف كثيرا في التدخين وفي شرب الشاي فاذا اخذ كفايته منهما تفتحت نفسه وفاضت بالربيع من الادب نقلا ونقدا وانشاء .

لقد سألته عما اذا كان البيتان المذكوران قد قالهما في السيد محسن الامين حقا ؟

فقال لي وقد ظهرت آثار الانزعاج على سحته قال :-

- انا راض ان توجه هذا السؤال لنفسك ، وترى أيلق بواحد مثلي ان يقول

شيئا من هذا في السيد محسن الامين ؟؟؟ ؟

وفاتني ان اسأله بعد ذلك عن البيتين المذكورين وفيما اذا كان هو قائلهما حقا ؟

وفيمن قالهما ؟ لاننا كنا قد انتقلنا الى مواضيع بعيدة ولم التفت لاهمية هذا السؤال
الا بعد وفاته .

ومن هذا اللون من الجناس ما قرأه على وهما بيتان وجههما السيد رضا الى
ابنه السيد احمد الذى كان يزور (صيدا) بلبنان يومذاك فقد كتب لابنه قائلاً :

وكنا ان اردنا منك وصلاً أصبناه ولو نمشى رويدا
فصرنا نستعين على التلاقى بأشراك الكرى لنصيد (صيدا)

ولست انا وحدى الذى أضعت فرصة الافادة من وجود هذا العالم الشاعر وانما
اضاعها الكثير ممن لم يحسبوا حساب الموت وفى مقدمتهم ابنه السيد احمد الهنـدى
الذى كان عليه وهو الشاعر والاديب ان ينتهز تلك الفرصة الثمينة فيسجل فيها
لابيه كل خواطره التى كان ينفرد بها فى عالم الفقه والتاريخ والادب والبديع الذى
لم يجاره فيه الا القليل القليل .

لقد كان السيد رضا الهنـدى من اهم اركان النهضة الادبية فى اوائل القرن
العشرين ولم تتل له قصيدة او مقطوعة او بيت من الشعر دون ان يحدث ذلك بعض
الاثر وقد كان لقصيدته الكوثرية التى افـتـتـحـها بقوله :-

أمفلج ثغرك ام جوهر ورحيق رضا بك ام سكر ؟
قد قال لثغرك صانعه (انا اعطيناك الكوثر)

دوى كبير وقد صاغ على نمطها عدد كبير من الشعراء قصائد فخمة ولكنها
لم تبلغ شأؤ قصيدة السيد رضا ، ومن تلك القصائد كانت قصيدة الشيخ محمد
السماوى الذى بارى فيها (كوثرية) السيد رضا وركب فى مباراته قافية الضاد
الصعبة على سبيل المنافسة فقال :-

سودت صحائف اعمالى وبمدح ابى حسن تبيض

والسيد رضا الهنـدى بعد ذلك كما قلت عالم فقيه ولكن الادب الذى اضفى
عليه بتلك الجلالة لم يدع من لم يعرفه جيداً ان يعرف براعته فى النواحي
الاخري ، وقد طواه الموت فطوى به سجلاً حافلاً بارقى واسمى وارفع الفنون الادبية

وانمحت بموته صورة من صور النجف المعربة عن العناية الاصيلة بالبلاغة
والفصاحة والطرفة الادبية من هذا اللون في صياغة البديع الذي عرفته اناديه ، وقد
كان لنصف قرن كامل احد فحول شعراء العراق لتلك الحقبة من الزمن الذي كان
يضم عددا من نوابغ الشعراء ممن كانوا يجرون على تلك الوتيرة ، وقد فقدت به
انا منبعاً عذبا ، وملجأ روحيا ، كان يقضى الكثير من اوقاته في مكتب الهاتف فقد
كان العالم الروحاني مدينة الفيصلية وكان يكثر التردد على النجف وحين يريد
العودة الى الفيصلية كان يمر بدار الهاتف منتظرا فيها تهيو السيارة القريبة من
مكتب الجريدة لنقله اليها ، وفي هذه الاثناء كنت اوصى بان يعدوا له شايا خاصا
وافتح امامه علبة السجائر ، وافتح معه باب الحديث حسب ما تقتضيه المناسبة .

★ ★ ★

وقد يصادف ان يمر بمكتب (الهاتف) في طريقه الى (الفيصلية) في يوم عطلة
الجريدة فيجد الباب مغلقا فلا يمتنع من ان يقصد احد المقاهي المجاورة لمكتب الهاتف
ويجلس في احدى ارائكها دون ان يهتم بالعرف الذي ينكر على العلماء الجلوس في
المقاهي او المجالس العامة ، والاكثر من ذلك ان مزاج السيد رضا الهندي والعرف
السائد كانا دائما على طرفي نقيض ، لذلك لا يبالي ان يكون جلسيه رجلا معروفا
في دنياه او نكرة مجهولا ليس له اصل او فرع ، ولذلك كثيرا ما تجده وهو يخوض
حديثا طويلا مع احد الناس فتعجب به كيف يأس كما لو كان يتحدث الى رجال
العلم والادب من انداده !!...!!

قال لي مرة : انه مر ذات يوم (بالهاتف) فالفى الباب مغلقا فاتحى ناحية من
المقهى المجاور لمكتب الجريدة وجلس الى جانب شخص بدا له اول الامر انه من
عارفيه حين وجده يقف على قدميه مفسحا له بالجلوس والبشر طافح على وجهه .
يقول السيد رضا : وما كدت احده ، حتى علمت بانه اخرس ... ولكن هذا
لم يكن بمانع من ان نتجرف انا واياه في الحديث بالاشارات ونشرق ونغرب ،
ونصعد وننزل بايدينا واصابعنا ، واتجاهات عيوننا ، وما كان يظهر على سحننا من

تضمن ، وانطلاق ، وكان ان طأل حديثه معي ، وطال حديثي معه ، ولست أدري
أكان صحيحا هذا الذي كنت افسره لنفسي من اشاراته ؟ وهل حقا انه كان يفهم
ما كنت اقول له بطريق الاشارة ؟ ولكنى اعلم اننا كنا قد انسجنا ، وقد أنس بعضنا
بعض ، وزاد انسى حين وجدته غارقا واياه في ضحكة امتدت طويلا حتى لقد كان
يضرب بكفه على فخذى من شدة الضحك فاحس بالآلم ، واجمع رجلى ،
وانكمشي ، وانا اكاد لا اتمالك نفسى من شدة الضحك والسعال الذي لازمنى ، ولا
يهمنى بعد ذلك أكان هذا الذي يقصه على باشاراته هو عين ما كنت افهمه منه ام انه
كان شيئا آخر

وهنا قص على السيد رضا هذه الاسطورة الفكهية قال :-

قدم فيلسوف على احدى المدن فاحتفت به المدينة غاية الاحتفاء ، وقد رأى ان
يجلس للناس فى احد الميادين ليختبر مدى فهم علماء هذه المدينة الرمزيين وادراك
فلاستفهم بما يوجهه اليهم من الاسئلة عن طريق الایماء والاشارة الصامتة . وقد
تقدم الكثير اليه فلم يفهموا شيئا من اشاراته فانصرفوا مخذولين فأشلين *

وسمع بخبر هذا الفيلسوف حمال عرف بين الحمالين بشعث شعره ، واندلاع
صدره ، وزراية هيكله ، كما عرف بطاقته الكبرى فى حمل الاثقال والنهوض بها ،
فاحب ان يرى هذا الفيلسوف الذى شغل الناس بحديثه ورجاحة عقله ، وغزارة
علمه ، وعمق فلسفته بحيث استطاع ان يزيف كل فلاسفة البلد ورجال الفكر
والعقل منهم *

وشق هذا الحمال القوى الجبار تلك الصفوف المتحلقة حول هذا الفيلسوف
العظيم ، وتقدم اليه وجلس امامه ، فظن الفيلسوف وهو يمعن النظر فى هذا الشعر
المشعث ، والصدر المفتوح ، والثياب المهلهلة ، واللامبالاة البادية على هذا الحمال :
بانه امام فيلسوف لا يبعد ان يكون من كبار فلاسفة العالم ، فمد يده الى مخصرة كانت
بجانبه ورسم بها دائرة بحجم الصحن على الارض فلم يكن من الحممال الا ان
يسرع وينصف الدائرة باصبعه الى نصفين

وهنا علت وجه الفيلسوف دهشة واستغراب فمد يده الى جيبه واخرج منه

برتقالة وبدأ يحركها يمينا وشمالا بين اصابعه ♦♦♦ فلم يكن من الحمال الا ان مد يده الى عبه واخرج منه رأس بصل كان قد اخترنه في رده ليؤدم به غدائه ، وقد قبض عليه بين انامله وبدأ يحركه ذات اليمين وذات الشمال على غرار حركة البرتقالة في راحة كف الفيلسوف ♦♦♦♦

وهنا فغر فم الفيلسوف من الدهشة والاستغراب ولم يكن منه الا ان اومأ للحمال بسببته وقد بدت على وجهه علامات الجذ والصرامة ، فرد عليه الحمال بان اومأ له باصبعه محركا اياهما امام عيني الفيلسوف بنوع من التحدى العجيب . وزادت دهشة الفيلسوف ، وجحظت عيناه من العجب فرفع يده في هذه المرة الى الاعلى موميا الى كبد السماء ♦♦♦♦ اما الحمال فقد رد على حرركته تلك بان صفق الارض براحة كفه بقوة عجيبة .

وهنا علت ضحكات المتفرجين وحصل بين الجمهور ما يشبه الهرج والمرج ، وقال العقلاء ان هذا الحمال قد اخزانا ، واساء الى سمعة بلدنا بما ارتكب من مهزلة غير مغتفرة ، وطلبوا بان يسحب من الميدان حالا قبل ان تصل المهزلة الى الحد الشائن .

وهكذا حمل جمع من الاشداء على الحمال واخرجوه من الميدان ، وفي اقل من بضع دقائق كانوا قد غيوا وجهه عن الفيلسوف ♦♦♦♦
ولكن الفيلسوف صاح باعلى صوته ♦♦♦♦ لقد صاح باعلى صوته :

— لم لا تتركون الرجل يمضى في اجوبته ؟ لم تحولون بين رجال الفكر والعلم فتحرمونهم من مواصلة بحوثهم ؟ آه لو عرفتم كم هو هذا الرجل الذى اخرجتموه عظيم لاستغفرتن عن ذنبكم ولا لقيتم بانفسكم على قدميه ، ولا عذرتن بدموعكم وتوسلاتكم اليه .

فقال سكان البلدة :— اتنا لم نزل غير مدركين شيئا مما تقول : فهل بإمكان سيدنا الفيلسوف ان يفصح لنا ، ويقفنا على الحقيقة ؟

قال الفيلسوف — لقد سألت فيلسوفكم هذا وانا اخط على الارض دائرة بمخضرتي ، لقد سألته : هل الارض هذه التى نعيش عليها من نوع واحد ؟

فقام الرجل وقسم الدائرة الى قسمين وهو يعنى ان الارض عبارة عن ماء
ويابس *

وحين اخرجت البرتقالة - قال الفيلسوف - كنت اردت ان أسأله : وهل ان
قبة السماء كهذه البرتقالة ؟

فكان ان مد يده الى عبه واخرج رأس البصل ، وهو يعنى ان قبة السماء
كأرس البصل هذا : طبقة فوق طبقة

وعندما اوأمت له باصبعي كنت اريد ان اعرف هل هو معتقد بوحداية الله ؟
فكان جوابه بتحريك اصبعيه مقابل عيني يعنى ان الله واحد لاشريك له *
وهنا رفعت يدي الى الاعلى - قال الفيلسوف - وانا اعنى بذلك السؤال منه
عن رفع السماء بدون عمد

وقد اجاب وهو يصفق الارض براحته : ان الذي رفع السماء هو الذي بسط
الارض ..

وقال الفيلسوف - ولكنكم يغفر الله لكم - أبيت الا ان تنصوا علينا هذه
المتعة فاخرجتم الرجل من الميدان اخرجاً لا يلقى بفيلسوف عظيم مثله ! ..
وجاء المتفرجون الى الحمال يسألونه :

- ترى ماذا قال لك هذا الفيلسوف ؟ وماذا قلت له انت ؟
قال - لقد قال لي وهو يخط دائرة على الارض انه يأكل كل رغيف من
الخبز وحده ، فقلت له اما انا فأكل من كل رغيف نصفه واترك لزوجتي النصف
الآخر ؟

وحين اخرج الفيلسوف البرتقالة من جيبه - قال الحمال - كان يريد ان
يقول بانه انما يأكل البرتقال مع الخبز ، فقلت له : اما انا فأكل الخبز مؤدماً
بالبصل *

فحلق الفيلسوف في وجهي - يقول الحمال - وتحذاني باصبعه زاعماً انه
سيقتلني باصبعه احدي عيني ، فمددت له كلا اصبعي مشيراً الى اني سأفقد بهما كلنا
عينيه *

ثم رفع الفيلسوف يده الى الاعلى رامزا الى انه سيطوح بي في الفضاء باقصى
مالديه من قوة ومقدرة ويرمينى بعيدا عن الارض ، اما انا فقلت له - واننا اصفق
الارض بكفى - بانى ساضرب به الارض ، ولن اتركه الا وقد تلاشت جتته ، وقد
غدا اثرا بعد عين *

قال السيد رضا الهندي :- من يدريك انه لم يكن بينى وبين ذلك الاخرس
ماكان بين الفيلسوف المذكور والحمال من البعد الشاسع اكثر واكثر ، ولكن انهم
هنا اننا كنا منسجمين ومأنوسين *

* * *

لقد كان السيد رضا يؤمن بانغيب ، ويعزو اسباب الكثير من الحوادث
والوقائع الى المغييات ، فكان للاحلام عنده شأن كبير ، وهو يعتبرها بمثابة البشائر ،
والنذر للحوادث ، ويرى ان كثيرا من الامور التى يراها المرء فى منامه تتحقق له
فى يقظته فى اليوم الثانى او الايام القريبة الاخرى *

واذكرانى ناقشته رأيه هذا قبل وفاته بمدة قليلة حين قال لى ان مدته لن
تطول بعد اليوم فى الحياة لانه كان قد رأى فى المنام اياه وهو يدعوه لمرافقته لزيارة
احد الاضرحة المقدسة ، وقلت له : اننى اعتقد ان تحقيق الحلم فى اليقظة ليس
الا من قبيل المصادفة ، وهى لا تزيد على ان تتوقع شيئا او تمناه فى يقظتك فيتحقق
لك ذلك بينما تنسى انك قد تمنيت اشياء كثيرة فى اليقظة ، ورأيت ملايين الاحلام فى المنام فلم
يتحقق شىء ولا بعض شىء منه ، ثم قلت : وهب ان مايقع فى الحلم سيقع فى
اليقظة فما علاقة دعوة ابيك لمرافقته فى زيارة الاضرحة المقدسة بانتقالك الى
الآخرة لاسمح الله ؟

فقال - ان الاختلاف فى هذه الامور لا يقتصر على عليك وحدنا بل ان لهاتين
العقيدتين المتضادتين اهلها والمؤمنين بهما ، ومنذ وقت طويل والفجوة بين هاتين
الطائفتين واسعة وواسعة جدا ...

ومات السيد رضا بعد مدة قصيرة من هذا الحديث !! ..

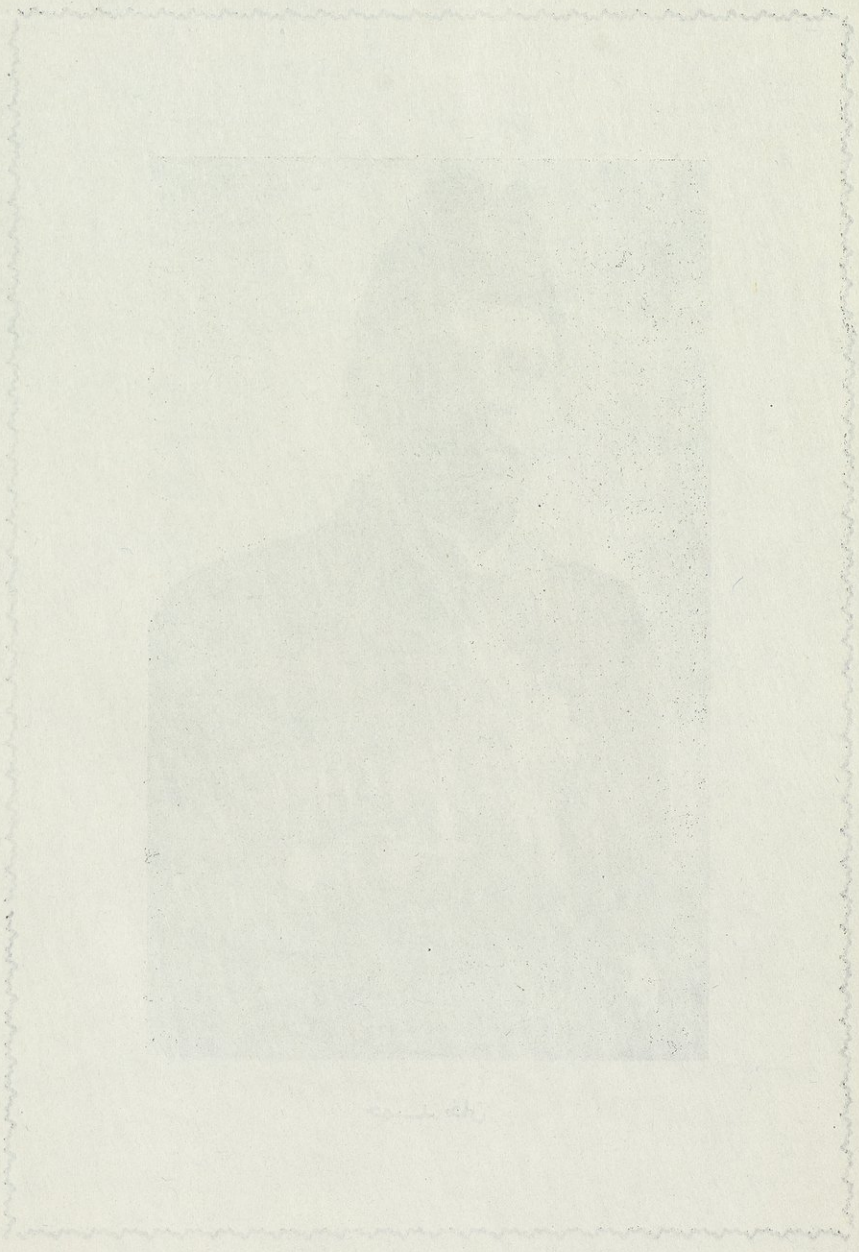
الله كم هو قاس هذا الموت الذى يطوى مثل هذه الارواح الوادعة الظريفة
البريئة التى طالما كانت بلسما للقلب المكلوم ، وملجأ لليأس المظلوم ، وعلاجاً روحياً

تقيم المعوج من النفوس ، ونبراسا يهتدى الناس بعلمها ، وادبها ، وسيرتها الحميدة ،
ونفوسها المفعمة بالطيبة والمرح ، وقد كان السيد رضا من هذه الأرواح التي طواها
الموت في الطليعة فكانت الخسارة بفقده كبيرة ولم تكن مقتصرة على ما اصاب الادب ،
والفضيلة ، والروحانية التي مثلها السيد رضا الهندي خير تمثيل حين توفاه الله ،
وانما فيما اصاب الانسانية والخلق المرح البريء الذي لا يخضع لقيد ، ولا يتأثر
بتقاليد ، هذا الخلق الذي قلما وجدنا نظيره مجتمعاً في شخصية روحانية •

لقد شق على فراقه وها هي ذى ايام تمر وانا اتصور مجلسه الذي لم يتغير من
ذلك الكرسي الذي اعتاد ان يقعده ، كأنه لم يزل حياً ، والحق انه لم يزل حياً في
نفوس عارفيه ومقدرى فضله •



حمید خان



حميد خان^(١)

لم يكن احد من التجفيين يرتدى (السترة والبنطلون) يوم كان حميد خان آل نظام الدولة ، يخطر في لباسه الملكي الجميل فكان (طربوشه) الاحمر الذي يعلو رأسه ، وازرار سترته البراقة التي في صدره ، وحذاؤه اللماح الذي في قدميه ، كان ذلك ملفت انظار جميع الناس في هذه المدينة

ولقد قيل ان الحاج محسن شلاش قد ارتدى السترة والبنطلون حين انعم عليه بالوسام من الحكومة العثمانية ، وقيل ان محمود عجيبة احد رؤوساء بلدية التجف في العهد العثماني هو الاخر كان قد ارتدى اللباس الملكي ، ولكن ذلك - ان كان - فهو لمدة موقته ، ولايام خاصة ، اما الذي لبس السترة والبنطلون منذ أول شبابه الى اخر ايامه فهو حميد خان الذي يكون اول نجفى ارتدى هذه الالبسة في هذه المدينة ، واكثر ما كان يرى حميد خان في اوائل شبابه فانه يرى في الصحن الشريف وعلى دكة مقبرة ابيه (اسد خان) وكانوا يفرشون الدكة في النصف ببعض السجاد فيتخذها البعض من موظفى الحكومة التركية ووجوه التجف مجلسا حين فراغهم وحين نشدانهم التنزه عصر كل يوم ، وفي صباح ومساء كل يوم جمعة ، فكنت انا اراه كلما مررت عصرا بالصحن الشريف ، لقد كنت اراه بين زمرة من الموظفين العسكريين والملكيين الذين تقع عيون الجميع عليهم في اثناء المرور بالصحن ، وكانت البزة العسكرية تأخذ من عيون الجميع مأخذها يومذاك ، وقد علمت ان هذا الرجل هو حميد خان ، وانه يحسن اللغة الانكليزية وانه ابن اسد خان الموسر الكبير صاحب حمام (الحضرة) ونصف (القيصرية) الكبيرة كما يقولون ، فرحت وانا طفل صغير ارى كل اسرار العظمة مجتمعة فيه ويزاد في

(١) الهافت - السنة التاسعة - العدد ٣٤٥ - ٧ كانون الثانى ١٩٤٤ .

عظمته عندى انه كان يتكلم الانكليزية ، وانه كان قد قطع مرحلة دراسته فى الهند
اما اسباب تلقيه الدروس فى الهند دون سائر الجهات فلان عمته (البيبي) كما
يسمونها كانت زوجة زعيم الطائفة الاسماعيلية وهى ام (اغا خان) الكبير .

ولقد جاءت هذه (البيبي) مرة الى النجف زائرة ، وكنت يومها طالبا فى
المدرسة العلوية فاعانت (البيبي) المدرسة العلوية بمبلغ من المال ، وانعمت على كل
طالب بمبلغ (مجيدى) واحد أو (ريية) واحدة على اغلب الظن ، وهنالك ونحن
صغار علمنا ان هذه (البيبي) هى اخت اسد خان ، وانها ام اغا خان ، وعمة حميد
خان اضافة الى ان مدرستنا كانت من املاك اسد خان ، وهو البيت الذى يقع
فى شارع مدرسة السيد كاظم اليزدى .

وثمة شىء آخر مما كان يجعلنا ان ننظر الى هذا البيت بيت اسد خان ونحن
صغار نظرة اعجاب ودهشة ، هو الذى كان يقصه كل نجفى عن تلك الابهة
والحفاوة التى حف بها زواج ولدى الحاج (على اغا) شقيق (الحاج اسد خان) وهما
اغا عباس واغا صدرى من بنتى عمهما اسد خان ، وعلى ان هذا الزواج كان قد تم
قبل ولادتى بنحو سنة واحدة اذ كان ذلك سنة ١٣٢١ هجرية فقد ظل حديث جميع
المجالس كما صار انشودة الصبيان لجيل آخر ، ولقد مر الان اكثر من نصف
قرن ومازال الكثير من سكان النجف اطرافها يهزجون بتلك الازوجة التى بعثتها
مناسبة زواج ولدى الحاج على اغا من اختى حميد خان .

فلقد نقل ان زفاف العروسين الى ابنى عمهما المذكورين قد جرى فى عربة
تجرها خيول مطهمة اسرحت بسروج من الحرير المطرز بالقصب ، وألجمت
بالجمة من الفضة ، وزينت العربة تزيينا بالغ فيه المتحدثون كثيرا ، وكان من ورائها
آلاف من النساء والوصائف والعبيد فلا تبلغ العربة مفترق أحد الشوارع فى المدينة
وهى فى طريقها الى بيت العريسين حتى تقف ، فيقف الموكب كله ولا يتحرك الا
بعد ان يجيء العريسان فيتأزلا للعروسين عن قطعة من املاكهما على سبيل الترضية
واشباع الدلال ، فتمشى حينذاك العربة ثم تقف عند مفترق شارع آخر ويعود

العريسان مرة اخرى فيهديان للعروسين شيئا آخر ، وهكذا حتى وصل الموكب الى بيت الزوجية •

كان هذا مما ينقل لنا ونحن اطفال عن زواج اولاد الحاج على اغا ، وينقل في صور مختلفة تركت لها آثارا عميقة في نفوسنا • اما قصة الهازيج او الاناشيد التي التصقت بهذا الزواج فتتلخص بان (الحاج على أغا) كان قد أقام الولايم بمناسبة زواج ولديه لجميع سكان التجف على الاطلاق مدة ثلاثة ايام فخص اليوم الاول منها بالعلماء والادباء ورجال الحكومة من التجف واطرافها ، وخص اليوم الثاني بالوجوه والتجار والكسبة المحترمين •

اما اليوم الثالث فقد فتح فيه الباب على مصراعيه للجميع ، وبلغ خبر هذا الفتح جميع القرى والقصبات القريبة من التجف فجاءت زرافات ووحدانا الى بيت الحاج على اغا ، والظاهر ان المشرفين على المطبخ لم يقدروا عدد الواردين في هذا اليوم تقديرا صحيحا فشحت عندهم مواد المرق ، اما اللحم ، والرز ، والسمن ، فقد كان لديهم منه الشيء الكثير ، فاستنفدوا كل ما استطاعوا ان يحصلوا عليه في السوق في تلك الساعة المتأخرة من النهار من (حمص) و (آلوجة) و (بخارا) و (اسيناج) ولكن اين يكون بمستطاعهم ان يكفوا هذه الجموع المحتشدة في الشوارع والتي صارت تدخل البيت بالمئات فقتناول العشاء وتخرج من البيت بالمئات ؟••• واخيرا ارتأى المشرفون على المطبخ ان يستعينوا بالشلغم والجزر دون ان يلتفتوا الى ان مثل هذا المرق والادام في الدعوات والاعراس لايعتبر مألوفاً ، لذلك لم يعتفر الداخلون في اواخر الليل لال الحاج على اغا مثل هذا السهو ، وعدوه اهانة للطبقة الثالثة من الفلاحين ، والعمال ، والفقراء ، ونسوا ما كانوا قد تناولوه من جيد المأكول ولذائد المطبوخ في الوجبات الاولى من العشاء وكان بين تلك الطبقة بعض شعراء الرجل العامي من العمال فلم ينفص هؤلاء ايديهم من العشاء حتى هزجوا ، وردد الآخرون اهازيجهم :

اطبخنا خوش اطيخ يا حيف مرقتا جزر

ثم اردفوا ذلك بايات كثيرة من قبيل :

دزوا خبر لاسد خان وزنه جزر نص قران

ومن قبيل :

مرقة جزر بيها احدار بالانكرى ما تدار

وغير ذلك مما ظل يردده الكبار والصغار جيلا كاملا وبلغ من الامر ان تناول

القضية احد الادباء المتقنين ووضع لها تاريخا بقوله (عشما مرقت جزر) *

وكان اغلب التآت القصيرة في القواعد الاملائية التركية يكتب بالتاء الممدودة

ومن هذه كانت التاء في كلمة (مرقت) وهي تعنى (مرقة) ويبلغ مجموع هذه الجملة

(١٣٢١) وهي السنة التي تم فيها الزواج المذكور ♦♦♦♦

كل هذا قد جعلني انظر الى حميد خان نظرة اكبار واتمعن من بعيد في

سترته وبنظونه واعجب ان يرتدى احد من المدنيين السترة والبنطلون التي كانت

مقتصرة على موظفي الحكومة في النجف *

وبعد ذلك فقد كانت اشياء اخرى كثيرة تتولى تعريف الناس بحميد خان

في ذلك الوقت ، كان منها (مسعود) الزنجي النحاسي اللون ، ومسعود هذا عبد

اسود يمتلكه حميد خان ، وقل في النجف من لم يعرف مسعودا ، فقد كان رجلا

وقورا وعلى جانب كبير من الاناقة في ملبسه ، وحر كاته ، وسكناته ، فلا يمر بمكان

الا ويشير اليه المشيرون بانه عبد حميد خان الخاص ، ومنها كان الحاج اسود شيرعلى

الذي كان يلزم بيت حميد خان ♦ ومنها كان حمد السنى ، وحمد السنى هذا ابن

قس من القسيسين اسلم على يد الزعيم الروحاني الحاج ملا على الخليلي ،

واستطاع في مدة قليلة ان يستلقت الانظار الى ما استطاع ان يحيط به في مدة وجيزة

من علم الفقه والاصول والكلام والادب ، وقد تزوج بامرأة من آل قفطان فولدت

له ولدا سمى بحمد السنى ، ولست ادري لم سمى بحمد السنى فهذا السواد لا يفهم

المنطق والمناسبة والمقتضيات ليحاسبه احد على مسمياته ومعتقداته ، وعاداته ، ويقلب

على ظني ان مفهوم السواد يومذاك لا يتجاوز في الاديان والمذاهب اكثر من المذهبين

الشيعة والسني ، فكل من لم يكن سنيا كان شيعيا في نظر سواد السنة ، وكل من لم يكن شيعيا كان سنيا في نظر عوام الشيعة ، ولكن حمدا لم يكن الا شيعيا فمن اين جاءت هذه التسمية ؟ انها على ما يبدو لي نتيجة نسبة حمد لابيه المسيحي الاصل فسماه السواد بحمد السني لانه لم ينحدر من اصل شيعي ♦♦♦♦

ولم تكن شهرة حمد مقتصرة على هذه النسبة وهذا التاريخ ، وانما لشخصية حمد في عالم الفتوة والشجاعة شأن او بعض شأن في الاوساط فلقد شب حمد شجاعا باسلا غير هباب وأسهم في حرب (الزكرت والشمرت) . واعطى بندقيته مكانة قد تكون مرموقة بين البندقيات ، وكان يعمل في احد البساتين من الشواطئ القريبة من النجف مزارعا يفلح الارض بنفسه ، وكما يصادف ان يترك البستان في ساعات متأخرة من الليل ويدخل المدينة من فجوات خاصة في السور ، لان ابواب المدينة تكون مغلقة في تلك الاوقات ♦ دون ان يخاف احدا ♦

ولقد افاد حمد السني من هذه النسبة السنوية ذات يوم في نزاع وقع بينه وبين خصم له اشبهه حمد ضربا وصفعا وترك انفه ينزف بالدم ، حتى لجأ هذا الخصم الى القومسيير شاكيا داعما شكواه بعدد من الشهود على ما فعل به حمد السني الامر الذي حمل القومسيير على توقيف حمد السني وجلده ، وحين اخرج حمد السني من التوقيف ليجلد تيقظت فيه النباهة ، ووجه الكلام الى القومسيير قائلا :

- لا انكر يا سيدي ما فعلت يداي بالمشتكى واني لاحمد الله ان تم الامر على هذه الصورة ولم يؤد الى ارتكاب جريمة ، فهل تدري لم كل هذا ؟ فاذا كنت لم تعلم فلتعلم الان انني السني الوحيد في هذه البلدة ، والسني مكروه عند الشيعة ، وانهم ليضايقوني في حياتي مضايقة شديدة حتى لقد جزعت اليوم ونفذ صبري فبطشت بهذا الرجل كما ترى وانا مكلوم ، واذا لم تصدقني فاسأل عنى الجميع فقد بلغ من كره المدينة لي انهم يلصقون مذهبي باسمي ويسمونني بحمد السني ليعرفني من لم يعرفني بعد ♦

ويظهر ان القومسيير وهو ضابط تركي وسني قد اقتنع بما قال حمد فاكرمه

على ما قيل واطلقه ♦♦♦

وكانت لحמיד خان وعمه الحاج على اغا املاك من (قيصريات) وحمامات،
واسواق ، فانيطت حراستها بحمد السنى خصوصا فى الاوقات التى كان يسود
فيها الشعب وتقوم المعارك بين الزكرت والشمرت فى النجف ، فكان حمد فى
مقدمة جماعة حميد خان وآل الحاج على اغا ومن (الفتوات) الذين التصقت
اسماؤهم باسماء آل نظام الدولة مدة غير قليلة ، وكانت صورة حمد السنى وانا
طفل لاتباع ذهنى ولم اكن اعرف عنه الا انه من اتباع حميد خان •

ومما كان يرافق اسم بيت حميد خان ايضا هو وجود بغاء فى بيتهم وهى
من صنف خاص انفردت بصفات خاصة ، بين اصناف البيغاوات وقد اتصل خبرها
بجميع الناس ، ورووا عنها الاعاجيب وقالوا ان فى بيت حميد خان بغاء تتكلم
الهندية والفارسية والعربية بطلاقة ، وكانت تنادى (مسعودا) كلما رأت زائرا يدخل
البيت ويجلس فى الديوان صارخة بمسعود ان يحيىء بالشاى للزائر وكانت تسأل
قائلة : (من الطارق) اذا سمعت الباب يطرق ، وكانت تشتم ، وتسب بما تعرف من
اللغات كلما رأت شخصا يتحرش بها ، وكثيرا ما كانوا يعاكسونها بعود يدسونه
اليها من بين اسلاك القفص ، وكل هذا كان ينقل عن هذه البيغاء العجيبة وربما
بشئ كثير من المبالغة التى تحملهم على وصف اشياء ليست فيها •

ولقد اهدى حميد خان هذه البيغاء التى يسمونها (كاسكو) لقد اهداها الى احد
اعمامى وهو الميرزا محمود الخليلي ، وقد استطعنا ان نستعيرها ونأتى بها الى بيتنا
اياما ، ولم ازل اذكر ازدحام المعارف والاقارب على قفصها فى بيتنا كازدحام الناس
على الراديو والتلفزيون يوم اول تعرفهم به ورؤيتهم له ، ولما مات الميرزا محمود
اصرت زوجته على ان تكون تلك البيغاء من ضمن ميراثها •

كل ذلك واكثر مما كان يتصل بحميد خان او بيته عن بعد او قرب كان
مرسما فى ذهنى وانا صبى لم اعرف من العالم الخارجى غير المدرسة وما تقع عليه
عيني فى الطريق وغير ما كانت تستوعبه اذناى من المسموعات •

ومرت سنين تغيرت فيها الاحوال ، ودالت دولة الاتراك وقامت حكومة الاحتلال
الانكليزى فعرضت على حميد خان وظيفة معاون الحاكم السياسى فى النجف وهى

وظيفة خطيرة جدا يومذاك فأبى قبولها واشتد ابأؤه ، وأحست حكومة الاحتلال بالحاجة الماسة اليه فسعت عن طريق الزعيم الروحاني المنفرد السيد كاظم اليزدي لحمله على تكليف حميد خان بقبول هذه الوظيفة ومازال به حتى قبلها خصوصا وان ثلة من اصدقائه الخالص كالشيخ جواد الجواهري ، والميرزا مهدي الاخوند ، والشيخ عبدالكريم الجزائري كانوا يرون في قبوله لهذه الوظيفة ضربا من ضروب اداء الواجب نظرا لاحتياج الناس الى امثاله في قضاء حاجاتهم ومن هنا بزغ نجم حميد خان لامن حيث المقدرة واللياقة فحسب وانما من حيث تصديه لقضاء حاجات الناس ، ولكن هنالك فئة من المتطرفين او غير المطلعين على مبدأ دخول حميد خان في ميدان الوظيفة قد غالت في تهجمها على حميد خان ولاسيما الشباب منهم وعدت قبوله الوظيفة ضربا من ضروب ممالئة سلطات الاحتلال ، واشتهر حميد خان ولم تقتصر شهرته على النجف وحدها وانما تجاوزت الفرات ، وصار يعد من ارباب الحل والعقد ، ولم يعد يحتاج احد من الكبار والصغار الى ان يمر بالصحن الشريف لتقع عينه على الدكة التي كان يقعد هذا المطربش ليعرف هناك شخصيته ، فقد دخل اسم حميد خان في كل حديث من الاحاديث السياسية والثقافية والاجتماعية أليس هو اليوم المعاون المتنفذ ذا الكلمة المسموعة عند الحاكم السياسي بل عند الحاكم السياسي العام؟ أليس هو أول من تتقف من النجفيين ثقافة عصرية حديثة؟ ثم أليس هو ابن تلك الاسرة العريقة المعروفة في النجف؟ ذات الفضل في حفظ النجف من الغزو بسبب ذلك السور العظيم الذي كلف بناؤه الشيء الكثير من المال ، ثم اليسوا هم الذين بنوا مدرسة (الصدر) وهي أكبر مدرسة دينية علمية في النجف وخصوصا لها اوقافا تدر عليها وعلى طلابها ، الرزق؟

وضاق بيت حميد خان بالوفود والزوار وارباب الحاجات ، بل ضاقت بيوت اصدقائه من الشيخ جواد الجواهري والشيخ عبدالكريم الجزائري والميرزا مهدي الاخوند بالناس الذين يلجؤون اليهم لقضاء حاجاتهم عند حميد خان ، وبدأ الناس يرون في اعمال حميد خان صورة لانسانية قل عهدهم بامثالها ممن عرفوا في حياتهم العامة والخاصة ، فقد زحرت شخصيته بالكثير من المرؤة والتبل والحلم والسخاء .

وانى لاذكر ان أبى قد جاء ذات يوم وهو فى اشد حالات القلق ليخبر اخى عباس الخليلى بان حميد خان قد أسره بان تقريراً سريعاً قد رفع الى الحاكم العسكرى يتهم فيه اخى بالعمل على قيام ثورة. فى النجف وان حميد خان قد فند هذا التقرير على رغم اعتقاده بصحته وقد طلب ابى من اخى ان يقدر العواقب ، وان لا يزوج نفسه فى هذه الميادين ، وكان اخى عباس من اولئك الشبان الذين يسيؤون الظن بحميد خان وكان ممن يرى فى صداقة ابى له شيئاً من الاساءة لاسرتنا ان لم يكن شيئاً من الخيانة ، وانا يومذاك لم ازل فى مرحلة الصبا ولم ابلغ بعد السن التى تخولنى ان افهم شيئاً أو أرى رأياً ، لذلك كنت الى جانب اخى فى العقيدة وفى فهمى للوطنية ، ولم تكن وحدنا من اسرتنا الذين نرى هذا الرأى فى حميد خان ونلوم أبانا على صداقته الاكيدة وانما جل اسرتنا كانت على هذه العقيدة .

ومرة اخرى جاء ابى الى اخى يخبره بان الازمة قد اشتدت وان التقارير بخصوصه قد تكاثرت وان حميد خان قد لا يستطيع الدفاع عنه بعد هذا ، ولكن اخى - وكان قد غطس فى اعداد ثورة النجف الى شحمه الاذن - كان لايعير أباه اذنا مصغية .

وقامت ثورة النجف وعرفت مكانة اخى منها وتحققت مضامين التقارير ووقع شئ غير قليل من الكدر وسوء التفاهم بين السلطات الانكليزية وبين حميد خان بسبب اخى وبسبب عدد آخر ممن كانوا قد اسهموا معه فى الثورة النجفية فجال دفاع حميد خان بين السلطة والقبض عليهم قبل استفحال الثورة حتى فات الوقت على السلطة ، وفى مقدمة اولئك كان السيد محمدعلى بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائرى اللذان لم يعبئا بتحذير حميد خان ولم يهتما بدفاعه عنهما ، ان لم يكونا كاخى من الناقمين عليه . ولقد وقع بين السلطة الانكليزية وبين حميد خان شئ كثير من الاخذ والرد والكدر عند اندلاع ثورة النجف ولكن هل من حميد خان على أحد من اولئك الذين ذب عنهم ؟ وهل قال لاحد من اسرهم انه قد تحمل فى سبيلهم ما تحمل من مؤاخنة وتجريح ؟

وقد ظل ابي حتى الموت وهو اشد ما يكون خجلا من حميد خان بسبب اخي ،
ويوم سجن حميد خان في طويريج قصده ابي مرتين وباذن خاص من عمران
الحاج سعدون وزاره في البيت المخصص لسجنه والمحظور دخوله على الناس الا
بصعوبة واطال المكوث عنده .

وكنت انا غير مدرك ما كان يدركه المجرب البعيد النظر اذ لم تكن تتجاوز
نظراتي حدود قدمي لذلك لم افهم حميد خان على حقيقته ، وكنت اسمع بالكثير من
فضائله الانسانية ونبله وكرم خلقه ولكني كنت كالكثير من عميان البصيرة لا اقيم
وزنا لما اسمع حتى قامت الثورة العراقية ، وهم حميد خان ان ينجو بنفسه من هؤلاء
المتطرفين الذين يجهلون قيمة حميد خان وحقيقته وكانوا قد كثروا في النجف ، وقد
ركب الناس حماس وطني عارم حال بينهم وبين الادراك بان دخول حميد خان الى
الوظيفة انما جرى بناء على حث ائمة الوطنية وزعماء البلد كالشيخ الجزائري
وان البلد قد افاد من وجوده ما لم يفده من الكثير من أهل الحزم والاخلاص .

اقول وادرك حميد خان انه معرض نفسه للهلاك اذا بقي في النجف ساعة
واحدة فهم بان يخرج منها ويقصد مدينة كربلاء ويغيب نفسه فيها ، لان محيط
كربلاء كان ارحب صدرا من النجف يومذاك ، وكان للشيخ صادق الكتبي في
النجف دين على حميد خان ، وكان قد بلغه خبر محاولة خروج حميد خان مستترا
من النجف فقصده حيث قد اسرحت خيول العربية المعدة لنقله خارج النجف ، وهناك
وقف حائلا بين حميد خان والسفر ، وعبثا اجهد حميد خان نفسه في اقناعه ،
وعبثا اكد له بانه سيكتب له حوالة على أحد التجار او على وكيله لكي يتسلم المبلغ
منهم ، فلم يفد الاجهاد مع الرجل شيئا ، حتى اضطر الى ان يبعث باحد العمال من
هناك ليأتي له بمن يلتقيه في الطريق او في بيوتهم ممن اسماهم له لكي يسددوا
للشيخ صادق دينه وبعد انتظار ساعة واكثر حضر السيد مهدي المحلاتي وقام بدفع
المبلغ للكتبي ، وخلص منه حميد خان ، ولكن هذا التعطيل قد ادى الى ان يتسرب
خبر خروج حميد خان من النجف الى اولئك المتطرفين فاندفع البعض منهم وادركوا
العربة وهي على وشك الحركة

ومن حسن الحظ ان حضر تلك المعمة بعض من يعرف حميد خان بحقيقته
وحافظ على كرامته وتوسط في امره واكتفى المتطرفون بسجنه في مدينة (طويريج)
تحت رقابة عمران الحاج سعدون رئيس قبائل بنى حسن ، فكانت هذه الحادثة اولى
حادثة غيرت نتيجتها وتبعاتها فيما بعد رأى الكثرين في حميد خان ، فقد
انتهت الثورة ، وعاد الرجل الى النجف وازداد عدد انصاره واحبائه وكان المنتظر
ان ينزل باولئك الذين خاصموه وآذوه وضايقوه ضربة مؤذية اذا لم تكن ضربة
منتقمة ، ولكن حميد خان لوى جيده ، واشاح بوجهه كأنه لا يعرف من الماضى
شيئا ، ومن ذا الذى لا يعرف خصوم حميد خان ؟ لقد عرفهم حتى الاطفال أفيخفى
اذن على حميد خان احد منهم ؟ وتلك كانت من اهم سجايا الرجل التى انفرد فيها
في النجف •

ففى ذات يوم من ايام سجنه (بطويريج) وقد كان يعد البسته ليدخل حمام
البيت وكان الحارس الموكل عليه والخدام الخاص به يعملان فى تسخين الماء فى
الحمام وهو اول حمام أعده حميد خان فى البيت بعد بذل جهود غير قليلة مع
الحارس الذى كان يخاف من ادخال العمال والبنائين الى البيت حذرا من عدم
موافقة المسؤولين فى بناء حمام فى البيت وان كان ذلك على نفقة السجين نفسه •

اقول ففى ذات يوم وحميد خان يعد البسته وكان قد التفت بعباءة اذ طرق باب
البيت طرقا عنيفا اضطره الى الذهاب بنفسه لفتح الباب وحين فتح الباب الفى نفسه
قبال رجل متجههم يتطاير الشرر من عينيه وهو فى وضع يدل على انه قادم على شر
أو ارتكاب جريمة ••••• فخافه حميد خان وسأله عما يريد ؟ فاجاب - أرنبى حميد
خان وسترى ••••• فتركه حميد خان فى الباب وجاء الى الحمام حيث الحارس
والخدام وناداهما فخفا الى الرجل واذا به فى وسط الدار وهو شاهر سلاحه فقبضا
عليه وانتزعا السلاح من يديه وساقاه الى عمران الحاج سعدون ••••• واعترف هناك
الرجل بانه فلان وانه من النجف وقد جاء ليقتل حميد خان تقربا الى الله ولوجه
الوطنية •••••!! وقال انه لم ير حميد خان من قبل ولا سبق بمعرفته !

وتمر الايام بسرعة ويخرج حميد خان من السجن ، ويعود الى النجف كأن

لم يكن شيء قد مر ، وكان الشيخ صادق الكتبي الذي لولا مضايقته لحميد خان لكان حميد خان قد دخل كربلاء ونجا من السجن ، اذا بالشيخ صادق يقصد حميد خان في بيته ويلوذ به ليخلصه من ورطة وقع فيها فقد اصبح الشيخ صادق - بسبب تأجير مطبعته في النجف على حكومة الثورة - من غرماء الانكليز ، تلك المطبعة التي كانت تطبع بها جريدة الاستقلال التي كان يديرها السيد محمد عبدالحسين فكانت لسان حال الثورة ثم انتقل اسمها بعيد الثورة الى بغداد وبدأ يصدرها عبدالغفور البدرى كامتداد (لاستقلال) الثورة ، فقد صودرت مطبعة الشيخ صادق الكتبي من قبل الانكليز وفرضت عليه غرامة من المال وعدد من البنادق يجب ان يأتي بها الشيخ صادق ويسلمها للانكليز ، ولكن أتري قال حميد خان شيئاً ؟ او اشار الى شيء مما كان من امر الشيخ صادق ؟ او ذكره بما كان له معه ؟ وكل ما فعل حميد خان هو انه سعى فرد له المطبعة وخفف الغرامة واسقط عن كاهله البحث عن البنادق وشرائها !!♦♦♦

ووقع مثل هذا بل وأكثر من هذا يوم كان بهم حميد خان بدخول السراى بعد الثورة فاذا به وجها لوجه امام ذلك الرجل الذي كان قد قصده في طويريج ليقته متقربا الى الله بقتله ، وحين وقعت عين الرجل على حميد خان رجع الى الوراى قليلا ولاذ باب احدى غرف انسراى ولكن حميد خان اسرع اليه ، وامسك به من يده وهو يضحك والرجل ترتعد فرائصه من الخوف واخذه الى غرفته وسأله :

- أليس هو فلانا ؟

قال - بلى ♦

قال - فما الذى جاء بك الى هنا ؟ فأنسى اخشى ان تكون قد جئت لتتقرب بي مرة اخرى الى الله ♦ قال هذا وهو يضحك ♦♦♦

فاطرق الرجل ولم يجب من فرط الخجل ، وخرج حميد خان من حال الدعابة والمزاح الى الجد ، وسأل الرجل عما اذا كان يشكو شيئاً ، فقال انه يشكو اذبار الدنيا ، وقد حسن له بعض الاصدقاء ان يعرض نفسه على الحكومة كمتعهد أو

ملترم لبعض الاشغال ، ومنذ اسبوعين واكثر وهو يراجع الجهات المختصة في السراى فلم يوفق

ولم يترك حميد خان الرجل يخرج من السراى فى ذلك اليوم حتى اوجد له عملا مناسباً فى الكوفة !.....

وكم من مرة اساء المسئون الى حميد خان واحسن حميد خان ، وأسأؤوا واحسن ، وظل يحسن حتى ذهبت الاساءة وتوسيت وبقي الاحسان ، وحين كان متصرفاً للواء كربلا اتسعت دائرة انفاقه حتى لم تعد واردات املاكه تكفى لمصروفه بالنظر لما كان يخصص من رواتب شهرية لجهات كثيرة وبيوت متعددة ، وكثيرا ما كان يخصص للطلاب المعوزين ما يستعينون به على دراستهم ، وقل من عرف بذلك الا القائلون بتنفيذ رغباته ، وبعض الحاشية الذين من الصعب ان يمر شىء بدون اطلاعهم عليه ، وقد اكد هؤلاء ان حميد خان لم يتقاض فى ايام الاحتلال فلسا واحدا من الخزينة البريطانية فكانت السلطة تضيف راتبه الشهري الى خيريات (اوده) التى يجرى تقسيمها على الفقراء فى كل ثلاثة اشهر عن طريق السلطات الانكليزية وهذا بالطبع قد ساعد كثيرا على نفوذ حميد خان واحترام السلطات الانكليزية لرأيه عند وقوع الاختلاف معه .

ويستقيل حميد خان لوقوع شىء من الاختلاف بينه وبين الملك فيصل الاول وذلك بعد زيارة الملك فيصل للواء كربلاء ونزوله ضيفا على حميد خان فى النجف ، فيقرر حميد خان السكنى ببغداد بعد ذلك وينقل اليها ، ويكثر اقترابى منه فى هذا التامىخ وتزيد معرفتى به فاندتم على ما فاتنى من وقت كان يجب ان اعرفه فيه بحقيقته قبل هذا التامىخ ، ووجدتني اخيرا امام رجل لا يكفى ان تنعته بالرجولة وحدها فهو انسان بكل معنى الانسانية وقد خصه الله بقلب كبير ، وشعور مرهف وطيبة تجاوزت الحدود وقد تضافرت هذه الصفات فخلقت منه نبىلا شريفا جوادا لم تر النجف نظيرا له منذ عشرات السنين اذا لم نقل منذ مئات السنين . وهناك لم يبق احد الا وقد عرف حميد خان بحقيقته واستغفر الذين اسأؤوا اليه لربهم .

رأيتة فى ظهور الشوير فى صيف ١٩٣٩ وكان يعانى ضغطا عاليا فى الدم ،

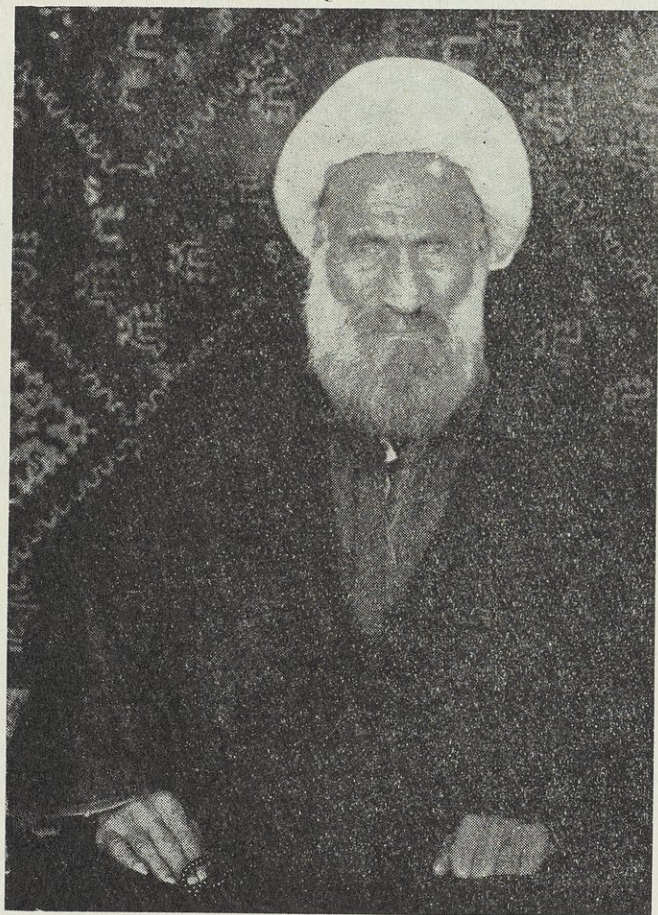
وكان الى جانبي احد الذين انكر حميد خان يوم انكره الكثيرون وانا من بعضهم ، ولكنه حين عرفه لم يتح له ان يعتذر اليه عما سلف ، لان الايام كانت قد نأت به وحالت بينه وبين حميد خان ، وهو حين تلاقى واياها هنا وفي ضهور الشوير بعد ذلك الجفاء هم بان يعتذر اليه بل بدرت بادرة الاعتذار على لسانه ، ولكن حميد خان كان ينظر حينذاك الى الافق ساهايا واجما كمن لايعنيه امر الاعتذار او كمن يريد الانتقام من الرجل بالاعراض عنه الامر الذي حمل الرجل على الغضب والندم على تقدمه بالاعتذار وسرعان ما انكمش على نفسه ، وتقلصت سحنته ، وراح يشغل نفسه هو الاخر بناحية ثانية من الفضاء ليقابل الزراية بالزراية ، وبعد دقائق هم ان يقوم ، فامتدت يد حميد خان اليه مومية له بالبقاء وهو ساكت ، وهنا ادركت انا وادرك صاحبي ان الرجل يعاني عارضا نفسيا لا دخل له بسوء ظننا ، وبعد فترة قال ... قال اتنى مريض يا اخي ، ان قلبي ... يهددني بالوقوف عن الحركة ، وكنت - قال حميد خان - وانت تتكلم في حال من الانهيار الذي لايطاق فلم يكن بوسعي ان ارد تحيتك !!

وقبل ان يموت حميد خان بشهر وانا ببغداد علمت بانه يعاني نوبة من تلك النوبات القلبية التي اشار اليها وهو في ضهور الشوير فصممت على زيارته باسرع ماكنت افعل من قبل واذا بي في الطريق امام اخيه مصطفى خان يخبرني بان الطبيب قد اوصى بمنع الزيارات عنه وقال لي انه سيتولى ايصال تحيتي وزيارتي له وبعد عدة ايام لقيت حميد خان في المكتبة الوطنية بسوق السراي وهو يقتعد الكرسي الذي كان يلذه ان يقتعده من هذه المكتبة كلما مر بسوق السراي ، فاقبلت عليه معتذرا واخبرته بما كان في عزمي من زيارته واكتفائي باخيه ولا مني قائلا ان المنع كان صحيحا ولكنك لم تكن انت مشمولاً به ، وقبل ان امضى في الاعتذار منه بدأ يقدم لي اعتذاره لعدم استطاعته حضور حفلة تدشين (دار الهاتف) وقال لي انه ينتظرني في الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم في داره بباب المعظم وكان قد انتقل اليها كما اخبرني ، وقد كرر هذا الطلب وهذا الرجاء اكثر من المعتاد حتى اثار في نفسي الشك وخلت انه ربما يريد تقديم هدية (للهاتف) بمناسبة تدشين دارها والا فما معنى هذا الرجاء بزيارته وعلى هذه الصورة الملحة وظللت اقدم رجلا

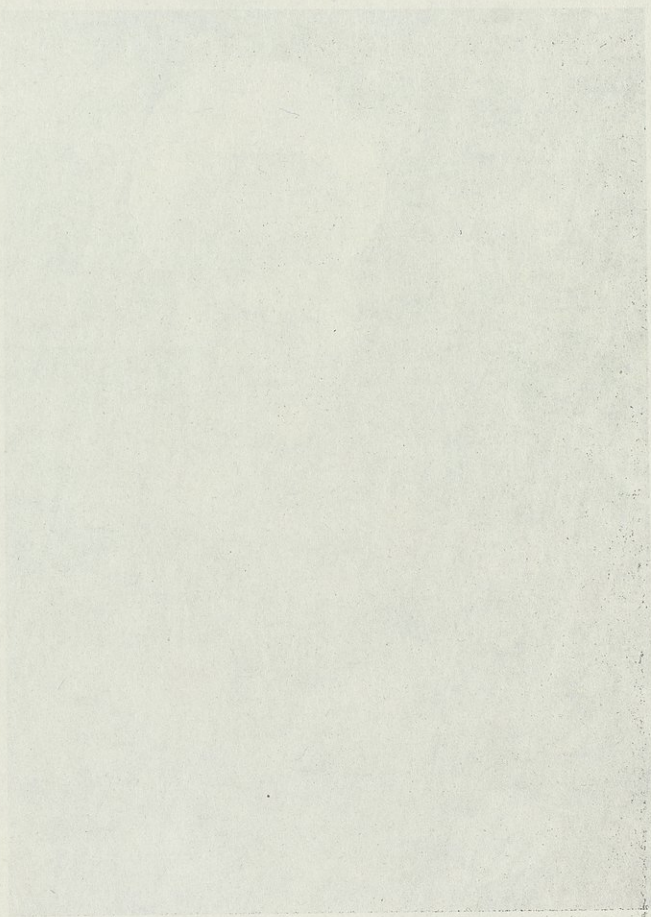
وأوخر اخرى وانا احدث نفسي أذهب اليه ام لا اذهب ؟ واخيرا قوى انشك في ذهني ساعة بعد ساعة حتى حان الموعد فالفيتني مصمما على عدم الذهاب ، وقد درت برأسي الى جهة لعلها تعاكس تماما الجهة التي يقوم فيها بيته وكانت تلك آخر رؤيتي له •

وتعددت النوبات القلبية ، وعلى انه كان شديد الحذر والتوقى فانه لم يتمتع عن زيارة الاصدقاء وتقدير محبيه ولم يتمتع اصداقؤه ومحبه من ان يهيئوا له الجو الذي يأنس به ، وذات ليلة وهو على مائدة عبدالرزاق الازرى عاودته النوبة القلبية ، وفي هذه المرة لم تمهله اكثر من ثوان معدودة ماكاد يحس بها الحاضرون حول المائدة ، فانطفأ ذلك السراج الوهاج من الخلق الكريم ، والنبيل الذي ظل تاريخ النجف يروى عنه الكثير مما لم يجز على بال ، فكان اول نجفى ضرب اروع الامثال للحلم والانسانية وتجاهل الحقد والانانية في جميع ادوار حياته •••• كما كان اول نجفى تثقف ثقافة عصرية •

وحيث توفى تيين ان عددا كبيرا من المعوزين كانوا يتقاضون من حميد خان رواتب شهرية ومساعدات موسمية ، وان ما كان يحصل عليه من وارد املاكه الكثيرة كان ينفقه كله وبدون ان يبقى شيئا منه على وجوه البر والاحسان على ذلك النسق الذي كان مألوفاً في ايامه ، فكانت فجيعتي به كبيرة وحزني عليه عميقا • وكانت خسارة الاخلاق به فادحة •



الشيخ جواد الشيبيني



الشيخ جواد الشيبى^(١)

وعيت ولشيخ الادباء الشيخ جواد الشيبى دوى هائل فى الاوساط الادبية •
والمحافل النجفية ، وكان اسمه من الشهرة بحيث لا يذكر اسم الادب يومئذ
بجميع فنونه الا وكانت له من المناسبة ما تجعل الاتصال وثيقا باسم الشيبى الكبير ،
وكان عدد ادباء العربية الموهوبين حينذاك كبيرا ، وعلى جسامه هذا العدد كان
الشيبى فى الرعيى الاول من المتفوقين والعبارة ، حتى لقد كان يجوز للاديب
- فضلا عن المتأدب - ان يتجاهل او يجهل طائفة من اولئك الادباء الكبار ولا يجوز ان
يجهل او يتجاهل تلك القلة التى كان منها الشيخ جواد الشيبى فى الطليعة •
ولعلى قبل ان اعرف الشيخ جواد بالذات قد سألت عنه واكثرت السؤال ،
وبحثت عنه واكثرت البحث ، فكانت لى به معرفة ليست كمعرفة واحد يسمع باسمه ،
او يقرأ له ، او يصغى الى ادبه وكلماته ، وانما هو شىء يفوق ذلك كله • ويدل
على زيادة فى المعرفة لم تتأت الا عن اسئلة واجوبة متواصلة ، وتتبعات واستقصاءات
متعاقبة ، وانا حين استعرض صحيفة الذاكرة الان لا علم تأريخ اول معرفتى به لم
اجدنى واصلا الى شىء اكثر من انى عرفته منذ استطعت ان اعرف الناس ، فقد كنت
اعلم انه من رواد مجلس آل الشيخ عباس كاشف الغطاء ، ومجلس السيد حسين
القزوينى ومجلس السيد على العلاق ، وانه من اقران الشيخ هادى الشيخ عباس ،
والشيخ عبدالكريم الجزائرى • والشيخ عبدالحسين الجواهرى والشيخ اغا رضا
الاصفهانى ، والسيد على العلاق ، والسيد جعفر الحلى ، وكنت اعلم ان لهؤلاء
تأريخا حافلا بالفضيلة والكرامة ، ودواوين عامرة بالشعر والادب والنوادر
والنكت ، وانه يرجع اليهم الفضل العظيم فى بناء النهضة الادبية ، وتكوين مجموعة
من روائع الادب العربى الرصين ، تلك المجموعة التى لاتجارى من حيث مناتها ،

(١) الهاتف - السنة التاسعة العدد ٣٥٠-١٧ آذار ١٩٤٤ •

وقوتها وكيفية نسجها ، وكنت اعلم ان للشيخ جواد الشيبسي مع هذه الزمرة الخاصة من طبقة ومع غيرها من زمر الادب التي تلي طبقة تاريخا ادبيا ممتعا ، وكان من هذه الزمرة الشيخ عبدالحسين الحلبي قاضي قضاة البحرين ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ، والشيخ عبدالحسين الحياوي وغيرهم .

اقول ، وكنت اعلم ان له مع طبقة الخاصة والطبقات الاخرى نوادر ونكتا غاية في الرقة ، وغاية في سمو المعنى ، ومساجلات شعرية ربما طوقت جيد الادب بعقود قلت نظائرها في كثير من الحقب التاريخية ، وكان الشيخ جواد الشيبسي هو المجلي في الغالب بشعره ، وثره ، ونوادره ، وسرعة خاطره ، وقد قيل ان نوادره الادبية ، وتحفه الفنية من الكثرة بحيث تستوعب مجلدات ضخمة لو تصدى احد لجمعها .

لقد وعيت وانا واحد من عشاق ادبه ، ومتبعي بدائعه ونكته ، وكنت ابحت عن نماذج من رسائله وخطوطه بقصد المتعة الروحية ، وطلب الادب ، وكنت اقرأ ما احصل عليه بكل شوق ولهفة . فقد كان العلماء كثيرا ما يتخذون من قلمه ترجمانا للاعراب عن رغباتهم ، ومقترحاتهم فيعشون بها للباب العالي باسطنبول ، او يخاطبون بها الولاية ببغداد ، وكثيرا ما يقصده ارباب الحاجة ممن يريدون ان يسجلوا وصيتهم بعد مماتهم . او يريدون وقف املاكهم ، او تأسيس شركة لهم ، او اجراء بيع او شراء على الوجه الشرعي فيما بينهم ، فيدبج لهم بانشائه وخطه وثيقة حسبها من القيمة الشرعية والعرفية ان يقال انها من وضع الشيخ جواد الشيبسي فقد عرف براعة انشائه كما عرف بحسن خطه ليس في التجف فحسب وانما في جميع الاوساط الادبية في العراق . وكثيرا ما كان ينظم الشعر الجيد ويعطيه لمن ينتحله لنفسه لغرض من الاغراض .

هكذا كان يقال لنا عنه ونحن شبان متأدبون حينما كنا نسأل عن شخصه ، وكنت انا اسمع عنه اكثر من هذا لاسباب كثيرة اهمها ما كانت تربطه باواصر المودة مع اسرتي خاصة ، حتى لقد قيل انه كان من اقرب اخصاء الحاج ميرزا حسين الخليلي المرجع الروحاني بعد اميرزا حسن الشيرازي . اما رابطته بالميرزا محمود

الخليلى فكانت رابطة مودة جد وثيقة يعرفها كل من وقف على شيء من تاريخ الجيل
الماضى •

وكانت هذه الاسباب بالاضافة الى رغبتى فى الادب جعلتنى اسمع يومذاك عن
الشيخ جواد الشيبى اكثر مما يسمع اغلب اقرانى ومن كان فى مثل سنى ، وقد كان
يكفى ان ينطلق بيت الشعر من فمه • ويكفى ان يخط سطر من نثره على الورق
لكى تراه مرددا على الكثير من افهام الادباء ، اما النادرة فحسبك منها أن كان
يتلقفها الجميع من مختلف الطبقات ••••• واننى لاحفظ. نكتة (جويعد) من زمن قديم ،
وقبل ان يتاح لى ان اعرف الشيخ جواد عن كذب ، وجويعد هذا فى الحقيقة اسم
مصغر لاسم (جاعد) اى (قاعد) وهو بعد ذلك اسم لآب الشيخ عبدالحسين الحياوى
وهو رجل قروى من اهل الحى ليس له شأن يذكر لولا ابنه الشاعر المعروف الشيخ
عبدالحسين الحياوى الذى انتقل من الغراف الى النجف طالبا للعلم ثم نال من العلم
والادب قسطا وافرا ، وكان جويعد هذا ذات يوم فى زيارة ابنه الشيخ عبدالحسين
فى النجف ، وكان مجلس ابنه الحياوى غاصا بالادباء وفى مقدمة اولئك كان الشيخ
جواد الشيبى ، وقال بعضهم بل كان ذلك فى مجلس السيد على العلاق ، وكيفما كان
الامر فقد غاب الشيخ عبدالحسين الحياوى عن مجلسه برهة ثم عاد فالقى الشيخ
جواد الشيبى يدخل المرحاض ، وتغافل الشيخ الحياوى وشاء ان يعرض بالشيبى
مداعبا وسأل بصوت عال :

– اين انت الان يا شيخنا الشيبى ؟

وكان الحياوى ينتظر ان يكون الجواب : انه فى المرحاض ، وفى ذلك
مافيه من تعريض لا يخفى المقصود منه على القارئ ، وسرعان ماسمع القوم صوت
الشيبى مجيبا •

– بالطهارة (جويعد) •

اى ان (جويعد) فى المرحاض ، فلم يبق احد فى النجف دون ان يروى هذه
النادرة ويذكرها كلما جاء ذكر سرعة الخاطر ، وجمال التورية بين معنى جويعد

(القاعد) واسم أب الشيخ الحياوى • وقد ضحك الجميع وضحك معهم (جويعد)
القروى الذى ظل يحدق الى الوجوه ولا يدرى لم يضحك القوم ••؟

وكان الكثير من كبار الادباء يتهيون مساجلة الشيخ جواد بالشعر واذا كان
لابد لنا ان نستشى البعض من اقران الشيبىي فذلك هو السيد جعفر الحلى • وكان
الكثير يتهيون مداعبة الشيبىي بالنكت والملح والفكاهة لانه كان من اقدر من عرف
بسرعة البديهة ، ولانه كان من ابلغ الشعراء واشرقهم ديباجة ، ووضحهم
اسلوبا ، بل كان نسيج وحده من حيث غزارة المعنى والعمق ، اضافة الى سرعة
الخطاير وحلاوة النكتة •

وان قصيدة الشيبىي التى يداعب بها الشيخ عبدالحسين الجواهرى والد محمد
مهدي الجواهرى وخال الشيخ على الشرقى ، وقد كان من المع رجال الادب ومن
افضل تلك الزمرة بالاضافة الى جرأته وهيبته التى كان يحسب لها انداده كل
حساب ، اقول وان قصيدة الشيبىي فى الجواهرى لتعتبر من حيث البديع من باب
(المدح فى معرض الهجاء) لوحة فنية من اسمى واغلى الالواح التصويرية ، ثم هى
بعد ذلك دليل على موضع الشيبىي من الجرأة قبال الشيخ الجواهرى الذى كان
يهابه الكثير • وكان الشيخ عبدالحسين الجواهرى قد اصيب بالقرع وهو طفل صغير
وقد ترك القرع فى رأسه بعض الندوب ، والتتوء ، والالتواءات فتناولها الشيخ
الشيبىي يوم استدعت المساجلة الادبية والملحة والظرف - وكثيرا ماكانت حياة
الادباء فى النجف حينذاك تستدعى مثل هذه الدعابات - فصور تلك الاثار فى رأس
الجواهرى تصويرا يصلح ان يجيىء دليلا على ماكان يتمتع به الشيبىي الكبير من
مواهب فنية غاية فى الروعة والعمق •

يقول الشيبىي فى رأس الشيخ عبدالحسين الجواهرى :

لك رأس مرصع ومدبج	دوحة الجسم انبت فيه بستج
روضة تبت الشقايق فيها	اقحوانا وسوسنا وبنفسج
قد قرأنا حديثه من قديم	فرايناه عن جمود مخرج
خط (ياقوت) فيه جدول تبر	نقطوه من (فيحه) بزبردج

فوق كافوره من الشعر مسك
 فيه بحر للقار من ظلمات
 ارضه عسجد وحصاه در
 (كم بموسى الحجام) عاد كليما
 لو على ابن الهموم ضاق خناق
 عموه بلؤلؤ وعقيق
 كورة فيه يطبخ الجص والاجر
 وهو وادى العقيق كم جمرات
 موقد شعله كفكرة عمرو
 ذوبان لو خاصم الجمر فيه
 واديب لا بابلى ولكن
 ذو سبال يسيل عذابا ولكن
 انا ظام ولم أرد نهر فيه
 كيف ارجو من ورد خديه قطفا
 هو ذئب ان أبصر اللحم يشوى
 اكر الارز دحرجتها يدها
 ان تمشى تيتها من الدل أمسى
 ايها الصقر فى خدودك شعر
 كيف يرجى لناظر لك عدلا
 لك ريق يحمومه يا حمانا الله منه
 ولك اللحية التى الف بيت
 باعد الحسن منه اعظم ثغر

ولم يكن هذا اول تعريض وقع من الشيبى برأس الجواهرى على سبيل
 المزاح ، وانما كتب له مرة على اثر قضية خاب الرفاق ان يظفروا بشيء منها عند
 الجواهرى ، لقد كتب له من الشطرة الى التجف يقول :

خابت رفاقي منه بالذى طلبت كما يخيب برأس الاقرع المشط

والمناسبات التى تهيج قرائح الشعراء وتشيع السرور فى نفوسهم كثيرة فى
النجف ، واذا عز وجود المناسبة التى تستدعى المساجلة والمباراة الشعرية والسلوان ،
فان الشعراء هم انفسهم يخلقونها خلقا ويوجدون لقول الشعر دواعى متعددة ، وفى
تأريخ الشيبى الادبى كثير من هذه المناسبات العامة والخاصة التى جلى فيها وكان له
القدح المعلى ، وانى لاروى ان رهطا من الادباء كان بينهم السيد جعفر الحلى ،
والشيخ جواد الشيبى ، والشيخ اغا رضا الاصفهاني والشيخ هادى الشيخ عباس
كاشف الغطاء ، كانوا قد اجتمعوا فى بيت السيد باقر الهندى فى النجف وقرروا
هناك خطف خروف لعمى الشيخ اسماعيل الخليلى كان قد عنى به واعده اعدادا
خاصا لعيد الاضحى ، وكان الفصل خريفا • والهواء عيلا يساعد على نشاط النكتة
وهياج القريحة ، وقد تم لهم خطف الخروف من بيت الشيخ اسماعيل بطريقة
خاصة ، وجاءوا به الى بيت السيد باقر الهندى وذبحوه هناك ودعوا عليه صاحبه ،
وبعض الرفاق الاخرين ، ثم رثوا الخروف ، ورثوا لجال عمى الشيخ اسماعيل
وهو يرى خروفه مجندلا فوق خوان الرفاق ، واشترك فى هذا الرثاء كل اولئك
او معظمهم ، ومن المؤسف انى لم احتفظ باكثر من هذه الابيات من تلك القصيدة
التى قيل انها كانت كبيرة ولم استطع تبين ما يعود للشيبى ولغيره منها ، وهذه هى
الابيات احتفظ بها عسى ان يحصل من يحفظ كل القصيدة ويعين قائل كل بيت منها •

قف برمل الحمى ورو الطلولا	بدموع تحكى السحاب همولا
رحل القاطنون عنها وقلبي	شاء فى ساعة الرحيل الرحلا
اي بدر للمجد كان ضيلا	وبليل التمام شاء افولا
يا لفصل الخريف أى خروف	فيه أمسى مجندلا مقتولا
هو فصل اهل العراق نفاقا	ذبحوا فيه كبش (اسماعيل) (١)
فتمنى الذبيح لو يقبل الحنق	بديلا بان يكون بديلا

(١) هو عمى الشيخ اسماعيل •

يا سليل الخليل صبرا وان كان
وكأني به يقول دع العذل
عزيرا فقد (الخليل) الخليلا^(١)
فلن يسمع المشوق عدولا
(وخلاف الجميل قولك للذاكر
عهد الاحباب : صبرا جميلا)
لهف نفسى (ليوسف)^(٢) وهو يبكى

ويطيل الشجا ويبدى العويلا

قلنا ان الشيخ جواد الشيبى كان سريع البديهة • حاضر النكتة يعطى
الظرف والندعابة ما يعطى الجد من الاهتمام بل يضع كل شئ فى موضعه ومقتضيات
حاله ، فلا يمتنع ان يعلق على ما يعرض امامه بكل ما يحضره من تعليق يناسب
المقام ، وقد وجه ذات يوم الى الشيخ ابراهيم الاطيمش ، وعلى حين فجأة وبغاية
السرعة بقصد المزاح وهو العارف بذهول الشيخ الاطيمش وما يحتمل ان يشتمل
عليه جوابه من المضحكات لقد وجه له هذا السؤال مباغتاً :

- ما اسمك بالالف ؟

وهذا السؤال هو جزء من تسلية ادبية طالما كان الادباء يتسلون بها فيسأل
بعضهم بعضاً عن اسمه بالباء او القاف او اى حرف آخر مثلاً ، فيجيب المسؤول
بعجلة وبدون تباطؤ ويورد اسماً مبدوءاً بالحرف المطلوب وبغاية السرعة •••

والشيخ ابراهيم - كما ذكرنا - معروف بانذهول والنسيان فى اكثر الاحيان ،
وحين فاجأه الشيبى بسؤاله : (ما اسمك بالالف) نسى الشيخ ابراهيم اقرب الاشياء
اليه وهو اسمه (ابراهيم) المبدوء بالالف وراح يبحث فى ذهنه بمتتهى السرعة عن
اسم مبدوء بالالف ، ولكن الاسماء كلها قد طارت من ذهنه ولم يحضره اسم غير
اسم (حسين) منطوقاً به على السنة العوام الذين يبدؤونه بالالف فيقولون (احسين)
بكسر الالف ، لذلك اجاب الشيخ ابراهيم وهو فى غاية الارتباك قائلاً :

- احسين •

ولم يجد الشيخ جواد جواباً يناسب مثل هذا الحال او قل لم يجد جواباً اشفى

(١) المقصود بالخليل فى صدر البيت هو جد الاسرة الخليلية والخليل فى عجز

البيت هو الابن الاكبر للشيخ اسماعيل •

(٢) هو الابن الثانى للشيخ اسماعيل الخليلي •

لنفسه من ان يورد همزة على أحد الاسماء وينطق به كما ينطق العوام ليكون
الجواب مطابقا ♦

وهكذا رد عليه الشيبسي بنفس السرعة قائلا :

— احذار ♦

والحدار بدون همزة فى اللغة — تعنى مرضا جليدا معروفا بالتورم وطالما
استعمل الفراتيون هذه الكلمة للدعاء بالشر ♦♦♦

★ ★ ★

وكان الشيخ الاطيمش يلازم الشيخ الشيبسي ملازمة الظل فى حله وترحاله،
فهو فضلا عن كونه من ارحام الشيبسي فان ادبه وظرفه وما ابتلى به من نسيان ،
وذهول قد حببه الى الشيخ جواد والى جميع شيوخ الادب ، ومن ذهوله المضحك
انه نظم ذات يوم قصيدة لامية القافية ولكنه لم يتمها فى تلك الليلة ، وحين عاد فى
الليلة الثانية لاتمامها ركب قافية الميم ونظم عليها احد عشر بيتا قبل ان يلتفت الى هذا
السهو ، والغريب المضحك ليس فى هذا وحده — كما روى لى الشيخ ابراهيم نفسه
هذه الحكاية — وانما فيما كان قد وقع دون التفات الشيخ ابراهيم الى ذلك فقد وجد
ان بحر الابيات اللامية السابقة كان من (المتقارب) والبحر الذى اكمل به الابيات
فى الليلة الثانية كان من (البسيط) !!♦♦♦♦

ولقد جرى مرة حديث عن الصحف العراقية ، وما قد اصابها من ركة وخروج
على قواعد اللغة ، وكان الشيخ ابراهيم اطيمش حاضرا فقال :

— ومن آية هذا الخروج على القواعد العربية ان هؤلاء الصحفيين قد بدأوا
يرفعون المرفوع ، وينصبون المنصوب ، ولم يلتفت احد منا للسهو الذى وقع فيه
الشيخ ابراهيم لو لم يعقب الشيخ جواد الشيبسي على قول الشيخ ابراهيم قائلا :

— ويجرون المجرور ، ويتبعون فيما يكتبون كل القواعد العربية ♦♦ أليس
كذلك يا شيخ ابراهيم ؟

وهنا التفت الحاضرون لسهو الشيخ ابراهيم وتهكم الشيخ الشيبسي وضحكوا.
قلنا ان الشيخ الشيبسي كان معجزة من المعاجز فى سرعة البديهة ورهافة
الحس وقد تعرض به ذات مرة احد العلماء مداعبا وقال له :

- ليس ثمة شك في انك كنت احد الذين ولدوا في سنة وفاة الشيخ
الانصارى •• (وكان الذين ولدوا في تلك السنة عددا من مشاهير اهل الفضل
والادب كان منهم الشيخ الشيبى وصديقه المداعب) •
فقال الشيخ الشيبى :

- وهب انى ولدت في سنة وفاة الانصارى فما الضائر ؟
قال الصديق - لاتس ان وفاة الانصارى يجمعه تاريخ قولك : « ظهر الفساد »
بحساب ايجاد •••

قال الشيبى - وانت الاخر على ما ادرى من مواليده تلك السنة ، ومن
المشمولين بظهور الفساد ••

قال - بل ولدت انا قبل هذا التاريخ بربع سنوات •
قال الشيبى - فعلى هذا يكون تاريخ ولادتك (ظهر الفساد) بحذف الدال الذى
يساوى اربعة في الحساب •••• وبكسر الفاء •

ولا حاجة للتنبه الى سرعة هذه البديهة وكيفية صياغة الجواب البليغ
المرتجل فهى من الوضوح بحيث لاتغيب عن ذهن القارئ •
وعلى اساس الشئ بالشئ يذكر ، اذكر ان الشيخ جعفر الشيخ راضى وكان
من كبار علماء النجف وزعمائها الاذاذ قد ولد هو الاخر فى سنة وفاة الانصارى
فشمّل هو والشيبى وطائفة اخرى من كبار العلماء بالقول المؤرخ (ظهر الفساد) ،
وحين ولد الشيخ عبدالرزاق ابن الشيخ جعفر الشيخ راضى داعب احد الاصدقاء
اباه بان وضع لميلاد ابنه الشيخ عبدالرزاق تاريخا يجمعه قولك (لب الفساد ظهر)
فكانت يومها من النكت البديعة •

★ ★ ★

ولست اذكر اول اتصالى بالشيخ الشيبى تماما ، وكلما اذكر هوانى كنت
اختلف الى بيت الشيبى وكنت اطليل الجلوس هناك ، وكان يهرنى منه حديثه ،
وتعليقه ، وشواهدة ، وكنت فى كل مرة اجد روحا جديدة ، وأدبا جديدا وسرعة
خاطر وبراعة قد يفقدهما الكثير من العاقرة فى الوقت المناسب وفى المكان المناسب
من الايجاز والاسهاب ، وفى كل مرة كنت اشعر شعورا اعمق بقيمته ، وعلو كعبه

في عالم الشعر والادب ، فهو على رغم تقدم سنه فقد كانت روحه لا تزال في اسمى مراتب المرح والشباب ، وكان ذهنه لا يزال في غاية الخصب والنشاط ، وانك حين تقرأ قصائده ومقاطعته المتأخرة تكاد لاتصدق بان منتجها رجل في غاية الخسور والضعف من حيث الصحة ، وانه قد جاوز الثمانين من العمر ، وعلى ذكر الثمانين وذكر المرح اذكر بانه كتب مرة الى الشيخ عبدالرضا الشيخ راضي - وكان قد سمع بان الشيخ جواد عليوى الذى أربى على الثمانين قد تزوج بفتاة صغيرة السن ، وانه بدأ يعالج نشاطه الجنسي بمختلف الوسائل والعقاقير ، والشيخ جواد عليوى يمت الى الشيخ عبدالرضا بنسب من القرابة - ولذلك كتب الشيبسى للشيخ عبدالرضا يقول :

(جوادك) من بعد الثمانين صاهل
وقائلة ماذا تحاول نفسه
فقلت لها فتح (الحصون) تحاول
فقلت أبا لسيف الذى هو حامل
ومن عجب ان الصياقل لم تكن
تعالجه ، بل عالجتة (الصيدل)

ومن الذين بلغوا الثمانين او اوشكوا ان يبلغوها كان الشيخ ابراهيم الاطيمش وهو الاخر كان قد تزوج امرأة كان بين سنه وسنها من الفوارق ما كان بين الشيخ جواد عليوى المتقدم وزوجته واكثر ، وذلك بعد زواج الشيخ عليوى بايام فكتب عن اطيمش معقبا :

أتاك الصاهل الثانى عقيب الصاهل الاول
كلا الطرفين لم يعثر وان خب على الجندل
ولكن طرفنا استعصى على السائس فاسترسل
اردنا منه امهالا على الوثبة فاستعجل

وحين تزوج الشيخ عبدالمحمد زاير دهام على هذا النحو من الفارق بين العمرين عدّه الشيبسى (صاهلا) ثالثا ونظم فيه ابياتا افتتحها بقوله :

« وجاء الصاهل الثالث »

ومن المؤسف اننى لا احفظ هذه الايات وليس الامر من الاهمية التاريخية بحيث يستلزم البحث والتعقيب .

واقدم السيد ابو الحسن المرجع الروحاني الاعلى خابا على ذلك النمط من
المفارقة بين سنه وسن زوجته فقال فيه الشيبسي :
أناك الصاهل الرابع فهن الشرع والشارع
ثمانون لعشرين فأين (القدر الجامع) ؟

والقدر الجامع كما لا يخفى هو الناموس العلمي الذي يبنى العلماء والفقهاء
عليه تشريعهم *
ومن أحسن ما شنت به مسمعى من اوصافه وتشبيهاه المبتكرة وصفته
للعربات) فقد جاء مرة ذكر السيارة وسرعتها وقول السيد مير على (ابو ظيخ)
القائل :

ما بين اقصى شرقها او غربها في السير الا ان تقول لها اقدمي
فقال لي احسب ان هذا البيت مقوس ومؤشر عليه من لدن السيد مير على لانه
كان استعادة او اشارة لقولى عن العربات التى كانت تنقل المسافرين بين النجف
و كربلاء * وبين كربلاء والكاظمين ، وهى عربات من طراز خاص ادركتها انا
وركبت فيها وهى تحمل ثمانية انفار ، وتجرها اربعة خيول فتغادر النجف صباحا
وتصل الى كربلاء مساء - وقرأ على الشيخ الشيبسي قوله عنها الذى وصفها به وصفا
شعريا جميلا تناول محمولها ، وسرعتها * وابتداء حركتها ، وموعد وصولها فى
تصويرة مبتكرة ، فذة ، اذ قال :

ما بين غاية مجراها ومبدئها . الا بمقدار قول القائل : اندفعي
تحملت وهى (جلى) فى ثمانية صباحا وقيل لها عند المساء ضعني

وكان للاختام فى الجيل الماضى شأن كبير ، وكان لصيغتها واختيار الكلمات
المقوشة عليها فن خاص لا يتقنه الا ادباء يحسنون وضع الكلم فى مواضعها ويدعون
فى استخدام الوان من بدائع الجناس والتورية فى صيغة الخاتم الذى يخص الموقين
والزعماء والوجهاء ، ولما لم يكن التوقيع بالقلم معروفا يومذاك فقد اقتضى ان يتخذ
حتى العلماء والادباء اختاما لهم من الفضة او البرنز او العقيق واليواقيت ، والكثير

منهم كانوا يتخذون من اختامهم فصوصا لخواتيم يلبسونها بقصد الزينة ، ويستعملونها في حتم الكتب والرسائل والوثائق والاسناد عند الحاجة ، ولما لم يكن طبع الابهام شائعا ايضا ، فقد يضطر الفلاح والعامل والقروى ومن شاكلهم ممن تلجؤهم الحاجة الى حفر اختام باسمائهم .

وكان نواضعى صيغة الاختام وانتقاء الكلمات المناسبة من تضمين الايات القرآنية او الحديث الشريف والامثال والنصوص الادبية التى تتناسب واسم صاحب الختم ومقامه ومنزلته الاجتماعية . كان لهؤلاء مقام مرموق فى الاوساط الاجتماعية والادبية اذ ليس بمقدور كل اديب ان يدع فى اختيار ما يناسب اسماء الشخصيات البارزة من علماء ووجهاء ويختصرها فى كلمتين او ثلاثا . وكان السيد جعفر الحلى ، والشيخ جواد الشيبى ، والسيد رضا الهندى ، من اشهر من عرف فى وقته بهذا الفن من البديع والايجاز ،

وعلى هذا الاساس قصد مرة الحاج (وناس) وهو من التجار الاميين وكان قد اصبح وجيها ولا بد ان يكون للتوجيه خاتم يليق به من حيث براعة الجناس والتورية لقد قصد الحاج (وناس) الشيخ جواد الشيبى ليسانه عما يصلح ان ينقش على ختمه من آية قرآنية او حديث نبوى يتناسب واسمه - وكان الشيخ جواد الشيبى كثيرا ما يقصد للاستعانة به حتى فى اختيار اسم لكتاب يؤلف ، او مولود يولد ، او مؤسسة تشيد ، وذلك لما عرف به من سرعة البديهة وسلامة الذوق ، وحسن الطبع - فقال للحاج وناس .

- انقش على ختمك الآية الكريمة (من الجنة والناس «وناس») .

ولو لم يتدارك الشيخ الشيبى الامر بعد ذلك ويفهم الحاج (وناس) بانه لم يقل ذلك الا مازحا لكان (وناس) قد حفر ختمه على تلك الصورة ، واصبح من الجنة بكسر الجيم شاء ام ابى .

ونظير هذا ما نقل عن (سعيد ناجى) وقد كان من وجوه التجف واعيانها فقد طلب من السيد جعفر الحلى ان يضع لختمه الكلمة المناسبة فكتب له السيد جعفر :
« بحب بنى النبي سعيد ناجى »

وقد لقي هذا الوضع استحسانا كبيرا في الاوساط الادبية ، وكانت له رنة بناء على شهرة الرجلين السيد جعفر وسعيد ناجي ، والمنقول والعهدة على الناقلين وعلى الشايخ طبعا ، ان (سعيد عجينة) وقد كان من منافسي سعيد ناجي في الوجاهة وكلاهما من البيوتات العريقة في النجف - لم يسره ان ينفرد منافسه سعيد ناجي بهذا الاعجاب والتحدث في المجالس عن براعة صيغة ختمه ، فجاها الى (جابر الكرمانى) وقد كان وحيد عصره في نقش الاختام وحفرها على الاحجار والمعادن ، وطلب منه على ما يروى الرواة في ذلك اليوم ان يحضر له ختما على غرار ختم منافسه سعيد ناجي .

وحين استوضحه الكرمانى قال له سعيد عجينة :

- انقش على الختم ما نقشت على ختم سعيد ناجي وقل فيه :

« بحب بنى النبي سعيد عجينة » .

وبمناسبة ذكر الاختام روى السيد محسن الامين يوم كان يدرس العلم في النجف : انه حضر مرة نزاعا بين قروى وحكاك كان يمتحن حك الاختام ونقشها ، وكان القروى قد دفع (للحكاك) اجرة نقش اسمه على ختم من البرنز وكان اسمه (منتوش بن منكوش) ويبدو ان الحكاك قد نسي اسم القروى فحضر له الختم باسم (حتوش بن عنكوش) وحين جاء القروى في الموعد تسلم الختم وراح ، ولكنه عاد بعد برهة وهو يحرق الارم من الغيظ قائلا :

- اريد ان اعرف كيف قد صيرت منتوشا حتوشا ؟ وكيف قلبت اسم ابى

منكوش فجعلته عنكوشا

اما الحكاك فكان يدافع عن نفسه كما روى السيد محسن الامين بان لا فرق بين منتوش وحتوش ، ومنكوش وعنكوش ، فكل المناتيش خاتشة ، وكل المناكيش غناكشة قائلا : أليس الغرض ان تختم الورقة بختم يدل عليك ؟ فهذا هو الختم ، وانت تستطيع ان تختم به ماتريد ، وليكن الاسم منتوشا او حتوشا .

ولا عجب فقد كان منطلق الحضر مع القرويين يجرى على هذه الوتيرة .

وصار دنوى من الشيخ الشيبى اكثر وعرفت عنه ، وعن عمقه ، ومقامه

الادبى ، واتجاهاته اكثر مما تستطيع هذه الصورة العابرة المستعجلة ان تعبر عنه
تعبيراً كاملاً ، وجرت بينى وبينه مكاتبات فى مناسبات مختلفة ، وعلى رغم تنوع
المواضيع والاغراض التى كانت تتضمنها تلك الرسائل فانها لم تخل من براعة
استهلال او مقدمات تعبر عن ملكاته الادبية ، وتفصح عما هو عليه من مقدرة فى
عالم النظم والنثر .

ولقد كنت اجد فى كل رسالة من رسائله اشارة الى باب من ابواب جريدتى
(الهاتف) او اى موضوع مما كنت اتناوله من مواضيع الكتابة فى كل اسبوع ، وقد
كان يشير الى ذلك بأسلوب لم يتكرر وان تكررت الاشارة الى الموضوع ، ولقد قيل
انه كتب مرة بضعة عشر كتاباً مرة واحدة على السنة العلماء الى الباب العالى باسطنبول
فى موضوع عام يخص العراق ، فكتبها كلها بأساليب وعبارات تختلف كل
الاختلاف فى الصورة ، وتتفق كل الاتفاق فى المعنى ، وكان وقوع مثل هذا فى
يومه يقارب الاعجاز

اما نوع الاستهلال والمقدمات التى يبدوها قبل الدخول فى الموضوع فيكفى
منها هذا المثل الذى اقتطعه من احدى رسائله التى كتبها لى وقد مر فيه على (خيال
الظل) بالتلميح ، وخيال الظل هذا باب من ابواب جريدة (الهاتف) التى عنيت بها
اهتماماً بالادب التحليلى الذى لم يكن مألوفاً بعد عند الكتاب والقراء كما ينبغى ان
يكون ، وعلى هذا النحو كان ينهج فى استهلال كتبه ورسائله فيقول :

«الفاضل المثقف ، والحاذق الذى هو بدء الايام اعرف ، ادام الله صحيفته
المطهرة لسانا يعبر عن اصلاح الامه ، وقلمه سنانا يصيب مقتل الجهل ، ويرشد الى
التي هي اقوم ، وجعل الافكار تنفياً (خيال ظله) فتخرج بالوارف الظليل وابقاه
(خليلاً) للاباء والعفاف ، ولا ينكر ذلك على آل الخليلى وبعد»

ولدى عدد من تلك الكتب التى تفيض بالادب الحى والامثلة الرائعة والشواهد
من بديع الشعر والنثر .

★ ★ ★

توالى جانب سرعة البديهة التى عرف بها الشيخ جواد الشيبينى فان له مواقع

ارتج فيها عليه ، وخاتمه سرعة الخاطر فلم يجر جوابا مع ان الامر لم يكن من
الاهمية بحيث يستدعى واحدا كالشيخ الشيبى ان يعين في رد الجواب ، وانا اروى
من هذا النوع قضيتين احدهما قصتها على هو نفسه ، والاخرى رواها لى احد
الاصدقاء فى حينها .

دخلت عليه يوما وكان يقضى دور النقاهة فى بيت ابنه جعفر الشيبى بشارع
السعدون (الذى هو الان المحل الرئيسى لتجر حفيده ضييح الشيبى) فقال لى وهو
يضحك :

- لشد ما يؤلم المرء حينما يخونه ذهنه فى وقت غير مناسب
وحين استوضحته قال - وقد غرق فى ضحكة طويلة ، وضحكة الشيخ
الشيبى ضحكة ناعمة ليس فيها جعجة وصوت ، وانما هى من نوع عميق هادى
لايبين منها غير افتتاح الفم ببعض الاتساع ، وهزات متعاقبة من الرأس ، وبشر
طافح على الوجه ، وقد تتخللها سعلات مشؤها كثرة تدخينه للسيكاير فتقطع
الضحكة ، بضع ثوان ، وحين تقف السعلة ، تواصل الضحكة بعد ذلك امتدادها
وتأخذ حقها الكامل ، ويبدأ اهتزاز الرأس الى فوق والى تحت بحركة شبيهة
ميكانيكية .

لقد قال لى :

- كان عندى قبل قليل هنا الشيخ مهدي سميسم ، وانا لا اعلم والله بترشيحه
قاضيا للمحكمة الشرعية ليحل محل الشيخ عبدالحسين الحلى الذى وضعوا العراقيل
فى طريق تعيينه فى المحاكم الشرعية فى العراق ورفضوا تعيينه - وكان الشيخ على
الشرقى حينذاك رئيسا للتميز الشرعى الجعفرى وقد شاع يومئذ انه هو الذى وضع
الاسئلة فسبب وضعها على تلك الشاكلة وقوع العراقيل فى طريق تعيين الشيخ
عبدالحسين الحلى على ما اشيع فى وقته ، وقد نفى لى الشيخ على الشرقى صحة هذه
الاشاعة نفيًا باتا (١) .

قال الشيخ جواد الشيبى - وتطرق حديثى مع الشيخ مهدي سميسم الى

(١) وقد مرت الاشارة الى ذلك فى عرضى لايام الشيخ عبدالحسين الحلى

المؤلف

العراقيل التي وضعت للحيلولة دون تعيين الشيخ عبدالحسين الحلبي قاضيا في محاكم العراق الشرعية - وكان حديث فشل الشيخ عبدالحسين الحلبي في الامتحان من اهم ما كان يشغل المجالس العلمية والفقهاء ومن الشخصيات اللامعة التي يشار اليها بالبنان عبدالحسين من كبار العلماء والفقهاء ومن الشخصيات اللامعة التي يشار اليها بالبنان فلم يكن القول بفشله في امتحان فقهى بالشئ المعقول والمقبول بسهولة *

٢٠٠ قال الشيبيني - فقلت للشيخ مهدي سميسم : حسنا فعلت الحكومة ، فاني لا اعهد برهاننا اكبر وادل على غباوة الحكومة وغرضها ودنائتها من رفض قبول الشيخ عبدالحسين وترشيح حمار لايدري اى طرفه اطول ليحل محله ...

ولم التفت - قال الشيبيني - الا ووجه الشيخ مهدي سميسم يصفر ثم يلوح عليه شئ من الاضطراب المزوج بالخجل ، وقال وقد بدأ العرق يتصبب من جبينه ، لقد قال سميسم *

- استطيع ان اؤكد لكم بانني رفضت قبول القضاء في محل الشيخ عبدالحسين وفي مثل هذا النطرف ، ولكن وزارة العدلية هي التي أصرت والحت في ترشيحي للقضاء ...

قال الشيبيني - فقلت له : وهل انت المرشح للقضاء ؟

قال - بلى *

قال الشيبيني فسكت انا ، وسكت هو .. واعتراني ما كان قد اعتراه من الخجل واكثر ، على رغم سهولة الاعتذار لو كنت اردت ان اعتذر ولكني وجدت جميع ابواب المعذرة مغلقة في وجهي !! ...

وروى لي احد الاصدقاء قال :

- استعار الشيخ جواد الشيبيني يوما كتابا خطيا من الشيخ محمد السماوي لينقل نسخة منه عليه ، وحين اتم الاستساخ واعاد النسخة الى السماوي كتب في صدر النسخة المنقولة والتي احتفظ بها لنفسه - ولكنه لايدري لم كتب ؟ ولاى سبب من الاسباب ؟ لقد كتب الشيبيني في صدر نسخته كلمة تعني انه نقل هذه النسخة من النسخة الاصلية التي استعارها من الشيخ محمد السماوي الذي ظل

مدة من الزمن - على ما كتب الشيبسي - محل ريبه وشك من حيث ايمانه وعقيدته
الدينية !!...!!

ومر على هذا الحادث اكثر من ثلاثين سنة انتقل فيها آل الشيبسي من النجف
الى بغداد ، وكان الشيخ جواد يقوم بزيارة النجف بين آونة واخرى فيمكث فيها
اياما ثم يعود الى بغداد ، وفي احدى هذه الزيارات مرض الشيخ جواد في النجف
واقبل الكثير من اصدقائه ومعارفه يعودونه في بيته ، وجاء الشيخ محمد السماوي
ذات يوم يعود الشيبسي ، وكان الوقت قبيل الظهر ، واغلب زوار الشيخ الشيبسي
وعواده قد خرجوا منه ، وهو في غرفة مكتبته ممدد في فراشه ومغطى باللحاف الى
ما فوق صدره ، وبعد ان استفسر السماوي عن صحة الشيبسي وتبادلوا اياه
الاحاديث التي يجرى تبادلها عادة في مثل هذه المناسبات ، لفتت نظر السماوي هذه
الصفوف المتراسة من الكتب فوق رفوف الغرفة ، والسماوي من اكبر عشاق الكتب
وهواتها ، واكثرهم حرصا عليها ، وتقديرا لقيمتها وقد كان يملك مكتبة نفيسة
ثمينة حوت الكثير من نوادر المخطوطات ، وبلغ من عنايته وخوفه على الكتاب ان
تعلم تجليد الكتب واشترى اللوازم والادوات الخاصة بالتجليد وعكف على كتبه
الخطية يجلدونها بيديه حذرا من المجلدين ، اذن أفيمكن للسماوي - وهذه
حاله - ان يدخل بيتا ويرى فوق رفوف الغرف كتبا مسطرة ولا يمد يده اليها ،
ويتصفح اولها وآخرها ، ويستعرض فهرسها على الأقل ؟

وجريا على هذه العادة مد الشيخ السماوي يده الى أحد الكتب على غير تعيين
وسحبه من وسط الصف ، وتشاء المصادفة ان يكون الكتاب المسحوب هو تلك
النسخة الخطية التي نقلها الشيبسي من نسخة السماوي قبل ثلاثين سنة ، وتشاء المصادفة
ايضا ان يقرأ السماوي ما كتب عنه الشيبسي في صدر تلك النسخة مما مرت
الاشارة اليه !!...!!

وحين اتم قراءتها اعاد ما قرأ على مسامع الشيبسي وقال :

- ما الذي دعاك ان تكتب عني ما كتبت ؟ وما الذي بان لك من قلة ايماني

وانحرافي لتقول في ما قلت ؟

فارتج على الشيبى ولم يدر ما يعمل سوى انه مد يده الى اللحاف وسحبه الى الاعلى مخفيا به وجهه وهو يقول ويكرر :

- هذا من سوء الطالع يا شيخنا من سوء الطالع وليس من شيء آخر!!

★ ★ ★

وكان بعد انتقاله الى بغداد ، شديد الحنين الى النجف ، كثير التشوق الى معرفة اخبار التجفيين بجميع طبقاتهم ، وقد قال لى غير مرة انه يقرأ من جريدتى (الهاتف) كل شيء حتى اعلاناتها ، مسقطا اخبار الخاصة والعمامة من النجفيين ، ومثله كان الكثير وكان منهم الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والسيد محسن الامين ، والشيخ عبدالكريم الجزائري ، والشيخ عبدالحسين الحلي ، وكانوا يقرؤون حتى اعلانات الطابو التى يقوم بنشرها الهاتف وذلك تعمقا منهم فى الاحاطة والتذاذا باخبار البلد ، وهذا ما سمعته منهم مباشرة!!

وكانت للشيخ جواد الشيبى تعليقات اديبة ذات قيمة على بعض مواضيع (الهاتف) وحينما كنت اتناول بعض الاشخاص بالتحليل واصفهم بصفاتهم المعنوية دون ذكر الاسم كان هو اسرع من غيره تعرفا باولئك الاشخاص ، وكان ينهني عندما تيسر لى زيارته ببغداد الى ما كان قد فاتنى من الصفات التى تخص اى شخص كنت قد تناولته فى عرضى الاسبوعى ، وكنت قد عرضت مرة صورة معنوية للشيخ ابراهيم الاطيمش دون ان يشوبها اى وصف مادى يقربها للذهن من هذا الطريق وسألت القراء عن هذه الشخصية قائلا : من هو ؟ كما كنت افعل مع الاخرين ، وكان الشيخ ابراهيم الاطيمش يقضى وقتا طويلا من كل سنة عند آل الشيبى ببغداد فقال لى الشيخ جواد الشيبى :

- لقد رأيت ان اجتبر مدى تغلغلك فى طبيعة الاشياء فعرضت ما كتبه عن الاطيمش على جمع من اهل الكراة والزوية ممن اعتادوا ان يرتادوا مجلسنا وسألتهم عما اذا كانوا يعرفون هذا الموصوف بمعناه فى الهاتف ، فأجاب الجميع بانه الشيخ ابراهيم الاطيمش .

قلت ان الظرف من احدى مميزات الشيبيني البارزة ، واذ كان قد
بز الكثير من الشعراء والادباء المعاصرين شعرا ونثرا ، وضرب لسرعة بديهته
وحضور ذهنه اروع الامثال ، فقد كان من اظرف من رأيت من مشايخ الادب واكثرهم
بشاشة واشراقا ونشدانا للمرح الذي يتولى صقل الفن والادب ، ولم يفارقه هذا
الظرف حتى في مرضه مع انه من اشد من عرفت خوفا من المرض وهلعا من
الموت .

وورث كل اولاده شيئا غير قليل من ظرفه وكان صديقي محمد حسين
الشيبيني من اكثر الادباء ظرفا وميلا للدعابة والمزاح ، واذكر من مرحة مرة ان قبض
على الشيخ مولى الطريحي هو وجماعة كان بينهم السيد محمود جويي ولفه بالحاف
ثم قمطه بالجبل كما يفعل بالاطفال في المهد والشيخ يصيح ويستغيث وهم يتداولون
حملة من يد الى يد ويرقصونه كالاطفال وهو يصرخ وقد افهمه الشيبيني ان الخلاص
من القمط منوط بسكوته فما دام هو صارخ فان الايدي ستظل تتلاقفه وسيظل
يتراقص على ايديهم طوال الليل والنهار ، ويضطر الشيخ الطريحي الى السكوت
فيطرحونه على الارض وتبتدىء هناك ترنيمة مرتجلة من الشعر حتى يتظاهر الشيخ
بالنوم فيفكون القمط عنه ويهرب كل منهم ويلوذ بزاوية منيعة من البيت .

ولقد اتخذ محمد حسين الشيبيني ذات يوم على اساس ما طبع عليه من الظرف
والادب وحب النكتة من (عباس عدوه) موضوع تفكهة وأنس في مجلس ادبي
رائق ، فمهد لعباس عدوه الظروف التي طالما حملته على قول الشعر العامي على طريقة
تقارب بند ابن الخلفة ، بل الصحيح على طريقة الشعر الجديد في هذه الايام ، تلك
الطريقة التي يعتبر (عباس عدوه) مكتشفها الاول اذا اردنا الانصاف .

وعباس عدوه هذا شاعر عامي ذهبت الحوادث بنصف قواه العقلية ، فاذا شرب
الخمرة ، واخذ منها كفايته ، تحول النصف الاخر الى لون لطيف ، خفيف ، مرح ،
محب للنفس ، مثير للضحك ، وبدأ حينذاك مزيج من الشعر العامي والقريض
يتدفق على لسانه ، فيشرق فيه ويغرب ، وعلى الاخص حين يجري على نسق البند
حيث لا يبقى من لم يشرق بالضحك ويغرق في القهقهة .

وكان الفصل فصل شتاء ، وكان الهواء باردا ، فجاء محمد حسين (عباس عدوه) الى أحد الخياطين وخاط له عنده من قماش (الململ) الشفاف الناصع البياض سترة وبنطلونا ، ثم اغرقه بالعرق نهلا وعبا ليهيج له قريحته ، ثم انزعه قباه وعباءته ، والبسه تلك البذلة الصيفية الشفافة في ذلك الزمهرير القارص ، ووضع على رأسه قبعة من القش وقال له :- لتدخل علينا مجلسنا ، ولتشف اسماعنا بشعرك المرتجل فانا اليوم وصحبي اشعر بانقباض وضيق صدر ، وكان من المجالس العامرة التي ظلت حديث الادباء الظرفاء زمنا طويلا وقد القى فيه عباس عدوه قصيدة رائعة وكنت انوى نشرها في (الهاتف) ولكن لم يصلنى منها غير هذا المقطع :-

أيا والجسم بردان
وانى اليوم عريان
ومولاي الشيبى
وكل الناس والعالم يدرى
ما بجيبى
سوى بيزة، وثلك آفات ، وقران
أيا والجسم بردان
وانى اليوم عريان

وليس من شك ان محمد حسين الشيبى قد ملأ جيوب عباس عدوه بكل ما يستطيع من النقود ، وخاط له بذلة كاملة وسرحه ، فقد كان محمد حسين ولا يزال اكرم من رأيت من الادباء واسخاهم .
وها هو ذا الشعر المسمى بالشعر الجديد اليوم يجرى على نمط شعر عباس عدوه ، ويقتفى نهجه حذو النعل بالنعل .

★ ★ ★

وآخر ما نظم الشيخ جواد الشيبى كان قصيدة نظمها

في حفيده أحمد المظفر ابن المجتهد الشيخ (محمد حسن) المظفر وقد نشرها له الهاتف في حينها ، واحمد المظفر^(١) صبي ذكي تولع بجده وتولع جده به ، وقد جاء الى بغداد من النجف عائدا لجده وهو في فراش المرض ومكث عنده اياما مواسيا ، وعند رجوعه الى النجف تلقى من جده كتابا وفي ضمنه القصيدة التي كانت اخر منظوم الشيبسي على ما اعلم وهي منشورة في اواخر السنة الثامنة من (الهاتف) ، ومن هذه القصيدة التي ودع الشيبسي فيها قول الشعر وودع حفيده بها نفتطف الايات التالية :-

نزل الهلال وانت تصعد	يا كوكب المجد المخلد
قسما بشرعة أحمد	اني ادين بحب (احمد)
ولد يشاطرني الضنا	ولثلها الاسباط تولد
ادركت فيك توسمي	ولست ما أملت باليد
أبني هل من عودة	عود اللقا لاعدود عود
اتبع اباك لفضله	واعرف مقام العلم تسعد
لبس العفاف وانه	عن زخرف الدنيا مجرد ^(٢)
عجبا يقلد بالهيات	وانه العلم المقلد
(حسن) ابوك وانه	في كل مجتمع (محمد)

★ ★ ★

اقول ان الشيخ الشيبسي كان كثير الحنين الى النجف والنجفيين ، وكان يستقصي اخبارهم من زواره الكثيرين ، وكان اذا زار النجف مكث فيها شهرا او اكثر ، وكنت اعرف انه لا يترك بيتا من بيوت جيرانه ومعارفه الا ويمر به متفقدا صغار اهل البيت وكبارهم فقد كان كثير العطف ، رقيق الحاشية لا يلتقي احدا دون ان يسأله بكل ما

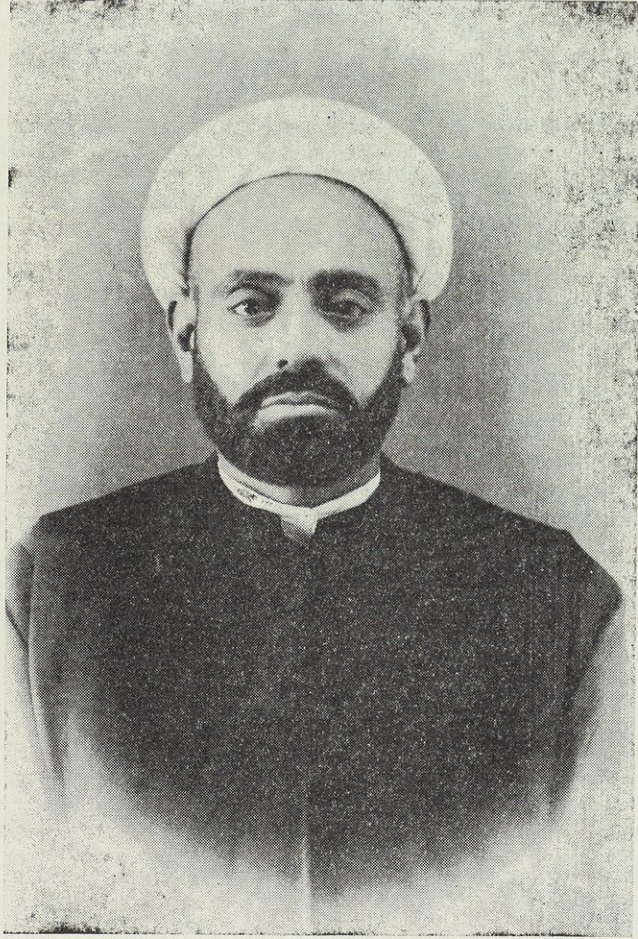
(١) هو اليوم يزاول تجارة الاقمشة بسوق المرادية .

(٢) كان الشيخ محمد حسن المظفر من ارواح العلماء واتقاهم ومن اكثرهم عزوفا عن الدنيا .

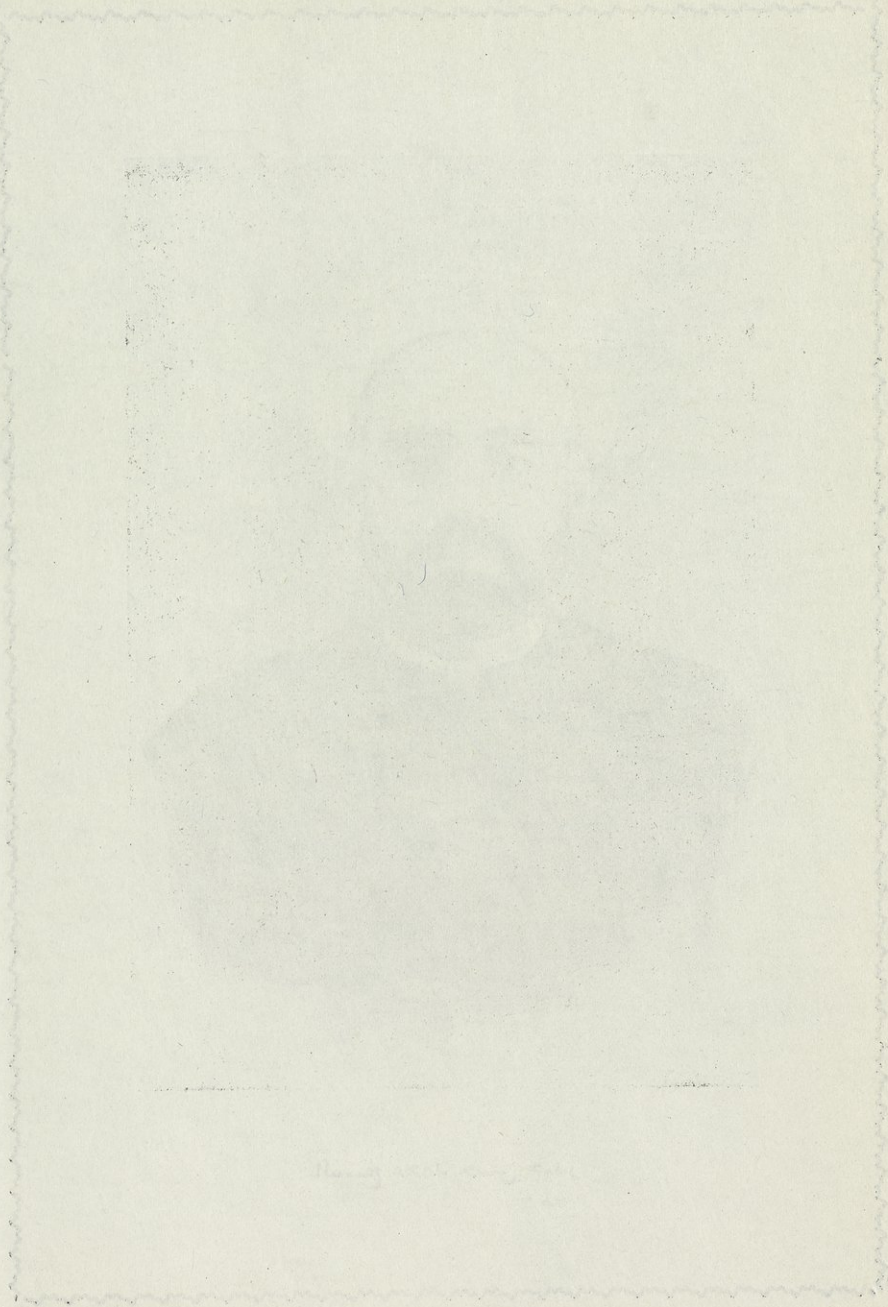
تتسع له دائرة السؤال عن جميع شؤونه ، وحين يكون في النجف تتجدد حركة
الادب ، وتعمر المجالس وتصبح داره كعبة الادباء ، وامتدى العلماء ، وكنت الازم
مجلسه هذا على الغالب لاني كنت قد انقطعت عن زيارته في بغداد (لبرودة) حدثت
بيني وبين بعض اولاده لم اجد متسعا لذكرها في هذا العرض السريع من تأريخ
معرفتي به .

لقد مات الشيخ جواد الان ، وحالت بينه وبين الابصار حجب كثيفة من الظلام
ولكن صورته برغم ذلك كله ستبقى ماثلة للعين والقلب بقدر ما تستطيع آثاره من
الثبوت والبقاء والخلود .

لقد مات الشيخ جواد ولكنه ترك لنا ثروة طائلة من نفائس الادب ، وقلائد
الشعر ، كما ترك اولادا اورثهم الكثير من مزاياه ومواهبه وملكانه .



الشيخ محمد حسن حيدر



الشيخ محمد حسن حيدر^(١)

كنت في سنة ١٩٣٠ في عداد معلمى المدارس الرسمية ولامر ليس هذا محل ذكره افضى ان اكون في (سوق الشيوخ) لمدة ٤٥ يوما فقط كنت احسب انها ستكون من اكثر ايامى ضنكا وضيقا فقد كانت لسوق الشيوخ حينذاك سمعة غير طيبة من حيث المناخ ، والمياه ، والامراض ، ولكن سمعة آل حيدر والمزايا التى اتصف بها اهل السوق عموما كانت تشغل من ذهنى حيزا كبيرا فتساعد على تخفيف قلقي بعض المساعدة ، ولم اكن اعرف من تلك السمعة السابقة الى ذهنى من سوق الشيوخ شيئا ملموسا غير بعض الشعر الذى كنت قد قرأته للشيخ محمد حسن حيدر فى مجلة العرفان ، والذى نشرته له فى الفجر الصادق ، اما الشيخ محمد حسن نفسه فلم اعرف عنه الا انه خلف الشيخ باقر حيدر الرجل الذى جمع بين الرياستين الرياسة الروحانية والرياسة القبلية ، كذلك كنت اعرف ان الشيخ محمد حسن من نواب المجلس النيابى ، وكنت قد حجزت جانبا من الفندق الوحيد المعمور عند نزولى فى القصبة وهو اجمل جانب من اجمل بقعة من (سوق الشيوخ) اذ كان يطل على النهر وقد اتخذت لى منه مسكنا ومنتزها ، وفى عصر اليوم الثانى من نزولى ، وكنت قد اقتعدت كرسيا من كراسى الراحة وانا فى شبه ذهول من امر نفسى والتفكر فيها اذ دخل على ثلاثة يقدمهم رجل متوسط القامة ، صبيح الوجه ، حاد النظر ، حلو الالفتات تدل مظاهره على طيب سريرته ، وصفاء نيته ، وهو انيق فى ملبسه وعمته البيضاء ، ومد رآنى فتح لى يديه وضمنى الى صدره ، كاننى صديقه منذ عشرين سنة واكثر ، ولا تسل عما كالى من اللوم والتعنيف لنزولى فى الفندق ، وعدم نزولى فى بيته وراح يلح على بمغادرة الفندق والانتقال على وجه السرعة الى بيته ، وهنا عرفت

(١) الهاتف - السنة العاشرة العدد ٣٦٩ كانون اول ١٩٤٤ .

ان الرجل هو الشيخ محمد حسن حيدر وعرفت لأول مرة من بين اولئك الذين صحبوه السيد عبدالصاحب السيد ادريس *

وكانت جلسة استغرقت ثلاث ساعات واكثر ، قام بعدها الشيخ محمد حسن ورفيقاه وانا اشد ما اكون نهم شوقا وكان المجلس الثيابي في عطلة فتكررت زيارته لى مرة ثانية ، وثالثة ، وخمسين ، ومائة واكثر وصار لا يقضى اوقات فراغه من مساء كل يوم الا عندى ، والامعى حيث اكون من مجالس العزاء التى كانت لاتحصى حينذاك بسبب شهر المحرم ، وانعقاد المائمه الحسينية ، وكان الملا محمد الخطيب من اكثر الاشخاص اتصالا بنا ، وقد استدعى من (قلعة سكر) الى (السوق) لقراءة المائمه الحسينى فيه ، وقد كان لسعة اطلاعه وقوة حافظته شان مذكور فى المائمه الحسينية ، والمجالس الادبية الخاصة ، وهو رجل قلما انجبت مثله (القلعة) قابلية ادبية ، وكفاية خطايبه ، فكنت كثير الانس به كما كان الشيخ محمد حسن حيدر ، حتى كنا لانفترق الا نادرا ، وكنا اذا اجتمعنا فانما لتحدث بما يؤنسنا ، ويلذنا ولم يكن الذى يؤنسنا غير الاحاديث الادبية والتعليق عليها بما يناسب المقام ، ولم يكن يلذنا غير التندر بالشعر والنكت ، وقد كان الشيخ محمد حسن من اكثر من رأيت ميلا للنكتة والدعابة الادبية والمساجلات الشعرية ، ولربما كان هو السبب الاكبر لمقارنتنا الشعر فى مختلف المناسبات *

ورسخت صداقتنا فى بحر الايام القليلة ، وبسبب هذه الصداقة قامت صداقات متينة بينى وبين اهل السوق قاطبة ، وظفرت بكنوز ثمينة من الخلق الرفيع الذى يحكيه الكثير من اهل السوق والفت البلد على رغم قصر المدة حتى غدوت وانا فى السوق كائننى فى محيط النجف لا يعوزه الا صحن ، وحرم ، وقبة ، ليكون النجف بعينه *

وسوق الشيوخ بسبب آل حيدر وما بثوا فيه من روح ادبية والاخص الشيخ محمد حسن نفسه قد اصبحت نزاعة الى الادب والشعر ، والفن ، حتى بالامكان القول بانها ثانية مدينة فى الفرات بعد النجف من هذه الناحية ، وذلك لكثرة ماخلف

فيها ال حيدر من زاوية للادب ، وحافظ للتاريخ ، وناظم للشعر بنوعيه القريض
والعامي ♦♦♦♦

والحق ان الفضل الاكبر يرجع الى الشيخ باقر حيدر الذي جمع بين الرياستين
رياسة القبيلة الزمنية بصفته من زعماء قبائل (اجود) والرياسة الروحية بصفته من
كبار العلماء والادباء كما اشرت اليه ، فلقد كان له مقام مرموق في عالم الادب يهابه اجر الشعراء
ولم يكن يومذاك اجراً من السيد جعفر الحلي الذي كان يتهيب الشعراء مداعبته
ولكن الشيخ باقر هو الوحيد الذي كتب للسيد جعفر الحلي مداعبا فلم يرد السيد
جعفر عليه بشيء ، لقد كتب له يقول :

تعالوا تنشر الانساب منا ليظهر بيننا النسب الصريح
(عذارى) فكيف يطيب ريحا وهل طابت من (العذرات) ريح
والعذار قرية بالقرب من الحلة هي موطن آل كمال الدين الاسرة المعروفة ،
ويضرب بغاوة هذه القرية المثل على سبيل المزاح ولكن من كان يستطيع ان يعرض
بها امام السيد جعفر ، ولقد مازح السيد جعفر مرة أحد انداده الفضلاء قائلاً :

من العذرات سادات العذار

فرد عليه السيد جعفر على الفور وهو يتم له بيته قائلاً :

أسمع مايقول ابن الحمام

وكان من اهم ما امتاز به الشيخ محمد حسن نوع خاص من الجاذبية لا ادري
بماذا اسميه ، اذ لا يستطيع المرء ان يقف امامه دون ان يؤخذ به مسحوراً ، ويعمل
فيه سحر الشيخ محمد حسن فلا يلبث ان يجد نفسه في (سوق الشيوخ) رضى ام
أبى وحينذاك يتلقفه (السوق) بيتا بيتا ومجلسا مجلسا ، وبدافع هذه الجاذبية وتأثير
الشعر قصد الكثير من الشخصيات المحترمة والادباء مدينة (سوق الشيوخ) وزاروها
من مختلف الجهات ، وتعرفوا بها ، وكان الشيخ محمد حسن حلقة ذلك الاتصال
والرابطة الوثيقة بين كثير من العلماء والادباء والوجوه ، وبين أهل السوق الذين
لم يكن ليكشف احد نبلهم ، وفضلهم ، لولا الشيخ محمد حسن ♦

وحيثما غادرت انا (السوق) بعد مضي الايام المذكورة كان جل اهل السوق
وابرز شخصياتهم وعلى رأسهم الشيخ محمد حسن في توديعي ، فسافرت وانا
لا اعرف معنى لسوق الشيوخ غير الشيخ محمد حسن نفسه ، ولا معنى للشيخ
محمد حسن غير سوق الشيوخ نفسها ، فلقد ضحى آل حيدر بكل شيء من اجل
سوق الشيوخ ، ومكاتها ، وسمعتها ، اما الشيخ محمد حسن فقد ذاب السوق في
نفسه حتى كان خير مرآة لاهل السوق جميعا بما عرف عن طيبة قلبه ، وحسن
سريرته ، وغزارة شهامته ، ونبله ، ووفرة ادبه ، ومواهبه .

ومنذ ذلك اليوم اصبحت احب سوق الشيوخ كثيرا لانني احببت الشيخ
محمد حسن حيدر كثيرا ، وراحت المكاتب بيني وبين الشيخ محمد حسن تتضمن
كثيرا من نتائج تلك المودة حتى بات يعينني امر هذه القصة
كما يعينني امر النجف ، وعلى كثرة من أوجد الشيخ محمد حسن من اصدقاء السوق
الشيوخ فقد شعرت باني من أقرب اولئك الاصدقاء الى أهل السوق ، وتحسست
بمنزلتي عندهم حينما رأيت السيد وفيق حبيب متصرف لواء المتفك يدعوني ذات
يوم من النجف الى الناصرية بصورة خاصة لازالة ما كان قد حدث من سوء تفاهم بين
بعض اهل السوق وبين الشيخ محمد حسن حيدر واذا بي اوفق غاية التوفيق
في حسم هذا النزاع واذا بطائفة من اولئك الرفاق يسجلون للشيخ محمد حسن
ماتر غراء ، ويعترفون له بافضال هي فوق افضال الاب على اولاده ، وكان لا بد
ان تقوى هذه الصداقة بيني وبين الشيخ بعد مزاولتي الصحافة ، فقد كان يجب
الشعر كثيرا وكان يستغل كل مناسبة - بصرف النظر عن أهمية الموضوع وعدم
اهميته - لقول الشعر الامر الذي دعى كثيرا من الشعراء والادباء وغيرهم الى
مساجلته ومباراته على صفحات جريدة الراعي ، وجريدة الهاتف اللتين اصدرتهما
وغيرهما من الجرائد ، والمجلات ، فكان له فيهما عدد من المقاطيع والقصائد وكان
له مع البعض جولات تضمنت الشيء الكثير من النجد ، الى جانب الشيء الكثير
من اللهو ، والتسلية ، وغير بعيد ، - على هذا - ان يكون له من الشعر ما يبلغ
عشرة الاف بيت واكثر ، وقد اعلمني في ايامه الاخيرة بانه اعد لشعره مجلدا

ضحما ، وهو شارع فى جمعه ، وتنسيقه ، وتبويه ، وعلى رغم ابتلائه بمرض القلب منذ سنة ١٩٣٩ ونصح الاطباء له بترك النظم وكثرة الحديث ، وكثرة الاكل ، فانه ما استطاع ولا يوما واحدا ان يبدل عاداته ، ويغير من سجيته ، بل صار ينشد السلوان بقرض الشعر اكثر مما كان يفعل قبل مرضه * * !! حتى لقد خفت انا عليه مغبة هذا الامر وعاقبته وخفت عليه من عدم التوقى من الاكل ، ففتحت له من صفحة (الهاتف) قاعة للمحاكمة على سبيل الدعاية واتخذت من السيد عباس شبر (مدعيا عاما) ، ومن الشيخ جعفر نقدى (حاكما) ، ومن عدد من الاباء محلفين ، واقمت الدعوى عليه من قبل المدعى العام ، اما وجه الادعاء فقد كان يتلخص فى ثلاثة امور ، الاول الشكوى من كثرة نظمه ، وقوله للشعر وهذا مما يجهده فكرا فضلا عن ان السرعة فى النظم والاكتار من الشعر قد يجعل الركبة - رضى الشاعر ، ام ابى - تطغى على خيار شعره وتذهب بحسناته ، والثانى لعدم توقيه واتخاذ الحيطة ونسيان نصائح الاطباء اذا ما مد الخوان وصفت الصحون بالماكل الشهية ، والثالث لما عود نفسه عليه من مجاملة الناس والتواضع للحد الذى يسيء الى شخصيته .

وافترضت له دفاعا مطولا نشر فى جريدة (الهاتف) وقد صدر الحكم باداته ، والى هذا (الادعاء) والمحاكمة يشير السيد محمد جمال الهاشمى فى قصيدته الموجهة للشيخ محمد حسن حيدر من قوله :

ابا جواد ان هزلت بعد ذا	عفوا فقد يذهب بالهزل الضجر
ظرافة الاديب ان تهيجه	بنكته فيها من اللطف صور
يا ليت شعرى هل لما جاء به	(هاتفنا) عين لديك او اثر؟
وهل من (الأكل) مرضت مثلما	اورثك (الشعر) هزالا وخور
حقا علينا ان نقيم ثانيا	عليك دعوى عند(قاضيها) الاغرو... الخ

وقد ادت مناقشة رفع الحصانة عنه فى البرلمان ومحاكمته من قبل المجلس العرفى الى هياجه هياجا نفسيا صاحبها والى ثورة عصبية عملت عملها فى جسمه وجعلت المرض يمشى فيه مشى سريعة .

وحين صدر الحكم برأته واستعاد بعض عافيته عرج على النجف فاحتفل به الاصدقاء والشعراء حتى تجاوز عدد الحفلات العشرين وقد تليت في كل حفلة عدة قصائد تحولت النجف فيها الى مهرجان ادبي في تلك الايام وفي ختام تلك الاحتفالات المتواصلة والولائم المتتابعة التقى الشيخ محمد حسن قصيدة لعلها من احسن شعره واجوده وكانت بمثابة شكر على تلك الحفلات الابدية وكان من ملح ذلك المهرجان منلوج فكاهي شعبي نظمه عبدالمنعم العكام واستهله قائلا :

« ماش ••• ماش » واورد فيه على هذا النمط قوافي مضحكة صعد بها الى وزير المالية (شلاش) ونزل بها الى حسن (الفراش) فراش مدرسة العكام وضمنها الكثير من القوافي الاخرى ذات الارتباط بالمحيط النجفي ومحيط سوق الشيوخ •
ومن اهم ما قرئت في تلك في تلك المجالس قصيدة للسيد محمد جمال الهاشمي وقد قرأها في الحفلة التي أقيمتها انا للشيخ محمد حسن في بيتي وجاء منها :

تسابق القلب عليك والبصر فحاز كل منهما بك الظفر
يا قمر الفضل الذي لا تجنفي آثاره عنا وهل يخفي القمر ؟
ان قصر اليراع في تكريمه فعذره قصوره اذا اعتذر

★ ★ ★

واينما حل الشيخ محمد حسن يهيجها ثورة ادبية صاحبة في اغلب الاحيان فهو حينما يكون في الحلة يتناولها بما تستحق من ثناء من حيث صفات اهلها وما جبلوا عليه وما يستحقون من تعنيف ولوم جزاء اضعافهم لمواهبها الادبية واهمال ناحية الشعر التي كانت من ابرز نواحي الحلة مستعرضا في شعره (آل القزويني) واثارهم ، فينفرج هذا التحرش عن ثورة تشمل الكثير من شعراء الحلة وفي مقدمتهم كان الشيخ عبدالرزاق السعيد •

وحينما يكون في البصرة يحاول ان يبني من الحبة قبة في مزاحه فيهيج طائفة من العلماء ، والفضلاء ، وفي مقدمتهم السيد عباس شبر والسيد محمد علي الكاظمي من اجل (عصا) اضعافها عندهم لا اظن قيمتها كانت تبلغ ثلاثة دراهم او اكثر قليلا ولكنه أنزلها منزلة عصا موسى واكثر ، فنظمت الارجيز والقصائد وتناولتها بعض

الجرائد واشترك في تلك المعركة شعراء اخرون من مدن اخرى ، وفي طليعتهم كان الشيخ جعفر نقدي من العمارة ♦

وعندما يمر بالنجف - وكثيرا ما يمر بها ويقضى فيها اكثر ما يستطيع من اوقاته - يشعر الكثير من الابداء بحركة غير اعتيادية تدفعهم الى الملاطفة ، والمداعبة ، والمساجلات الشعرية ، والمباراة الادبية ، من تشطير ، وتخسيس ، وغير ذلك ، ولم يكن هناك من سبب غير وجود الشيخ محمد حسن الذي يحب الشعر كثيرا ، ويحول بين ركوده ، وخموله ، حيلولة ، قوية ، فعالة ♦

ولقد وقفت ذات مرة على مراسلات شعرية له تناول فيها الشيخ عبدالغنى الخضرى بهجاء غاية فى الضحك ، وغاية فى الدعابة ، وذيلها بتوقيع رمزى واتخذ له رسولا امينا على سره ، فكان هذا الرسول ينقل قصائده الشعرية الى الشيخ عبدالغنى ، ويحيىء منه بالردود دون ان يعرف الشيخ عبدالغنى مهاجمه ، ودون ان يدري من اين يأتى هذا الرسول الذى اقسم ان يظل حافظا لهذا السر حرمة الى الابد ، واحسب ان السر لم ينكشف لحد الآن ، وهكذا فعل مع محمد على الحوماني الشاعر ، ومن هذا النوع كانت قصيدة بعث بها من سوق الشيوخ الى طائفة من اصدقائه تناولهم بها فاطلق عليها الاصدقاء اسم (يرملون) وراحوا ينظّمون على منوالها ولم يعرفوا قائلها الا بعد زمن ♦♦

ومن طرائف الشيخ محمد حسن حيدر الادبية طريفة نشرها (المهاتف) فى العدد ٣٢٩ من السنة التاسعة تضمنت - دعوى - شعرية اقامها الشيخ ضد السيد حمودى عبدالمجيد مدير معارف لواء الناصرية (الدكتور حمودى عبدالمجيد اليوم) لدى حاكم صلح سوق الشيوخ السيد عبدالحميد على مشترك مع السيد سعيد كمال الدين قاضى شرع الناصرية طالبا منهما الحكم على (حمودى) باقامة وليمة كبيرة لعدد من الابداء وفى ضمنهم السيد كاظم القزوينى مدير ثانوية الناصرية ، وتقى الشيخ راضى مدرس الثانوية ، وعدد من ابداء سوق الشيوخ ، لان (حمودى) كما يقول الشيخ محمد حسن كان قد اتصل به تلفونيا من الناصرية واخبره بان جماعة من رجال المعارف ، وعلى رأسهم حكام الناصرية وقاضياها والسيد حمودى من ضمنهم سيتناولون

طعام الغداء عند الشيخ محمد حسن بسوق الشيوخ غدا من نهار الجمعة وقد اولى
الشيخ محمد حسن على مجرى عادته - وليمة فاخرة حضرها جميع من ذكر في
الموعد المعين الا (حمودى) الذى حالت بين حضوره بعض المشاغل كما قال *

وقد رتب السيد عبد الحميد على ، والسيد سعيد كمال الدين مجلسا ادبيا خاصا
لمحاكمة السيد (حمودى) ، وصدر القرار بوجود قيام السيد (حمودى) بدعوة
جميع الادباء الى وليمة عين الحاكمان لونها ، وصنفها ، وزمان اقامتها بالتفصيل وقد
عز على السيد حمودى ان ينفذ هذا الحكم فدافع عن نفسه واعترض على الحكم حتى
رضى الحاكمان بان تميز الدعوى عند جريدة الهاتف *

وكتب الشيخ محمد حسن الى الهاتف يصف له اصل الدعوى فى ارجوزة
لطيفة ، كما كتب السيد حمودى شرحا كافيا لقصته ، وهذه قطعة مختزلة من
ارجوزة الشيخ محمد حسن المتضمنة عرض القضية *

شكرى الى الوزارة النييلة	وزارة المعارف الجليلة
اذ انها اختارت لنا (حمودى)	يسير بالنشر الى التجديد
فالكل منا شاكر لفعله	مقدر وذاكر لفضله
لكنه نادى بصوت الهاتف	ذات ضحى من (شعبة المعارف)
يقول لى غدا نهار الجمعة	يجيئك الجمع وانى معه
فقلت بالواجب تلك الساعة	منتظرا تشريفة الجماعة
فحضروا كلهم الا هو	لم ادر اى شىء اعتراه
فحكم الحاكم فوراً وله	قد قرر (القاضى) وما مهله
حكما عليه لثبوت الجرم	حسب شهادات جرت بعلم
حكما حوى شرائط مرضيه	مقبولة فى نظم العديلة
بان يقيم عنده للصحب	وليمة من مآكل وشرب
جامعة لا حسن المآكل	ترضى جميع اخوتى الافاضل
وبعد ما بلغ بالقرار	تأثرا اصيب بالدوار
ولم يجد من حجة لديه	برد دعوى المدعى عليه

قال اذن اميز القرارا قرار حاكم الجزا جهارا
عند خليلي (جعفر الخليلي) فهو الذي يهدى الى السبيل
لا بد ان يحكم بالعدالة ولم يغير ابدا اقواله
فاحكم بما تراء حكما صادقا مناسبا الى المقام لائقا

ونظرت انا باسم (الهاتف) في هذه الدعوى وقد رددت الحكم ، وطلبت
من المحكمة ان لاتكتفى بالحكم على (حمودي) وحده بل عليه ، وعلى (تقى الشيخ
راضى) (١) الذى اعتبرته مسؤولا عما وقع (لحمودي) من مخالفة وقد تألف
حكى من ارجوزة على نفس النسق وهذه بعض ابياتها الصادرة باسم مجلس
التمييز •

★ ★ ★

وقد تلا الحكم الذى قد صدرا منكم وقد احاط بالذى جرى
فلم يدع بندا من البنود مما ادتم بها (حمودي)
الا وفلاها بكل دقة لم يكثر بالجهد والمشقة
فصدر القرار بعد النجوى برد ما كان نكم من دعوى
والعود للتحكيم من جديد عند (حميد) الحاكم الرشيد
فاننا نعلم فيا نعلم ان تقى الشيخ راضى مجرم
وان اصبع له فى الامر ان كنت لا تدرى فانا ندرى
مشاغب من الطراز الاول يحسن خلط جده بالهزل
غير بعيد ان يكون السبيا فى الجرم ان لم تعتبره المذنب
هو الذى جنى على (حمودي) ولج فى اقامة الحدود
فليس حكمكم من الانصاف ان يوخذ الواحد بالخلاف
ويترك الاخر يمشى حرا مستهزئا بالعدل مشمخرا
وباختصار ان ما نراء ان ينظر الحاكم فى دعواه

(١) المفتش بوزارة المعارف اليوم •

فيصدر الحكم على الاثنين مشتركين في اداء الدين
بأكلية لذيدة وحيدته يحضرها صاحب ذى (الجريدة)

وتوسعت هذه القضية وعلق عليها الكثير بالاراجيز ودامت نحو بضعة شهور
تطوف المدن وتهيج فيها القرائح بقصد التسلية ، وكلها بداعي روح الشيخ محمد
حسن حيدر المرجة ، ووجه للشعر .

ووجه الشيخ محمد حسن اى (الهاتف) دعوة باسم اداء سوق الشيوخ
لقضاء اسبوع في قصة السوق ولقد لبيت الدعوة وقضيت اسبوعا كاملا وسط
مهرجان ادبي اقيم طوال الاسبوع لتكريم (الهاتف) تلا فيه حمدي ال حمدي ،
وسالم الحسون ، وعبدالحميد السيد ، والشيخ محمد حسن حيدر نفسه ، وعدد
آخر من اداء السوق قصائد عاطفية رقيقة نشرها (الهاتف) في سنته التاسعة وسميت
تلك المهرجانات الادبية - التي اسهم فيها حتى الادب الشعبي الرفيع الذي انطلق به
السيد عبدالصاحب السيد ادريس في قصيدة عامرة - باسم (اسبوع السوق) فأعاد
(سوق الشيوخ) ذكرى (سوق عكاظ) وهاجها ثورة اديبة مشتغلة وسط صفوف
من المواثيق التي اقامها عدد من كبار اهل السوق بهذه المناسبة واعتبر (اسبوع السوق
الادبي) فاتحة عهد جديد لادب سوق الشيوخ الذي ابتدأت تتناقله الصحف منذ
ذلك اليوم وتشير الى قيمته .

★ ★ ★

وليس هذا وحده الذي جعل الشيخ محمد حسن معروفا في اغلب المدن
العراقية وعند جميع الشعراء والادباء بكونه حركة فطالة في بعث الروح الشعرية
من مرقدتها وخلق جو شعري اينما حل ، وانما هناك صفات عرف بها بين جميع اقرانه
ويعرفها كل من كانت له اليه حاجة ، وكل من استعان به على امر ، فقد كان كثير
الاهتمام بشؤون مدينته وسكانها ذلك الاهتمام الذي كان يحمله على التحدث عن
(سوق الشيوخ) والذب عنها في كل وقت واذا لم يكن الوقت مناسباً سهل على الشيخ
محمد حسن حيدر ايجاد المناسبة لرفع شأن هذه المدينة ، ولفت الانظار الى حاجتها ،
من عناية الحكومة ، سواء كان ذلك امام البرلمان او امام اهل العقد ، والحل من رجال

الحكومة ، او في معرض الشعر والادب ، حتى لقد صاب احق بالتصاق صفة مرض
(الذات) من السيد عبدالوهاب الصافي .
وصفة السيد عبدالوهاب الصافي - وقد كان معتمدا لجمعية (الرابطة) في
النجف - تتلخص في انه كان لا يترك حديثا يمر دون ان يحشر فيه اسم (الرابطة)
والدعوة للاهتمام بها والسعي لمساعدتها ، الامر الذي جعل الشيخ محمد ايضا
الشيبي يقول عنه قولاً فيذهب مثلاً -

لقد قال الشيبي ان الامراض المبدوءة (بالذات) اربعة .
١ - ذات الرئة ، ٢ - ذات الجنب ، ٣ - ذات السحايا .
اما الرابع فهو (ذات الرابطة) وهو المرض الذي يلازم السيد عبدالوهاب
الصافي ويحمله على ذكر (الرابطة) في كل مكان وزمان اقول لقد كان الشيخ
محمد حسن حيدر احق من السيد عبدالوهاب الصافي بهذا النعت لكثرة ما اذاب
نفسه في خدمة هذا البلد . وكثرة ما كان يتردد اسم سوق الشيوخ على لسانه
وملاحظته لرجال الدولة في الاهتمام ببرى البلد وزراعته وسوقه وواليه وحده ينسب هذا
الفضل في التفات السلطات لوضع بعض الخطط في تأسيس (النواظم) واشغال
سوق الشيوخ بعض الحيز من اهتمام الحكومة بمشاريعها فكان احق بان يعتبر
مصابا بمرض (ذات الشيوخ) .

كان الشيخ محمد حسن مرآة لعدد من الصفات الحميدة وكان مثلاً من امثلة
الوداعة والطيبة وحسن النية اضافة الى ما عرف به من السخاء بالنفس وبما يملك
او ما هو تحت يده .

لقد كنا عنده ذات ليلة (بسوق الشيوخ) وقد ظابت نيلتنا وعذبت وكان وجود
السيد محمد جمال الهاشمي الذي كانت الشاعرية ، والظرف ، والعذوبة ، تطغى
عليه يومئذ اكثر من اى لون آخر من الوان التصدى للضلالة بالناس والانصراف الى
دراسة الفقه انصرافا كلياً فيشرح صدر الشيخ محمد حسن في تلك الليلة ويتغلب
على الهاشمي فيما يكيل له تعريضا من نظم مرتجل واسجاع فكاهية مضحكة ،
وارتج على الهاشمي المعروف بسرعة البديهة فلم يستطع ان يأتي بالجيد من الشعر

المرتجل بالهجاء المستساغ قبل الشيخ محمد حسن ، فظل الشيخ محمد حسن يعلو في هجومه الشعري ، وظل السيد محمد جمال يهبط حتى فشل فشلا ذريعا . واقتراح هناك المقترحون ان يتحول هذا السمر الى لون آخر من التهاجي ليس له بالشعر من صلة غير صلة المعنى وذلك بان يأتي احدهم بصفة فيأخذ الاخر الحرف الاخير منها ويأتي بالرد عليها بصفة مبدوءة بذلك الحرف كان يقول احدهم للاخر :

- بليد *

- فيجيبه الاخر *

- دلو *

- ويقول له -

- واوى

فيجيبه

- يزيد بن معاوية *

وهكذا يتخذ آخر حرف من الكلمة مبدأ تراعى فيه الحدود المعينة ، وهي لعبة شاعت بين جماعة من الادباء ، وتوسعت حتى حدد لكل مساجلة منها حدود معينة ، كان تكون المساجلة مقتصرة في تلك الجلسة على المديح ، او المهاجاة ، او الصناعة والحرف * !! أما النجاح فيها فلمن يكون اوسع افقا في عالم اللغة والادب ، واكثر انشراحا ، وتجاوبا للوقت ، واغلب ظني اني انا الذي ابتكرت هذه التسلية فشاعت يومها بين بعض الادباء *

وفي هذه المساجلة فشل السيد محمد جمال الهاشمي ايضا وتغلب عليه الشيخ محمد حسن حيدر للمرة الثانية وكان الشيخ محمد حسن قد ابدع في تلك المساجلة لما اتى به من طرائف النعوت والصفات المضحكة كل الابداع ونمت على وجه الهاشمي بعض الادلة من الخذلان فقام اليه الشيخ محمد حسن مستغفرا لانه قد بدر منه ما يخالف القواعد ، وانما لمجرد استظهاره على الهاشمي اجل لقد قام اليه معتذرا ومستغفرا وامسك بيده وقبلها عدة مرات ، ولم يتركه حتى اكد له السيد محمد الهاشمي بان المساجلة لم تترك في نفسه الما او اذى او اى شيء مما

يجرح شعور النفس ، وانما هو الفشل الادبي وحده ومع ذلك فلم ينم الشيخ محمد حسن في تلك الليلة حتى اطمأن بان السيد الهاشمي قد تام ملء جفيه وليس هناك ما يكدر خاطره

وحين اهدى لى الصديق السيد مير على ابو طيخ (دلة) قهوة مصحوبة بقصيدة ، اهدى لى الشيخ عبدالحسين الحلبي من البحرين (دلة) من قريض ، وهي اول دلة شعرية في عالم الادب وفي هذه القصيدة عزانى الشيخ عبدالحسين بقدى ابني (هاتف) وتعرض للشعراء الذين كانوا قد عزوني بشعر اعتبره الشيخ عبدالحسين الحلبي بمثابة (بغلة) اوقفوها الى جانب عدد من (نجائب) الشعر فكانت قصيدة الشيخ عبدالحسين قصيدة عامرة وقد تنقل فيها ، وابدع في التنقل الذي شهد ببراعته من غزل ، الى نسيب ، فمدح فرثاء فنقد ، فقال من جملة ما قال :-

يا (خليلي) وذا الذ نداء	من خليل اذا يخاطب خله
انت من بعض فضلك القوم تجني	لبنيتها ونفسها الفضل كله
انت احجى من ان تعزى بشعر	ما اقل الحجي اذا وأضله !!
لك من نفسك الكريمة سلوانا	وعرفانك التسلي وفضله
لك اهدى (نجبية) من نجيب	اوقفوا قلبها ببابك بغلة
البسوها من العويل ثيابا	وسقوها من واكف الدمع وبله
وحشوها من القديم حديثا	ما اجادوا ولا استجدوا اقله

الى ان يقول :

ليت كانت هديتي لك (دله)	ذات نهد يزيرن صدر (المجلة)
فادعها ذلة لتغني صبا	في هواء عن نضد اقوى الادلة
وافترضها ان شئت دلة تبر	رب فرض يطغى وينقع غله
واذا شئت سبكها من قريض	لم تصعب فدلة الشعر سهلة
واذا لم يصغ من الشعر ابريق	لماذا قد خيط او حيك حله ؟
هي ذى (دلة) تصاغ قريضا	لا بفرض ولا بطرق وشعله
لبست من ثواقب النجم تاجا	واعارت مصبها للاهله

وهاج وصف الشيخ عبدالحسين الشعراء وهاجم طعنه في شعرهم فردوا عليه بقصائد ومقاطع وكان من اولئك الشيخ محمد حسن حيدر الذي نظم قصيدة في اكثر من خمسين بيتا امتدح بها الشيخ عبدالحسين الحلبي واعترف بعجزه عن اقتفاء آثاره ولكنه قال رادا :

يا (خليلي) وتلك دعوة مضي بك والشوق في هواك أعله

قد قرانا (بهاتف) الحق شعرا من رثاء او من قريض بدله

طربا همت في معانيه حتى لمعالك من ضناه ابله

لك وافت هدية من (نجيب) حسب المهر في المضامين بغله

وعز على الشيخ محمد حسن حيدر ان يرى كل واحد يهدى شيئا للهاتف وهو لا يهدى فقال :-

هو يهدى اليك دلة تبر او لجين من الصفاء - وخله

واخوك الوفي يملك نخلا وهو يسخو متى اردت (بنخله)

هذه دلتى اليك فخذها فهي تسقيك من سلافة زحله

والنخل الذي يشير اليه الشيخ محمد حسن هو كلما يملك مما تركه له اباؤوه من مساتين وارضى واسعة ما لبثت ان تحولت الى نفقات انفق ابوه جلها على الناس وانفق الباقي الشيخ محمد حسن نفسه وصار يدلل بما بقى لكي ينفقه على الغير استجابة لسخاء نفسه .

قال لي السيد عبدالمهدي المتفكي في اثناء تشييع جنازة الشيخ محمد حسن حيدر قال :

لقد وجدت الشيخ محمد حسن كثير التأثر وهو على فراش الموت في المستشفى حين سمع ان الناس كانوا يندفعون الى التبرع للمدرسة الجعفرية ببغداد وهو لا يملك شيئا يجاريهم بالاندفاع ، فامسك بيدي وقال : لي اليك حاجة يا سيد عبدالمهدي ، وارجو ان تحققها لي وهي انه قد بقى لي من كل الذي كان وما خلفه السلف من ذلك الارث بستان يبلغ معدل ايراده السنوي خمسة واربعين دينارا فاذا مت فكل رجائي هو ان تتولى عني اهداء الثلث الذي يخصني من هذه البستان الى

المدرسة الجعفرية ولا تأخذك الشفقة فيمن كان يجب ان ينفق عليهم هذا البستان
وايراده •

لقد عدت في اواخر صيف ١٩٣٩ من لبنان فوجدت الشيخ محمد حسن
بمنزله في الكاظمين وقد علت وجهه صفرة باهتة وبدت آثار وعكة على مجياه وقبل
ان اسأله عن حاله قال :

- " اخي جعفر ... اوشكت ان اموت بعدك "

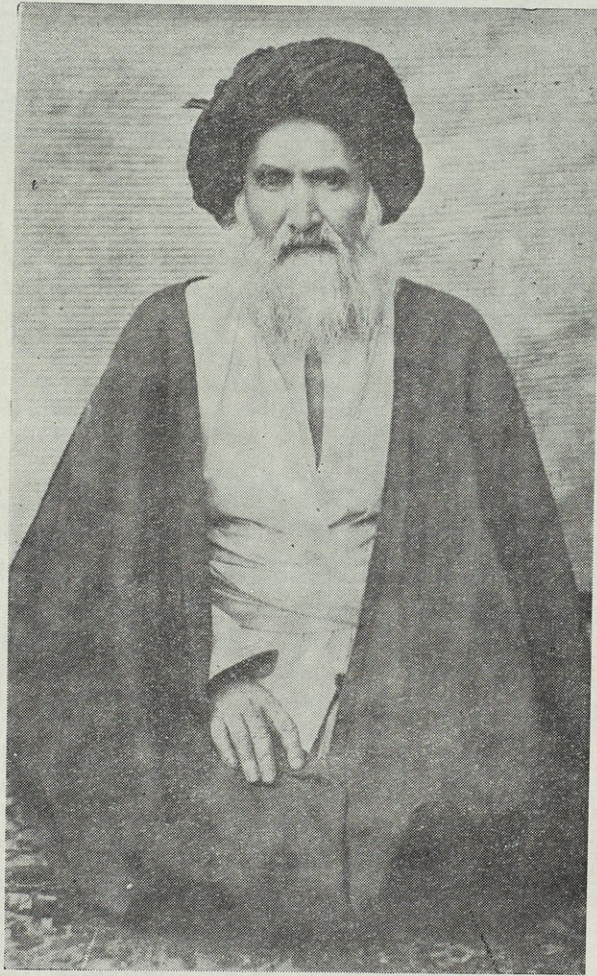
لقد قال ذلك بنبرة عاطفية فكأنه فرى قلبي بمدية ، ومنذ ذلك الحين لم يبرأ
الشيخ محمد حسن من علته ، ولم يشف من مرضه على رغم العناية الكبيرة التي
كان يبذلها الاطباء ، ذلك لان الشيخ محمد حسن كان مرهف الحس ، سريع الغضب
يثور لاقل حادث ، ولانه كان من جانب آخر كثير الاهتمام بالناس شديد الوفاء
للصديق • وكان من آية هذا الوفاء انه رقى منبر تأيين الشيخ جواد الشيبلي وهو
في اشد حالات المرض ، وتلا قصيدة في رثائه ولم يفد معه نصيح الناصحين وعذل
العاذلين •

وساعت صحته يوما بعد يوم منذ ان رفعت عنه الحصانة النيابية واحيل الى
المجلس العرفي للمحاكمة ، ولقد نظم عن مرضه وعما يكابد من علل وامراض
شعرا كثيرا وصور خيبة أمله بالاطباء في اكثر من موضع واحد من قصائده ومن
ذلك هذه الايات المقتطعة من قصيدة كبيرة :

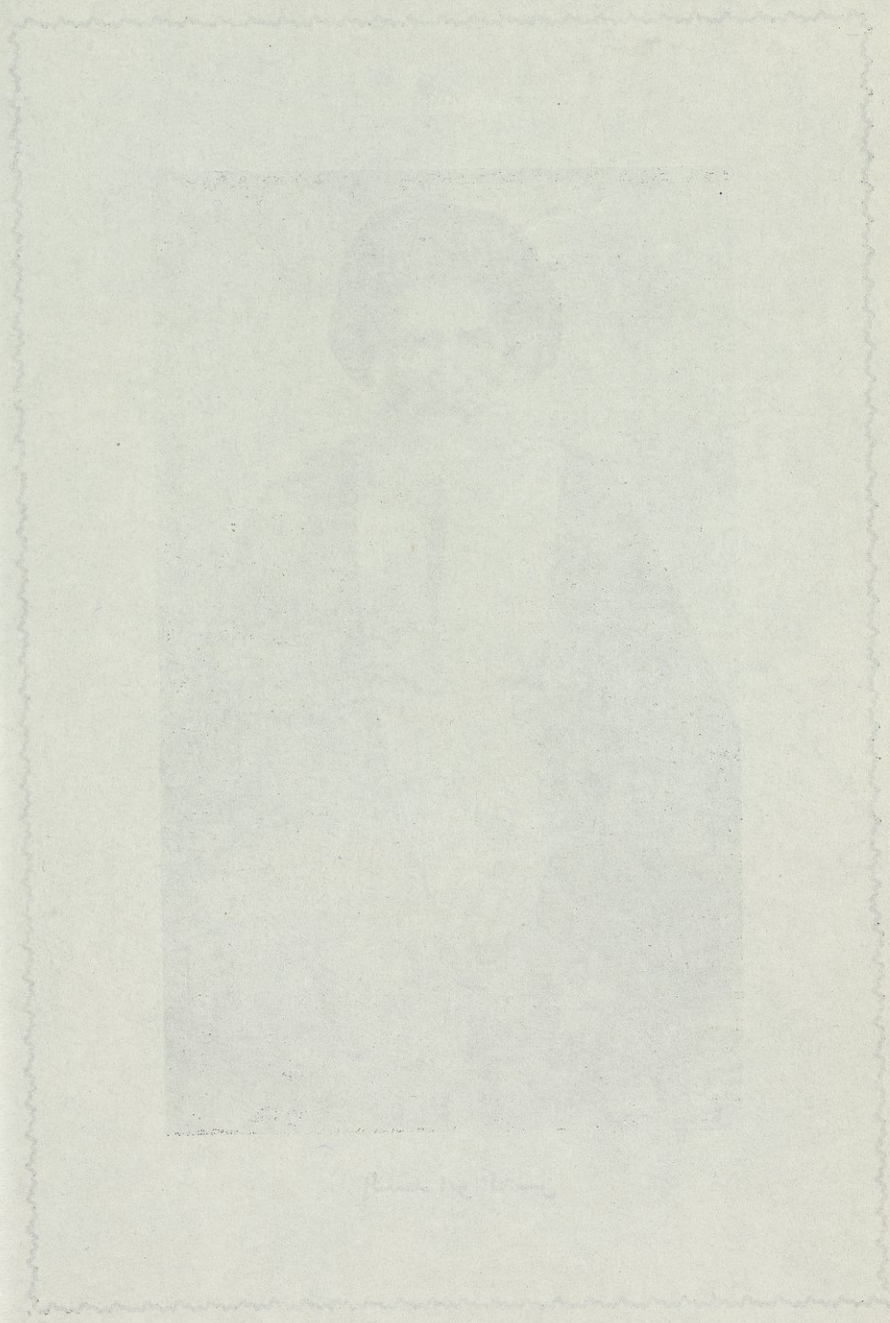
كم من طيب بانواع العلاج على يديه عالجت اسقامي ليريني
فما وجدت علاجا ناجعا ابدا بطبه مذ به اضحى يداويني
فالسقم لم يبق من قلبي ومن كبدي الا بقايا براها برى سكين

ولم يزل يمشى به المرض حتى لازم المستشفى زمان ثم لازم بيته ، وكنت على
صلة دائمة به وقد تولى السيد حمدي ال حمدي الاجابة على برقياتى ومكاتيبى حين
عجز الشيخ محمد حسن ان يكتب ، وبلغنى انه في مرحلته الاخيرة ، وحين ازمنت
النية على السفر الى السوق لزيارته ابرق الى حمدي ال حمدي بالتأخر لان المصلحة
اقتضت بنقله من السوق الى بغداد ، وحين صممت على السفر الى بغداد ، فوجئت

بخبز وفاته ونقل جثمانه الى مقره الاخير في التجف حيث مشيت مع المشيعين خلفه .
لقد فقدت بموته صديقا نبلا وفيما كريما طالما انست بروحه الطاهرة ، فكان
لموته وقع عظيم على نفسي وكان من اثره اني ظلمت لا اغمض جفني في كل ليلة الا
على ذكره الطيبة وهما مبتلتان بالدموع تلك الذكرى التي طالما ملأت قلبي دعة
ونفسي هناء ، وفراغ ايامي مسرات .



السيد ابو الحسن



السيد أبو الحسن^(١)

يرجع اول معرفتى بامام الشيعة الكبير السيد ابى الحسن الموسوى الاصفهانى الى ايام الطفولة التى تبلى الاعمار ولا تبلى ذكرياتها ، تلك الايام التى كنت اجلس انا وابنه الشهيد (السيد حسن) على مقعد واحد فى المدرسة العلوية بالنجف ، وكنت ككل التلاميذ شديد الحرص على ان يكون زملائى من الاولاد الاذكياء المبرزين ، او من اولاد الذوات ، فكنت اذا لم اهتم بزيملى من حيث نبوغه ، ورجاحة ذكائه ، اهتمت به من حيث نسبه ، وحسبه ، وقد قيل لى عن هذا الزميل ، ان اباه عالم من العلماء ، وانه امام جماعة يأتهم به بعض الصلحاء ، ولقد اتيج لى ان ارى والد زميلى هذا مصليا فى جهة باب الفرج من الصحن الشريف فى النجف ، وهو المكان الذى يقع خلف مصلاه الاخير بنحو خمسين قدما ، فرأيت فيه رجلا متوسط القامة ، نحيف البدن ، ذا لحية تتناسب مع صورة وجهه ، وعمامة سوداء تتناسب مع رأسه ، وقد ائتم به صفان من الرجال ، لا يزيد عددهم على عشرين مصليا ، عرفت منهم يومذاك التاجر الحاج عبدالرحيم البوشهرى ، والحاج اغا احمد الملا زكى ، وعرفتهما لانهما كانا من اعضاء المدرسة العلوية ، وكانا من انشط العناصر الآخذة بسواعد المدرسة المذكورة التى درست فيها ، وهما اول شخصين دفعا بالسيد ابى الحسن الى التقدم للصلاة والزعامة ، اما الباقون من المؤتمين فقد كانت هياتهم المختلفة تدل على تناقضهم من حيث قيمتهم الاجتماعية ، وظللت كلما دخلت الصحن عند الغروب وأيته فى المكان نفسه مصليا على فراش متواضع ، وسجادة بسيطة من المنسوج الرخيص ، فبأخذنى شىء من الخيلاء والزهو لان لى صديقا ابوه عالم ، وامام جماعة ، فكأننى لم ار عالما من قبل السيد ابى الحسن ، وكأنه ليس لى فى اسرتى اكثر من عالم ، وكان

(١) الهاتف - السنة الثانية عشرة - العدد ٤٣٦ تشرين الثانى ١٩٤٦ .

زميلي (السيد حسن) هذا معوزا ، ولم يكن حالي باسعد منه لو لم اكن مجهزا باللوازم المدرسية والكتب تجهيزا على قلته احسبه كان قريبا من سد الحاجة ، وكان ذلك سببا لاستعارة بعض الزملاء مني بعض تلك اللوازم في اغلب الاحيان .

وذات مرة ذهبت الى بيت زميلي هذا ، وكان يسكن احد بيوت آل الشهرستاني بالقرب من سوق العمارة ، لاسترد كتابا لي لا ازال اذكر انه كان كتابا في (العقائد الشرعية) وهناك رأيت اباه العالم وجها لوجه ، فقد فتح لي الباب بنفسه ، وكلم سرنى ان ارى العالم الرباني يكلمنى ، بل كنت فخورا اذ اتيح لي الكلام مع عالم علوى هاشمى مع ان فى اسرتى عددا من العلماء لم اعبأ بهم .

* * *

ولا ادرى الى كم ظل المؤتمنون بابى الحسن معدودين لاتريد صفوفهم على صفين ، ولكن علمت ان آل (الاخوند) كانوا يؤيدونه بكل ما يملكون من قوة ، ومن ورائهم بعض طلاب العلم الذين يحضرون درسه ، ولعل لتأييد آل (الاخوند) علاقة بتلمذة السيد ابى الحسن على يد ابيهم الاستاذ الاكبر الشيخ ملا كاظم الخراسانى المعروف (بالاخوند) او لعل له علاقة بوفائه لابيهم ، ذلك السوفاء الذى تجلى فى ساعة عسره واملاقه بابهى مثال ، واجمل صورة ، فقد بلغ السيد كاظم اليزدى وهو من مناوئى (الاخوند) يومذاك بسبب التقوى المتضمنة وجوب اقامة الدساتير البرلمانية فى الحكومة الاسلامية التى عرفت بحركة (المشروطة) ، اقول لقد بلغ السيد كاظم اليزدى ما هو عليه السيد ابو الحسن من عوز وفاقه عظيمين ، فارسل اليه بعشر ليرات ذهبية وهو مبلغ نه قيمته المادية يومذاك ، ليسد به بعض حاجته ، فلم يستسغ السيد ابو الحسن ، - وهو على ما كان عليه من املاق - ، ان يتناول هذه المساعدة من يد منافس لاستاذه (الاخوند) وان كان غيره لم ير فى ذلك بأسا ، فلقد استمال السيد كاظم اليزدى عددا كبيرا من تلامذة منافسه المقربين باعاناته ، وعلى رغم تأييد المؤيدين للسيد ابى الحسن فقد ظل عدة سنوات لايزيد على كونه امام جماعة صغيرة ، واستاذ حلقة اصغر ، وواحدا من عشرات الائمة والاساتذة الذين تعج بهم النجف يومذاك ، اللهم الا بعض مميزات كان ينفرد بها ، من قبيل نزوعه الى الحرية ،

وتشجيعه للاحرار ، والتبسط في التواعد الفقهية ، والتمسك بالجانب السهل المسموح
من الاحكام الشرعية ، ومع كل ذلك فلم يكن من الاعلام الخفافة قبل ان يحيل
المرجع الاكبر الناهض بالثورة العراقية ، الشيخ محمد تقى الشيرازى بعض الامور
الشرعية اليه ، فقد كان الشيرازى كثير الاحتياط في اعماله الشرعية حتى لقد كان
يحرم لبس (الشعرى) على الرجال ، والشعرى نوع من النسيج يأتى من الشام قيل
ان جميع سداه ولحمته من الحرير الخالص ، فضاقت مقلدو (الشيرازى) ذرعا
باحتياطاته الكثيرة لاسيما فى لبس (الشعرى) المؤلف لبسه حينذاك فى اوساط التجار
والايعان فرجعوا اليه يطلبون منه تعيين من يرجعون اليه فى احتياطاته اذا لم
يستطيعوا التمسك التام بتقليده فدعا الشيرازى وهو المرجع الاعلى حينذاك الى احد
اثنين هما شيخ الشريعة ، والسيد ابو الحسن ، اما شيخ الشريعة فقد كان فى مصاف
الشيرازى ، وانداده علما واجتهادا لذلك لم تكن الدعوة له كبيرة الفائدة فى شهرته
واما السيد ابو الحسن فقد نال من هذه الدعوة شهرة مكنته من ان يخطو خطوة
واسعة فى ميدان الظهور ، ومنذ هذا اليوم اى منذ اشارة الشيرازى بالرجوع للسيد
ابى الحسن والعمل فى المواطن الشرعية برأيه بدأ نجم السيد ابى الحسن يتألق ،
وبدأت صفوف المصلين والمؤتمنين به فى صلاته تزداد يوما بعد يوم ، ثم انضمت
اليه بعض العناصر الالامعة فزادته ظهورا وجلاء .

★ ★ ★

وقامت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وارتفع صوت الامام الشيرازى بوجوب
الدفاع عن حرية البلد ووجوب طلب الاستقلال فكان صوت السيد ابى الحسن
اعلى صوت بعد صوت الامام الشيرازى وبعد صوت الامام شيخ الشريعة ، واصبح
للسيد ابى الحسن اجتهاده الخاص فى المسائل الدينية ورأيه المستقل فى الامور
الاجتماعية ، لابل لقد اصبح يدنو بعد هذا التاريخ سريعا الى المرجعية العامة ، ومع
ذلك كله فقد كان احب اليه لو ان يظل مع الناس غير مترفع ولا شامخ .
وكانت (الفترات) يومذاك من احد العوامل لتعريف الناس بالعلماء ، أو قل

كانت احدى الدعايات الكبيرة للاشخاص البارزين - و (الفر) عبارة عن اسطوانة من القماش الابيض المشمع قامت على قاعدة من النحاس تسرج فيها شمعة ، وتحمل بواسطة حلقة نحاسية في قاعدتها العليا يحملها الخادم امام العالم سراجا يضيء له الطريق ، وكلما كان العالم كبيرا او كان الرجل محترما جليلا كان (فتره) اكبر وقاعدته اوسع ، فكان العوام والسوقة يرون في (الفر) ، وفي الخادم الذى يحمله من حيث عمته الكبيرة ولحيته البهية دليلا على عظمة العالم المجتهد ، او المخدوم الوجيه ، ولما كان الاطفال الصغار كالعوام ، وكالسوقة بدون اى اختلاف من حيث النظر الى الامور فقد كنت انا ارى رايبهم فى هؤلاء العلماء الذين يغادرون الصحن الشريف بعد اداء صلاة المغرب والعشاء واحدا بعد آخر وقد حملت (الفرات) الكبيرة امامهم ، ولكنى لم ادر لم لم تتغير عقيدتى فى السيد ابى الحسن الذى لم يستسغ حمل الفر امامه ، ولم يلجأ الى هذه المظاهر والتقاليد التى كان يلجأ اليها الاخرون .

وتقدمت بى السن قليلا ، فالفيت السيد ابا الحسن ينتقل من داره ليسكن دارا فى رأس شارعنا ، وعلى بعد مئة متر لا اكثر من بيتنا ، فيتسنى لى ان اراه كل يوم ، وما اكثر ما رأيتة وهو يحمل الخبز بيده وقد جاء به من السوق ، اما زميل ابنة فلم اعد اراه الا قليلا ونادرا فقد اعتم بعمه سوداء واتجه نحو درس الفقه والشريعة مقتفيا آثار رجال الدين ، وكان لابد ان يفرق بيننا الاتجاه ويجعل كلا منا فى ناحية ، ولو لم نكن جيرانا متقاربين لما رأى بعضنا بعضا .

★ ★ ★

وعرضت قضية انتخاب النواب لتأليف اول مجلس تأسيس للعراق فافقت العلماء بتحريم دخول معركة الانتخاب والترشيح لدخول المجلس نوابا مالم ينجل الموقف ، ويؤيد الانكليز ان ليس هنالك شىء اسمه (وصاية) أو (اتداب) أو (معاودة) ، وتأزم الموقف ، وكان السيد ابو الحسن من اشد العلماء تمسكا بهذا الرأى ، وكان يرى فى مخالفته مخالفة للشرع الاسلامى ، وخروجاً على تعاليمه حتى آل الامر الى

نفى العلماء الروحانيين ، واخراجهم من العراق الى ايران ، وهنا ظهر تعلق الناس
بالسيد ابي الحسن اشد واكثر ، واذا به مذكور اكثر من غيره من كبار العلماء
- الذين نفوا معه كالميرزا حسين الثاني - على جميع الالسنه وحين عاد العلماء من
ايران وعاد هو الى العراق كان هو السابق الى المرجعية الكبرى والزعامه الشيعية ،
خصوصا وان شيخ الشريعة كان قد توفى قبل ذلك ، وقد فرغ الميدان الا من بعض
اقران السيد ابي الحسن ، واذا بالطلاب الذين يحوطون منبره ، يغص بهم مجلس
الدرس أو (البحث) كما يسمى ، حتى لم يبق متسع لاحد ، واذا بهذه الجبهة
المخاصة من الصحن الشريف تضيق بالمصلين خلفه ، ثم تحف به جماهير الطلاب
والمراجعين في اثناء الخروج من بيته وعند العودة ، قبل الصلوة وبعدها فتحدث
ضجة كبيرة وكثيرا ما تقدمتها موجات من التكبير والتهليل ومع ذلك كله فقد كان
السيد ابو الحسن لا يملك دارا ولا يحمل امامه فنر وسراج ان مشى ليلا ، وليس
لديه من المستخدمين الخاصين احد بالرغم من تلك الابهة والعظمة التي تحيط به
عند خروجه من البيت للصلاة والدرس وعودته اليه وانتقل من داره ومن محله في
رأس شارعنا من المشرق وسكن دارا اخرى في رأس شارعنا من المغرب ، وعلى
نفس البعد ، وعلى مسافة لاتزيد عن مائة متر ، وكانت لوالدى به علاقة اعتيادية
ما لبثت ان قويت ، واصبحت صداقة كانت تحمل والدى على زيارته مرة في الاسبوع
أو اكثر .

وانى لاذكر زيارته لبيتنا عصر يوم من الايام وكان معه اثنان من حاشيته وقد
جاء لزيارة والدى عائدا على اغلب الظن ، وتناول عندنا الشاي ، وقد كنت انا الذي
اقدم الشاي له ، فسمعتهم يطربى شاينا بشيء من العجب ، فاخبره والدى بان الشاي
الذي يطريه انما هو شاي خاص يرسل لنا من ايران ، فقد كان لاخى الاكبر
عباس الخليلي صديق ايراني من كبار تجار الشاي في شغافهاى (الصين) اسمه
الحاج عبدالرسول على ما اذكر ، وكان يبعث لاخى في كل سنة بعدد مسن علب
الشاي المخومة ، فيبعث اخى بعضها الى والدى ، وكان والدى حريصا جدا على
هذا الشاي ، وكان يتأنق في شربه ، ولا يسمح لاحد بان يشاركه فيه ، وقد بلغ

أخي حرص أبيه هذا واعتزازه بهذا الشاي ، فزاد حصة أبيه مما كان يصله في كل سنة ومع ذلك فقد ظل والدي عند حرصه وشحه ، حتى قال أخي لأحد أصدقائه النجفيين الذين يسكنون طهران - وكان قد اعتزم السفر إلى النجف لزيارة أبيه وأرحامه - لقد قال له أخي على سبيل الدعابة وهو يكلفه بحمل مقدار من الشاي الينا ، قال :

- حذار ان تخون الامانة ، وتلاعب بشاي ابني في الطريق ، فانك ان فعلت ذلك فمن الهين اذا كنت انا (سألن لك اباك هنا بطهران) ، فان ابني في النجف سيلعن لك ابا بليك هناك وهي ام المشاكل كما قد تعلم

أقول لقد أطرى السيد أبو الحسن شايئا ، وبشارة خفيفة لاحت لي من ابني أدركت مقصوده ، فأتيت للسيد ابني الحسن بعلبة مخنومة من هذا الشاي الذي صرنا نبغث إليه بعد ذلك بعلبة منه كلما بعث لنا أخي شيئا منه على ما أتذكر

★ ★ ★

وبعد مدة يتقدم (السيد أبو الحسن) فيشتري الدار المتصلة بدارنا تماما من جهة الغرب ، وينقض بعض بناء البيت من أساسه ، ويدخل على البعض الآخر شيئا من التحسينات ، ولما كانت العادة المتبعة ان يولم الجيران للجار الجديد وليمة عشاء او ان يهادوه بمقدار من السكر والشاي ، فقد بعث والدي بعدد من الاوز (البط) وعدد من كؤوس السكر إلى بيت (السيد أبو الحسن) جريا على هذه العادة ، ولا أدري إلى كم بقينا جيرانا ، ولكنني أعلم انه لم يمر كبير وقت حتى كاشفنا السيد أبو الحسن باحتياجه إلى شراء دارنا ليتخذ منها ديوانا لزيارته ومراجعته ، فقد اتسعت دائرة أعماله كثيرا واصبح لا يرى طريقا لانساع بيته الا من جانبنا ، لان الجانب الغربي كان يحد مدرسة (الايرواني) وهي مدرسة موقوفة لا يجوز بيعها وشراؤها ، واما الجانب الخلفي فهو يحد شارعاً من الشوارع كجانبه الامامي تماما لذلك انحصر امر التوسعة بدارنا ، فاشترأها ، ولا تزال الدار حتى اليوم على هيأتها وبنائها لم يتغير فيها الا شيء يسير ، واني لادخلها كلما طلبت زيارة (السيد) فاتحسب

باصبعي مواطن حياتي الخاصة في هذا البيت من محل نومي ، وفعودي ، وملعبي ،
 ومكتبي ، فكنت أقول لنفسي : هنا كنت اجلس ، وهنا كنت العب ، وهنا كان مجلس
 ابي ، وهذه هي غرفة امي وكم حدثتني نفسي ان اطلب الدار من (السيد)
 ليعيدها لي لانها مسقط رأسي ومهد احلامي وعش الذكريات التي تملأ
 قلبي دعة واطمينانا ولكني كنت اري (السيد) اكثر مني حرصا عليها ، وانها
 احب سكن الى نفسه ، وادناه الى رغبته ، فاقع في خجلي ، واخرج وانما مثقل
 بذكريات الطفولة ، مغرورق العينين بالدموع وكنا قد اشترينا احد بيوت
 اسرتنا وبعدها عن (السيد) ولم اعد اراه كل يوم كما كنت اولا ، ولكن
 صورته كانت قد ملأت نفسي كلها واتسعت شهرة السيد ابي الحسن وعبرت حدود
 العراق وايران الى جميع الاقطار الاسلامية وكان حديث علمه ورجاحة عقله في
 استنباط الاحكام الشرعية ، وسلامة ذوقه ، جعله حديث الناس في جميع مجالسهم
 فلم يكن يمر يوم دون ان يذكر له رأى جديد في الاحكام الشرعية ، وتبسيطه
 الكثير من العقد الفقهية ، فهو الذي حكم بان لكل قطر اقله في رؤية الهلال ، فاذا لم
 يثبت هلال ذي الحجة في العراق فليس من الشرط ان لا يثبت في الحجاز والاقطار
 الاخرى ، وان على كل حاج ان يتبع افق مكة دون الالتفات الى قطره وقبل هذا
 الحكم كان الجميع في اختلاف كبير بصدد موقف الحاج ، ولربما وقف المسلمون
 موقفين مغايرين في يوم عرفة ثبوت العيد عند البعض وعدم ثبوته عند البعض الاخر ،
 والى حد الان ولا يزال البعض من المسلمين غير متفقين في رؤية الهلال ، ولكن الذين
 بدركون قد اتبعوا رأى السيد ابي الحسن واعتبروا افق الحجاز هو المقياس
 الصحيح وليس افق اخر غيره في ثبوت الهلال وعدم ثبوته وهم في الحج

والسيد ابو الحسن اول من اقبى باباحة تأجيل الكفارة من الذبائح في الحج
 الى حين حصول القناعة بامكان الافادة من لحومها ، ذلك لان (الكفارة) قبل فتوى
 السيد ابي الحسن كانت تفرض القيام بها حالا فيجري ذبح الذبائح وتتكدس اللحوم
 بدون ارتفاع لكثرتها في مواطن الحج

والسيد ابو الحسن هو الذى جرأ فحرم ضرب الرؤوس بالسيوف ، ولطم الصدور ، وضرب الظهور بالسلاسل ودق الطبول والصنوج ، والمزامير وما يجرى عادة فى ايام عاشوراء باسم الحزن على ابي عبدالله الحسين .

وهو الذى كان يرى ان الطهارة تشمل عناصر كثيرة ، ومواد كثيرة مما تضيق بها دائرة العلماء الاخرين فكان لا يستجس ارباب الاديان الاخرى من اهل الكتاب ، وله فى ذلك رأى خاص يخالف آراء الكثير من معاصريه من علماء الشيعة ، وهو الذى كان ينصح الراغبين بوقف املاكهم بالعدول عن تنفيذ هذه الرغبة نظرا لكثرة البراهين الدالة على ضياع الوقف ، وانتهائه الى مختلف الايدي العائنة ، وكان يقول بافضلية الاتفاق فى الوجوه المطلوبة عاجلا والتحرز على قدر الامكان من الوقف الايل لتلف والضياع المحتمل .

وهو اول مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة من زوج كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات فلم تجد المرأة من ينفق عليها فتولى هو طلاقها ولربما كان هذا الحكم هو الاول من نوعه منذ اول قيام الاسلام حتى ذلك اليوم (١) .

واحدثت مرة كلمة نشرت لمعروف الرصافي عن وحدة الوجود - وهى كلمة من اصل كتاب خطي للرصافي (٢) - ضجة كبيرة اثار علماء بغداد فافتى السيد ابراهيم الراوى بكفر الرصافي وتبعه علماء آخرون فجاء أحد الفضلاء بتلك الكلمة موفدا من بغداد لاطلاع علماء النجف عليها واستصدار فتوى مؤيدة لفتاوى بغداد ، واستمهل السيد ابو الحسن الرسول القدام حتى يقرأها وفى اليوم الثانى قال السيد ابو الحسن للرسول: - انه لا يستطيع ان يوافق على اعتبار الرصافي كافرا بمقتضى منطوق هذه المقالة ، وذلك لان مثل هذا رأى كثيرا ما قال به بعض علماء المسلمين ولم يكفرهم فيه احد .

قال لى الشيخ عبد الحسين البشيرى ، وهو من العلماء الروحانيين الذين اوفدهم السيد ابو الحسن للشمال واليه يرجع الفضل فى اعادة قسم غير قليل من المغالين

(١) ظهر لى بعد ذلك ان الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء كان اسبق من السيد ابي الحسن فى هذه الفتوى .
المؤلف

(٢) لقد رأيت مسودة هذا الكتاب بكامله عند كامل الجادر جى ، وقرأ لى فضلا منه .
المؤلف

- الذين يقدون على الامام على صفات لايجيزها الاسلام - الى حظيرة الاسلام ، قال لى
الشيخ البشيرى : ثم يبق لدى شىء بعد ان غيرت لتلك الطائفة عقائدها ، وطقوسها ،
الا ان احملها على اكرام شواربها ، (وقد كان الجميع من تلك الطائفة تقدر
الشوارب ، وتعنى بها وتعهدتها) فقلت ، قال البشيرى سأنتهز من يوم (زيارة الاربعين)
التي يقدم فيها الزوار على زيارة كربلاء والتجف من جميع الجهات ، لاعرض هناك
الفكرة على السيد ابى الحسن ، واطلب منه ان يشير على من يزوره من تلك الطائفة
اشارة خفيفة برغبته فى اكرام الشارب ، وتخفيفه على الاقل وانا الضمين بانهم
سيفعلون ذلك عن طيبة خاطر اذا احسوا برغبة السيد ابى الحسن .

وقال لى البشيرى - وحين ذآكرت السيد ابا الحسن بذلك انتفض السيد وقال:

- مالك وهذه القشور؟ ولم لاتترك الناس على سحيتهم !

وجعل علمه منه واجتهاده ، وسلامة ذوقه ، وحسن سليقته فى استنباط
الاحكام وتطبيقها ، رجلا فذا ومن الروحانيين الافذاذ فى التاريخ وبقي عليه ان
يثبت لياقته وحكته الادارية لهذه الزعامة الدينية ، ولعل هذه اللياقة هى أهم بكثير
من اللياقة العلمية ، فلقد كان فى السلف من العلماء من كانوا كالشمس فى رائحة
النهار من حيث المقدرة العلمية ، اما المواهب الادارية والحكمة التى تتطلبها الزعامة
فقد كان الكثير منهم دون درجة السيد ابى الحسن الاعتيادية اذ كان السيد على
جانب كبير من تلك الموهبة التى يفتقر اليها المجتمع فيتطلبها فى الزعيم الروحاني ،
اضعاف ما يتطلب العلم والمعرفة وان العلم والمعرفة انما يطلبان فمن اجل الحياة
العملية ، والسيرة المستقيمة التى تحكيها اخلاق الزعيم وحكته .

وجاء دور تجربة الاخلاق وما ينبغى ان يوصف به الانسان فضلا عن الزعيم
فكس السيد ابو الحسن عن نفسه صورا رائعة لسمو الخلق ، وعلو الهمة ، والنبيل ،
والجراة ، والسخاء ، وكان لقوة ارادته وعدم مبالاته بمناوئيه وخصومه الذين
اطردت نسبتهم مع اطراد تقدمه فى ميدان الزعامة والشهرة شأن يذكر عند الذين
وقفوا على حقيقته وعند من يقيس اكثر الامور بمقياس منافعها الخاصة ، واضرارها .

وقد انتهز السيد صالح الحلبي فرصة تحريم السيد ابي الحسن شبح الرؤوس
بالسيوف ، في شهر (محرم) ، والضرب على الظهر ، والصدور بالسلاسل ، لقد
اتتهزها فرصة فشن على السيد ابي الحسن غارة واسعة عنيفة بكل معنى العنف ، ولم
يتترك لونا من الوان الزرارية بالكناية ، والتصريح ، الا وصبح به السيد ابا الحسن من
فوق المنابر التي كان يرقاها السيد صالح فكان يتصرف من فوقها يعقول المستمعين
تصرف المالك ، ويميل بها اني شاء بما كان يملك من مقدرة ، وموهبة ، وجسارة
رفتمه الى اعلى الدرجات في سماء الخطابة ، والبلاغة .

والسيد صالح الحلبي نشأ او ما نشأ طالبا من طلاب الفقه والدين ، فدرس
العلوم العربية على طريقة عصره وولع باستظهار طائفة من نصوص البلاغة فحفظ
القرآن ، وحفظ (نهج البلاغة) عن ظهر قلب ، ثم رقى المنبر ذات يوم في بيت
صديق له بمناسبة (محرم الحرام) حين استبطأوا مجيء الخطيب ، فآنس في نفسه
مقدرة وزاده اعجاب المستمعين اليه رغبة في الاستمرار على صعود المنابر ، فلم
يلبث حتى امتهن الخطابة ، وصار اشهر خطباء المنابر الحسينية على غير قصد سابق .
واجتمعت المقدرة والجسارة واللسان الذرب فيه فأخرجت منه شخصا قليل النظير بهابه
الجميع ، ويخافه الزعماء ، ولقد بلغ من مقدرته ان التزم قراءة المأتم الحسيني
لجمعية (المكاريين) الذين يؤجرون حميرهم وبغائهم للمسافرين بين النجف والمدن
المتصلة بها ، فقرأ لهم عشرة أيام بل الاصح انه حاضر لهم عشرة ايام لان خطب
السيد صالح كلها اشبه بالمحاضرات منها باى شىء اخر فلم يخرج خلال هذه الايام
العشرة عن حديث الحمير ، والبغال ، والقوافل ، واخبارها القديمة ، والحديث ،
وقصصها ، فكان الناس بمختلف طبقاتهم يعافون اشغالهم ويحضرون تلك المحاضرات
التي ظلت مدة طويلة موضوع احاديث الناس وتفكهم ومثار اعجابهم وغبطتهم له
على هذه الموهبة .

ومن ميزات السيد صالح انه كان سريع الحفظ ، وكانت بينه وبين الشيخ
كاظم السبتي - وهو من مشاهير الخطباء المعاصرين - غضاضة ، فلم يكذب يسمع
الشيخ كاظم يقرأ لنفسه قصيدة في رثاء الحسين على المنبر حتى يحفظ الكثير من

اياتها لاول مرة وهناك يصعد المنبر فى نفس اليوم ، او اليوم الاخر ، ويقرأ شيئاً مما كان حفظ من قصيدة الشيخ كاظم السبتى ولربما اضاف اليها اياتا اخرى منه ثم يروح منددا بالسبتى قائلاً - ان هذه القصيدة قصيدة قديمة وهى لاحد الشعراء القديما ، وذلك بدليل حفظى لها من ايام الصغر ولكن بعض المعاصرين - وهو يعنى السبتى - يستغلون جهل الناس فينسبونها لانفسهم

هذا السيد صالح كان رجلاً شعيماً ، وكان كلامه يفعل فى مستمعيه فعل السحر واكثر ، وكان يؤلف قوة جد كبيرة لمن يستطيع ان يستميله ، وقد وقف الى جانب الدستور (المشروطة) والانقلاب العثمانى وقفة مشرفة ، كان لها قيمتها وشأنها فى تهيئة النفوس لقبول الدستور ونشر الحرية .

ولقد بلغ من جرأته ان تحدى الكثير من كبار العلماء فى عصره بشعره ، وكنايته وامثاله فلقد قال عن السيد كاظم اليزدى :

فوالله ما ادرى غدا فى جهنم (أيزديها) أشقى الورى او يزيدها

وقال عن الشيخ كاظم الخراسانى (الاخوند) وقد كان السيد صالح من مؤيديه ولكنها الشنشة التى عرف بها هى التى تحمله على ان يقول فى الذين يؤيدهم او الذين يخاصمهم على السواء :

وفتاة تقول وهى تصب الماء قلدت (كاظما) قلت (صبى)

ويقصد بالصبى هنا (الصابئى) فى اللغة الدارجة ، ثم هنالك تورية اخرى غير صب الماء وغير الصابئى وهى ان (كاظم صبى) وقد كان رجلاً من زعماء اهل السلاح فى النجف ، وليس له بالعلم واندین شأن وقال البعض ان هذا البيت قد قاله فى السيد كاظم اليزدى وليس فى الملا كاظم الخراسانى الاخوند - وقال الآخرون بل ان هذا الشعر ليس للسيد صالح وانما المنشد له كان السيد صالح .

وكان السيد صالح من مؤيدى الحاج ميرزا حسين الخليلى ، وقد جاءه وهو جالس يتقبل تهناتى القادمين بمناسبة زواج ولديه ورجا منه ان يكتب له كتاباً فى حاجة عسيرة شق عليه انجازها وطلب من (الشيخ) ان ينجز له الكتاب حالا ففعل ،

وحين ختم الشيخ الكتاب كما طلب السيد صالح ، قال السيد صالح للشيخ الخليلي
 لقد اعددت لهذا اليوم قصيدتين احدهما تتضمن تهنئتي ، والثانية تتضمن هجائي ••
 وقلت اني ساقراً قصيدة التهنة اذا انجز (الشيخ) مهمتي ، وسأقرأ الهجاء اذا امتنع
 الشيخ ان يقضى حاجتي •• وهنا قبض الشيخ على الكتاب ، وقال للسيد صالح - اذا
 كنت تريد انجاز مهمتك بهذا الكتاب الذي استكتبته فلن تحصل عليه ما لم ترق
 المنبر ، وتقرأ الهجاء الذي اعدته •• فالتوى السيد صالح وتمانع ولكن الشيخ
 أصر ، وأنس السيد صالح في الشيخ رغبة لسماع هجائه ، فطاع ومع ذلك فلم يكن
 يهم السيد صالح ان يكون الشيخ راغبا او لا يكون ، كما لا يهمه اذا اقتضى مزاجه
 ان يقول كل شيء في احد سواء كانوا ممن يدين لهم بالولاء او من صنف آخر •
 وصعد السيد صالح المنبر وهو يضحك ، وقرأ قصيدة هجاء فاخرة استطابها
 الشيخ ، واستعادها له مرات ومرات وهذا مطلعها :

الله آل النبي حقهم ما بين آل (الخليل) مقسّم

لقد كان الجميع يخشون السيد صالح ، ويخشون صولته ، وانا اعتقد ان عمنا
 الحاج ميرزا (حسين الخليلي) لم يحمل السيد صالح على قراءة هجائه وارغامه على
 صعود المنبر بناء على عدم اكرائه به وعدم خوفه منه ، وانما لان طلب الشيخ ان
 يسمع هجاءه من السيد صالح يعتبر ضربا من ضروب التوقى من نشر السيد صالح
 هذا الهجاء ولونا من الوان مجارة السيد صالح فضلا عن ان الحاج ميرزا حسين كان
 له طبع ادبي كثيرا ما دعاه ان يتحرى النكتة ويأنس بها والا فانتى لا اجرده من
 الخوف من السيد صالح بعد ان خافه الجميع وتوقوه وحاذروا منه وحاولوا ان
 يضموه الى جانبهم ليكسبوا به تحقيق اهدافهم ، او يأمنوا على الاقل من شره •••
 الا السيد ابا الحسن هذا الرجل الذي لم يهتم بالسيد صالح ، ولم يكثر بما لفق ،
 واشاع ، وعمل ، فلم يخف السيد ابو الحسن على مركزه الديني الذي كان ينافسه
 عليه انداد لهم شأنهم في الزعامة الدينية كالميرزا حسين الثائني ، والشيخ احمد
 كاشف الغطاء ، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، بل ابدى السيد ابو
 الحسن من الجرأة ما حملته على تحريم الاستماع الى قراءة السيد صالح ••!!

واندفع السيد صالح بكل قوته الى محاولة تحطيم شوكة السيد ابي الحسن بما كان يلقيه من خطب رنانة ، ولكن القتوى بتفسيقه ، وتحريم قراءته بدأت تعمل اكثر من سحر السيد صالح في نفوس مستمعيه ، وقد كثر الحديث في جميع الاوساط والمدن ذات العلاقة بقضية التحريم حتى لقد ارخ الشيخ على بازي هذا التحريم بالبيت التالى :

ابو حسن أفتى بتفسيق صالح قراءته ارحتها (غير سالحة)
وجاء وجوه الحلة وأكابرها بالسيد صالح مسترضين السيد ابا الحسن وملقين به على قدميه ولكن السيد ابا الحسن لم يلبن ، ولم يغير رأيه فيه ، قائلا ان السيد صالح كحرف (أى) التى قيل عنها (اى كذا خلقت) .

وعلم السيد ابو الحسن الكثير من العلماء درسا لم يعرفه الا القليل منهم وهو ان مجازاة العوام الى منتهى حدود المجازاة على حساب المصالح الخاصة يجب ان يتجنبها المجتهد ، والنزيم الدينى ، وان كان فى ذلك خسران لزعامته ، وفقدان لمركزه ، لان السيد ابا الحسن حينما قام بتحريم الاستماع الى قراءة السيد صالح الحلى لم يتأكد من نجاحه قبال ما يملك السيد صالح من رصيد شعبى ، ومقدرة سحرية طالما ضمنت له التصرف بعقول الناس تصرفا عجيبا ومع كل هذا فقد اخذ على السيد ابي الحسن فقدان الجرأة والصدع بما يعرف فى كثير من المواطن الاخرى .
وذبح ابن السيد ابي الحسن المدعو (بالسيد حسن) والذي كان زميلى فى المدرسة العلوية ، لقد ذبح وهو ساجد يصلى خلف أبيه فى احد صفوف الصلاة المتراسة ، كما تذبح النجاج وذلك على يد احد طلاب العلم الذى ثبت جنونه بعد ذلك ، فما تحرك الاب من مكانه . . !
وما علق على ذبح ابنه بشئ غير حوقلة ما سمعها احد منه اكثر من مرة واحدة . . !! وفى اليوم الثانى مشى السيد ابو الحسن مع الماشين خلف جنازة ابنه الذبيح ، وبعد اداء الصلوة قصد بيت (الاخوند) حيث قضى بضع ساعات هناك لم يره احد جازعا ، ولا باكيا ، ولا متجهما ، وكان لصبره ، وحلمه ، كما كان لجرأته ، وقوة ارادته ، الثبأن العظيم عند متبعى حركاته وسكناته .

و كنت يومذاك اصندر جريدة (الفجر الصادق) فى النجف ، فحملتني حقوق الزمالة ، والصدقة للشهيد المرحوم (السيد حسن) و حملتني حقوق الجوار ، وما وقع من ظلم على هذا الشهيد ، ثم اعجابني بالسيد ابى الحسن ، كل ذلك قد دفعنى الى ان اعنى بقضية هذا الشهيد ، عناية فائقة ، واصدر ملحقا خاصا من الجريدة بمقتله ، واسباب هذا القتل ، ثم رحت اتبع محاكمة المجرم واولى اخبار الوفود ، ومواكب الغزاء التى كانت تقدم النجف بهذه المناسبة من جميع المدن ، لقد كنت اولى ذلك اهتماما فائقا ، فكان ذلك اول حجر اضعه فى بناء صلاتى الخاصة بالسيد ابى الحسن ، فقد رأيت ذات يوم فى الطريق ، وحين اقبلت عليه مسلما تتم بضع كلمات فهمت منها انه يسأل عن احوالى ، ولم يكن يفعل ذلك من قبل

وفى مجلس الفاتحة التى اقيمت بمناسبة وفاة والدى حضر (السيد) الفاتحة ثلاثة ايام متوالية ، وخصنى بعناية منه فى عبارات التعزية ، والدعاء لى بالخير ، وهو مالم يعمل للغير الا نادرا لكثرة اعماله ، ومشاكله ، ولمست محبته بجميع شعورى واحساسى ، ولا اعرف لتلك المحبة سببا غير ترفعى عن اى طمع فى جاهه ، وشهرته ، وماله ، ولم يكن ترفعى بداعى الاستكاف وما شابه ، وانما كان بداعى الحقيقة التى جيت لى هذا الرجل وانا صغير لم يزد عمرى على عشر سنوات ، واستطيع ان اقول ، ويدعم قولى المطلعون اننى كنت من اولئك القلائل - وهم معروفون - الذين نالوا شرف الاتصال بالسيد ابى الحسن على اساس الولاء والاخلاص ، بدون ان تشوب ولاءهم واخلاصهم أية شائبة مادية او مصلحة خاصة ، والفيت نفسى اقرب اليه يوما بعد يوم ، كما الفيت نفسى واسع الجاه عنده فلم ابخل بجاهى على بعض المعوزين ممن يلتمسنى فى قضاء حاجته عنده ، واذكر مرة جاءنى فيها صديقى الشيخ (محمد رضا ذهب) يلتمسنى ان اكلم السيد ابا الحسن بمنح الشيخ عمران الدجيل (وكالة) تخوله ان يكون عالما لناحية (الحمزة) فرفضت ذلك لانى لم اجد من المناسب التكلم فى قضية تتعلق بالدين ، ذلك لان واحداً مثل لايسوغ له الادب والعرف ان يتدخل فى امر لايعنيه ، ولا يعرف مقتضياته ، خصوصا مع رجل كالسيد ابى الحسن ،

وفي امر يتعلق بوكالة الشيخ عمران ولكن الشيخ محمد رضا ذهب اصر واصر وقال انه لا بد وان يكلمه واحد مثلي وما زال بي حتى اقنعني بوجوب مواجهة السيد والتحدث معه في هذا الامر ! !

وجئت الى (السيد) عصر ذلك اليوم ، وانا اكاد اذوب خجلا لارغام نفسي على التدخل في شؤونه الخاصة ، وقلت له اننى لا اريد ان ازج بنفسي فيما لا يعينى حينما اطلب من سيدى منح الشيخ عمران الدجيلي وكالة يستند اليها فى ادارة شؤونه بناحية الحمزة ، وانما ارجو ذلك اذا لم يكن فيه بأس شرعى او مشكلة اجتماعية - قال - كيف تريد منى ان ابعثه وكيلا لجماعة قد لا يعتبرون الاصيل ، وهو انا ، ولا يرجعون اليه فى تقليدهم ؟ قلت - اذا كان هذا هو السب وحده فانى واجد له حلا ، وهو ان يكتب سيدى الكريم للشيخ عمران وكالة مطلقة ، لايشير فيها الى ناحية الحمزة ، فان نجح الشيخ فى (الحمزة) كان هو المطلوب ، والا فكأنه لم يوفد لهذه القصة مادامت وكالته التى يحملها وكالة عامة وليس هنالك من يؤاخذ (السيد) عليها ، اذ ليس من بأس اذا لم ينجح فى تمثيله الدينى هناك فتأمل (السيد) قليلا ثم تناول القلم وكتب الوكالة المطلوبة ، ولم يكن هذا دليلا على ايثاره اياى كما كان دليلا على سلامة ذوقه ، وتمسكه بالمنطق ، ولو كان آخر غيره لرفض كل حل يأتى به واحد من امثالى ، وعن طريق غير طريق المعممين فى شأن دينى مثل هذا لدى واحد من امثاله .

وكثرت زيارتى له فى مناسبات العيد ، والوعكة ، والعودة من زيارة العتبات ، فكنت ارى من لدنه عطفًا خاصا ، واهدى الى ذات يوم وانا عنده علبة من الكز (من السماء) بدون أية مناسبة فاجذتها شاكرا .

لقد كان يتبع جريدة (الهاتف) ويقرأها دائما ويقرأ ما يخصه مما ينشر فى بعض المناسبات ، فلا يشير الى ذلك شئ ، ، كانه لم يكن قد رأى او قرأ ، وكان ذلك مما يزيد عظمته فى عيني ، ويزيدنى اخلاصا له وعقيدة بكبر نفسه ، ولقد علم ذات مرة بانى قد نشرت برقية جاءته من جلاله

شاه ايران ، وكان لنشرها اهمية عامة يومذاك ، ولا ادري لاي سبب لم يرد هو
نشرها ، وكانت الجريدة لم توزع بعد ، ولم تحمل الى البريد ، فجاءني صهره
السيد مرزى حسن البجنوردى ، وابنه الحاج اغا حسين ، وطلبا الى اتخاذ كل تدبير
للحيلولة دون نشر هذه البرقية لان (السيد) قد علم بخبر نشر البرقية بطريقة ما
قبل توزيع الجريدة ، ولا ادري كيف علم ؟ وقد رأى من المصلحة التى قدرها هو ،
وجوب حذف البرقية قبل انتشار جريدة الهاتف وتوزيعها ، وكان الحل اما ان
يكون بتأخير العدد عن الصدور فى ميعاده من الغد ، او قص الخبر من الجريدة ،
واخيرا فضلت الحل الاخير ، وكثر حول هذا القصد السؤال والجواب من لدن جميع
الجهات ، وعلى الاخص الجهات الرسمية ، ومنه يتضح للقارىء اهتمام السيد ابى
الحسن بما كان ينشر ، وان لم يتظاهر بذلك ، وقد رأيت يدخل مجلسا عقيب هذا
الحادث بيومين ، وكنت انا فيه ، وكان مجلسى بعيدا عنه فخصنى بالفتاته ، وسأل عن
حالى ، فلم اسمعه لذلك لم التفت اليه واذا بعدة اشخاص يتبرعون بايصال صوته الى
مسمعى ، وتسيهى الى هذا اللطف ، وكان لطفه هذا بمثابة الرضا منى ، لقيامى بحذف
الخبر من الجريدة ، وكان التفاتا معززا لى عند من رأى هذه الالتفاتة .

وعلى كثرة مشاغله فلست اذكر يوما صدنى عن مقابلته او ارجأ ذلك الى وقت
آخر ، وكنت كلما دخلت عليه الفيت رزمة من الكتب المرسله من مختلف الجهات
كان يطالعها بنفسه ، ويحجب عنها بنفسه ، ولقد قلت له ذات مرة لم يعهد بهذه
الكتب الى معتمد يقرأها له ويعرض عليه مضمونها ليريح نفسه بعض الراحة ؟
فاجاب انه تعود هذا العمل ولا يرى فيه اى بأس . . . وانا اعتقد انه كان قليل
الاعتماد على الحاشية وقليل الوثوق منهم ، ولكنه لم يشأ ان يقول لى ذلك .

وعلى كثرة السؤال وارباب الحاجة على بابه فلا اذكر انه رد احدا عن نيل
كرمه ، وعطائه ، الا نادرا فهو والمال عدوان لدودان لايجتمعان وانه ليحسن انفاق
المال فى محله ، ويحسن العطاء فى محله ، لحد قد لايحسنه زعيم دينى آخر
ولقد عرف فيما عرف به ان امام الثورة الميرزا الشيرازى حينما عرف حاجته وعوزته بعث

له بمبلغ خمسمائة ليرة ذهبية ليشتري بها دارا له وذلك فى ايام حاجته وضحكه ، فلم يمد يده الى المبلغ بل اودعه لدى بعض الخبازين وبدأ يحوله خبزا للطلاب ، والفقراء المعوزين ، ولقد كلمنى صديقى السيد (مير على ابو طيخ) مرة بالسعى فى رفع ما علق بذهن السيد (ابى الحسن) عنه ، وطلب منى استحصال موافقة على تصرفه اى تصرف (السيد مير على) بنصف المبالغ التى تخصص احد ارحامه بصفتها حقوقا شرعية اشترط ذلك القريب ان تعطى بيد السيد (ابى الحسن) نفسه ليتصرف بها كيف شاء وحين كلمت السيد ابا الحسن بشأن هذا المبلغ اجابنى اليه ، وقال انه سيبحث به حوالة الى السيد (مير على) ليتسلمه من قريبه فينفقه حيث شاء اما سوء التفاهم الذى اشار اليه السيد مير على والذى تطرقت انا اليه لازالته فلم يعلق عليه (السيد) بشئ . . . ولم يثبت ولم ينف ، وحين اعلمت السيد (مير على) استعجل وكتب هو الحوالة بنصف المبلغ المودع وارسلها الى (السيد) لتوقيعها فوقها (السيد) فعلا ، وبعد اسبوعين او اكثر ، وفى مناسبة من المناسبات التى حملتنى على زيارة (السيد) قال لى (السيد) ما مضمونه : « ان صديقك ابا طيخ قد تعجل واستعجلنا فى الانجاز فقد كنت اريد ان احول له كل المبلغ لانه ان لم يستفد منا معنى ، فليستفد منا اسما على الاقل» وقد كان يعنى ان هذه الحقوق الشرعية التى احلناها له انما هى من مال اقربائه وليس من ماله اى مال السيد ابى الحسن .

★ ★ ★

قلت انه كان يعرف اين يضع احسانه ومعروفه وانى لاذكر يوم قامت الشرطة - بناء على طلب مديرية الدعاية العامة التى كانت تعاكس (الهاتف) يومها معاكسة مقصودة مخصصة - بوضع يدها على ما كان لدى الهاتف من ورق لبلوغها ان الهاتف كان يشتري ورقة من السوق السوداء وحين بلغ الامر مسامع السيد ابى الحسن امر بحمل الورق المعد لطبع رسالته العملية الى دار الهاتف لثلا يقف الهاتف عن الصدور فى ميعاده ، وقد حمله لنا التاجر الحاج مهدى البهبهاني ونشر الهاتف الخبر فى حينه ، و اشار الى عطف السيد ، فقامت قيامة مديرية الدعاية والنشر

يومذاك ، اما (السيد) فقد ساءه نشر الخبر ولا ادرى على اى اعتبار ؟ ألانا نوهنا بمعرفه ام لاننا عرضنا بمن حاول ان ينكل بنا ؟ وكيفما كان فقد عرف وقت احسانه الينا معرفة جيدة

وحين قدم له احد تجار ايران مبلغا من المال ليشتري البيت المجاور للمسجد الهندي ويتخذ منه مقبرة يدفن بها عند مماته ، تسلم المبلغ وقال ما مضمونه (يا لله من هذه السذاجة التى تدع الناس يفكرون فى الاسنان بعد مماته ولا يفكرون به فى حياته) وانفق المبلغ فى وجوه اخرى •

وزرته ذات يوم بصحبة صديقى السيد باقر السيد احمد الحسنى ، وكان يصحبنا صديقان آخران وكان (السيد) حينذاك فى الكوفة ، وفى ضمن الاحاديث التى دارت عنده ، التفت السيد باقر اليه وقال :

- اظن يا سيدى انه اصبح من حقى ازاء اخلاصى ، وولائى ، وتفانى فى حبك ان اطلب منك (فلسا) واحدا او اى شىء تافه آخر لاتخذ منه رمز بركة لى وتذكارا يذكرنى بايمانى ، وتمسكى بولائك •

وحين اتم السيد باقر كلمته التفت الشخص الثانى واعقبه الشخص الثالث وطلبا من السيد نفس الطلب ، وبقيت انا حائرا أأطلب انا الاخر ما طلبوا ؟ وانا اخشى احراجه بعد الذى رأيت من وجومه ؟ ام أسكت ؟ فقد يخالنى مستكفا عن طلب مثل هذه البركة ؟ واخيرا وبعد دقائق معدودات قلت : واى الناس لايرجو بركتك يا سيدى وانى لأمل ان لايقبل نصيبى من عطفتك عن الاخرين ، ومرت اسابيع نسيت فيها البركة والتبرك ، واذا بابنه الحاج اغا حسين يزورنى فى البيت ويضع فى خنصرى خاتم درنيس ويقول :

ان والده قد انتزعه من اصبعه وبعث به اليك ولايزال الخاتل عندى ، وانا محتفظ به كأثمن ذخيرة من الذخائر الروحية ، وقد علمت انه اهدى الى السيد باقر خاتما من العقيق هو الاخر قد انتزعه من اصبعه •

وحين ثقل كاهله بالعمل وضاق بالناس خصوصا فى اثناء خروجه الى الصلاة الذى كان يستغرق وصوله من البيت الى الصحن الشريف نحو ساعة واكثر على

فرب المسافة التي لا تتجاوز بضع دقائق للشيوخ والعجزة اتخذ الحمامة وسيلة للانتقال من بيته الى الصحن وكان يحف به ويمشى في ركابه عدد غفير من طلاب العلم ورجال الحاشية وفي ضمن اولئك بعض اصهاره واصهار اصهاره مثل الشيخ علي مردان الذي كثيرا ما كانت الحاشية والاصدقاء يتخذون منه موضوع دعاية قد تصل اخبارها بالسيد فيضحك لها •

وكانت حمامة السيد من اشهر ما يعرف تاريخ الحمير في النجف فقد كانت حمامة (حساوية) بيضاء جميلة تعرف وقت الصلاة ، وتعرف اين تقف في الطريق والسيد فوق ظهرها ، وتعرف حين وصولها الى باب الصحن اين هي من باب الصحن كأنها كانت تعلم بان احترام الطقوس الدينية لايجيز لها ان تخطو ولا خطوة اخرى من باب الصحن الشريف ، وقد ود الكثير وتمنى غير واحد لو كان سائسا لحمامة (السيد) ، ولربما رووا عنها صفات عجيبة مبالغه في قيمتها ، ولما ماتت هذه الحمامة اجتمع حولها الاطفال والنساء وبدأوا يسحبونها بالحبال الى خارج المدينة ، وكلما اجتازوا مسافة انضم اليهم ابناء محلات اخرى وكانوا يهزجون وفي طليعة هذا الجمهور من الصبيان والنساء كان (عبايه) الفكه انذى الف هذا الموكب ، اما الاهزوجة فقد كانت :

وداعة الله يا جحش والينه هاى هيه يو بعد تلفينه

ومن اشهر الحمير التي يعرفها تاريخ الحمير في النجف كانت حمامة الملا وحيدة ، وهى امرأة شاعرة عداة ومن العابرة كانت تضطر لركوب الحمامة لكثرة مجالسها فاشتهرت حمامتها بالنظر الشهرة الملا وحيدة ، واشتهر مملوكها الزنجي وعرف بين اوساط الناس عن طريق هذه الحمامة التي كان يتعدها هذا العبد ويأخذ برسنها كلما خرجت الملا وحيدة الى بيوت العزاء ،

وكانت للميرزا جواد الطيب حمامة هى الاخرى كانت ذات شهرة فى النجف وقد كان لها جحش طل حديث الناس زمنا طويلا وذلك ان بيت الميرزا جواد الطيب كان ملاصقا لبيت الزعيم الروحاني الشيخ حسن المايقاني فكثيرا ما

كان هذا الجحش يفلت من بيت صاحبه الطيب فيدخل بيت الشيخ المايقماني في اثناء القائه الدرس على طلابه ، وكثر هذا الانفلات فارسل المايقماني على الميرزا جواد الطيب وقال له مازحا :

- ياسيدى الميرزا ، ويا جارى العزيز ، لم تترك النجل على غارب ابنتك (يعنى به النجش طبعاً) ليعيث فسادا ؟

فرد الطيب عليه مازحا - قال لقد سمعت كثيرا ان اخرج منه طيبا فأبى الا ان يكون عالما روحانيا فما العمل ياسيدى ؟

قال الميرزا محمد الاردبيلى للسيد ابى الحسن والشيخ الاردبيلى من اطرف العلماء - قال للسيد ابى الحسن لا اعهد عالما روحانيا وزعيما دينيا بلغ ما بلغت انت من العظمة والجاه والجلال •

قال السيد - وكيف كان ذلك ؟

قال - لا اعهد ان زعيما روحانيا قد استطاع ان يجتاز بحماره باب الصحن الشريف وانت تجتاز كل يوم بحمارك الصحن الشريف وتبلغ به الحرم المقدس • قال السيد - واين هو هذا الحمار الذى تقول ؟

قال الاردبيلى - هذا هو الشيخ على مردان الذى لا يترك مصاحبتك حتى وانت فى الحرم المقدس تزور •

وظلت هذه النكتة ترافق الشيخ على مردان زمنا طويلا لان السيد ابا الحسن كان قد استذوقها وانس بها •

وفى السنوات العشر الاخيرة ثقل كاهله بالعمل اكثر واكثر وصار عليه ان يقابل عددا كبيرا من الزائرين من ارباب الحاجات ، ويقرأ كثيرا من الكتب والاستفتاءات التى كانت ترد من مختلف الاقطار وبمختلف اللغات ويجب عليها بخطه ، ولا يسمح لاحد ان ينوب عنه فى استعمال خاتمه كائنا من كان ، ولقد كان ختمه معه الى آخر ساعة من حياته ، وكان طبيعيا ان يكل ، وطبيعيا ان يمرض ، ولو كانت اعصابه من حديد ، ولقد كان بميسوره ان يرتاح لو كان يريد الراحة ، ولكنه اخذ

على نفسه ان يضرب الرقم القياسي للعمل ، فعمل الكثير مما لا طاقة لغيره ان يعمله وهو في مقبل العمر ، فكيف وهو في آخر مراحل الحياة * * * لقد زرته مرة وهو محموم وكان يعد نفسه للخروج والصلوة بالناس ، وقد كانت النجف تغص بالزائرين الايرانيين فاقترحت عليه ان يلزم الراحة في البيت حرصا على صحته فابى ، وقال انك قد لاتدرى * * * لاتدرى ان عددا كبيرا من زائري العتبات المقدسة يحسب زيارته للعتبات ناقصة غير مقبولة عند الله اذا لم يستطع ان يرانى ويأتى بي في صلاته ؟ وان ادخال السرور والايمان على قلوب امثال هؤلاء البسطاء السذج من الناس امر قد يكون في مصاف العناية بالصحة ضرورة * * !!

وساءت صحته في السنوات الاخيرة اذ ان مزاجا لشيخ مكدود ، مهددود ، يقتل ليله ونهاره بالعمل فلا يترك لنفسه فراغا ، امر لا يدعك تصدق انه يستطيع ان يبلغ الرابعة والثمانين ، وقد بلغ هذه السن وكان الى ما قبل شهر ، من وفاته يستطيع ان يؤدى عمله بنشاط غريب ، حتى ولو حم وانحرفت صحته * .

لقد قلت له قبل شهر وهو في الاعظمية ، وكنت قد قصدته عائدا له ، قلت له : انتى اراد فى صحة جيدة احسن مما كنت اراد من قبل ، وطالما كنت اقول له ذلك حين ازوره عائدا على اثر وعكة خفيفة ، او مرض شديد ، فيهش ، ويبش ، ويبدو انتعاشه جليا لعين الرائي ، لقد قلت له وانا اضحك ان السر فى تقدم صحتك مثل هذا التقدم منوط بقدمى انا الذى يعتبره بعض المتفائلين من اصدقائى قدوم خير ، فابتسم ، و اشار الى السماء بعينه وبديه ، وحين هممت بانقيام قال :

ارجو ان تزورنا كثيرا كلنا تمنح لك الفرصة ، قلت اخشى ان يكون ذلك حبا (بخير قدومى) وليس حبا بى انا ؟

فضحك وقال (وهب ان الحب من اجل قدومك الميمون افليست قدمك منك؟) ولم يتح لى ان اراد بعد سفرى الى ايران ، وسفره هو الى سوريا ، ولم تقع عيني

بعد هذا الا على جنازته محمولة على اطراف الايدي ، فاذا بي استعرض الماضي
في دقائق معدودة بكل ذكرياته منذ الطفولة حتى اليوم ، تلك الذكريات الجميلة
التي مرت كالحلم ، او كالبرق الخاطف ، ولم يبق لي منها غير هذه الخطوط ،
والنقط ، وانا انثرها هنا على صفحات الورق كعرض موجز لاحلى فترات العمر •

الشيخ محسن شرارة^(١)

كان عملي يحتم على الخروج في الصباح المبكر من كل يوم من بيتي في النجف وكان لابد لي من المرور بالصحن الشريف ذاهبا او آيضا ، فكنت التقى في طريقي - اغلب الايام - رجلا نحيف الجسم ، خفيف اللحية ، نظيف الملابس حسن الھندام ، على رأسه عمة بيضاء تدل لفتها على ذوق خص به بعض المعممين دون الاخرين ، وعلى ان هذا الرجل لا يزال في عنفوان شبابه ، فان حركاته المتزنة ونظراته المتركرة في طريقه ، - وسلامه ، وكلامه مع من يلتقيهم في الطريق ممن يعرفونه - تدل دلالة واضحة على ان الرجل وان كان لا يزال في مقتبل العمر فان له عقلا راجحا اكسبه وقارا هو اقرب الى وقار الشيوخ المجريين وعقولهم منه الى عقول الشباب والكهول ، وأقسم اني احبته على غير معرفة ، بل اقسم ان كثيرا مثلي لو اتفق لهم ان يروه - كما كنت اراه - في عرض الطريق ماشيا وهو يتباطئ كتابه لاجوه كما احبته وان لم يعرفوه ، ثم لفت نظري بعد ذلك ان طريقه كان نفس طريقي الى بيتي ، ثم علمت فيما بعد انه جار لنا لا يبعد بيته عن بيتي اكثر من بضعة ابواب ، ومع كل ذلك فانا لم اعرف من هو بعد ؟ وكلما عرفت هو انه رجل تدل هيئته على الطيبة ، وعلى الاجتهاد في تحصيل العلوم العربية الدينية ، وانه على جانب من الاخلاق الحميدة التي يستطيع ان يستشفها كل احد من وراء هذه السيرة الساذجة النقية .

ولا ادري كم مر من الزمن ولكني اعلم انه لم يكن طويلا حينما اصدر المجتهد السيد محسن الامين رسالته التي جمع فيها فتاوى العلماء بتحريم ضرب الظهور بالسلاسل ، وشنق الرؤوس بالسيوف ، وغير ذلك مما يفعله البعض يوم

(١) الهاتف - العدد ٤٣٣ للسنة الثالثة عشرة من تشرين الاول ١٩٤٦ .

عاشوراء باسم الحزن على سيد الشهداء الامام الحسين (ع) تلك الرسالة التي داخل موضوعها كثير من الغايات الشخصية والاعراض والمنافع التي اثاره بعض الاشخاص وحملتهم على مقاومتها والهجوم على مؤلفها الامين ولم يكدر يمر على صدور هذه الرسالة اسبوع او اكثر وتنتقل من الشام - حيث تم طبعها - الى العراق حتى رافقها كثير من (الدعايات) ضدها ، ووجدت هذه (الدعايات) هوى في بعض النفوس فاشعلوها فتنة شعواء تناولت السيد محسن الامين المؤلف واتباعه بقساوة لا توصف من الهجاء ، والذم ، والشتم المقذع . وخاف الذين آمنوا بقضية هذه الرسالة ، وصحة فتاوى العلماء لقد خافوا ان يعلنوا رأيهم في وجوب الذب عن موضوع هذه الرسالة والدفاع عن شخصية المؤلف ، وكادت الحقيقة تعلن للناس ان انتصارها انما يكونون في يوم الرفاه والسعة اما في يوم الضيق فمن العبث ان يبحث المرء عن انتصار الحقيقة ، وعن اصحاب المبادئ الصحيحة خصوصا اذا كان مثل هذا اليوم الذي اصبح الرأي العام فيه ضد هذا المجتهد ، واصبح الناس - سواء اكانوا جاهلين او مغرضين او طائفين - سواء في رفض هذه المبادئ ، وسواء في هجومهم على المؤلف ، وعلى فتاوى بعض العلماء الذين انتصروا للسيد محسن وحرروا اسالة الدماء بالسيوف ، ورض الصدور بالضرب عليها ، وادماء الظهور بالسلاسل ، باسم الحزن على الحسين (ع) اذ من ذا الذي كان يجراً ان يخالف للناس رأياً؟ ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم؟ ومع ذلك كله فقد لمع في ذلك الوسط الصاحب المليء بالخوف من سطوة العوام اسم ما لبث ان توهج واضاء على رغم ما كانت تكتنفه من الغيوم السوداء ، وكان صاحب ذلك الاسم هو (الشيخ محسن شرارة) الذي لم يهتم بثورة الثائرين ، ولم يعبأ بحملة المغرضين وهياج الهائجين ، فكان اول من رفع عقيرته باستنكار هذه الحملة الشنيعة واول من اندفع للذب عن تلك الاعراض التي تضمنتها رسالة السيد الامين بشجاعة منقطعة النظير وجرأة نادرة فتحت للخطافين كوة من الرجاء ما لبثت ان صارت بابا واسعا ، واذا بقوى المهاجمين تتجمع كلها فتمطر الشيخ (محسن شرارة) سبا وشتما وقذفا وتلبا ، واذا بالشيخ محسن شرارة (١) في غير هذا الموضوع من الكتاب اشارة اخرى الى هذه الحركة الاصلاحية .

يقابل كل هذه الهجمات بجرأة المؤمن العارف بما يترتب على المؤمنين من الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واذا بالناس كلهم في مجالسهم وانديتهم يرددون اسم الشيخ محسن بما تمليه قلوبهم ، وعقولهم ، وامزجتهم ، ولكن من هو هذا الشيخ محسن ؟ وما هي ماهيته ؟ انه رجل لم تقتصر شهرته على الاندية ، والمجالس وعلى السنة الخطباء بل تجاوزت ذلك الى الصحف التي نشرت له عدة مقالات صريحة التوقيع ، وعدة مقالات بتواقيع رمزية فاندفع الكثير من الادباء والكتاب الذين يعينهم امر الاصلاح الديني الى التنويه بذكر الشيخ محسن ، والدفاع عن آرائه ، ومع ذلك كله فقد ظل الكثير لا يزال يسمع باسم الشيخ محسن شرارة ، ولا يعرفه ، بل اصبح كثير من الناس يودون التعرف به ولا يجدون الى ذلك سبيلا ، اما الشيء الوحيد اندي كان معروفا عنه هنا وفي سوريا ، ولبنان ، فهو بيته واسرته انه من بيت شرارة وبيت شرارة من اعرق البيوت المعروفة كان لها في العراق موطن ، وفي لبنان موطن ، ولا يزال احد شوارع النجف يحمل اسم هذه الاسرة ، باسم (عقد بيت شرارة) وقد انجب هذا البيت كثيرا من العلماء وكثيرا من الادباء ، وعددا غير قليل من فحول الشعراء وكان جد الشيخ محسن هو الشيخ موسى شرارة كان مضرب المثل من حيث فقهه وعلمه وأدبه ومواقفه الاصلاحية ، وقد مات وهو ابن سبع وثلاثين سنة!! ولعلنا نسمع بعالم يجمع بين هذه المواهب وهو بهذه السن الصغيرة!!

واصدت انا جريدة (الفجر الصادق) ، ونشرت للشيخ محسن شرارة بعض المواضيع ، وانا لا ازال من الذين يعرفون الشيخ محسن بالاسم ، ولا يعرفونه بالصورة ، او قل انني كنت من المتعطين لرؤية هذا الرجل الذي يفيض لسانه وقلمه بالايمان والاصلاح ولكني لم ادر كيف لم يتم هذا ؟ وبعد فترة لعلها كانت قصيرة علمت - وكما كانت دهشتي عظيمة - ان الذي كنت كثيرا ما أراه في غدوى الى العمل من صباح كل يوم انما كان هو الشيخ محسن شرارة وان رؤيته كانت ايسر لي مما كانت لغيري وتم الاتصال به ، وسرني كثيرا ان ارى فيه مثلا من تلك الامثلة الضائعة ، وصورة من صور الفضيلة المفقودة ، وعنوانا

للجد والتفاني في تحصيل العلم والعرفان ، وقد كان الى جانب درسه للفقاه والاصول والحكمة منهمكا في دراسة اللغة الانكليزية والرياضيات ، فكان لا يترك فرصة تمر دون ان يستفيد من صداقة الاطباء واساتذة المدرسة الثانوية الرسمية في النجف ليجتمع بهم في خفية من العيون لدرس الادب الانجليزي وبعض العلوم الاخرى وكان لاسكندر حريق والدكتور انيس العاملى الفضل الاكبر في تدريس الشيخ محسن شيئا من العلوم الحديثة الى جانب العلوم الدينية ، ومرة اخرى لاكت بعض الاسن اسم الشيخ محسن بالسؤال لاقباله على تحصيل هذه العلوم . . . !! وكان ذلك سببا من اسباب انكماش الشيخ محسن بعض الانكماش ، والتلكؤ عن متابعة الدروس الحديثة خوفا من احداث موجة اخرى من هياج وثورة كان ينبغي ان يكون في غنى عنها وهو شيخ روحاني وطالب علم .

وتلمسنا في الشيخ محسن عالما دينيا ومصلحا اجتماعيا وتوسنا له مستقبلا باهرا في ميدان الاعمال وكان ان تجمع حوله جمع من ارباب الشعور والطلاب الذين ينزعون الى فصل القشور عن اللباب ، والذين يسعون لمحاربة الرياء والجمود بما يستطيعون وكان الشيخ محسن على رغم مجاراته للرأى العام لايجبن ان يجابه الرأى العام حينما لايجد بدا من مجابته وتحديه وكان يعرف الساعة التي يجب فيها على المرء ان يقف في وجه التيار فيقف حينذاك غير عابث ولا مكترث

وتعددت زيارته لى وزياراتى له ، ومن طريق هذه الزيارات المتواصلة تعرفت بكثير من (العاملين) بل ان الشيخ محسن هو الذى حبب لى التعرف بهؤلاء حتى لقد اصبحت صديقا حميما لاكثرهم ، بل اصبحت اعتر بسبب الشيخ محسن بصداقة كل مهاجر من جبل عامل الى النجف ، وصار لى منهم اصدقاء كثيرون ، ولم اكن انا الوحيد الذى دنا من العاملين هذا الدنو واقترب منهم هذا الاقتراب بل ان كل من عرف الشيخ محسن صار من اصدقاء العاملين ، ومحبيهم ، وامتزج بى رهط من ادبائهم امتزاجا قويا الى ان اصبحت احس باحساسهم ، واشعر بالآلامهم ، وربما شاركهم فى نظمهم ومقارضتهم الشعر ، وقتل الفراغ باستعراض نكاتهم الادبية وطالما احبينا ليالى طوالا فى مسجد الكوفة ، واخرى مثلها فى مسجد

(السهلة) وعلى ضفاف نهر الفرات ، فكانت من احسن الاوقات ، وكان الذى يزيدها حسنا فى عيوننا ولذة فى اذهاننا ، هو الشيخ محسن بما كان يضى عليها مسن الجمال الادبى ، وروعة الايمان ، وحسن التقدير بل كان هو المحور بين تلك الجماعات لكل حديث علمى ، ولكل مساجلة ادبية ، وهو مع غيرنا من مشايخ الحديث وطلاب الاصول والفقه والحكمة كما هو معنا شرارة ملتبهة ، وذكاء متقد وقد درس على الامام السيد ابى الحسن الاصفهاني وعلى الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، وعلى الامامين السيد اغا جمال والميرزا حسين النائينى •

وحينما دعت مدينة (بنت جيبيل) ليشغل فيها مقام العالم الروحاني أبى الاجابة على هذه الدعوة ابا شديدا ، فكررت عليه بنت جيبيل الطلب بعد زمن وألحت وما زالت به حتى اضطر الى الرحيل من النجف انيها وحينما هم بالسفر كان اول عالم اعتمد على كفايته العلمية والاجتماعية ، دون ان يراجع المراجع الروحانية العليا لاخذ الشهادة والتزكية والتعريف به كما جرت العادة عند البعض واني لاذكر ان السيد (ابا الحسن) قد بعث بالشهادة (العالمية) اليه الى بيته بمجرد سماعه بازماعه على السفر وكانت شهادة علمية وافية تناقلنا موضوعها ليلة سفره التي كان مدعوا فيها عندي ، اما (الميرزا النائينى) فقد ارسل بشهادته له فلم يدركه رسوله الا وهو راكب فى السيارة كما ان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قد ارسل له بشهادة اجتهاد مفصلة الى لبنان • والشيخ محسن اول عالم يقدر له العلماء مكاتبه فيبعثون له بالشهادات العلمية بدون طلب منه وينزلونه من انفسهم المنزلة التي يستحقها •

ويشعر المرء وهو يتحدث اليه بما تفيض به نفسه من العزة والكرامة والشخصية التي تفرض عليك احترامها واجلالها وان لم يكن لك به سابق معرفة ، وقد دخل مرة مكتبة مكنزى فى بغداد ، وراح يقبل الكتب الانكليزية حتم تم له ان يختار منها العدد المطلوب ، واذ سوى الحساب وجد انه لايملك من النقود المبلغ الكافي لتلك الكتب المختارة فطلب من المستر مكنزى ان يحتجز له تلك

الكتب فى جانب من المكتبة ريشا يبعث له باثمانها من النجف ، ولكن مكنزى أبى ان يفعل ذلك وقال له : بل ان الكتب سترزم وستصجبه الى نزله ثم ليكن بعد ذلك ارسال قيمتها فى اى وقت تيسر •

يقول الشيخ محسن - وقلت له : ولكنك لم تعرفنى ولم تعرف هويتى والمبلغ هذا كبير •••••

فقال مكنزى - ولكن الوجه والصورة تكفى للتعريف ••

ولقد ذكرتى هذه الحكاية بحكاية جرت مع السيد هاكوب صاحب معمل زنكوغراف بغداد فقد اعتمد مرة على (الجهامة والعمامة) كما يقولون وسلف معما مبلغا من المال وآل الامر بعد ذلك الى الشكوى فى المحاكم لتمرد ذلك المعمم وتهربه ، فسأته الحاكم وكيف رضيت ان تسلف شخصا لم تعرفه ؟

قال - لانى وجدته معما فحسبته من رجال الدين •

قال الحاكم - ألم تدر ان ليس كل معمم روحانيا •

قال هاكوب بلقته العامية - " بعدين كاليهاها" اى بعد ذلك قد فهمت ان ليس

كل معمم روحانيا •

ولكن الشيخ محسن شرارة لاتفرض عليك عمامته الاحترام ، ولا يغذيك هندامه الروحاني بهذه الثقة ، وانما للغة ، وطريقة كلامه ، ما يجعلك واثقا انك امام شخص محترم جليل •

وعاقه المرض فى (بنت جييل) من متابعة رسالته الاصلاحية فدخل (مصح بحسن) للسبل زمنا ثم خرج ولم يطق ان يتبع نصائح الاطباء فى تجنب العمل والخلود الى الراحة ، اذ راح ينفق جهوده فى الدعوة الى توحيد الكلمة ، والوقوف فى وجه الفرنسيين ومطالبتهم بحقوق تلك المنطقة المحرومة من العمران والثقافة والحرية وله وحده كما لا يائنه من قبل كان فضل هذه اليقظة الفكرية والوطنية والنهضة الاجتماعية فى بنت جييل •

وزرت بنت جييل مع الصديق محمد جعفر الشيبى ، وأخيه محمد حسين

الشيبي مليون دعوة الشيخ محسن شرارة في صيف سنة ١٩٣٦. وقد رأينا العجب مما كان يسود بنت جليل من حماس وطني ، وحرارة ايمان ، وتحفز ووثبة لم يقتصر امرهما على شباب بنت جليل وانما كان فيها الشيخ ، والمرأة ، والطفل على حد سواء ، وكان مبعث تلك الوقدة المتوهجة هو الشيخ محسن شرارة الذي استطاع ان يقضى على كل اختلاف في البلد ويوحد منها الكلمة ويوجهها توجيهها مفيدا •

ودخلنا بنت جليل بعيد هرب السيارة التي كانت تقل الامام السيد عبدالحسين شرف الدين والشيخ عبدالله السبيتي ، وقد قيل انهما كانا قد جاءا من (صور) لتلطيف الجو الصاخب في بنت جليل ، ذلك انجو الذي كان قد استمد شرارته الوطنية من الشيخ محسن شرارة ، واستمد حرارته من روحه الوثابة المستعرة ، وقد هوجمت سيارة الامام شرف الدين بالحجارة ، وقيل ان بعض المهاجمين من الشباب قد تجرأ على الشيخ عبدالله السبيتي واختطف عمامته ومزقها مما ادى الى رجوع السيارة من حيث اتت ، وقد دخلنا بنت جليل وهي تموج بالغضب ، وتعج بالصخب ، وكانت قبل الشيخ محسن تشكو الركوند الذي يقارب الخمول ، ومن يدريني فقد يكون حس الانتقام للشيخ محسن شرارة قد مازج حماس البلدة الوطني وضاعف من هياجها في هذا المكان لان الشيخ محسن كان قد لقي في النجف من اتباع الامام شرف الدين الشيء الكثير من الاذى بسبب مخالفته في قضية (التطير) وشجج الرؤوس بالسيوف ، لان الشيخ محسن شرارة كان في مقدمة انصار الامام السيد محسن الامين الذي حارب (التطير) كما مرت الاشارة الى ذلك ، وكيفما كان فقد وجدنا بنت جليل يومها في اتون مشتعل من الحماس الوطني في وجه السلطة الفرنسية •

وهناك جلس الصديق جعفر الشبيبي وراء (سماور) كبير من البرنز اللماع في بيت الشيخ محسن وراح يصب لنا الشاي في فناجين عراقية كنا قد فارقتها منذ خروجنا من العراق وقد اشتقنا اليها اي اشتياق ، وكان مجلسا شعريا روماتيكيًا مليًا بالدعابة والنكت مما يحجم عن ارتياده العلماء الرحانيون في بيوت الناس

فكيف اذا أقاموه في بيوتهم وحضوا عليه الناس ودعوهم الى المسامرة والنكت ، ان ذلك كان يخفف من وزن الروحانيين عند السواد ولكن الشيخ محسن كان لا يخاف هذا السواد ولا يخشى منه لانه كان يشعر بغنى نفسه وبقيمته حق الشعور • وكان شديد الاتصال بى وبجريدة الهاتف ولكنه انقطع بعد ذلك عن المراسلة ، وطالت مدة الانقطاع فلم اتلق منه خيرا وحتى لم يكن له بين الذين عزونى بابنى الوحيد (هاتف) اثر من رسالة او برقية •

وفى سنة ١٩٤٣ تلقيت منه رسالة وافية ، ضافية هى آية من آيات الادب ، واثر من آثار السحر ، وقد بسط فيها حاله ، وشرح لى ما يحيط به من ضيق روحى وما يشعر به من شقاء وان الامور لتجرى على غير مجراها من حيث توجيه الناس ومصالحهم العامة وقال انه فوق ذلك كله يشكو من اعتلال صحته التى لاتساعد باى وجه من الوجوه على النهوض بالناس ودفعهم الى تغيير اتجاههم ، وقد ملأ رسالته هذه بما عرف عنه من الموهبة الادبية اعتذارا منى على الانقطاع وقد اجبته على رسالته تلك فى وقتها ولم اعرف بعد ذلك الا انه نزيل مستشفى (الجامعة الامريكية) بيروت ، وقد اجرؤا له عملية ، ولم يهتدوا الى علته ، وفى الوقت الذى كنت احاول الكتابة له مستفسرا عن حاله تلقيت من اخيه الشيخ موسى شرارة خبر نعيه •

لم تخسر بنت جيبيل الشيخ محسن شرارة وحدها وانما خسره الفضل والخلق والايمان الصحيح فقد كان قدوة صالحة للأعمال الانسانية ، وعنوانا بارزا من عناوين التضحية فى سبيل اسعاد الامة ، وكان يعد ذلك شاعرا يثن لأنه المفجوعين ، ويبكى لبكاء المظلومين وقد عجل عليه الموت كما عجل على جده من قبل فتوفى وهو فى بردة الشباب وخلف فى نفسى لوعة لاتسى •



المحامى عبدالمحسن القصاب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحامى عبدالمحسن القصاب^(١)

فى اواسط صيف ١٩٣٤ صدرت جريدة الراعى فى النجف وقد جعلت هدفها التعبير عن اليقظة الفكرية فى الفرات وراحت الجريدة تشير الى هذا الهدف فى سطر كتب بالحرف البارز (ان الراعى لسان حال اليقظة الفكرية فى النجف) ثم صارت الجريدة تسعى لتحقيق هذا المبدأ بكل ما وسعها من جهد لتجعل من صفحاتها واسطة للتقارب والتعارف بين المجددين من الادباء والمثقفين من ارباب الاراء السديدة فى مختلف الشؤون ولم تلبث (الراعى) ان عرفت فى جميع الاوساط الادبية بكونها الجريدة التى تعبر عن اليقظة الفكرية فى العراق فكان ان انبرى للكتابة فيها جمع من اكابر الادباء وزعماء الادب منهم الشيخ محمد رضا الشيبى ، والاخلط الصغير (بشارة الخورى) ، وأحمد الصافى والشيخ على الشرقى والسيد عباس شبر ، وابراهيم العريض وغيرهم .

ومن خيرة الكتاب والادباء الذين اصلوا نشر ابحاثهم وافكارهم بصورة مستمرة فى هذه الجريدة كان عبدالمجيد محمود ، وكان اسكندر حريق ، وأمين الهلالى ، وموسى كاظم نورس ، ونايف نصر ، وفرحان حمادة ، وذو النون ايوب ، وغيرهم حتى لقد صار فى رغبة كثير من المتأديين ان يكون لهم اسم بين هذه الاسماء او ان يكون لهم رأى ضمن هذه الاراء ، فكان (الراعى) يتلقى كل يوم رزمة كبيرة من الشعر والنثر المرسله بقصد النشر فلا يصفو منها بعد الغربله الا القليل القليل ، فقد كانت (السلة) تلتهم اغلبه وكان البعض ممن الطرافه بحيث صار للراعى رأى فى ان يجمع من خلاصة تلك (السلة) الطريفه مادة ازمع على اخراجها فى كتاب باسم (سلة المهملات) وقد باشر فعلا بعد حذف الاسماء بنشر امثال من مضامين تلك السلة فكان لها بعض الصدى فى النفوس .

(١) الهاتف - السنة الثالثة عشرة - العدد ٤٥٥ - ايار ١٩٤٧ .

وكان من بين هذه الاسماء الكثيرة اسم - عبدالمحسن داود القصاب - الذي كان يبعث الينا من الناصرية بالمقالات والقصص شيئا بعد شيء ، وعلى رغم اننا كنا نرمى بما يرسل الينا فى السلة بعد قرائته فقد كنا نعترف بان لصاحب هذه الرسائل استعدادا ادبيا ان استطاع ان يعنى به ويوجهه توجيها جيدا جعل منه هذا الاستعداد كاتباً ربما صار مرموقاً ، وشاعراً ربما صار مطبوعاً فى المستقبل ، وزاد يقيننا هذا بلوغه المرتبة التى نرجوها له ما وجدناه عليه من سعى متواصل فى الكتابة دون ان يتسرب اليأس الى نفسه من جراء عدم نشر كتاباته ، واحسب ان ذلك قد طال زمنا لا يقل عن سنة او بضعة شهور كان يكتب عبدالمحسن ويرسل بما يكتب الينا ، وكنا نقرأه نحن ونرمى بما نقرأ فى بطن هذه (السلة) حتى رأيت من الانصاف ان اكتب له كتابا اذكر له فيه رأى عن استعداده الادبى ولباقته الفطرية واشير الى ما يجب ان تكون عليه مقالاته ، وما ينبغى ان يراعى فى ذلك ليحقق لنفسه امكان استخدام تلك الموهبة باسرع وجه ومن اسهل الطرق وانى لاذكر جيدا كيف اكدت عليه وجوب الاكثار من مطالعة الكتب ، وقراءة آثار الادباء المصريين الثرية ، وآثار ادباء المهجر الشعرية قراءة متصلة مستديمة .

وبعد ايام قليلة وردتني منه الرسالة الاولى (وكل رسائله محفوظة عندي) يشكر فيها هذه العناية التى لاقاها من (الراعى) ويعد بانه سينهج نفس النهج المذكور ، وكانت هذه الرسالة مبدأ للتعارف بيننا ، وقد اعقبتها رسائل اخرى لم تقتصر على هذه الناحية بل شملت نواحي اخرى اكتشفت فيها ملكات جعلتني واثقا من انها لو اتيح لها يوما ان تظهر الى حيز الوجود لكان لها شأن ربما كان فيه شيء مما يثير الاعجاب ، ومن هذه الرسائل عرفت ان هذا الفتى موظف فى (مالية الناصرية) وانه فقير الحال ، وان فقره قد يحول بينه وبين اتمام دراسته ، وانه يسعى الان لان يجتاز الدراسة الثانوية ويلتحق بكلية الحقوق اذا استطاع ذلك ولكنه يريد ان يشبع رغبته الادبية فيكون كاتباً ويكون شاعراً ، وكانت اول كلمة نشرها له (الراعى) قصة باسم (صريع الفقر) وهى قصة حياته بالذات واذا اعوزها الفن ان تحكى قصة حياته برمتها وحقيقتها ، فلم يعوزها شيء لان تكون حكاية

جانب من نفسه وحكاية شيء من طموحه الذي قعد به الفقر فلم يدع له مجالاً لتحقيقه ، وظل عبدالمحسن يكتب ولكن الذي كان ينشر له كان لم يزل قليلاً ، غير ان هذا القليل كان يبشر بالخير ثم مات (الراعي) بكلمة واحدة قالت فيها الحكومة (ليمت الراعي) فمات ، وخلفه (الهاتف) فاذا بعبدالمحسن اوفر نشاطاً ، واكثر حيوية ، ثم كان من ادنى الادباء الى معرفة انغاية التي يرمى اليها الادب ، فقد بدأ ينضج نضجاً سريعاً يوماً بعد يوم وغداً يمارس الترجمة فيحسن اختيار القطع من الادب الانكليزي ويجيد ترجمتها كما صار ينظم بعض الشعر في بعض المناسبات فيستلفت اليه النظر بعض الاستلفات ، ولم يمر على الهاتف ثلاث سنوات الا وكان عبدالمحسن فيمن يذكر من اعضاء اسرة الهاتف القلمية

وبدأ الهاتف ينوه بأسمه كاديب له من الملكات ما يغبطه عليها كثير من ادباء الشباب من اقرانه ، وتسنى له بعد ذلك ان يحقق رغبته فأكمل دراسة الثانوية ، وانتقل من الناصرية الى بغداد ودخل كلية الحقوق .

وما كأنه انتقل من بلد الى آخر قريب منه وان كان اوسع افقاً بل كأنه انتقل من عالم الى آخر ، ومن دنيا الى ثانية ، بل من مزاج الى مزاج ، فهو اذا كان يعنى في الناصرية بالصور التي تحكى احساس الناس ، وافكارهم ، وما يحيط بهم من مشاكل وآلام فهو في صحف بغداد لا يذكر من بيئته ومن محيطه وما كان يشعر به اى شيء مما كانت تطفح به مقالاته وهو في الناصرية ، وانما صار في بغداد ادبياً من طراز آخر ، ومن نوع ثان ، قد تكون الشقة بينه وبين الذي يكتب في الناصرية واسعة جداً .

انه يكتب اليوم الى الصحف اليومية كتابات ليس لقلبه فيها صلة ، انه يكتب كما تريد هذه الصحف او بالاحرى كما تريد المصلحة الخاصة ان يكتب ، اما الذي ظل يربطه بالماضى والذي ظل يمثل نزعاته الادبية واحاسيسه الصادقة فهو الذي ظل ينشره في (الهاتف) او هو الذي كان يبدو على اساريره في بعض المناسبات مما ينبض به قلبه ولكن صورته الظاهرة في الجرايد السياسية كانت تشغل فراغاً من الذهن اكبر من صورته الظاهرة في (الهاتف) والمائلة امام العيون .

ومن هذا الطريق طريق الصحافة السياسية صار له على صالونات الوزراء والاعيان والاكابر دخول وخروج ، لابل صار له مكان معين ، ومن هذا الطريق تقرب القصاب الى كثير من الوجوه ورجال السياسة ، وبدأ كثير منهم يستميله لسياسته ، والسبب - كما قلنا انفا - هو ان لعبدالمحسن من الملكات ما كانت تجعله موضع اعجاب عند الكثير ، وقد ظهرت هذه الملكات ظهورا يلفت النظر في ميدان الصحافة السياسية ، وما تقتضيه المناسبات الوقتية لهذا الوزير اليوم ، ولذلك غدا ، وغيره بعد غد وقد اثار هو الى حياته هذه في قصته التي عنوانها باسم (قصتي) ونشرها قبيل وفاته في العدد القصصى من جريدة الهاتف ولكن هذه الدالة التي اصبحت لعبدالمحسن على هذا وذاك من رجال السياسة المتنفذين والتي فتحت له كوة من الحياة الرغيدة ، لم تسه حقيقة الادب الكامنة في نفسه التي تتطلب من الاديب ان يصدع بها ، وان يعطيها ما ينبغى من الرعاية والاهتمام وكلما في الامر هو انها حالت بينه وبين اجابة رغبته وميوله النفسية زما فانقطع عن الكتابة للهاتف مدة خمس سنوات !!.....

نعم انه لم ينس حقيقة الادب - وان كان قد انقطع عن الكتابة للهاتف - ولقد كان ادبه هذا شاهدا كبيرا على قيمة الادب عنده يوم حصل بعض الالتباس عند البعض في نسبه الى اسرة (آل القصاب) فاندفع عبدالمحسن يصحح هذا الالتباس على صفحات الجرايد ، ويشير في صراحة تامة الى انه ليس له من العلاقة بآل القصاب المعروفين ما يجيز لاحد ان ينسبه لهم ، وما كلمة (القصاب) الملتصقة به - كما قال عبدالمحسن - الا صفة لايه الندى كان (جزارا) فقيرا ، وأضاف الى ذلك معلنا يقول : « فضلا عن ذلك فليس لى اسرة كآل القصاب » وان مثل هذا الاعتراف الذى يجرى في ظرف لم يدع اليه داع ، ولم يطلبه منه طالب ، لدليل كبير على ما تحمل تلك النفس من ادب ، ومعان تتم عنها هذه المكاشفة ، وهذه الصراحة ، والشعور بلذة ارسال الحقيقة على سجيتها حتى وان كان ذكرها لا يخلو من احتقار له عند بعض الناس

خمس سنوات مرت على معرفتي بالقصاب وقد اشتدت اواصر هذه المعرفة فصارت اكثر من صداقة وانا لم أر عبدالمحسن ولم اعرفه بوجهه حتى جرى انتقاله الى بغداد ، واتفق في احدى روحاتي الى بغداد وانا اهم بالدخول الى السينما اذ اوقفني شاب صبيح الوجه ، حلو السمائل ، جميل الصورة ، انيق الملابس وقدم لي نفسه قائلاً :

- انا عبدالمحسن القصاب .

قلت - ومن اين عرفتي ؟

قال - من هذا - واثار الى رفيق في جانبه هو الاخر من أهل الناصرية وكانت له معرفة سابقة بي على ما قال ولكنني لم اذكرها .
فقلت - انها فرصة ثمينة اذا تفضلتما فدخلتما السينما معي ليم لي ان اتمتع بروايتين في آن واحد .

قال - ولاجل السينما جئنا نحن ففوجئنا بهذه المفاجأة السارة
وهنا في السينما سألت عما لم يتم لي ان اسأل عنه في رسائلتي او ممن يمت الى عبدالمحسن بصلة ، لقد سألته عن كل شيء فما وجدت شاباً أجراً منه على ذكر ما الحقيقية ، وما وجدت شاباً اكثر خضوعاً للحق منه ، وزادني في هذه المقابلة انسانيته بانه يحيا حياة مزدوجة في وجهين متناقضين ، حياة من أجل ان يعيش ، وكلها كذب ، وخداع ، وغش ، ومجاملة على ما وصفها هو نفسه لكي يعيش من وراء هذا عيشاً يكفل له ولاولاده الراحة النسبية . . . !! ثم حياة كلها نكد ، وشقاء ، وغم ، وهم ، لانها عبارة عن افكار وتأملات قد تغطي احيانا على نفسه وتفيض فيحكيها وجهه ، وعيناه ، حكاية اشبه ماتكون بحكاية الرموز التي هي ابلغ من الصراحة ، لذلك كان الذين يعرفونها ويهتدون الى معانيها ومفاهيمها ليسوا قليلين .
هنا . . . هنا . . . عرفت فيه شابا اخر قد يكون احد عشرات الشبان الذين وهبهم الله شيئا غير قليل من احاسيس مرهفة وادراك في فهم الحياة ، وملكة كان يستطيع ان يوجه اليها الانظار ويقعد بها مكانة قد تكون رفيعة من الادب لو لم تتجرفه الحياقة .

المعوجة ، التي قضت بان تسخر المواهب لغير غاية غير مدح الساسة وكيل الثناء لهم
والا فقد قضى عليهم ان يموتوا جوعا اذا لم يموتوا ذلا ...

وفى اليوم التالى كنا نتغدى معا فى أحد المطاعم ، وتناول الحديث الوانا اخرى
كانت اشبه ما تكون باستعراض شامل لكل ما يثير السخرية والتهكم فعرفت فيه هنا
ناقدا يحسن توجيه الانتظار الى مواطن الضعف ويعرف كيف يثير الضحك ممن
لايرتضيهم ان حقا ام باطلا .

وكررت بعد ذلك رؤيتى لعبدالمحسن فى كل سفر من اسفارى الى بغداد
وكان يزيد اسفى فى كل فترة انى كنت اكتشف فيه ناحية جديدة من النواحي
الدالة على حسناته الخلقية ولكنى كنت اراها مقيدة فى دائرة ضيقة محدودة مجهولة،
ومع كل ذلك ومع شكواه الطويلة العريضة كنت المس نشاطه فى الحقول العامة وفى
المناسبات الوطنية وفيما يمكن له ولامثاله ان يقوموا به من تحطيم القيود ولربما
جمحت به مواهبه وانطلقت بعض الاحيان فظهر سافرا للعيون ، ولقد ترك بعض
المؤلفات التى تلمس فى بعض فصولها هذا الجموح وهذا الانطلاق ، وكنت انتظر
له الساعة التى يستطيع ان يستغنى فيها عن المجاملة والمواربة والكذب ، والخداع ،
كما كان يصفها هو ليستطيع ان يستخدم الادب ويستغله احسن استخدام ، واكمل
استقلال ، وبعبارة اخرى انى كنت انتظر ان يجىء يوم يصيب فيه عبدالمحسن من
الرزق ما يكفل له العيش فينصرف الى خدمة الادب .

وتشاء الاقدار ان يمشي اليه السل بطريقة نقلها هو فى قصة كتبها عن نفسه
فى عدد (الهاتف القصصى) فنقل الى لبنان مستشفيا ، وهناك تحسنت صحته بعد زمن
فعاد الى العراق وهو يكاد يشفى تماما ولكنه عاد من جديد لينغمر فى العمل ، وهنا
كان قد صار محاميا ، وقد خاض معركة انتخاب نقابة المحامين داعيا الى انتخاب نجيب
الراوى نقيبا . وقد استطاع (القصاب) فى هذه الآونة ان يكون عنصرا فعالا دل مرة
اخرى على ما يملك من قابليات متعددة ، ثم كان محاميا لبقا استطاع غير مرة ان يوجه
انظار بعض القضاة والحكام نسيبا الى بلاغته ، واسلوب بيانه ، وكان من قبل خطيبا

بارعا ، ولقد خطب في حفلة تأبين الشيخ محمد حسن حيدر نائب لواء المنتفك خطبة استطاع ان يوصلها الى مسامع الصم والى قلب الصخر على ما وصفه به بعض الادباء • وكان قد انقطع عن الهاتف - كما قلت خمس سنوات - لم يكتب فيها شيئا لانغماره في تلك المشاغل ، واذا به وعلى غير انتظار يرسل للهاتف حلقة من سلسلة باسم (في مجال محامتي) ويقدمها بكلمة يذكر فيها اسباب القطيعة وقد بدأ الهاتف نشرها في العدد ٣٧١ •

وظلت هذه السلسلة تعمل عملها في نفوس القراء ذلك العمل الذي كنا نتوقه ، لانها كانت سلسلة من مصائب البيوت والاسر والمشاكل المعقدة من الاجرام التي لم يستطع ان يضع يده عليها وينبه الافكار الى خطورتها ويدل على مواطن علاجها غير محام لبق ، واديب حساس ، فكان المحامي عبدالمحسن القصاب هو ذلك المحامي الذي يملك شيئا من الباقية ، والادب او الذي يريد ان يملك ذلك الشيء على الاقل وقد اشار في تلك السلسلة التي نشرها له (الهاتف) تباعا الى الدعاوى التي قام فيها وكيفا ، ومحاميا ، وسردها بجميع تفاصيلها سردا ابداع فيه ابداعا استرعى انتباه القارئ حينا ، وفي هذه السلسلة حقق معتقد الكثير في مستقبله الباهر ، اما الكلمة التي قدم فيها سلسلته المذكورة والتي نشرت في العدد المذكور من الهاتف فهي :

” وهكذا وبعد ان انقطعت عن الهاتف اكثر من خمس سنوات لارتفاع ، ولا اهمالا ، فالهاتف استاذي الاول واستاذي الامين ، والهاتف ملء السمع والبصر ، ومفخرتي الادبية اذا افتخرت وعنوان الصفحة الاولى من كتاب حياتي الاجتماعية ، ولكنها ظروف العيش ، ورغبة الشباب في الدرس ، وطموحه ، وما دام دولاب الحياة قد عاد سيره الاول ، فلا بد ان يعود هذا القلم لمحيطه الادبي الاول ، ولابد ان يجيب رغبة الهاتف يوم قالها لي كلمة قبل ثلاث سنوات « ارجو الا تترك الادب » فاجته : ولن اتركه ، وسأنتظر هذه المرحلة من الحياة القاسية ، ومتى اشرقت شمس الغد فسيكون كلي للادب وكلي للهاتف ، واذا كان عرفني قراء الهاتف بالامس قصصيا ينزع من المجتمع الوان صوره ، فانتى سأقدم لهم اليوم بصورة اجتماعية جديدة سأنتزعها من صميم المجتمع ، ومن مسلكي القانوني ، فاقدم

لهم في كل عدد - بعون الله - حادثة مما وقعت في حياتي اليومية الجديدة ، عسى ان يكون بها فائدة ، وفيها متعة ، وان رضا الهاتف وقراء الهاتف لهو العوض في ذلك « » .

وكان ما نشره الهاتف للقصاب مرآة صادقة لادبه ولنفسه التي لا تشوبها شائبة الخداع اذ لم ينشر في الهاتف الا القمع التي كان يتناولها من جسده ، ويقتطعها من قلبه ، فاذا اراد احد ان يعرف القصاب الاديب فلن يعرفه من غير طريق الهاتف ، ولقد ساهم القصاب في عدة اعداد من اعداد الهاتف القصصية زيادة على عشرات القصص المترجمة والموضوعة التي نشرها له الهاتف فكان من اكثر اعضاء أسرته القلمية انتاجا ، ومن احبهم الى نفوس القراء .

وظهر اخيرا انه لم يشف من مرضه تماما ، وان مرضه هذا بدأ يشتد عليه ساعة بعد اخرى ، وكان للحماس الذي ابداه في معركة انتخاب المحامين قبل سنتين كل الاثر في انتكاس صحته ، كما كان لحياة المرح التي تلازم بعض الشباب شيء من الاثر على تأزم مرضه ، ففضى وقتا طويلا بمراجعة الاطباء ، ولما يئس قصد لبنان ودخل مصحح (بحسن) للسبل هناك

وفي مصحح بحسن قام بنشاط كبير في مختلف النواحي الادبية ودعا الى تأليف فرقة مسرحية من المسلولين ، كما قام بتأليف جمعية ادبية نفع فيها شيئا من روحه فاذا بعدد كبير من اعضائها يستحيل بين ليلة واخرى الى متأدب يعشق الادب ويتبع آثار القصاب التي نشرها (الهاتف) .

وفي مقطوعته هذه التي نظمها في (بحسن) تصوير صادق لهواجسه وما كان يجول في نفسه وهو في آخر ايام حياته حين يقول :

تعالى من ربي بلدي	أعيدى	ماضى	الحب
ففى (بحسن) لى قلب	حزين	دائم	النحب
فلم يلق سوى الوادى	يناديه	على	الرحب

الى الموت بلا حزن ولا عطف ولا نذب

★ ★ ★

تعالى برداء الموت - وا رحماك - غطيني
ففي دمع الندى (غسلي) وبالآهات (تلقيني)
وفي انشودة الاحباب لا (الاعراب) •• فارثيني
وان قالوا - من الميت ؟ فقولى - من بنى الطين

★ ★ ★

على القبر رعاك الله خطي آية الذكر
بذوب الرثة الاحمر من صدرى لا الحبر
وقولى - شاعر مات غريبا فى صبا العمر
تغنى فى هوى (سلواه) بالاهات والشعر •

وشقاء (القصاب) بعد هذا ملموس فى جميع آثاره الادبية وحتى فى اسماء
اولاده الذين تركهم صغاراً ومات وهو فى يافع العمر وزهرته حين سماهم (صواعق)
و (كفاح) و (نضال) فقد كانت كل حياته المغنوية والروحية عبارة عن صواعق
وكفاح ونضال •

★ ★ ★

وجرياً عنى عادة (الهاتف) السنوية التى تلزمننا بتذكير اصدقاء الجريدة من
كتاب القصة بحلول موعد صدور العدد القصصى الذى اعتاد (الهاتف) ان يفتح به
كل سنة من سنه ، كتبنا له الى مصحح (بحسن) بذلك ، فبعث لنا بالقصة التى
نشرت فى مستهل السنة الثالثة عشرة من الهاتف ومعها رسالة تفيض بالعتاب
لعدم وصول الهاتف اليه طوال هذه المدة - وكان الهاتف قد انقطع عنه بلا سبب
غير تبدل عنوانه الذى لم يعرف عنه محاسب الجريدة شيئاً - وفى ضمن هذه
الرسالة كان يتنبأ بموته اذ يقول :

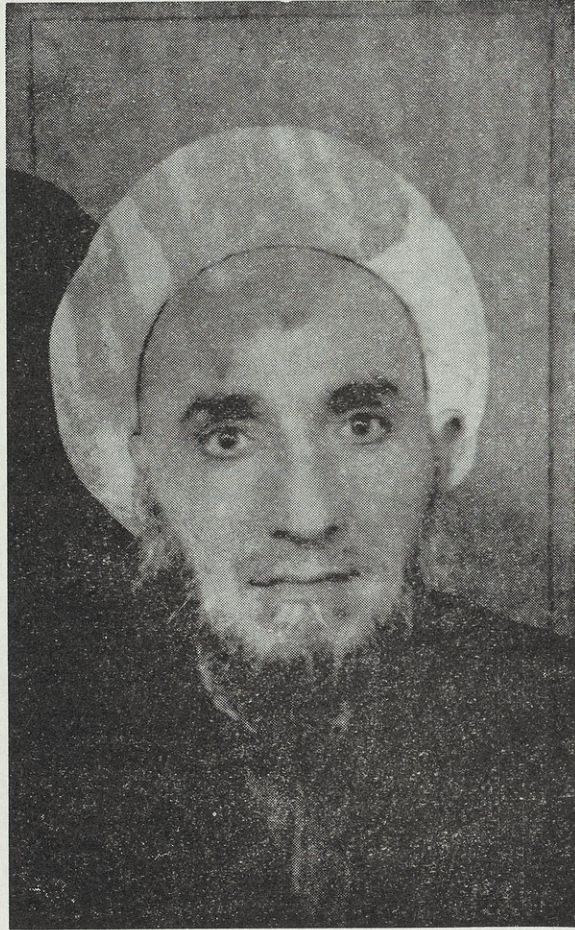
«... لقد كتبت لكم ما قدرت عليه وانا فى غمرة عنيفة من المرض الذى لا يعطف ولا يرحم ، وسواء أنالت القصة عندكم القبول ام لم تتله فقد اديت واجبى نحو الهاتف وانا فى اعنف أزمتى النفسية والحياتية ومن يدري فريما كانت هذه الاقصوصة تحية وداع ابدى من تلميذ مخلص وصديق وفى لاستاذه وصديقه الهاتف » .

لم اخفى على القراء الحقيقة ؟ ولم اظاهر بالجلد الكاذب ؟ بل لم لا اصارح القراء واعترف لهم بانى بكيت كثيرا ساعة قراءتى كتابه هذا وهو لم يمت بعد ، وبكيت اكثر ساعة قراءتى الكتاب بعد مماته ، وساعة غدوت استعرض اديه وذكرياته التى سجلها (الراعى) و (الهاتف) وانا اعلم ان بكائى عليه غير مجد ، ولكن من لى بمن يبعد عن ذهنى صورته الراسخة رسوخ العقيدة فى قلوب المؤمنين ؟ ومن لى بمن يبعد عنى تخيل هذا الشبح الهزيل الممدود على السرير ، الغائرة عيناه والذابلة شفثاه ، والمنطقفة شعلة بهائه - وهو الشاعر والاديب المرهف الحس - بعيدا عن اهله ، غريبا عن موطنه ؟ من لى ؟ من لى ؟ وكانت كلمته المقدمة كلمة وداع حقا اذ توفى قبيل نشر قصته !!..

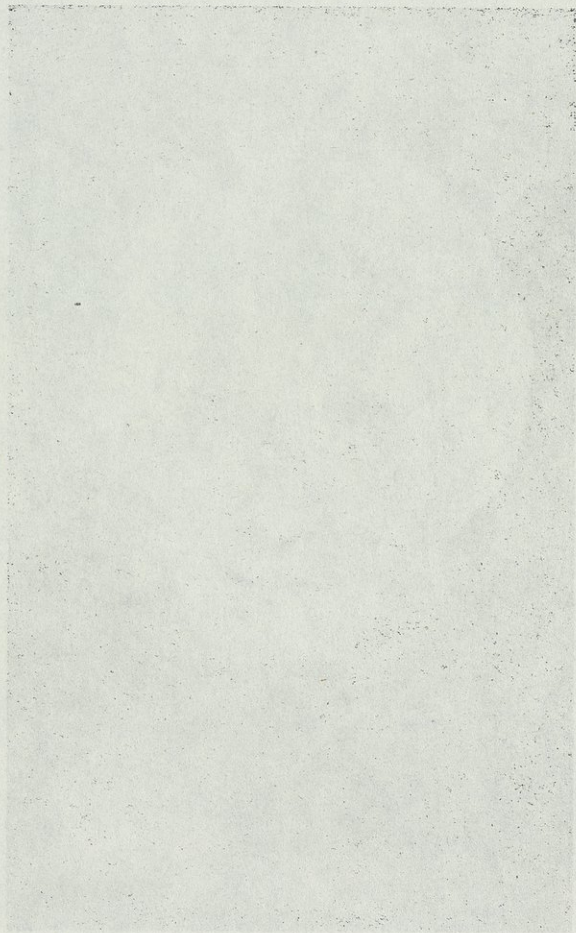
مات عبدالمحسن القصاب قبل ان يبلغ أدبه مداه ، وقبل ان يصل الى الذروة التى كان من المحتم ان يصل اليها لو كان المرض قد امهله ، ومع ذلك فقد ترك فى الراعى والهاتف من الاثر مايكفى ليجعله ضمن اولئك الذين استطاعوا ان يفيدوا الناس بأديهم اكثر مما هو مطلوب من امثاله .

وانا نعتقد ان لعبدالمحسن حقا - بعد حقه على الادب والادباء جميعا - على بلده (الناصرية) نرجو ان توديه (الناصرية) فى احياء ذكراه بقدر ما نرجو ان توديه فى رعاية اولاده ، وان مثل هذا الحق له على نقابة المحامين اكثر واكثر فقد كان من اعضاء النقابة العاملين ، ومن عناصرها الثشطين ، وممن عرف شرف المحاماة وكرامتها فذب عنها كثيرا بالقول والعمل على قدر ما فسخ القضاء له من المجال .

مات عبدالمحسن وبموته انكسر قلم عز على الادب ان ينكسر ، ولكن ذلك ما شاء الله ولا مرد لما يشاء الله .



الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء



Wm. H. & Co. New York

الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء^(١)

لقد جاءت اول معرفتى بالشيخ محمد رضا كاشف الغطاء عن طريق ولده الشيخ على كاشف الغطاء ، فقد كنت قبل خمس وعشرين سنة مدرسا فى المدارس الحكومية ، وكان الشيخ على طالبا فى المدرسة الرسمية الوحيدة يومذاك فى النجف ، وكنت اجد فيه كل ما يتطلب المعلم ان يجده لدى تلميذه ، من فطنة ، وفهم ، وطاعة ليوفر للمعلم مجهوده ، وليحقق هدف التعليم على احسن وجه وصورة ، وكنت اؤثر الشيخ على على جميع اقرانه او على اغلب اقرانه - على الاقل - لهذا السبب ، وكان لهذا الاثار قيمته عنده ، فكان يسعى دائما لاقامة الدليل على شكره لى وامتنانه منى باساليب واحدة لم تتغير ، ولم تبدل طوال انزمن ، وهى ان يتحفنى باعداد مجلة المقتطف كلما وصلت الى ابيه ، ويكتب او كتابين مما كان يصل اليهم بين آونة واخرى من الكتب الحديثة التى كانت بعض المكتبات المصرية ، تجريها فى حسابهم ، وترسلها بناء على طلباتهم ، فكنت اقرأ هذه الكتب والمجلات واعيدها اليهم عن طريق الشيخ على مصحوبة بالشكر مع ابداء الاعجاب برجل من الروحانيين يعنى مثل هذه العناية براءة الكتب والمجلات الحديثة ، تلك العناية التى لم تترك كتابا جديدا - فيما يتعلق بالادب والاجتماع والتاريخ - يمر دون الوقوف على زبدته والاحاطة بموضوعه على قدر الامكان

ولقد علمت فيما بعد ، ان هنالك ناحية اخرى تستحق الاعجاب وهى ان للشيخ محمد رضا ، ولايه الشيخ هادى مكتبة نفيسة تحوى اندر الكتب وانفسها ، من مخطوطة ، ومطبوعة ، كادت تنفرد بها هذه المكتبة دون المكتبات الاخرى فكان ذلك حافزا من حوافز توثيق الصلات بينى وبين هذه الاسرة ابا وجدا ، وكنت

(١) الهاتف - العدد ٤٦٢ - السنة الثالثة عشرة - حزيران ١٩٤٧ .

المس نفس هذه الرغبة في توثيق الصلة عند الاب الشيخ محمد رضا وعند الجد الشيخ هادى الشيخ عباس ، ولست ادري أكان ذلك بسبب تقارب شعورنا فى تتبع ما يقع تحت اليد من الكتب الحديثة والانهماك فى مطالعتها ؟ ام بسبب عنايتى الفائقة بانهما الطالب ، او بداعى صداقة ابى لاسرتهما ؟ وكيفما كان الامر فقد رحمت أسأل ، واستزيد عن الشيخ محمد رضا وابيه الشيخ هادى الشيخ عباس سؤال من يحلو له ان يعرف عنهما كل شىء كبيرا كان ام صغيرا .

وكان ابى اكثر من يعرف عن هذا البيت العريق ومحلّه من اسرة آل كاشف الغطاء ، وكان لكثير من رفاقى وزملائى فى المدرسة وخارجها المام لا بأس به عن هذا الاب والجد بسبب القربى ، او الصداقة ، او الجوار ، فكونت لى فكرة واسعة عنهم احسب انها كانت كافية لاشباع رغبة التطلع واكثر . خصوصا واننى كنت اعرف أسرة آل كاشف الغطاء واعرف شيئا غير قليل عن تاريخها العام .

اجل لقد علمت ان الشيخ محمد رضا هذا هو ابن الشيخ هادى ، والشيخ هادى هو ابن الشيخ عباس الشيخ على آل كاشف الغطاء ، وان الشيخ عباس الشيخ على كان قبل خمسين سنة واكثر من اكبر زعماء النجف بل اكبرهم على وجه التحقيق ، وقد كان يجمع الى جانب علمه ، وأدبه ، مزايا كثيرة جعلت من بيته ديوانا حافلا برجال العلم ، والادب ، والشعر ، وملجأ للخائفين ، والمشتكين وارباب المشاكل الذين يبحثون عن الحلول لمشاكلهم العامة والخاصة ، ذلك لان الشيخ عباس لم يكن وجيها فى المدينة وحدها وانما كان له عند الحكومة العثمانية وولاتها جاه كبير بحيث يبعد ان يرد له رجاء يتعلق بمصلحة البلد العامة ، او مصالح الناس أو ارباب الحاجات الخاصة ، فكان لا بد ان يسمو الشيخ عباس فى عيون الناس ، من حضر ، والعشائر المحيطة بالنجف

ولقد سمعت الشيخ جواد الشيبى يقول :

لقد سمعته يقول :- قد كان للشيخ على اشعاع خاص ، هو اشبه بالجازبية أو القوة المغناطيسية التى لا يكاد يوجهها الى احد حتى يكهر به ، ويجذبه اليه . .

وان مصدر هذا الاشعاع على الغالب كان حسه المرهف ، وفهمه للامور
ومقتضياتها وأين يجب ان يضع كل شيء وزمان وضعه

والدليل على تلك الميزة - ميزة وضع الامور في مواضعها عند الشيخ عباس -
هو ان للشيخ عباس ابن عم يسمى بالشيخ عباس الشيخ
حسن ، وهو جد الشيخ محمد رضا لامه ، وقد كان اغزر
علما من الشيخ عباس الشيخ على ، وأكثر احاطة ، واوسع اطلاعا
في علم الفقه ، والرجال ، وسائر العلوم الدينية ، ولكنه لم يبلغ شاو ابن عمه الشيخ
عباس الشيخ على الذى كان يترأس جماعة العلماء والوجهاء عند حلول المشاكل
والمهمات . والذى كان لادبه ورجحان عقله التقدر المعلى فى تلك الايام .

وسمعت من الشيخ جواد الشيبى ايضا - وقد كان صديقا حميما للشيخ هادى
والد الشيخ محمد رضا - لقد سمعت منه يقول - ان الفضل الاكبر فى ثقافة جمهرة
من فحول ادياء الجيل الماضى فى النجف يعود الى الشيخ عباس الشيخ على
والى ديوانه العامر بخيرة اهل العلم ، والادب ، والظرف يومذاك ، وان نشأة الشيخ
هادى العلمية ، وثقافته الادبية ، لمدينة لحد كبير الى هذا (الديوان) الذى كان يحكى
مدرسة ، او منتدى من نوع خاص .

وحين مات الشيخ عباس الشيخ على ، حزنت النجف واطرافها من القبائل
حزنا لم يعرف له نظير من قبل ، وصارت مواكب العزاء والمعزين تقدم على النجف
تتري حتى لقد استمر ورود مواكب العزاء ووفود المعزين اربعين يوما على ما قيل
وقد القى هنالك من الشعر الفصيح والدارج ما يؤلف عدة دواين يستطيع مؤرخو
الادب ان يعنونوا عليها فى دراسة ذلك العصر ، واتجاهاته الادبية ، والوانها ، ولقد
ظل الصغار والكبار - على ما قيل - يحفظون اهازيج الرثاء ، واناشيده زما طويلا ،
ويرددونها فى الشوارع والازقة !!

وكان من بين تلك المواكب التى قصدت ديوان آل كاشف الغطاء للتعزية كان
موكب (الشوشترية) ، والشوشترية هؤلاء جالية من مدينة (شوشتر) تسكن النجف
منذ مئات السنين ولها فى النجف اليوم كما يعرف الجميع مؤسسة (حسينية) تقيم

فيها المآتم الحسينية في كل مسنة بمناسبة شهر (المحرم) ، وقد قدم موكب (الشوشترية) على بيت الشيخ هادي معزيا ، وبعد ان لطموا وقرأوا مرثيتهم وخرجوا نطق خيبت منهم هازجا بهذه الازوجة باللغة الفارسية الدارجة ، فهزج الجميع معه وبنغمة رتبية راحوا يكررونها ويهتفون بها :

عباس على مرد عباس حسن ماند
يك حيف كه ان مرد صد حيف كه اين ماند

والمعنى هو «انه قد مات الشيخ عباس الشيخ على ، وقد بقى الشيخ عباس الشيخ حسن ، واذا كنا نأسف لموت الشيخ عباس الشيخ على مرة واحدة فاننا للأسف مائة مرة لبقاء الشيخ عباس الشيخ حسن في قيد الحياة» وظلت هذه الانشودة موضع تفككه الناس عدة سنوات .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون فاني اعرف ان الشيخ عباس الشيخ حسن كان قد استجاب دعوة شبلي باشا الذي فتح للصحن الشريف في النجف بابا - هو اليوم يسمى باسم باب العمارة ، او باب سوق القاضي ، او باب الفرج اقول لقد استجاب الشيخ عباس الشيخ حسن دعوة شبلي باشا الى وضع تاريخ شعري لهذا الباب فجاء تأريخه الشعري على هذا النحو :

« جلت علت باب سلطان السلاطين » .

وحين قرىء هذا التاريخ في أحد المجالس الادبية العامة صاح من هناك الشيخ محمد كاشف الغطاء (وهو ابن عم الشيخ عباس وكان من فحول الادباء واهل الفطنة) لقد صاح ان هذا التاريخ الذي وضعه ابن عمنا لينقص ثمانمائة سنة عن تاريخ فتح الباب ١٩٠٠!

وحين استوضح الحاضرون منه اعتراضه قال :-

قال الشيخ محمد - لان (الباب) مذكر ، وقد اتته الشيخ عباس ، فاذا ما اردنا تصحيحه بحذف التائين ، من التاريخ فلن يبقى لدينا بعد ذلك الا ان نقول - (جل علا باب سلطان السلاطين) .

وبذلك ينقص العدد في حساب التاريخ الابدجى ثمانمئة سنة
وعلى رغم ان الشيخ محمد كاشف الغطاء لم يرد التتديد بابن عمه فقد
تحول المجلس الى ضحك واستمر حديث هذا التاريخ يروى عدة سنين !
ولكن الشيخ محسن الخضرى قد وضع فى الوقت نفسه تاريخا للباب على
هذا النحو • « لقد فتح الشبلى نحيدرة بابا » •

فى هذا البيت وتحت ظل الشيخ عباس الشيخ على نشأ الشيخ هادى الذى
ورث شيئا غير قليل من شمائل ابيه ومزاياه وانجب ولدين كان الاول منهما (مجيد
كاشف الغطاء) الذى خطفه الطاعون وهو لم يزل فى مقبل العمر وقد ترك امثلة
قلما روى نظائرها فى عالم الفطنة والذكاء وسرعة البداة ، وكان الثانى هو الشيخ
محمد رضا كاشف الغطاء الذى خطفه السل وهو فى مبتدأ دور الكهولة •

قلت انى عرفت هذه الاسرة معرفة لا بأس بها وقد تكون كافية لمجاراة رغبة
واحد مثلى فى مثل ذلك الدور ، وكنت قد رأيت الشيخ هادى يصلى بالناس فى
الصحن الشريف وخلفه عدد من صفوف المؤمنين ، لقد كنت اراه كلما يصادف
مرورى على (باب الطوسى) •• ثم رأيت مرات فى مجالس النجف العامة مشتركا فى
احاديث علمية او ادبية ، كما قد رأيت ابنه الشيخ محمد رضا على هذا النحو او
بعضه ، ومع ذلك كله ، ومع تلك المعرفة ، ورؤيتى للشيخ الاب ، وللشيخ الابن
- عن طريق الحفيد الشيخ على يوم كان طالبا فى المدرسة - وكثرة ما كان يعيرنى
هذا الحفيد من الكتب التى يستأذن فى اعارتها جده واباه ، ثم الرغبات المتبادلة بينى
وبين هذا البيت فى توثيق عرى هذه المعرفة اقول ومع ذلك فقد كانت صلتى بهم
لم تتجاوز بعد حدود السلام والتحية حين اراهما فى الطريق منفردين ، أو
مجتمعين وكثيرا ما كنت اراهما معا فاراهما كصديقين حميمين لا فارق بينهما الا
السن والا اللحية البيضاء التى تزين وجه الاب الوقور الشيخ هادى والا النحمة التى
يصطبغ بها وجه الابن الضاحك المتهلل الشيخ محمد رضا وما عدا ذلك فهما
يتحدثان ، ويتناقشان ، كندين وكزميلين ، لافرق بين احدهما والاخر

ولا ادري متى بعد ذلك تم لي الاختلاف الى بيتهم ، وحضور ندوتهم فى ذلك الديوان الذى بقى رمزا من رموز الشيخ عباس الشيخ على ، وعنوانا لما كانت عليه (مجالس) النجف ويمتد (مجلسهم) - ولاسيما فى شهر رمضان - الى وقت متأخر من الليل يقضى الشيخ هادى فيه شطرا ، ويترك لابنه الشيخ محمد رضا الشطر الآخر ، ليقطع الوقت فى مساجلة علمية ، او ادبية ، حسب مقتضيات الوقت وحضار (المجلس) ♦

★ ★ ★

واذكر ليلة من لىلى شهر رمضان زار فيها السيد عبدالعزيز الشواف - وكان حاكم مدينة النجف يومذاك - لقد زار ديوان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء ، وبصحبه الشيخ محمد السماوى - وكان يومها قاضى محكمة النجف الشرعية - ومعهما صديقى الحاج مصطفى الصراف انذى كان من اعز اصداق (الشواف) و (السماوى) ، والشيخ محمد رضا كاشف الغطاء معا ، وكان الحاج مصطفى الصراف من المعجبين بالشيخ هادى الشيخ عباس ، ومن المؤتمنين به فى صلاته بحيث قلما شغله شاغل عن حضور الصلاة خلف الشيخ هادى ، ولكنه لطارىء من الطوارئ البيتية اضطر لتتخلف عن حضور صلاة الجماعة فى الصحن الشريف عدة ايام فافقدوه ، وفى هذه الزيارة من تلك الليلة من شهر رمضان استغل الشيخ محمد رضا المناسبة ليحول المجلس الى مجلس مفاكحة ، ومنادرة ادبية ، فقال موجها كلامه الى الشواف ، لقد قال انه - ينتهز فرصة وجود الحاكم فى بيته ، ليرفع شكوى له ضد الحاج مصطفى الصراف ويتهمه بتضعف ايمانه بترك صلاة الجماعة ، وتفضيل الصلاة المنفردة عليها ، واطاف الشيخ محمد رضا قائلا : لذلك لن اترك الحاكم والقاضى يبرحان هذا المنزل قبل صدور الحكم بادانة الحاج مصطفى ، وتغريمه بمقدار مناسب من اكياس الحنطة ، واكياس الرز ، ومقدار من التمر لتوزيعه على الفقراء بمناسبة شهر رمضان ، فما يقول مولانا الشواف والسماوى ورأى السيد عبدالعزيز الشواف فى هذا الاقتراح فرصة جميلة للمطايبة ، والمفاكحة الادبية ♦ فقال :

- وانا مستعد لقبول الشكوى ، والنظر فيها ، ولكن على ان تقدم مكتوبة على الورق فى هذه الساعة ، والافضل عندى ان تنظم هذه الشكوى شعرا •• وسأصدر القرار هنا شعرا وفى نفس هذه الجلسة •

وكثر الحوار فيما اذا كان الوقت يساعد للتعبير عن الغرض بالشعر فى مثل تلك العجالة والارتجال ؟ واقترح البعض ان تؤجل الجلسة الى يوم آخر ليتقدم فيها الشيخ محمد رضا بشكواه شعرا ، ولكن الشيخ محمد السماوى أصر على أن جمال المفاكحة كله انما هو فى الارتجال نفسه ، فلم ير حينذاك الشيخ محمد رضا بدا من ان يستجيب للطلب فمسك القلم وفى دقائق معدودات وضع المقطوعة التالية امام الحاكم :

من حامل للحاكم الشواف	ذى العدل والوجدان والانصاف
عنى شكاية مستغيث يشتكى	صنع المذهب - مصطفى الصراف
ترك الصلاة (جماعة) فى وقتها	و (الترك) مكروه بغير خلاف
قد كان عضوا فى الجماعة عاملا	يدعو لها من سائر الاطراف
شهر الصيام أتى وفيه فضلها	بين البرية لم يكن بالخافى
هل كان يأمل (وحشة) ما نالها	او ظن ان (الاقتداء) ينافى
ان كان يرجو راتبا كموظف	فالامر امر وزارة الاوقاف
فاذا اطاع وعاد يغفر ما مضى	من فعله والله نعم العافى
واذا عصى فاحكم عليه بمبلغ	من غير تبذير ولا اسراف
من بر او تمر يوزعه على	ذى علة وارامل وضعاف

و (الوحشة) التى يشير اليها الشيخ فى هذه المقطوعة هى اجور تدفع لفقراء يصلون للاموات فى اول ليلة اقبارهم صلاة تذكارية تسمى بصلاة الوحشة ، وكان يريد ان يقول هل ان الحاج مصطفى من هؤلاء الفقراء الذين يبحثون عن اجور (الوحشة) ولم ندفعها لهم ؟ اما الاوقاف فقد كانت يومها وزارة ثم صارت بعد ذلك مديرية ••••

ولقد ثقل على الشيخ محمد السماوى وهو استاذ التاريخ الادبى المعروف

فى عصره لقد ثقل عليه ان يرى الشعر المرتجل يجرى على قلم الشيخ محمد رضا
بهذه السرعة وهو عالم فقيه وليس بشاعر ولا يجرى على قلمه هو فتناول القلم ،
وتولى الرد نيابة عن الحاج مصطفى الصراف وكتب :

للحاكم المعروف بالانصاف	عبدالعزيز الفاضل الشواف
هذا جواب شكايه بلغتها	فى (عرض حال) جله متنافى
من ذى المكارم والعلى الشيخ الرضا	علم الافاضل عمدة الاشراف
انا لم ازل لاييه حامل رآيه	منشورة بمحاسن الاوصاف
ادعو نه سرا وجهرا فى الورى	فى سائر الاقطار والاطراف
واقول فى (الهادى) الهدية والتقى	والعلم امر لم يكن بالخافى
وارى المصلى خلفه صلى بها	خلف (الامام الحق) دون خلاف
فعلام يرمى بسهم جنايه	ويقول لى استغفر وربك عاف
ويروم تجزيتى الغرامة بعد ذا	فكأن الاستغفار ليس بكاف
وعليه اطلب رد دعواه بها	حكما وجاهيا بلا استيناف
فاحكم وحمله مصارف هذه	الدعوى (بدعوة) مصطفى الصراف

(والدعوة) هنا اراد بها صدور الحكم باقامة وليمة للحاج مصطفى كما لا يخفى
على القارئ * وكان قد عز على الحاكم (الشواف) ان يرى المدعى والمدعى عليه
مرتجلين خصوصا وهو المقترح ثم لا يكون هو الاخر مرتجلا ، فاخذ القلم بيده
وبنفس السرعة والعكوف على الورق اصدر القرار التالى :-

باسم الجلالة سيد الاشراف	اصدرت حكما مقتضى الانصاف
دعوى (محمد رضا الهادى) على	صنع المهذب مصطفى الصراف
لم تخل مما قد يبرر ردها	من وجهة التقويم والاسعاف
اما الصلاة (جماعة) خلف الذى	هو كأسمه هاد بغير خلاف
فالحكم فيها واجب اذ أجرها	نص الشريعة عد بالانصاف
لكن مطلبه بدفع غرامة	قد جاء فى شىء من الاجحاف
اذ كيف يحكم بالغرامة تائب	يستغفر المولى وربك عاف

اما المصارف فهي بينهما اذن والحكم نسبي على الاطراف
حكما وجاهيا يبلغ معلنا من غير تمييز ولا استيناف

وحظيت تلك الليلة بعدد من القصص الادبية التي اوردها الحاضرون مما
يناسب هذه المفاكحة ، فروى الراوون ما كان يجري مثل هذا في مجلس السيد
حسين القزويني ، وكان اكبر مجالس النجف الادبية في حينه ، وما كان يجري
في مجلس السيد على العلاق وغيرهما من مجالس الادب التي قلما خلت من مثل هذه
المفاكحات والماندرات الادبية والشعرية المرتجلة (١) وفي تلك الليلة روى لنا
بعض الحاضرين بهذه المناسبة ما كان قد جرى يوم (الهريسة والسماك) في نفس
هذا الديوان - ديوان آل كاشف الغطاء - وهو ان جماعة من رجال العلم والادب
قد لبوا دعوة لتناول (هريسة) في الفطور ، ودعوة لتناول سمك في الغداء عند
الشيخ احمد كاشف الغطاء المرجع الروحاني المعروف (٢) وكانت الدعوة في
نفس هذا البيت ، ولربما في نفس المكان الذي كان يقعده الشيخ محمد رضا تلك
الليلة ، وكانت الدعوة بقصد المطايب والتسلية اكثر مما كانت للاكل والشهية ، وفي
مثل هذه الدعوات يكثر المزاح عادة على الاكل ، واشتباك الايدي ، وما شاكل ،
لذلك ما كادت توضع المائدة حتى نسفت عن آخرها في اقل من بضع دقائق ، ولم
يحرم من الطعام الا صاحب الدعوة الشيخ احمد كاشف الغطاء ، والا الشيخ جواد
الشيبي وذلك لتجنبهما ذلك الصراع والمزاح ودخول معتمته .

ولكى يطيب الشيخ احمد نفس الشيخ جواد الشيبي ، سأنه بعد ايام وهو
عنده في نفس هذا الديوان الذي يقعده الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء اليوم
عما يجب ان يأكل من طعام ؟ وعمن يريد ان يدعوه معه يوم الاربعاء المقبل وذلك
ككفارة لما سبق وقوعه مما ادى الى حرمان الشيبي من الغداء فاطرق الشيبي
دقائق ثم رفع رأسه وفيما يشبه الارتجال تلا على الشيخ الايات التالية :-

يا من لذاتك بيت من علا سمكا صير غدائي غداة (الاربعاء) سمكا

- (١) وفي مواضع اخرى من هذا الكتاب ذكر لمجالس النجف ورد في سياق
الحديث كما ورد ذكرها هنا .
(٢) هو والد عباس كاشف الغطاء مدير البنك اللبناني المتحد اليوم .

وخصني فيه فردا لا يشاركني
سواك فالنفس تأبى الشرك والشركا
اما اعتبرت بهم يوم (المهريسة) من
ألقوا اناملهم من فوقها شبكا
قالوا لنا سرر (البنى) تقسمها
ما بيننا ، والبقايا والجلود لنا

والبنى نوع من اجود انواع سمك الفرات ، وعلى هذا النحو كانت تجري
مجالس المفاكهة في النجف وكانت مجالس آل كاشف الغطاء من بينها تموج بالوان
من متع الادب والمطايبات ♦♦♦♦

وشب الشيخ على كاشف الغطاء ، وخرج من المدرسة ليتفرغ لدراسة العلوم
الدينية ، ثم خرجت انا من السلك التعليمي وتسنى لي ارتياد ديوان الشيخ هادي
وابنه الشيخ محمد رضا اكثر من ذى قبل ، وصارت لي من الدالة على الاب والابن
ما جعلتني ارجوهما للكثير مما يكلفني به البعض عندهما من الحوائج ♦

ولقد كتب لي صديقي المهندس السيد حسن الرفيعی مرة من (مشيغن) وكان
لم يزل يدرس الهندسة هناك لقد كتب لي يطلب مني بذل الجهد في البحث عن
نسخة خطية لكتاب (تذكرة العين) لعلي ابن عيسى ، و اشار لي في كتابه الى ان النسخة
المطلوبة هي نادرة الحصول اذا لم تكن معدومة ، وقد رجا ان اشتريها له اذا ما عثرت
عليها بأية قيمة كانت ♦ واذا ما تعذر شراؤها فلي ان ارفع قيمتها وادفع مائة دينار لقاء
استنساخها فقط ♦♦♦

وجئت الشيخ هادي ، وكانت مكتبته حافلة باكبر عدد من المخطوطات النادرة ،
واحسب انها لم تنزل حتى الان ذات قيمة علمية كبيرة واخبرته بقصة (تذكرة العين)
وما كتب لي بخصوصها السيد الرفيعی ، ولم اكنم عنه خبر اهمية الكتاب بحيث
يستدعي دفع مائة دينار لمجرد استنساخ نسخة عليه مع الموافقة على جميع الشروط
المطلوبة ، فقال لي ان النسخة المطلوبة موجودة عندي وقال انها تقع في صفحات
قليلة وليست هي بالكتاب الكبير ، وقام على رغم شيخوخته الى المظان من تلك الرفوف
التي توصل الارض بالسقوف من الكتب وبحث بعض الوقت فلم يعثر عليها ♦♦♦♦
فقال لي لم لاتدع الامر الى حين عودة الشيخ محمد رضا الى البيت ؟ فهو ادرى
بموضع النسخة من هذه الكتب ، ولك ان تأخذها وتفعل ما يحلو لك ان تفعل
بها !!♦♦♦

وانتظرت الشيخ محمد رضا عند ابيه وانا جالس فى المكتبة ، ولكنه لم يعد ،
وقمت بعد اليأس على ان اعود فى وقت آخر وفى الطريق وانا خارج من البيت
القيت الشيخ محمد رضا فى طريقه الى بيته فقصصت عليه القصة بالتفصيل ، فرجا
منى ان اكنم الخبر عن ابيه لئلا ينزعج لانه - اى الشيخ محمد رضا - كان قد
اعطى تلك النسخة الخطية قبل مدة لاحد اولاد الخانجى ، وكان هذا قد زار
النجف ، وزار بعض مكاتب السيوت ، وفى ضمنها زار مكتبة الشيخ هادى ورأى
هذه النسخة كما رأى ثلاث نسخ خطية من كتب قديمة اخرى فعالج امر شرائها
وشراء تلك النسخ من الشيخ محمد رضا بمختلف الوسائل ، ولما يس وعرف انى
- يقول الشيخ محمد رضا - غير بائع شيئا منها ، رجا منى ان اعيره تلك النسخ مقابل
وصل منه زاعما ان لدى مكتبة (دار الكتب) بمصر صوراً من هذه النسخ وانه
- اى الخانجى - يريد تصحيح البعض على البعض الاخر قال الشيخ محمد
رضا ، ومن هناك ومن مصر كتب لى الخانجى يقول انه قد فقد هذه النسخ
الخطية الاربع فى الطريق . . . !! وقال الشيخ وانا اشك ان يكون الامر صحيحا .
قلت - وكان عليك ان تعلق باب الاستعارة .

قال - واذا تم لى ان افعل هذا مع الخانجى فهل يتم لى ذلك مع غيره ؟
ثم اردف قائلاً :- لقد اضعنا عددا كبيرا من كتبنا على هذا النحو وبمثل هذا
التساهل

وتوفى الشيخ هادى الشيخ عباس ، وعلى رغم توسم الشيخ عبدالكريم
الجزائرى الزعيم الروحانى المعروف القابلية واللياقة فى الشيخ محمد رضا ونعته
اياه (بالشيخ) فى تاريخه الذى وضعه ليوم لبس الشيخ محمد رضا العمامة فى اول
شبابه حين ارخ له الجزائرى بقوله : (الشيخ قد لبس العمامة) .
وقد كان لبس العمامة اول ما تلبس فى السنين الماضية شأن لا يقل عن شأن
اختتام القرآن ، واجراء الختان ، وما شاكل وقد اتخذ من تاريخ الشيخ عبدالكريم
الجزائرى فالأ يبشر بالخير لمستقبل الشيخ محمد رضا الروحانى .

أقول وعلى الرغم من هذا التوسم وعلى رغم اعداد الشيخ محمد رضا نفسه لان يكون شيخا روحانيا ، ثم على رغم بلوغه مرحلة كبيرة من العلوم الدينية والثقافة الاجتماعية التي تقتضيها الروحانية المتجددة ، وابوه لم يزل في قيد الحياة انه على رغم هذه المؤهلات فقد كان يتعد جهده عن القيود التي كانت تحد من حريته ، وتضفى عليه آفاق اتصالاته الواسعة بالناس ، لانه كان رجلا اجتماعيا يحب الاختلاط بالناس باقصى حدود الاختلاط ، وان للروحانية قيودا ومراسيم لا تتجانس مع الانطلاق الواسع ، والاحتكاك بالجمهير ، لذلك ابدى الشيخ محمد رضا بعد وفاة ابيه تهربا عجيبا من اشغال مركز ابيه ، والصلاة بالناس في مكانه من الصحن الشريف .

واقبل عليه الكثير من الفضلاء يحضونه على التصدى للصلاة بالناس ، وكان على رأس اولئك الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي بعث له بتأييده والالاحاح عليه بالتصدي للصلاة ولم تكن العلاقة بينه وبين الامام كاشف الغطاء علاقة طبيعية على رغم القربى ، ومع ذلك فراح الشيخ محمد الحسين يؤيده ويشد ازره ، اما الشيخ محمد رضا فقد امتنع ، واكتفى بما كانت له من حلقة كبيرة من حلقات التدريس كان يحضرها عدد غير قليل من افاضل رجال العلم كتلاميذ خاصين للشيخ محمد رضا .

وقد حضر احمد امين ، وعدد من طلاب الجامعة المصرية حين زاروا النجف حلقة من دروس الشيخ محمد رضا ، وقالوا انها كحلقة الازهر الا ان الدرس لدى الشيخ محمد رضا اعمق واوسع افقا من دروس الازهر وكنت انا حاضرا هذه الحلقة وسامعا باذني ما قاله احمد امين .

وكان السيد ابو الحسن ، قد انفرد بزعامة الشيعة ، ولم يكن حاضرا في النجف حين وفاة الشيخ هادي ، وقد بلغه خبر الوفاة وخبر احجام الشيخ محمد رضا عن الصلاة بالناس فكتب له كتاب تعزیه بليغة ، ثم ضمن كتابه هذا وجوب تقدمه للصلاة بالناس وهناك صدع الشيخ محمد رضا بالامر وتولى الامامة في الصحن الشريف وفي مكان مصلى ابيه .

وصلى ، وصلى خلفه جمع من العلماء ، والفضلاء ، والابرار على سبيل التأييد
لاول مرة ، كما هو متبع عند النقاة ، ولمع نجم الشيخ محمد رضا وكانت لبشاشته
وسحته المشرقة فضلا عن مواهبه الدينية والادبية اثرها فى جميع نفوس ملتقيه ،
ولقد اخجلنى مرة حين وقف يوجه عتابه الى باسلوب غاية فى الادب والرقه ، وبوجه
يوحى بالدعة والطيبة ، لقد كان يعتب على لاننى وقفت وانا استعرض كتابه الذى
اصدره عن (الشريف الرضى) فى جريدة الهاتف موقفا ربما شفى عن جنوحى
لرأى الشيخ عبدالحسين الحلى ، وكان قد جرى بين الشيخ الحلى وبين الشيخ
محمد رضا كاشف الغطاء شىء من الخصام فى دعوى لم يعرف احد وجه الصواب
فيها ، فقد قال الشيخ محمد رضا انه كان قد اعار مسودة كتابه (الشريف الرضى)
قبل طبعه للشيخ عبدالحسين الحلى لان الشيخ عبدالحسين كان ينوى ان يكتب
شيئا عن الشريف الرضى فاحب الاطلاع على مسودة ما كتبه الشيخ محمد رضا
ولكنه اساء استغلال هذا الاطلاع - على حد قول الشيخ محمد رضا -
ونقل جل ما كتب الشيخ محمد رضا فى كتابه ،
ثم نشره كمقدمة للكتاب الذى اصدرته (جمعية منتدى النشر) كما لو كان الشيخ
عبدالحسين الحلى هو الباحث عن تلك المصادر والمستنج لتلك الاراء !!

اما الشيخ عبدالحسين فيقول ان الشيخ محمد رضا كان قد عرض على مسودة
كتاب (الشريف الرضى) لابداء رأبى فيه ، وقد اذفت الى تلك المسودات هذه
التحقيقات التى اخذتها بعد ذلك باعتبارها ملكا لى ، وضمنتها المقدمة التى نشرت
وكان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء قد طبع كتابه بعد ذلك وعرض فيه
بالشيخ عبدالحسين الحلى ، واتى على سرد القصة بشكل لم نستسغه نحن من حيث
التعريض ، وليس من حيث الحق ، لان الحق لم يكن معروفا فى هذه الدعوى ولم
يزل لليوم غير معروف لدينا ، فالشيخ محمد رضا كاشف الغطاء كان فى غنى عن
عرض مسودات ما يكتب بقصد التصليح والتهذيب على احد ، والشيخ
عبدالحسين الحلى فى غنى اكثر واكثر عن اتحال اراء غيره لنفسه بالنظر لطول باعه
وعلو كعبه وقد ظل كلاهما متحمسا لرأبه ومتهما الاخر بتلك التهمة ولم يستطع احد

ان يقول شيئا فاصلا •

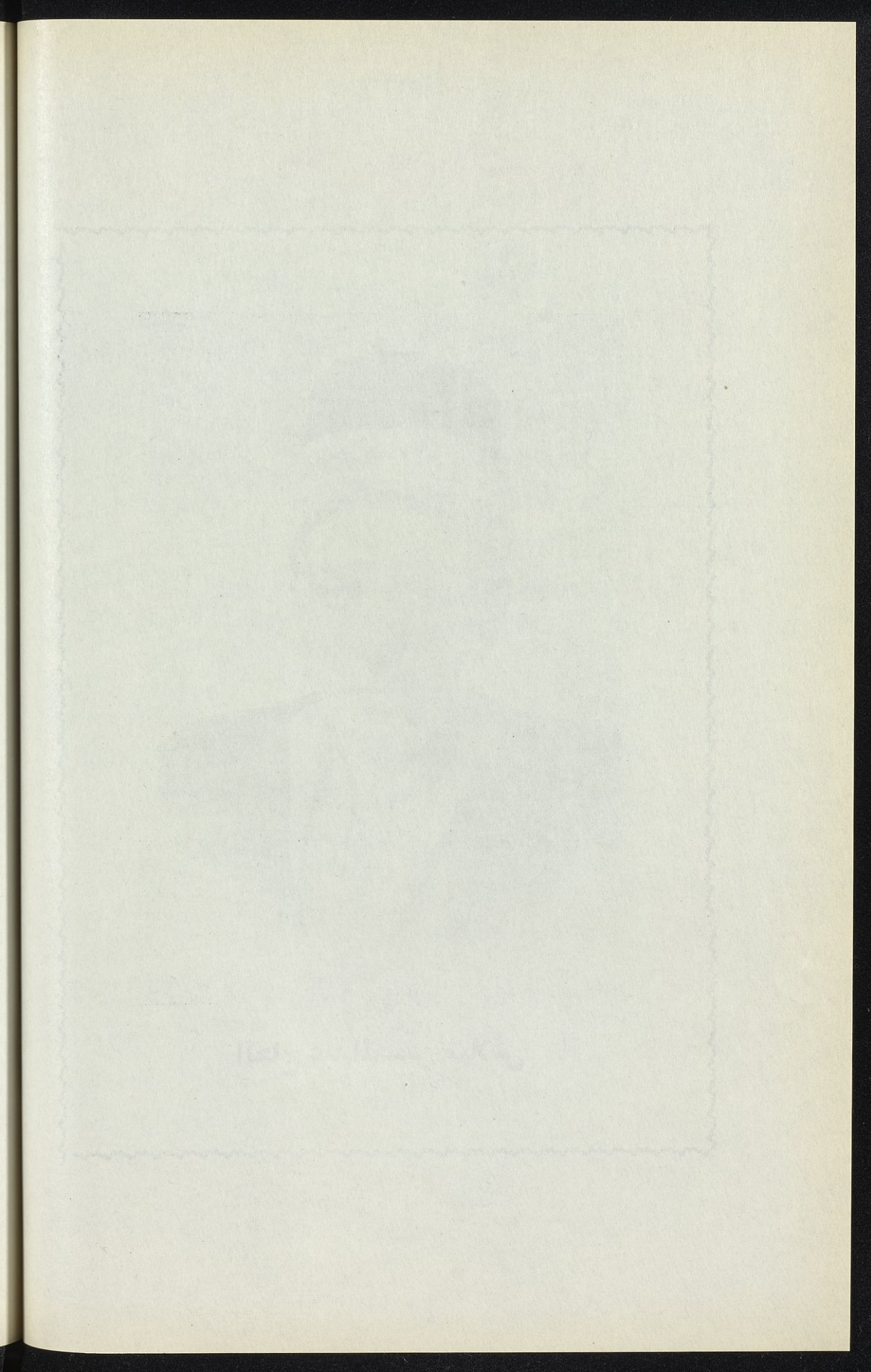
اقول لقد أخرجني الشيخ محمد رضا بذلك الاسلوب من العتاب الرقيق الذي قلما انمحي اثره من النفس لان للشيخ محمد رضا كجده الشيخ عباس الشيخ على اشعاا خاصا كان يسلطه على المتحدثين اليه فيجذبهم اليه ، ولعل لتجدده في احكامه الشرعية واطلاعه العلمي الواسع ، ولملكاته الادبية ، ثم لسلامة ذوقه ، بعض الاثر ان لم يكن كل الاثر في هذا الاشعاع •

لقد كان من المعجبين (بالمهاتف) ومن المتبعين لها وقد اهدى للمهاتف بمناسبة احتفال (النجف) بسنة الهاتف العاشرة ، لقد اهدى لها مجموعة من الكتب النفيسة ومبلغا من المال ، اما مجموعة الكتب فقد تسلمناها مع الشكر ، واما المال فقد ارجعته (لجنة تكريم الهاتف) اليه على اساس ان صاحب الهاتف لا يتقبل هدايا المال من أحد ••••• وكان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء يقول مفاخرا بانه يعتبر (المهاتف) اشرق وجه يعبر عن الادب الواقعي ومن ارسخ القواعد في التزام جانب الحق والحقيقة ، وكان يكرر هذا القول في كل مناسبة ، فاذا تأخرت (المهاتف) عن ميعاد وصولها اليه قليلا ، ارسل من يشتريها له ، ويحملها اليه عاجلا ، ولقد استبطا وصولها مرة وهو يستشفى في مصح (بخس) بلبنان ، فكتب الى ابنه الشيخ على بسأل باستغراب عن اسباب تأخر الهاتف ••••• ؟

لقد اكرت عليه الزيارات في ايامه الاخيرة من مرضه ، وكان لي في شفائه كل الامل ، وكان يزيد املي ما كنت اراه منه في كل مرة من طلاقة المحيا ، وكثرة الترحيب ، والاغراق في البشر مما لا يختلف شيئا عن حاله وهو في اتم صحته ، ولكن صديقا لفت نظري ونحن عنده : الى شبح الموت المائل حول عينيه ، والجائم على صدره ، وقال لي ونحن نخرج من زيارته : انني اخشى ان نفقد الرجل قريبا ، وكان كما قال الصديق ، فلم تمر بضعة ايام حتى نقل الى مصح (بخس) بلبنان ، ثم واقته المنية هناك هو لم يزل في اوائل سن الكهولة مبكيا على ملكاته التي سمت به حتى جعلت منه واحدا يجلس الى الحكم كما يجلس الى الازناب ، وجينه ناضح بالطيبة والوداعة ، وثغره مشرق بابتسامة لا يجهل قيمتها من يعرف قيمته •



الحاج عبدالمحسن شلاش



الحاج عبدالمحسن شلاش^(١)

ادركت الحاج عبدالمحسن شلاش وشهرته كتاجر من كبار التجار ، وكعين من عيون التجف ، ملء المسامع ، فلقد قيل انه يمتاز على تجار الفرات وتجار الحبوب خاصة ، بحدة الذكاء ، وعمق التفكير ، وقيل انه كان من افهم التجار بمقتضيات التطور ، واسرع من غيره فى فهم النظريات الاقتصادية ، يوم كان المتاجر بالحبوب لا يفهم شيئاً اكثر من انه يشتري الحب من فلان ، ويوم كان المتاجر بالتمر لا يعرف اكثر من ان يجلب التمر من مكان معين ، او مكانين ، ليبيعه فى مكان معين ، او مكانين ، فاذا حدثت بعض الطوارئ التى من شأنها تغيير محل البيع ، او الشراء ، او قلة العرض والطلب ، او زيادتهما ، ألفت الحيرة تسود اغلب اولئك التجار الذين اعتادوا ان ينهجوا نهجا واحدا فى عرضهم ، وطلبهم ، وفى شرائهم ، وبيعهم ، اما الحاج عبدالمحسن فقد كانت له ميزة ، هى وليدة خلق ذاتى فطرى ، ومزاج خاص ظل يرافقه طوال عمره ، ذلك الخلق الذى من شأنه ان يدرس الامور ، ويطيل فى درس كل ظاهرة اقتصادية يشعر بان لها مساسا باموره التجارية ، فكثرت لهذا السبب اتصالاته بمختلف الطبقات ، من الفنيين ، والمهندسين ، والتجار ، وارباب الحرف ، وزادت بهذه الاتصالات خبرته التجارية ، ومعرفة الاقتصادية ، حتى انفرد فى جميع جهات الفرات بسعة خبرته فى عالم التجارة ، وكان اول من درس مشروع ارواء التجف من طريق الكوفة بواسطة المضخات قبل ما يقرب من خمسين سنة ، يوم كان اغلب التجار ، ومعظم الناس ، يسخرون بهذه الفكرة ، ولا يعتقدون

(١) الهاتف - العدد ٤٨٢ السنة الثالثة عشرة ١٣ شباط ١٩٤٨ .

ان مثل هذا المشروع مما يمكن تحقيقه ، وذلك لقلّة اتصال هؤلاء التجار والناس بالعالم الخارجى ، كذلك كان الحاج محسن اول من فتح باب المساهمة لمد السكة الحديدية بين النجف والكوفة ، ولفت الانظار الى تجديد الافكار الاقتصادية .

نعم لقد ادركت الحاج عبدالمحسن وهو فى اوج شهرته ، مال وافر ، وتجارة رابحة ، ومكانة مرموقة عند الحكومة ، والعلماء ، وسائر الطبقات نظرا لما كانت له من المزايا التى اشرت اليها ، ولانه كان وكيلا للبنك العثمانى فى النجف ، يدفع حوالات الحكومة العثمانية (آل رشيد) فى (حائل) عن طريق النجف ، ويقبل الكثير من الحوالات من مختلف الجهات من الخارج كاستنبول ، وبيروت ، وايران ، والهند ، والخليج بالاضافة الى قبوله للحوالات فى اغلب المدن العراقية ودفعها من قبله .

وتقد قيل ان البنك العثمانى قد احتاج مرة - وذلك فى ايام الاحتلال الانكليزى للعراق - الى مبلغ نقدى من الليرات العثمانية ، فسأل البنك الحاج محسن شلاش برقيا عما اذا كان يستطيع ان يدفع لحاكم الشامية السياسى المقيم فى النجف مائة الف ليرة عثمانية نقدا على حساب البنك العثمانى ؟ فابرق بالايجاب وسلم للحاكم مائة كيس اخرجها من بيته !!

وقد بلغنى ان الحاج محسن سمع مرة - وهو بهم بدخول مجلس من مجالس النجف - مناقشة تجرى عما يملك من نقود فى صندوقه الحديدى وكان صاحب البيت يؤكد ان محتويات صندوق شلاش لا تقل عن ٢٠٠ الف ليرة ذهبية ، وهنا دخل الحاج محسن المجلس وصدى احتواء صندوقه على مائتى الف ليرة يرن فى أذنه ، لقد دخل المجلس ضاحكا واشترك الحضرار معه فى الضحك لانهم احسوا بان الرجل كان قد سمع نقاشهم فى ثروته النقدية وهو بهم بولوج الباب ، وما كساد يستقر شلاش حتى وجه لصاحب البيت هذا السؤال :-

- كم لك فى هذا البيت الذى تقيم فيه ؟

قال الرجل :- لقد ولدت فيه وقضيت كل عمري ٠٠٠

قال :- أستطيع ان تخبرنى كم هو عدد السلالم التى تصعد بك من باحة دارك هذه الى اعلى السطح وكم عدد السلالم التى تنزل بك من باحة الدار الى اعمق سراديبه ؟

قال :- لا اظننى الا راجما بالغيب اذا ما ذكرت لك عددا معيناً .

قال الحاج محسن وهو يضحك :- وكيف جاز لك ان تقدر ما يحتوى عليه صندوق نقودى انا وهو فى بيتى ؟ بينما انت عاجز عن ان تعرف عدد سلالم بيتك ؟
و كنت وانا صغير اسمع بتمنيات كثير من الامهات لابنائهن بان يوتيهم الله نصف ثروة او مثل ثروة (آل شلاش) و كنت طالما سمعت وانا صغير شيئا من هزو الهازئين بعض الفقراء وتشبيههم على سبيل الهزو (بآل شلاش) فى وفرة الثروة وكثيرا ما كنت اسمع هذا الاسم (اسم آل شلاش) يردده اغلب الناس فى كثير من المناسبات كمقياس لضخامة الثروة ، واناقة اللباس وجلال الارستقراطية ، فكان من بعض امنياتى ان ارى هذا الرجل ، لارى بعينى هذه الثياب الزاهية ، والعظمة الناطقة ، فى خطواته المثدة التى يخطوها بين غلمانه المحتشدين حوله ، فلقد كان مضرب المثل فى خطوه ، ولبسه ، واكله ، وشربه ، وانى لاذكر الان كيف وقع عليه نظرى اول ما وقع وكيف وقفت منه وقفة الحائر المدهش الذى لايدرى كيف يوفق بين ما سمع وبين ما رأى ؟

هذا هو الحاج محسن انه يلبس كما يلبس اغلب الناس ، وقد اقتعد من باب خانه تختا لو ارغمت محاسب (الهاتف) اليوم على اتخاذه مقعدا لزواره لاعتبره اهانة
وها هما اثنان على ما اذكر ، وقد جلسا على التخت نفسه يتحدثان اليه ، ويتحدث اليهما ، كما يتحدث سائر الناس من حيث سقوط الكلفة ، ثم قام هو وظل الاثنان جالسين غير عابئين بقيامه ثم دخل مكتبه !!

هذه اول مرة رأيت فيها الحاج محسن شلاش ، واول مرة اجد فيها البون عظيما بين ما سمعت وبين ما رأيت ، ثم ما ادرى كم مر على بعد ذلك حين توثقت الصداقة بينى وبين ابنه (عبود) ، ولكنى ألفتنى اغدو واروح مع زمرة من الاصدقاء

الى بيت آل شلاش ، لنحظى هنالك بجلسة رومانتيكية بين عشرات الاوص لضروب
الازاهير والورود ، ولم يكن يومذاك (هذا البيت) المتوسط بين الديوان الخارجى
وبيت الحريم القائم اليوم قد بنى بعد ، وانما كان عرصة يلهو بها ابنه السيد عبود ، وابن
اخيه الدكتور عبدالحميد بزراعة الورود فى وسط العرصة المحسوبة بالاصص
الضاربة حولها فى خطوط هندسية ، وكنا اذا مللنا هذا المجلس ، وما يدور حوله
من احاديث متنوعة قمنا الى الديوان ، والى غرفة صغيرة لاتزال هى الغرفة المقابلة
لمدخل البيت تماما ، حيث اعد فيها تخت ، وثلاثة كراسى او اكثر ، وقد زينت
جدران الغرفة بصور كثيرة لطوائف كبيرة من ملوك ، وامراء ، وعلماء ، وادباء ،
واصدقاء آل شلاش ممن زاروهم ونزلوا فى ضيافتهم ، او ممن تعرفوا بهم فكانت
هذه الغرفة بمثابة معرض فتوغرافى كان له اكبر الاثر فى ترسيخ الذكريات ، وصور
الحوادث التاريخية والاجتماعية فى الذهن ، وفى هذه الغرفة رأيت صورة الحاج
محسن شلاش باللباس الرسمى وهو يحمل الوسام (النشان) الذى انعم به عليه
السلطان عبدالحميد خان الثانى ، كما رأيت الحاج محسن فى صور مختلفة من
مناسبات مختلفة ♦

ومرة اخرى لست ادرى متى ، وكيف كانت اول معرفتى بالحاج محسن ،
ولكن وجدت نفس الزمرة التى كنت اعدو واروح معها الى بيت شلاش وقد بدأنا نألف
مجلس الحاج محسن حين يتفق ان نكون فى بيته ، ويكون هو هناك ايضا ، فيمر
بنا فى هذه الغرفة الصغيرة ونحن عند ابنه عبود ، وابن اخيه عبدالحميد ليجلس
معنا قليلا ، او يستدعينا الى ديوان ضيوفه حين يكون عنده ضيوف ، فكنت موضع
عنايته النسبية من حيث المناقشة وعرض خواطره الادبية وافكاره الاجتماعية ، فكان
يقرأ لى شيئا مما كان يحفظ من نصوص لرسائل كتبها الشيخ جواد الشيبى الى السلطان
عبدالحميد ، والى الملك حسين ، والى الامام يحيى حميد الدين ، ويقرأ لى كثيرا
من قصائد السيد جعفر الحلى المكتوبة الى بعض هذه الجهات ، وشئ غير قليل من
نصوص ادبية قديمة من خطب نهج البلاغة ومن الصحيفة السجادية فلقد كان

ميالا للادب وذوافة يستدوق قراءة الشعر والنثر ، وكان له مقام محترم عند اهل العلم والادب ، وكان من ميله للادب وللادباء ان كان اول متصد لطبع ديوان السيد محمد سعيد الجوبى ببيروت وقد طبعه طبعاً لا يزال على قدمه لا يخلو من جمال واناقة ، لذلك لم يكن من الغريب ان يحاول تصوير الوضع الاقتصادى فى العراق وتنظيم ميزانيته فى ارجوزة تجاوزت الخمسمائة بيت وقد ضمنها ما يراه من التخطيط للنهوض بالعراق نهوضاً اقتصادياً شاملاً ، وعلى الرغم مما ادخل على الايات من تصحيح لغوى ونحوى وعروضى من قبل الادباء فان هذه الارجوزة لم تفقد صفة الاعراب الصحيح عن ذوق الحاج محسن وميوله الادبية .

ويستطيع المرء ان يستشف استعداد الفطرى ومدى تفهمه للامور فى الكثير من الشؤون وان خرجت عن دائرة اختصاصه ، ومن ذلك انه سمعنى مرة وانا اشرح اسباب انتفاخ الكرة الارضية من وسط خط الاستواء وانقباضها وتقلصها من القطبين المعزوة الى دورة الارض السريعة وهى لم تنزل بعد جمرة كما يقول الفلكيون الرياضيون ، قال وهو يتسم :-

- ولم لا نعزو هذه الظاهرة ظاهرة الانقباض والتقلص فى القطب الى (قلة الحرارة) ونعزو التمدد والانتفاخ بين مدار السرطان والجدى الى (شدة الحرارة) ؟ ولم اكن يومها من الاطلاع ومن الاحاطة بحيث استطيع ان ارد عليه بالجواب الصحيح فسكت لقد كان حقاً يحسن تصور الاشياء ، ويحسن طريق الاحاطة بالامور من جميع وجوهها واحوالها على قدر كبير بالنسبة لامثاله طبعاً ، فلقد قيل لى انه وجه مرة الى جمع فى احد مجالس المطايبه سؤالا قال فيه :-

- من منكم يستطيع ان يعرف بم يمتاز التين على أكثر اثمار الدنيا ان لم يكن على كل اثمارها ؟

فاختلفت الاجوبة فى العلل والاسباب ، وقال بعضهم انما يمتاز بما يحتوى عليه من مادة البروتين ، وقال بعضهم بل بما يحتوى عليه من عناصر التغذية الكاملة ، وقال البعض انه الثمرة الوحيدة الملائمة لكل الامزجة ، وقالوا شيئاً مثل هذا ، ولما عجزوا عن الاجوبة الصحيحة ، قال الحاج محسن :-

- ان التين هو الثمرة التي لا نواة فيها حتى لبمكانك ان تتناولها من الميزان وتضعها في فمك دون ان ترمى منها شيئا ، قشرا كان ام نواة ، أو أية فضلة اخرى لذلك يحق اعتبار التين ثمرة اقتصادية لا يذهب الثمن الذي تدفعه فيها ضياعا .!!

وإذا كانت القاعدة ان يرث الابناء صداقة الاباء فقد سارت الامور هنا بعكس القاعدة اذ انتقلت الصداقة من الابناء الى الاباء فاذا بي انا وجمع من اصدقاء عبود شلاش (الابن) نصبح اصدقاء حميمين للحاج محسن شلاش (الأب) ثم تتطور هذه الصداقة فتصبح صداقة عميقة ، كان من آثارها التفكير الجدى في مواضيع وطنية اقتصادية عامة ، وكان منها ان تألفت شركة ذات رأس مال محدد للقيام بتجربة استخدام (زالال الزهدى) واستخراج سائل سكرى من التمر يقوم مقام السكر الجاف ، وقد عهدت الى ادارة الشركة فأصبحت مديرا لها وقد رأيت ان من توسيع هذا المشروع المبادرة باستخدام التمر في صنع بعض الحلويات ، والشكولاته ، والدعاوة للتمر دعاوة واسعة كان من جرأتها قيام اغلب مقاهى النجف وبعض مقاهى مدن الفرات بتقديم الحليب والتمر الى الزبائن فى مقاهيم وبيوتهم بدلا من الشاي والسكر ، وقد اسندنى الحاج محسن فى هذه الخطوة اسنادا يرجع اليه الفضل فى نجاح المشروع ، وكنا جمعا كان منهم السيد حسن زينى ، ومحمد رشاد عجينة ، والحاج على البهبهاني ، والسيد عبود شلاش ، وغيرهم ، وكل الغاية كانت غاية وطنية بحتة ، لان المال الذى وضع اساسا لهذا المشروع كان مالا قد وضع على سبيل التجربة ، ولقد استعنا يومذاك بالسيد عبدالرسول (الشكرجى) - وهو اليوم صاحب صيدلية النجف - بالنظر لخبرته فى صنع الحلويات ومعرفة بكيفية طبخها ، وبنينا لاجل ذلك معملا جهزناه بمختلف الادوات واللوازم لاستخراج زلال (الزهدى) واعداد التمر ليكون صالحا لصنع مختلف الحلويات ، كما شرعنا بوضع مقدمات لتوسيع هذه الشركة الوطنية واتخاذ فرع تجريبي للمنسوجات الوطنية ولاسيما نسج (اليشامىغ) والمناديل البلدية ، وخطت الشركة خطوات سريعة ، وارسلت كميات من التمر بمختلف انواعه الى خارج العراق للاستعانة برأى الخبراء الكيماويين فيما اذا كان من الممكن استخراج

مادة سكر جامدة يستعاض بها عن السكر واستخراج سائل لا يتطرق الفساد اليه فكان الحاج محسن شلاش اول رجل فكر في انتفاع العراق بتمره باقصى حدود الانتفاع ، ولما كان الحاج محسن - كما قلت آنفا - لا ينظر الى الاشياء الا بمنظار واسع ومن جميع الجهات وبمختلف التصورات فقد راح يستعمل خبير شركتنا ، وهو السيد عبدالرسول (الشكرجى) فى تجاريب كثيرة قبل وصول آراء الخبراء الكيمياويين عن التمر من الخارج وما يمكن الافادة منه .

واذكر من تلك التجاريب التى قام بها الحاج محسن فى معمل شركتنا التجريبي انه قام بحمس نواة التمر على النار ، حتى اذا صارت كحبة القهوة بعث بها الى بغداد للتحليل ، والاطمينان من صلاحها لو اراد استعمالها بدلا من القهوة ، وقد قام فعلا بدقها وغليها على النار كما يفعل بالقهوة ، ثم اجرى تجارب بان خلط مسحوق النواة - وكان يشبه القهوه لونا وطعما - بالقهوه بنسبة الربع والثلث والنصف واكثر حتى جعل منها مشروبا لذيذا بعض اللذة ، وقدمها الى الضيوف دون ان يخبرهم باصلها وفصلها فكانت تجربة النواة هذه لم تخل من بعض النجاح او كثير من النجاح لو كان قد مشى بها الى النهاية

وكثر استخدام الحاج محسن لوسائل الشركة فى اقامة عدد من التجاريب ولم يكن احد منا بقادر على منعه من ذلك لانه كان قد اسهم بسهمين من اسهم الشركة المذكورة باسم ابنه عبود شلاش ، ولانه رجل له مقامه واحترامه فى نفوسنا ونحن لم نزل شبانا كاولاده تفترض فينا اطاعته والصدع باوامره ، ولكنه مضى فى تجاربه الخاصة بمعملنا واصبح خيرنا السيد عبدالرسول الشكرجى يعمل له فى معملنا اكثر مما يعمل لشركتنا ، حتى استفدت تجاربه الخاصة اكثر رأس مالنا الذى كنا اعدناه لتجارب معينة ، لذلك اضطررت انا لتقديم استقالتي من الشركة بعد ان اوضحت فى كتاب الاستقالة هذه الاسباب ، ولم يطل بقاء الشركة بعد خروجي منها اذ ما لبثت ان انحلت .

اما الحاج محسن فقد ترك التمر ومنتجاته وتصنيعه وانصرف الى توسيع الحركة الصناعية الوطنية من طريق نسج (اليشامىغ) ، فكان اول من انزل الى

السوق هذه الإشاميع بأسعار زهيدة رخيصة سدت يومها نقصا كبيرا ، وكان المنتظر ان تعقبها حركة مصانع ميكانيكية واسعة خصوصا وانها قد نجحت نجاحا باهرا ولكن الامر قد وقف ثم ما لبث ان تقلص •

لقد كانت للحاج محسن مواهب مختلفة الالوان وصفات تسترعى الانتباه في كثير من الميادين وقد ضاعت بسبب عدم اهتمامه بنفسه ، او عدم معرفته بما ينبغي عليه ان يعمل للافادة منها افادة كاملة ، او على الاقل ليصون بها نفسه من حاسديه والحاقدين عليه ، لذلك كثر اللغظ حوله ، واختلفت الاراء فيه ، وهو على الغالب اكبر السبب في هذا اللغظ وهذا الاختلاف لانه كان يجهل طريقة الاعلان عما يقوم به ، وقد زاد طرز حياته الخاصة وما كانت تكتنفها من اهمال لنفسه في المأكل والمشرب والملبس في الطين بلة •••

وكنت انا في طليعة اولئك الذين اتقدوا الحاج محسن شلاش ولربما نالوا منه بسبب احدى الحفلات التي اقيمت لمدرسة الغرى الاهلية في النجف لجمع التبرعات ، وذلك حين وجدت جميع التجار والمدعوين لم يتوانوا ولم يخلوا بتبرعاتهم حتى لقد دفع شخص - لم يرض بذكر اسمه في قائمة التبرعات - مبلغا كبيرا كان يساوى كل تبرعات الحاضرين ، الا الحاج محسن شلاش الذى كان يجلس حينذاك في الصف الثانى كما يجلس المدعوون العاديون ، فانه لم ينس بنت شفة ، ولم يكتب شيئا في سجل المتبرعين •••!! فلم يكن حديث الناس يومها الا حديث هذا الرجل وهو الحاج محسن الذى كان يدعو الى مساعدة المدرسة ، بينما يحجم هو عن هذه المساعدة •••!! وكم كانت الدهشة عظيمة عندى وعند البعض حينما علمنا - ولكن بعد فوات الفرصة - ان صاحب التبرع الكبير الذى طلب ان يظل اسمه مجهولا لم يكن الا الحاج محسن شلاش نفسه •••!!

لقد دعانى مرة لتناول الغداء عنده ، وقال ان عندى طعاما قد اعد لى اعدادا خاصا ، واذ دخلت بيته وجدت اخاه الحاج رؤوف واولاده حول خوان حوى طعاما لا بأس به ، وقد جلس هو بعيدا عنهم ، فدعونى الى مشاركتهم ، فصاح بهم

الحاج محسن من مكانه قائلاً :- انه مدعو عندي ♦♦♦ ولا حاجة له بطعامكم ، وحين جىء بطعامه الخاص الذى دعانى من اجله ، فلم يكن غير كبد مشوية ، وارغفة خبز ، وراونجيتين او ثلاث راونجات ♦♦♦ وكان هذا كل الذى اشتهى هو ان يعدوه له غداء فى ذلك اليوم ، وقد عافت نفسه الالوان الاخرى ، فاقبل على الكبد بكل شهية ♦♦♦ ولعل الذى يراه وهو يقبل على مثل هذه الاكلات ، ولا يرى طعام بينه لن يتركه دون ان يسلقه بالسنة حداد ، وان ناقيه من هذه الناحية كانوا كثيرين ، بينما كان يجهل جلهم ان الرجل قد يفضل فى كثير من الاحوال بعض المأكول الشعبية المختصرة وهو عند صديق ، او فى ناحية من النواحي ، اقول ربما كان يفضل ذلك على اشهى الاطعمة التى تطهى كل يوم فى بيته ♦

واننى اعرف ان بعض فلاحيه لا يعيرون مأكله اهتماما حين كان يخرج الى زيارة ارضه فى القرية ، فلا يعدون له اكثر من سمكة مشوية بينما كانوا يرتبون كل الارتباك حين كان يمر بهم اخوه الحاج رؤوف أو أحد ابنائه !! ذلك لان للحاج محسن مزاجا خاصا ، وحرية خاصة فى الطعام ، ولا ازال اذكر انه طرق بابى ذات ليلة والساعة كانت حوالى الحادية عشرة ، وتعجبت من مروره بى فى مثل ذلك الوقت فقال :- لقد كنت فى زيارة الشيخ عبدالكريم الجزائرى - وهو على مسافة ثلاث دور من بيتنا - وعند خروجى من دار الجزائرى استلقت نظرى ضوء بيتك من النافذة وانا مار فى الطريق وحسبت ان لديك زوارا رأيت ان اتم (السهرة) معهم عندك ♦♦♦ ثم قال :-

- والان خبرنى هل تعشيت ♦♦♦؟

قلت :- لقد كان ذلك منذ وقت بعيد ♦♦♦

قال :- وماذا كان عشاؤك ؟

فخجلت من سوء المصادفة وقلت له :-

- انه كان (ماشيا) ولم يكن معه شىء من (مذهب الكلب) او مذهب الخنزير ♦
« ومذهب الكلب اصطلاح نجفى كما يعرف الكثير ، وهو كناية عن الدبس

وقيل عن اللبن او البصل والله اعلم (١) .

ورحت اتعر باذيالى من الخجل وجثته بما كان عندنا من بقية عشائنا فاقبل على (الماش) بشهية كبيرة واتقى على مسمى محاضرة طويلة عريضة عن الماش ، وفوائده ، وقال ان الماش نعمة ربانية انعم الله بها على الفقراء ، فلولا الماش لماتت مدينة النجف التى قضت نحو الف سنة وهى لاتعرف الفواكه والخضر ، لقحالة الارض وققر المدينة ، فجاء (الماش) يعوض جميع ما تتطلبه الاجسام من عناصر النمو المفقودة ، والتغذية الكاملة ، ومن يدريك - فال - ان لا يكون فى (الماش) شىء من المواد المنعشة التى تعود اليها هذه الاحلام اللذيذة التى يراها الانسان بعد اكلة الماش فى النوم .

وعلى رغم شدة خجلى مما قدمت للرجل فى تلك الليلة من بقية الماش غير المؤدم ، فقد كانت تعالبنى ضحكة طويلة عريضة لتلك الفلسفة (الماشية) التى اسمعنى اياها الحاج محسن شلاش ، وانا موقن بان عشاءه الذى عاقته نفسه تلك الليلة ، والذى ظل ينتظره فى بيته لم يكن يقل عن لونين او ثلاثة من الطعام ، بل لعله كان من انفس المآكل ولكن للحاج محسن خلق خاص ، وطبيعة حرة ، لا يعرف قدرها الا الاحرار ، والا ضيوف الحاج محسن ، والجالسون على مائدته ، ولقد جلست الى مائدة آل شلاش مئآت المرات لاسيما فى المناسبات التى يكون فى ضيافتهم زوار من الاجانب ، او المعارف ، او المدعويين من أهل البلد والاصدقاء ، فوالله ما رأيت على مائدته شيئا يشير الى بخل وتقتير ، ولم اجد فى اغلب الاحيان غير اجود المأكول ، واطيب الاطعمة ، واوفر الزاد ولكن مزاجه الخاص - كما قلت - قد جعل الناس يفهمونه على خلاف حقيقته ويروون عن تقتيره وبخله القصص والنوادر ، وصحيح ان الرجل لم يكن سخيا بالشكل المفهوم عن السخاء عند الناس ولكنه لم يكن مقترا وبخيلا بالشكل الذى كان يقوله الكثير من الناس .

لقد اسهم فى الثورة العراقية اسهاما فعالا وانفق من كيسه كثيرا من المال ، وهو الذى دفع المبلغ المعين ثمننا لابرة المدفع التى سرقت من معسكر

(١) فى غير هذا المكان من الكتاب ذكر آخر للماش ومذهب الكلب .

الهندي (معسكر الرشيد) اليوم وجيء بها الى الكوفة لاستعمالها في المدفع الذي غنمه اثنوار من الانكليز في معركة (الرارنجية) والذي تم تدمير السفينة النهرية الحربية (فاير فلاي) الراسية أمام مدينة الكوفة بواسطته * ثم لحقه كثير من الاذى بعد ذلك اذ اقتحم جنود الاحتلال الانكليزي داره وسرقت بسبب دخول الجنود الى بيته نقود وحلى كثيرة ، ثم سجن ، وحوكم من قبل مجلس عسكري انكليزي صارم *

والحاج محسن من المساهمين في المشاريع المتسوعة ، وقد مد الكثير من المشاريع بالمال والمساعدة وهو اول من حمل (الحاج رئيس) على حفر جدول يمتد من الفرات الى النجف محترقا مساحة شاسعة من ظهر الهضبة من طريق كربلاء ، وقد حضر الملك فيصل الاول تدشين هذا الجدول وانفق عليه ٣٠٠ الف رية ثم مات (الحاج رئيس) قبل ان يتم المشروع فاخفق المشروع ووقف في عرض الطريق ، ووجهت للحاج محسن انتقادات كثيرة وعزى اليه اخفاق هذا المشروع *

ولقد أبى ابناء شديدا عن قبول الوزارة حين دعي اليها لأول مرة ، تم تكررت عليه الدعوة فابى * * * ، وما زالوا به حتى قبل الوزارة ، ولقد حدثني مرة عن استيزاره فقال :- لم اكن افهم معنى ما روى عن شخص كان قد عرض عليه منصب القضاء في العصر العباسي فرفض قبوله وحين سئل الرجل عن سبب رفضه المنصب قال :- انما رفضته لانني كنت اخشى ذل العزل * * * لقد قال لي الحاج محسن - ولم اكن افهم هذا المعنى - معنى ذل العزل - الا عندما قدمت وزارتنا استقالتها ، فاذا بي وبعد ذلك الالباء الشديد الذي بدا مني حين عرض علي الدخول في الوزارة ، والذي حمل الملك فيصل عني ان يصير علي مساهمتي في الوزارة * * * ، اذا بي استحيل الى شخص غريب ، كل همه ان يتمسك بالكرسي ، كتمسكه بدينه وكرامته واكثر * * * !! وقال وهناك فقط علمت معنى الخشية من (ذل العزل) الذي كان يتوقاه الرجل المذكور عندما عرض عليه منصب القضاء في العصر العباسي وهناك فقط رحت امعن في بلاغة تلك الرواية ومدى واقعتها *

وراح الحاج محسن بعد ذلك يتقلب فى الوزارات ، وانا من الذين يعتقدون انه عمل للناس وهو خارج الوزارة اكسر مما عمل لهم وهو فى الوزارة ، ولست ادرى أهو لانه كان مقيدا محدود المجال ، ام لانه انشغل بمراسيم الوزارة وشؤونها فانصرف عن العمل الكثير فلم يستطع ان يفيد الفائدة المرجوة من امثاله .

والقد خاض وهو وزير للمالية كثيرا من البحوث المالية ، وناقش وهو نائب فى المجلس النيابى ثم وهو عين فى مجلس الاعيان الكثير من القضايا الاقتصادية وكان له فيها رأى ذو قيمة ، ولقد رأيت الكثير من الدائنين على العمل ، والمولعين بمتابعة الاشغال بانفسهم ، ولكنى لم ار كالحاج محسن رجلا جادا فى اعماله ، لايهاب بردا ، ولا يخشى حرا ، ولا يعوقه مطر ، ولا تصرفه عاصفة عن تصميمه ، ومتابعة العمل الى ان ينجزه ، ولا اقول الى ان ينجزه على وجهه الاكمل لاني كثيرا ما كنت اختلف واياه فى بعض الاعمال ، وكنت اعلمه برأى وموضع اختلافى معه فيرمينى بالاستبداد ، على ان ابتكاراته كثيرا ما اثارت اعجابى به .

وانى لاذكر ذات مرة وانا اجتاز شارع السراى فى النجف ، وهو واقف يراقب البنائين فى اقامة اسوار ملك له يقع فى جوار خان المخضرات اليوم ، وهو ملك كان قد انتزعه من هضبة او تل على الاصح كان يمتد على طول الطريق العام ، وكان قد اقام فى وجه هذا التل عددا من الاساطين والاسس وتركها اعمدة قائمة منذ العهد العثمانى ، فما لبثت هذه الاساطين والاسس والاعمدة القائمة ان مالت على مرور الزمن ، فاذا بها تعوج وتميل على غرار برج (بيزا) بل واشد من ذلك ميلا وبقيت على هذا النحو ثلاثين سنة او اكثر .

اقول - انى لاذكر وانا مار من هناك انه رآنى ، فنادانى من بعيد ، وحين اقبلت عليه قال :-

- هل سبق لك ان رأيت هذا العدد من الاعمدة المائلة من قبل ؟

قلت :- نعم لطالما كنت اراها وانا مار

قال :- أترأها الان ؟ انها قد استقامت واعتدلت فكأنها لم تمل ولم تعوج

يوما ما •••

فظنرت فاذا بها كما قال وليس اثر للميل فيها مع انه لم يهدمها ، ولم يقمها

من جديد •••!!

قال :- أستطيع ان تحزر كيف اعتدلت هذه الاعمدة ؟

وحين اخفقت ، قال :- لقد اقمتمها بالآلة التي يرفع بها سواق السيارات

سياراتهم الى الاعلى حين يريدون انتراع احدى عجلاتها ••• لقد اقمتمها (بالجك)

وانا ادفعها بالتدريج ، واسوى البناء من تحتها حتى اعتدلت واستقامت •••!!

وكان الحاج محسن مومنا ، شديد الايمان بمقدساته ، وكان من ايمانه

انصرافه الى تعмир كثير من الاضرحة المقدسة بقصد المثوبة ، وقد انفق على ضريح

مسلم ابن عقيل ، وضريح المختار ، وبعض الجهات الاخرى مبالغ طائلة ، ومن

ايمانه هذا كان التزامه بالاستخارة عن طريق (السبحة) التزاما شديدا ، فاذا ظفر

بمن يعرف اصول الاستخارة ، راح يمطره بطلباته التي لاتنتقطع بان يستخير ويظل

يستخير له الى ما شاء الله ••• وسألته مرة عما اذا كان يرى لكل أمر عدة وجوه

فيستخير الله عن الاخذ باى وجه منها ؟ ام انه يستخير لامور مختلفة تعرض له ؟

فقال لى بل انه يستخير لامور مختلفة لايمت بعضها الى بعض بصلة فهو يختزنها فى

ذهنه حتى تحين الفرصة ويجد من يحسن الاستخارة بالسبحة فيمطره بوابل من

طلباته ، وقال انه يجد فى هذه (الاستخارة) اطمينا بناجح الفكرة التي تخالجه ،

وحين رآنى اوافق على ان للاستخارة اهمية من ناحية اخرى غير ناحية الايمان

المتقلبة عليه وهى السيطرة على التردد وحمل الاخذ بها من الموصوفين بالتردد على

الاقدام والاستمرار فى العمل الذى كان قبل الاستخارة يقدم المتردد فيه رجلا ويؤخر

اخرى ، انه حين سمع بتعليلى هذا وان لم يعجبه من عدم ايمانى بالاستخارة حمد لى

هذا الرأى وقال انه رأى له قيمته الفلسفية ، وطلب منى ان ادلى برأى هذا لمن

يحتاجه فى تمسكه الشديد بالاستخارة ، فقلت له ولكنك رجل قوى الارادة ،

ورأى هذا انما يفيد ضعاف الارادة الذين اعتادوا التردد فى امورهم ، اما امثالك

فلا احسب ان الاستخارة ذات جدوى لهم •••

كان على رغم انصرافه الى الجد انصرافا يستنفد كل قواه الذهنية ، والفكرية ، وكل ما اوتى من نشاط ، وحيوية في الحركة والانتقال ، لقد كان على رغم ذلك رجلا ظريفا لا يدع الفرصة تفوت دون ان ينتهزها في انعاش نفسه بالنكات ، والدعابة ، وطالما اجتمع بكثير ممن عرفوا بهذا الظرف في مقهى الحاج باقر ، ومنهم الحاج عبدالظاهر ، وطالما اتاروها عجاجة من الضحك والدعابة الصارخة ، وكثيرا ما يلجؤون الى نوع من النظم الدارج الشعبي المبدوء بحرف النداء (ايا) فيجيء هجاؤهم الفكهي على هذا النحو .

« أيا مداس خضره أيا چنك قدره »

ويكثر حينذاك النظم على هذا الاسلوب ، وعلى ما تمدهم به القريحة من هذا القبيل فيموج المجلس بالضحك ، ويدع الحاج عبدالظاهر ، ويتعثر حين يندفع بعجلة ليهاجم الحاج عبدالرزاق شمسه ، او الحاج عبادي الحسين ، او الحاج عبدالمحسن شلاش ، والحاج مرزوق العواد ، وطائفة كبيرة امثال الحاج عيسى الخلف وغيره ، ولربما ادى الظرف بهم الى مخادعة الحاج عبدالظاهر لايقاعه في داهية بقصد اثاره الضحك ، وكان الحاج عبد متسرعا وكثير العثرات ومن ذلك عشر مرة وهو يهاجم احد اترابه بمثل هذا البحر والروى فقد بدأ وهو يهزج قائلا :-

- أيا انت مداسي .

ولم يشعر الا وقد عثر به اللسان لتسرعه فاذا بالمصرع الثاني يجيء على هذه الصورة .

- أيا راك براسي . . .

فعج الجالسون بالضحك والتصفيق ، ولبوم والبعض من النجفين يحذرون المتعثرين والمتسرعين في الكلام قائلين :-

- حذار من عثرة الحاج عبدالظاهر .

وعلى ذكر الحاج عبدالظاهر اذكر ان الحاج محسن شلاش قد نصب له ذات يوم (مقبلا) فقد اتفق مع حكومة القضاء في احد ايام العيد بان تبعث شرطة

التجف على الحاج عبدالظاهر وتخبره بان الامر قد صدر بان يرسل الحاج عبد
مخفورا الى بغداد وان الشرطة سترسله مع حارس منها بدون ان تضع قيديا في يديه
احتراما له ولاسرته الكريمة •••

وهكذا فعلت الشرطة وارسلت بالحاج عبدالظاهر الى بغداد ، وتولت بعهد
تسفيره اخبار اهله في التجف بان الامر ليس اكثر من مقلب دبّره الحاج محسن
شلاش لمجرد التفكّهة لكي يطمئن اهله •

وفي بغداد كان الحاج محسن شلاش والحاج عبادي الحسين وبعض الرفاق
ينتظرون وصول الحاج عبدالظاهر في احدى غرف محطة بغداد التي افرغوها لهم •
وهناك وبدون ان تتصل اصواتهم بخارج الغرفة استقبلوا الحاج عبد باهزوجة:
(أيا) وبشيء كثير من قشور الرقي ، وعرف هنا الحاج عبد بالقلب ولا تسل عن
هياجه وثورته ، وقد سمعت انا الحكاية من الحاج عبد نفسه وقال لي :- لو لم اشفق
على الحاج محسن - وكان يومها وزيرا للمالية - لمزت له الكشيده ، ولاخرجته
من المحطة حاسر الرأس لذلك اكتفيت بشيء خفيف من اللطائف •

قلت له - وما كان هذا الشيء الخفيف ؟

قال - (انت تدري ، اكو شي غير الدمغات) ؟

وكان هذا لونا من الوان فكاهات طبقة خاصة من التجار ومن اللذين اوردت

اسماءهم هنا •

★ ★ ★

وفي احدى زياراته لدار الهاتف كنت مشغولا بأمر مستعجل فنادت فراش

المكتب (حسن) قائلا :-

- أعد يا حسن للحاج محسن القهوة •••

ثم انهمكت في عملي ، وقد شجفتني على ذلك خلق الحاج محسن شلاش
نفسه ونفور طبعه من القيود والرسميات بحيث يحمل مجالسه على اخذ نصيبه

من حرشته ، والاتجاه الى عمله غير عابىء بوجوده ، لذلك لم التفت اذا كان الفراش
حسن قد سمعنى حين ناديته ؟ وانه قد جاء بالقهوة الى الحاج محسن شلاش ؟

وبعد مضى عدة ايام قام الحاج محسن بزيارة اخرى لمكتب (الهاتف) فنادت
الفراش حسنا ان يعد له القهوة حسب العادة ؟ فاذا بالحاج محسن يعترضنى قائلا
- اذا كنت صادقا فى طلبك ، فغير اسم الفراش حسن باسم فراشك الحقيقى ،
لاننى اشك فى ان يكون اسم فراشك هذا (حسنا) •

قلت - ولكن اسمه (حسن) فعلا •••

قال - لقد رأيتك تناديه قبل ايام ، وانا فى زيارتك بان يحضر لى قهوة فلم
يحضرها حتى خرجت من مكتبك وانت مشغول دون ان اشرب القهوة ، فلم
لايحتمل ان يكون بينكما شبه تواطؤ بان لا يأتى الفراش بالقهوة اذا ما ناديته
(حسنا) •••!! وان يأتى بها اذا ما ناديته باسمه الحقيقى •••؟

وهنا قص على وهو يضحك القصة التالية :-

قال :- كان لرجل حديقة غناء فى ضواحي المدينة وقد حوت الوانا وانواعا
من الورد والفواكه ، وكان اصداقؤه يزاحمونه فيأتون به الى حديقةه ليظعمهم منها ،
واليهاديهم بباقات من ورودها ، فيمثل الرجل امرهم ، ويخرج بهم خارج المدينة ،
حتى اذا اقبلوا على الحديقة ، طرق الرجل الباب ، ونادى باعلى صوته :- أن افتح
الباب يا (حسن) ويظل يطرق الباب وينادى حتى يكل الاصدقاء ويأسوا ويوقفوا
ان (حسنا) هذا قد ذهب لثنان من الشؤون ، وانه غير موجود فى الحديقة ، وحين
يظمن صاحب الحديقة من انصرافهم يطرق الباب صائحا :-

- افتح الباب يا فهد •

فيفتحها له •••

قال الحاج محسن كان ذلك لان الاتفاق كان قد جرى بينه وبين فلاحه ان لا يفتح

الفلاح الباب حين يناديه (يا حسن) ويفتحه حين يناديه باسمه الحقيقى وهو فهد •

وقال الحاج محسن ... واذا كنت حقا تريد ان تسقيني فنجان قهوة فناد
 الفراش باسمه الحقيقي لاننى ايقنت ان اسمه ليس (حسنا) ..
 ولتواضعه وعدم اهتمامه بنفسه امثلة تثير الضحك وتروى عنها القصص ، ومن
 ذلك انه ركب القطار يوما من بغداد وكان يومها وزيرا للمالية فصادف ان يجىء
 ركوبه فى احدى العربات التى كان قد استقلها موظف يدعى (ممدوح افندى) وهو
 يعمل امينا لصندوق لواء الديوانية ، ولم يكن (ممدوح) هذا يعرف ان الذى يشاركه
 العربة انما هو الحاج عبدالمحسن شلاش وزير المالية ، وهى الوزارة التى يتسببها
 السيد ممدوح ، او ممدوح افندى كما كان يسمى يومذاك ، وكلما عرف هو ان
 رجلا معهما بعمة من هذه العمائم التى يتخذها تجار ذلك العصر رمزا للتجارة
 والحرف ، وان مجالسه فى المقصورة هذه رجل لا يلائم ذوقه ، فقد كان ممدوح افندى
 قد شغل مكتب العربة بقينية من الخمر ، واقداح واوانى من (المزة) والنقل، ولا يبعد ان
 سيكون هذا سبب نفور وابتعاد بينه وبين هذا التاجر الذى صار جليسة فى هذه
 العربة ... مما قد ينقص لممدوح افندى عيشه فى هذا الطريق ... كما توسم
 ذلك .

وعرض ممدوح افندى على الحاج محسن حسب قواعد المحيط مشاركته
 فيما يشرب ويأكل وهو اشد ما يكون غيظا وحنقا على هذه الظروف والمصادفات
 التى جمعت بينه وبين تاجر محافظ. كهذا ... قائلا بشيء من الحنق :-

- تفضل چلبى اشرب ...

فقال الحاج محسن : سألبي طلبك فى تناول النقل و (المزة) ، اما الخمرة فلن
 اشربها ، ولكن ذلك لا يمنك انت من ان تأخذ حصتك منها كاملة ، ثم اقبل الحاج
 محسن على تلك المستحضرات يأكل من هذه وهذه كما يلذذ ويشتهي ...!! فزاد
 ذلك من حنق ممدوح افندى خصوصا وقد تناول الحاج محسن القسم الاكبر من
 الدجاجة التى كانت تتوسط المائدة ...

وحين مشى السكر بممدوح قليلا وجه خطابه الى الحاج محسن وبنغمة من

الفناء ، وبشيء من الزرابة والتهكم قال بلغته الدارجة :-

- امين جاي الجلبى ؟

قال الحاج محسن :- لقد جئت من بغداد *

وعلى نفس النعمة والزرابة تابع ممدوح افدى اغنيته قائلاً :-

- ويروح وين الجلبى ؟

- قال اننى اقصد مدينة كربلا ***

فاستمر ممدوح وهو يأتى بحركات استفهامية مضحكة يشرك فيها يديه وسحنة

وجهه ويحيل كل وجوده الى استفهام مزر تحت تأثير الخمرة والحنق قائلاً :-

- مشروب تشرب جلبى ؟ ***

قال - ليحفظك الله اننى لم اشرب الخمر كما قلت لك من قبل *

قال ممدوح - شوية شوية جلبى ***

قال - ارجو المعذرة لاننى لم اعتد شرب الخمر *

وتستمر اسئلة ممدوح افدى ومضايقاته وتهكماته على هذا النسق طويلاً ،

وفى هذه الاثناء يقف القطار عند احدى المحطات فيجيبىء خادم الحاج محسن

شلاش وكان يستقل الدرجة الثالثة من القطار ، يجيبىء الى عربة سيده ويسأله

عما اذا كان له شغل او امر فيجيبه الحاج محسن بالنفى ، ويستغل ممدوح افدى

مرور الخادم ويعود الى تهكماته سائلاً ؟

- خدام عندك جلبى ؟

قال - ذلك من نعم الله وافضاله ***

وعلى رغم سعة صدر الحاج محسن وحلمه فقد برم بمضايقه ممدوح افدى

وسئم من هذه التهكمات والزرابة فاراد ان يستوضح عن هوية هذا الرجل فتوجه

اليه سائلاً :-

- وما اسم جنابك ؟

- فاعتدل ممدوح افدى وبشيء من الفخر والاعتزاز بنفس النعمة اجاب :-

- ممدوح افندى چلبى •

قال الحاج محسن - وما هو عملك ؟ ووظيفتك ؟

قال - صندوق امينى چلبى •

فسكت الحاج محسن وعلم ان الرجل من الموظفين التابعين لوزارته التى يرأسها ، ولكن ممدوح افندى راح هو الاخر يسأل على اساس مقابلة التعريف بالمثل قائلاً :-

- وشسم جنابك چلبى ؟

قال - انا عبدالمحسن شلاش •••••

ولم يكده يلفظ اخر حرف من حروف (شلاش) حتى ترامى ممدوح افندى على قدمى الحاج محسن وهو يقول وبنفس النغمة السابقة ورويها •

- داخل على الله چلبى ••••• مروتك اغاتى چلبى ••••• وين أنه اولى چلبى ••

سامحنى بالله چلبى •••

★ ★ ★

كان عمر الحاج محسن حين توفى ٦٨ سنة وانى على يقين انه كان يستطيع ان يعيش مالا يقل عن عشرين سنة اخرى لو كان قد التزم بما يريد الطب ان يلتزم به ، ولكن النفس المجبونة على هذا النسق من الحياة والتي لاتعرف غير العمل دينا ، لاتخضع لاموس اسمه الطب ، او غير الطب ، فكان على رغم انحراف صحته فى السنوات الاخيرة دؤوبا على العمل ، وكان مثلا اخر للذين يقفون نفوسهم لمختلف المنافع ، فلقد كان مريضا ، وفى حالة غير مرضية ولكنه لم يتوان عن القيام بنفسه بدرس مشروع آبار النجف ، وكان يحذر النجفيين من مغبة المياه المتغلغلة فى أسس المباني ، ويصدر فى ذلك الكراسات وهو لاينسى ان يتفقد اصداقه ومعارفه ، ويتبسط معهم بكل انواع التبسط فى كل فرصة وان لم تساعده حاله الصحية •

وقبل يوم واحد من وفاته منعه الطيب من الحركة حين احس بضعف طارىء يتاب قلبه ، ولكنه ابى الا ان يزور مسجد (السهلة) فى عصر ذلك اليوم فيقطع

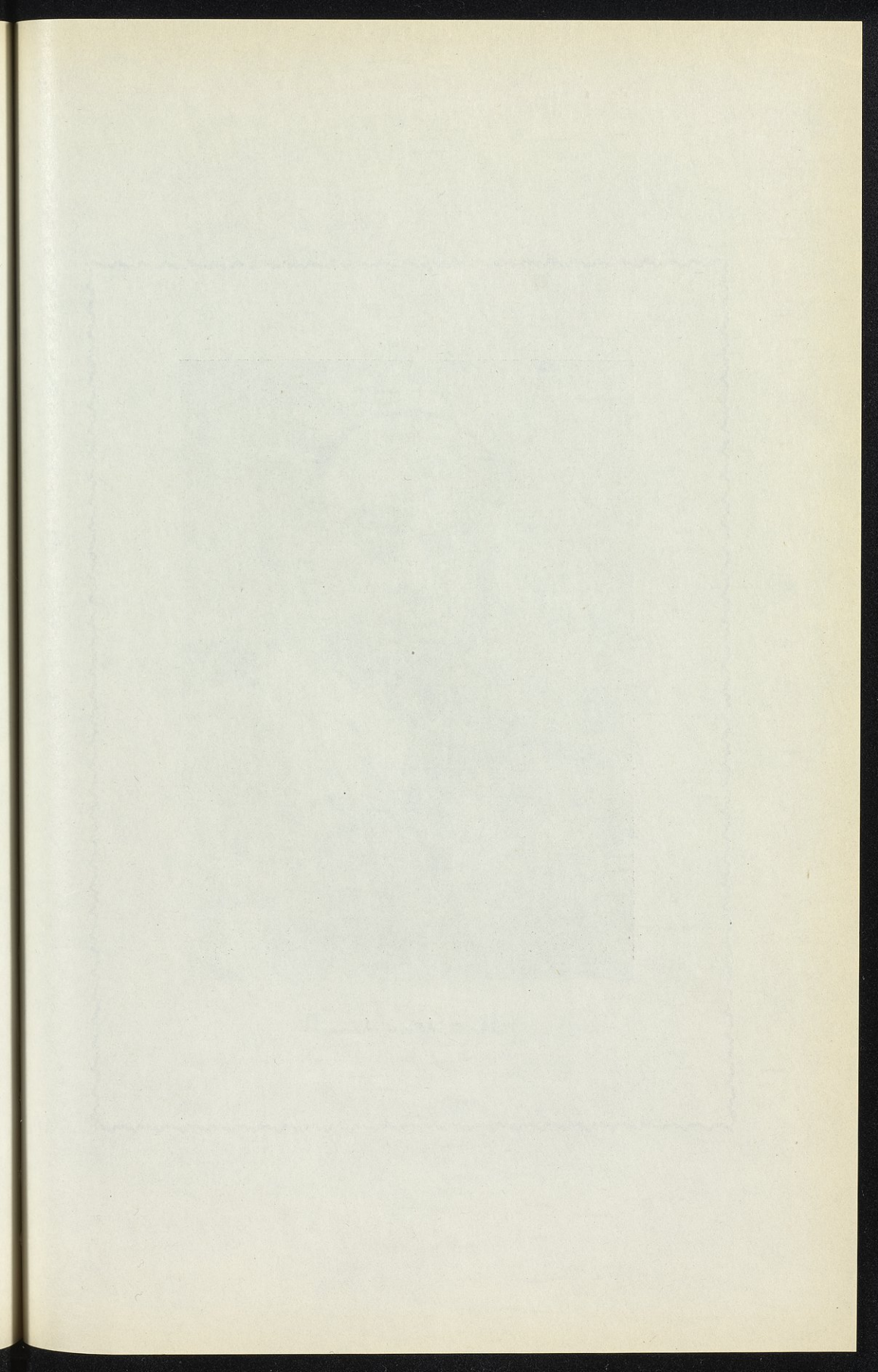
عشرة اميال بسيارة ولده (محمد) وحين مر في طريقه على (دار الهاتف) رغب ان ينزل ليزورنى ، ولكن ابنه استمهله ليرى ما اذا كنت انا موجودا بدار الهاتف فى تلك الساعة ام لا ؟

وكان من سوء حظى اننى حرمت من رؤيته الاخيرة ، وكان آخر عهدى برؤيته قبل وفاته باسبوع او اكثر ولقد كان له بالهاتف صلة لن تنسى فقد اقرض (الهاتف) فى اول تأسيسه قرضه مالية أبى ان يأخذ صكها الا بعد جهد كبير منى ، وحين حان موعد دفع المبلغ قال - انه كان يجب ان لايسترد هذه القرضه لولا علمه بمزاج الهاتف وترفعه ♦

مات الحاج محسن شلاش ، وانقطعت كل علاقاته بالمجتمع ، ومع ذلك فان علاقاته الروحية ، وذكرياته المفعمة بالخير والنبل والعاطفة لم تنقطع ، وسيظل كثير من عارفيه يذكرونه معاشوا اما (الهاتف) الذى يحوى كثيرا من مقالاته واخباره فسيظل الحاج محسن منه ملء العين ، وملء القلب ، ولقد ودعته عند مثواه بدمعة كان كل معناها : اننى لن انساها - ♦



السيد سعد صالح



(١١) السيد سعد صالح

لم يمر على هروب اخي الكبير عباس الخليل المحكوم عليه بالاعدام من قبل المحكمة العسكرية البريطانية في الكوفة عقب فشل الثورة النجفية سنة ١٣٣٦هـ والتي وضعت خطتها لتكون ثورة عراقية عامة فاحفقت ، اقول لم تمر شهور حتى التقيت (سعد صالح) لأول مرة في صحبة احمد الصافي الشاعر وانا جالس عند صديق لي في النجف كان يومها يشتغل ببيع السجاير ، وهو الشيخ مهدي زرندي الذي ترك بعد ذلك بيع السجاير وصار من الفقهاء وانواعظ ، وكنت اعرف (الصافي) معرفة جيدة من قبل ، لكثرة ما كنت اراه مع اخي ، اما السيد سعد فاني لم اكن رأيت بل لم اسمع باسمه من قبل *

ووقف الصافي جريا على العادة يسأل بالتلميح والاشارة عما اذا كنا قد عرفنا شيئا عن مقر اخي عباس ومصيره ؟ فقد كان الخوف يومذاك من السلطات البريطانية يعقد اللسان حتى ليحذر المتكلم ان يصرح بالاسماء ، والافعال ، وحتى كان الكثير من الناس يتفاهمون بالكنايات ، والرموز ، وحاول سعد ان يستوضح معنى هذه الكنايات من الصافي ولكن الصافي اوماً له بمواصلة السير ، وليس من شك ان الصافي قد افهمه في الطريق عنمن كان يسأل مني ، كما لاشك انه عرفه بي بعد مغادرتهما لي ، ذلك لان سعدا لم يرني بعد ذلك في السوق ، أو الصحن او الشارع ، الا وكان يسألني عن اخي ، واخباره ، ومن هنا عرفت انه السيد سعد جريو كما كان يسمى يومها منسوبا الى أسرته وهي اسرة من اسر النجف المعروفة ، كما عرفت ان السيد سعد هو الآخر من اصدقاء اخي وانه قد دخل في زمرة طلاب

(١) الهاتف - السنة الرابعة عشرة - ٢٥ شباط العدد ٥٢٢ .

العلم لدرس العلوم العربية وهو بعد ذلك من الاحرار الوطنيين الذين كانوا يعملون على قدر طاقتهم للتخلص من الاحتلال الانكليزي ♦

وكان السيد سعد يلبس يومها اللباس البلدى المتعارف من قباء ، وعباءة ، ويشماغ ، وعقال ، وهو اللباس الذى اعتاد ان يلبسه الكثير من النجفيين حتى ابناء العلماء ، والتجار ماداموا صبيانا وشبانا ♦

وحين بدأت ادرس انا الاخر العلوم العربية ، كان يلزمنى درسى المرور بمدرسة (الاخوند) الكبرى فى التجف كل يوم صباحا ، فكنت ارى سعدا من بعيد ، ومن قريب ، فقد كان سعد يومذاك من مرتادى مدرسة الاخوند ، وكان للسيد سعيد كمال الدين هناك غرفة او غرفتان على ما اذكر ، كانتا مجمع الاحرار من الشباب ، وكان السيد محمد على كمال الدين من اشط المدرسين فى تدريس (المقدمات) والعلوم العربية ، فكانت تجتمع عنده طبقات كثيرة لتدرس ولتقرض الشعر ، ولتساجل ولتتذاكر فى الشؤون الوطنية ، وبث الافكار السياسية ، وانا وان لم اكن ضمن المترددين على هاتين الغرفتين ، لانى كنت من طبقة اصغر ، ومن المتأخرين مرتبة فى الدرس عنهم ، ولكنى كنت ارى الداخلين والخارجين من غرفة السيد سعيد كمال الدين فى هذه المدرسة كل يوم ، وكان (سعد) من اكثر الداخلين والخارجين والمتصلين بهذا النوكر الادبى السياسى او (معقل الاحرار) كما كانوا يسمونه فيما بينهم ، ثم زادت معرفتى (سعد) بسبب مداعباته لاستاذى الشيخ على الدشتى الذى لا يتفق ان يمر عليه سعد - وكان الدشتى يجلس للتدريس فى الممر العام - الا ويستفزه سعد بكلمة من المزاح يجيب عليها الدشتى حينما بمثلها ويعبى فى اكثر الاحيان عن الاجابة فيكتفى بضحكة من ضحكاته الخاصة التى لم يسمع لها صوت ♦♦♦♦

ونشبت الثورة العراقية ، وبدا بعض النشاط على هذه الطبقة من الشبان ، فى الذهاب الى جبهات القتال ، والاياب منها ، ونقل المكاتب من جهة الى جهة ، واصدار جريدة (الاستقلال) و (الفرات) فيتردد اسم سعد خفيقا الى جانب اسم السيد محمد على كمال الدين الذى عمل مع السيد محمد عبدالحسين فى جريدة

(الاستقلال) ، وهى جريدة الثوار التى كانت تطبع بمطبعة الشيخ صادق الكتبى ، ولست ادرى ان كان (سعد) قد حرر فيها شيئاً ، ولكنى كنت ارى انه يكاد لا يتخلى عن ملازمة السيد محمد على كمال الدين فى الجريدة ، كما كان يلزم قبلا السيد سعيد كمال الدين . وقد قرأ عليهما الدروس العربية وآدابها .

وحين انتكس الثوار فى جبهة الفرات الايمن لاذ جمع كبير من الشباب الاحرار بالفرار ، وقد سمعت بطائفة من اسماء الفارين حينذاك ، وكان اسم السيد سعد من بين اوائلها ، ولست فى صدد وضع تاريخ لسعد ، او لتلك الحركة لى اتبع كيفية فراره ، واتجاهه ، وانما اريد هنا - شأنى فيما عرضت من هذه البحوث قبلا - ان اسجل ما احتفظت به ذاكرتى ، وما كانت له علاقة بذكرى اتى الخاصة ولم ادر الا وسعد طالب بدار المعلمين ، واقرأ احدى الجرائد ولعلها جريدة (الاستقلال) البغدادية لعبد الغفور البدرى فاقرأ له مقاطيع من الشعر ، ويزور النجف بهيئة جديدة ، وبعمة خضراء ، فارى منه اشياء اخرى غير التى رأيت ، وسمعت من قبل ، فقد كان (الصحن) فى النجف يومذاك ناديا يضم مختلف الطبقات من اساتذة العلم ، والادب ، والطلاب الوطنيين ، والاعراب ، فلا يكاد يدخل احد الغرباء الصحن ، حتى تتجه ايه الابصار ، من كل حلقة وكل جانب ، وتبدأ الاستفهامات ، والاجوبة ، والتعليقات تتراقص على الشفاه ، وعلى الحواجب ، ترى من هذا ؟ واحيانا يرمز للغريب (بالطير) فيقال - شنهو من الطيور هذا الطير ؟ ومنذ كم هو هنا ؟ وما هى صفته وهويته؟ والى آخر مناقح الفضول الذى عرفت به النجف اكثر من غيرها .

وفى الصحن الذى هذا بعض مزاياه عرفت ان (سعدا) قد انهى دراسته بدار المعلمين ، وانه يشتغل مديرا لمدرسة الايتام ببغداد ، ثم معلما فى المدرسة الجعفرية ببغداد ، وموظفا بالمالية ، وانه تلميذ فى كلية الحقوق ، وان له صديقا حميما هو السيد صالح جبر ، وانهما يعيشان فى فندق عند مبدأ الجسر القديم من الرصافة (وقد حل صدر الجسر اليوم فى محله) وصار الفندق اثرا بعد عين وقد كان فندقا متواضعا ، يسكنه

الغرباء ، وتقوم فيه مكاتب بعض المحامين ، وكان منهم السيد داود السعدى ولعل
 مكتب جريدة (دجلة) وهى جريدة السعدى ، ومكتب جريدة (الرافدان) لسامى
 خنده كان فى نفس هذا الفندق على ما اذكر ، اجل لم اكن اعرف سعدا الى حين
 ذلك التاريخ الا معرفة محدودة ، لاتزيد على ما اشرت اليه ، والتي ظلت طويلا لاتزيد
 على السؤال عن احوال اخى منى ان التقانى فى الطريق ، أو السوق ، وحين جاء
 النجف ليشغل محاميا بعد استقالته من وظيفته الادارية (وقد كان وكيلًا لقائم مقام)
 صرت انا احد الذين يترددون على بيته ، فقد فتح بيته للناس ، وجعل منه ديوانا ،
 وبدأت تتراده مختلف الطبقات ، وكان هو اول محام نجفى تخرج من الحقوق ،
 وزاول المحاماة ، فأقبل عليه الناس يعهدون اليه بمهامهم ، وامورهم ، وليس شئ
 كالمحاماة تعطى الفكرة الصحيحة عن شخص ان كان حسنا ، ام سيئا ، مستقيما ام
 غير مستقيم ، كبير النفس ، ام صغيرها ؟؟؟ وقد عرف الناس فى سعد شخصية
 ممتازة من حيث رعايتها للحقوق ، والتزامها بواجب المحامى الذاب عن حقوق
 موكله ، بكل معنى الذب ، وبدأت تحوط اسمه هالة من الاجلال والاحترام ،
 وكانت النجف قد شرعت تدب فيها الاختلافات ، فسعى الى ازالتها ، ووفق بين
 النزعات المختلفة ، فاذا به بين ليلة وضحاها يصبح شخصية لها شئ من الوجة
 ثم بدأ يزيد نفوذه على مرور الايام ، ويكبر فى العيون يوما بعد اخر ، وفسح له
 فى المجال ليعمل عضوا فى هيئة مدرسة الغرى ، ومدرسة الغرى اول ما اسست فقد اسست
 لغرض سياسى اكثر منها لاغراض علمية ، وكان الملك فيصل الاول يعتمد اعضاءها للعمل
 فى الحقل الوطنى ، ومن طريق هذه المدرسة صار لسعد شأن آخر فوق الشأن
 الذى اكسبته اياه المحاماة ، وصار لاخذ رأيه من لدن رجال اللواء ، والقضاء ، قيمة
 فى المهمات والطوارئ ، وزاد ترددى على بيته وبدأت اعرفه عن كتب معرفة قد
 تكون جيدة واكيدة ، ولعل اول من عرف فيه بعض المزايى التى عرفتها دون ان يكون
 لاحد فضل دلالتى عليها ، لقد عرفته صادقا ، وهو يقدر الصدق ويفضله على جميع
 الصفات ، وعرفته جريئا ، وهو يعطى الجرأة كل ما ينبغى ان تعطى لتكون جرأة

محمودة ، وكان سعد يبدو خشنا ، وهو كذلك حيناً لمن يعرفه وكذلك دائماً لمن لم يسبق له التعرف به عن كتب ، وهناك كثير من الناس تم وجوههم عن خشونة ، وكبرياء ، وغرور ، حتى اذا اتصل بهم المتصلون عن كتب تغير رأيهم فيهم ، وعلى ان فى سعد شيئاً من الخشونة الحقيقية ولكنه مع ذلك طريف ، وطريف بكل معنى الطرافة والظرافة ، حتى لقد يعجز ان يباريه الكثير من الظرفاء فى سوق النكتة ، والدعابة ، والمزاح .

جلس مرة يلعب الورق فى احدى الليالى وهو متصرف فى لواء الكوت وكان شريكه فى لعبه السيد (نافع) وهو أحد موظفى لواء الكوت يقابلهما شريكان على اساس المباراة ، فخسر سعد ونافع فى الجولة الاولى من اللعب ، ثم خسرا فى الجولة الثانية ، والثالثة ، وقبل ان يتما الجولة الرابعة قال سعد :-

لقد حضرنى بيتان فى شريكى السيد نافع وقبل ان يسأل رأى السيد نافع ويستأذنه قرأ البيتين التالين مخاطباً شريكه السيد نافع :-

أجهدت نفسك لاعبا لكن لعبك كان ضائع
والضر طبعك دائماً كذب الذى سماك (نافع)

★ ★ ★

وخاض سعد معركة انتخابات البلدية فى النجف ، وخاض معركة انتخابات المجلس النيابى لأول مرة ، فبرزت شخصيته لكل عين ، ولأول مرة توسم فيه بعيدو النظر صورة الزعيم المنتظر ، وتنبؤوا له بالمستقبل الباهر ، وقد آزره الشباب والشيوخ على حد سواء ، ولم ينفرد عنه فى تلك المعركة الا بعض خصومه .

وكنت يومذاك اصدر جريدة (الفجر الصادق) فى النجف ، فدعوت الى تأييد رأيه فى انتخاب رأسه بلدية النجف ضد الحاج عبدالرزاق شمسة مرشح الحكومة حينذاك ، وأصدرت من الجريدة ملحقاً بتأييد السيد سعد الذى كان يؤلف رأى الاكثرية من النجفيين فى ترشيح رئيس اخر للبلدية غير الحاج عبدالرزاق ، فشكر السيد سعد موقفي منه واعتبر ذلك من قبيل التضحية ، والسبب هو ان مبالغ كثيرة كانت

قد بذلت يومذاك من قبل الحكومة لمن يقف الى جانبهم كما قد اشيع بان محاولات كثيرة قد بذلت لايقاف جريدة (الفجر الصادق) على الحياد على الاقل اذا صعب استعمالها الى جانبهم فاحققت تلك المساعي مع (الفجر الصادق) .

وكان السيد جعفر حمندى حينذاك حاكما فى النجف ، وقد قام المحامى على محمود الشيخ بتقديم شكاوى ضد السيد جعفر حمندى لدى وزارة العدلية متهما السيد جعفر باهاتته له عند مراجعته المحكمة بخصوص موكلين له فى الكوفة ، وقال فى شكواه ان الحاكم اى السيد جعفر رمى اوراق دعوة موكليه بكل حنق وغضب وتحقير فى وجهه اى فى وجه على محمود الشيخ ، وتقدم ستة شهود من أهل الكوفة يشهدون ضد الحاكم على وقوع هذه الالهانة بحضورهم ، وكان اغلب الشهود من بعض الفلاحين الذين تعمموا (بالكشاييد) واحتذوا (بالقنادر) ليظهروا بمظهر التجار المحترمين وارسلوا الى وزير العدلية باعتبارهم من وجوه البلد و (چلييتها) على ما قيل يومذاك ، وقد تناولت جريدة (الفجر الصادق) هذا الخبر بتعليق ساخر لاذع وسردت الحادثة على ما كان قد اتصل بها من اخبارها وعنونت كلمتها ونقدها بالكلمة التالية - (شوية عقل يا أهل الكوفة) ، وكان من جراء ذلك ان اقام الشهود الستة الدعوى ضدى باعتبارى صاحب جريدة الفجر الصادق وطلب الشاكون رؤية الدعوى فى محكمة (طويريج) لان القضية كانت تخص حاكم النجف فلا يجوز رؤيتها من قبله ، وكان حاكم ابو صخير (ذيان النبان) من اصدقاء السيد حمندى ومن اصدقاء (الفجر الصادق) فلا ينبغي تحويلها الى (ابى صخير) وان كانت (ابو صخير) اقرب محكمة للنجف ، وجاء سعد يطلب منى توكيله فى هذه الدعوى فاييت ، وألح على كثيرا فما زدت الا اباء ، ولم يكن لابائى سبب الا لانى خشيت ان يعد موقف سعد هذا بمثابة رد الدين (للفجر الصادق) ازاء موقفها الحماسى فى انتخاب البلدية وتأييدها المطلق له ، وهكذا عرضت الدعوى على محكمة (طويريج) وصدر الحكم بادانتى من قبل الحاكم رشيد الصوفى ، وجاء دور التميز ، فلم ار فى هذه المرة مناصا من توكيل سعد فوكلته ، فتم نقض الدعوى ، واعيدت الغرامة ، وظللت اشعر له بالفضل ، وزادنى ذلك حبا له وايمانا بشهامته .

ويمر بعض الزمن فيقع بين سعد ومؤيديه من جهة ، وبين الشيخ محمد رضا الشيبى من جهة ثانية ، شئ من سوء التفاهم وكانت لى بالشيبى يومها صلة جد وثيقة ، وكنت من اكثر المنوهين باسمه ، والمدافعين عن رأيه فى كل مناسبة كانت تمر ومن اكثر المتبعين لشعره ، وأدبه ، بحثا ، واستظهارا ، واستشهادا ، ومناقشة . . . وهذا ما بدأ يغضب سعدا ويسؤوه لحد ما .

وقد عز على سعد وجماعته حينذاك ان يرونى مندفعا الى جانب الشيبى اندفاعه الشاب المتحمس المؤمن ، وشق عليهم ان يفسحوا لى المجال بينهم كما كانوا يفعلون فلم اشعر الا والوجوه تتغير بعض التغير ، ولعل هناك من حاول ان يخفف من غلوائى فلم ألن ، فكان ذلك سبب تجهم (سعد) فى وجهى ، وكان ذلك سبب ابتعادى عن سعد ، وعن حضور المجالس التى يرتادها هو واصحابه ، ثم ما لبث ان ادى ذلك الى نفور ، ثم السعى لتحويلى من النجف ، وانا حينذاك مدرس فى الثانوية الى ثانوية البصرة ونقل محمد مهدى الجواهرى الى محلى فى النجف ، وحين تمت استقالتى من (المعارف) ، وحين وقع شئ من سوء التفاهم بين الشيبى وباسين الهاشمى تصدت جماعة ياسين الى الشيخ الشيبى متهمة اياه بانه كان يسعى لاثارة النجف وتكدير صفو الوزارة الهاشمية فى هذه المدينة ، وقد ظننى سعد طرفا للشيبى فى النجف يكتب لى الشيبى من بغداد ، واسعى انا هنا لتنفيذ آرائه على قدر امكاني واعمل لاستفزاز النجف بقدر ما استطيع . . . وقد كاشفنى يومذاك متصرف لواء كربلاء بهذا الامر ، واخبرنى به الشيخ على الشرقى بصورة خاصة فازداد بعدى عن (سعد) ولعلى وانا بعيد عنه قد طغت على العاطفة فنسيت الكثير من مزاياه ، أو لعلى وانا بعيد عنه قد فاتنى ان اعرف له مزايا اخرى كان يجب ان اعرفها اشباعا لرغبتى المتطلعة للمعرفة ، وليس لشيء آخر .

وساءت العلاقة بينى وبين الشيبى فى هذه المرة ، ولكن هذا لم يدننى من سعد ، ولم يدن سعدا منى ، فقد كان سعد سىء الظن وليس ممن يغير رأيه بسهولة وقد زاد ما جبلت عليه انا من خشونة واعراض لقد زاد ذلك شيئا من سوء ظنه

بى ، اذ كنت انا الاخر متجنباً فتح باب التفاهم ، والعتاب ، حتى مات ولدى (هاتف)
وكان سعد يومذاك متصرفاً للواء الحلة ، فابرق الى يعزىنى ، وقد عجبت كثيراً
لانى كنت اخال مثل هذه المجاملة ، والمطايبة ، بعيدة عن طينة سعد ، وقد رددت
عليه جواب البرقية بكتاب احسب انه لم يخل من عتب على ماض عزوت اسبابه اليه
وحده ، ثم شكرته كثيراً على تفضله ، وتعزيتة ♦♦♦ اما هو فقد عقب على تلك البرقية
بزيارة قام بها للنجف فزارنى فى بيتى ، وزار آل الصافى فى بيتهم معزيا بوفاة السيد
محمد رضا الصافى (والد الدكتور على الصافى) ♦

★ ★ ★

ودعيت لزيارة سوق الشيوخ من قبل صديقى الشيخ محمد حسن حيدر
وكان السيد سعد متصرفاً للواء المنتفك وفى اثناء مرورى بالناصرية ألح على السيد
سعد بقضاء ليلة عنده ، التقيت فيها بعد الله القصاب وكان يومها متصرفاً للواء
الديوانية فجاء الى الناصرية لمذاكرات خاصة بينه وبين السيد سعد بخصوص تأليف
جبهة من المتصرفين فى وجه صالح جبر الذى كان وزيراً للداخلية ، وعند عودتى
من سوق الشيوخ مررت بالسيد سعد بناء على ما قطعته من وعد على نفسى ، فاولم لى
وليمة دعا اليها بعض الوجوه والادباء وكان بين المدعوين السيد سعيد كمال الدين ،
والشيخ محمد حسن حيدر ، وبعض ادباء سوق الشيوخ ، وهناك فى بيت المتصرف
جرت مساجلة شعرية بين السيد سعيد كمال الدين وبين الشيخ محمد حسن
حيدر وقد حكم فيها سعد وسجل حكمه بايات من الشعر ليست تحت يدي ،
فكان مجلساً من أعمار مجالس الادب وقد بدأ لى فيه سعد مكشوفاً بطهارة قلبه ،
وصفاء نفسه ، وقد ارانى هنا ما لم اكن قد رأيت من طيب السريرة والوداعة ♦

وهناك فى المنتفك طغى نهر الفرات ، وزادت نسبة الطغيان اكثر من كل سنة ،
وكان الخوف على المدينة من الغرق يأتى من مكان يعرف (بابى جداحة) فراح يبذل
سعد كل ما كان يملك من مجهود ليحول بين المدينة التى طالما غرقت حينما تبلغ
مناسيب الماء هذا الحد واقل منه ♦

و كنت وانا بسوق الشيوخ في هذه الدعوة التي اشرت اليها أوكد للناس بان
الناصرية لن تغرق مادام سعد على رأس هذا اللواء ، ولقد اقترحت على وجوه (السوق)
وانا في بيت السيد محمد والسيد عبد الصاحب السيد ادريس بان يبدأ هذا (القضاء) منذ الان
بتقديم رمز يشير الى امتنانه من مساعي (سعد) ومجهوده في حفظ هذا اللواء ومزارعه
من الغرق في تلك السنة ، على رغم تجاوز الطغيان حدود الخطر بدرجة هائلة ،
وقد رأيت ان اسهم انا الاخر في مثل هذا الرمز كواحد من أهل السوق ، وهكذا
كان ، وقدم التصميم ، وصيغت قنطرة فضية تشير الى (ابى جداحة) واعد اطار
فضى خاص لصورة سعد وفوض الشيخ محمد حسن حيدر للقيام بنظم أبيات
مناسبة وكتابتها بخط فنى جميل تحت صورة سعد ، وتقديم الاطار والقنطرة والابيات
باسم سوق الشيوخ الى سعد صالح •

وحين عدت من (السوق) الى الناصرية - وكان قد بلغ سعدا ما كنت قد
اقترحته وجرى التصميم عليه في السوق - لا منى على ما وقع منى وقال :-
- أتعلم انك قد اوقعتنى في ورطة من حيث لا تدري ؟•••
قلت - لا احسب شيئا من ذلك قد وقع •••
قال - فاذا انهد سد (ابى جداحة) ، وانهار امام هذا الفيضان الخطير ، فاين
موضع هذا الرمز ، والتكريم ، والشعر ؟
قلت - لن ينهد ولن ينهار •••
فهز بيده وارسلها ضحكة استغراب •••!! وقال بما معناه :-
- ان (النجفية) لتلاحقك اينما ذهبت - لان النجف اذا اعتقدت بشيء حسبت
ان ذلك واقع حتما •••!!

وانتهى الفيضان وسلم لواء المنتفك من الغرق ، وكانت اول سنة يسلم فيها
هذا اللواء بجميع مزارعه منذ ٣٥ عاما وصيغت القنطرة ، وصيغ الاطار وكتب لى من
الناصرية بان اكتب الى سعد بان يبعث بصورته لكي يتم ادخالها في الاطار المصوغ
لتقدم له مع الرمز على سبيل التكريم ، وقد كتبت اليه فجاءنى منه الكتاب التالى وهو
واحد من عشرات مكاتبيه التي احتفظت بها كنموذج لتواضع لم يعرف عنه احد

شيئا الا القليل ، وفي هذا الكتاب يقرأ القارىء لونا من الوان انكاره لذاته بصورة
لا عهد لنا بها ، ولونا من اخلاصه ، واحاسيسه المرهفة ، والتي تصلح ان تكون
درسا من دروس الوطنية الصادقة ، وهو بعد ذلك صفحة من أدبه الرفيع الذى
لو لم تغط السياسة عليه لرأى فيه - الذين لا يعرفونه - ادبا المعيا يشار اليه بالبنان
وهذا هو الكتاب :-

« تحياتى واشواقى »

قرأت كتابك ، وابات الاستاذ حيدر ، فوجدتهما يفيضان بالعاطفة النبيلة اكثر
من فيضان (ابو جداحة) بالفقرات العذب ، ومع انى لا استكثر عليكما كصديقين
طغيان العاطفة ، الا انى استكثر هذه الضجة حول اسداد (ابو جداحة) ، والاسداد
الاخرى ، فمثل هذا العمل يعد من الواجبات الصغيرة التي يقوم بها رجال
الادارة !!..!!

لا تعذنى يا اخى مبالغا اذا قلت لك انى اعتبر الثناء الكثير على العمل القليل
ذما للعامل ، ولا تعذنى متواضعا اذا قلت لك بان محافظة الناس من الغرق باجبارهم
على الاعمال الترايية اكثر ايام السنة لا اعتبره مفخرة !!..!!

نعم لو تمكنا من تنظيم انرى بانشاء النواظم فى دلتا الفرات ، وعمل مجرى
(ابى جداحة) ، وجسور الطريق الذى ينفذ منه هذا المجرى ، وتخليص المزارع من
الغرق ، وتخليص الناس من الامراض التي يسببها الفيضان بدون تكليفهم بالاعمال
الترايية الشاقة ، حتى فى الايام التي يجب ان ينصرفوا فيها لجمع محصولاتهم ،
وتصفيتها ، اقول لو عملنا كل ذلك لكنا جديرين بالحمد والثناء ، اما والامر كما
ذكرنا ، فلا مفاخر ولا مدائح !!..!!

ارجو ان لاتذكروا شيئا فى صحيفتكم عن (الرمز) ، ولا عن كتابى هذا ،
وسأفاتيح الشيخ محمد حسن حيدر بشأن الاحتفاظ بالرمز ، وقد تقبلت ابياته
الا بيتين منها بكل تقدير وامتنان .

اما رسمى ، فلا توجد لدى نسخة منه ، ولا احبذ وضعه بالاطار لو وجد ،
فقد يكون فى ذلك ما يقلل من تأثير عاطفة الشاعر النبيل نحو صديقكم المخلص .

سعد صالح

وقدم له الرمز والايات المطبوعة ، وكنت قد بعثت الى سوق الشيوخ باحدى صور سعد التي كانت لدى على رغم التماسه بالاكتفاء بالايات كما ورد في كتابه وقد قام بتقديم الرمز والصورة وفد من سوق الشيوخ حضر خصيصا لهذه الغاية في الناصرية ، اما الايات فهي :-

عليك (لواء) الحمد شكرا يرفرف	لانك في دنيا العلا (متصرف)
بحزمك كافحت الحوادث وانجلي	عن الشعب ليل بالكوارث مسدق
وقفت امام الخطب سدا منعا	وذا موقف انى يحاكيه موقف
فلله ايام عليك عصيبة	تهدد امالا لنا وتخوف
طغى الماء فيها والسدود ضعيفة	وهمة ارباب المزارع اضعف
فقاومته حتى تشى عنانه	وكافحته حتى اثنى وهو اعجف
فيا (سعد) مازالت خطاك سديدة	وما زالت الامال باسمك تهتف
بك الزرع لاقى من يرق لحاله	ولم ير قبلا من يرق ويعطف
اليك اتى (سوق الشيوخ) مكرما	جهادك في رمز عن الحب يكشف
يقدمه ذكرى لموقفك الذي	سيبقى مدى الاجيال وهو مشرف

وجاء سعد من الناصرية الى النجف ليقتضى فيها اياما من اجازته واقسم على ان لا يخرج من النجف وفي نفس احد عليه معتبة أو موجدة ، وكان قد قضى قبل هذا مدة طويلة في النجف بعد الفترة التي سميت بحركة (رشيد عالي) وفي تلك الاثناء جلس للناس في بيته كما كان يجلس يوم كان محاميا مقيما في النجف ، وجدد عهده باصدقائه ومحبيه ، فقد لاح له انه كان جافيا في اعين الناس لطول ابتعاده عن النجف ، ولا يبعد ان يكون قد بلغه رأى البعض فيه انه رجل خشن ، بعيد عن الملاينة والمطايبة لزمائريه ، وملتقيه ، فجاء في هذه المرة من الناصرية ليطرد هذه الفكرة عن رؤوس الذين كانوا يرون هذا الرأى فيه ، فما ترك احدا الا وزاره ، وما ترك عاتبا الا ورفع عتبه بشيء كثير من الاعتذار ، ولعل للخصومة السياسية أو الاصح خصومته (لصالح جبر) يومذاك بعض الاثر في اندفاعته هذه

وتلطيف مزاجه ، او انه كان يريد ان يقول بان اعراضه عن الناس ومخاشنته لهم اذا كان ذلك فيما مضى صحيحا ، فهو اليوم لم يعد ذلك الرجل الذى يستطيع أحد ان يقول عنه شيئا •

والحق ان سعدا كان قد اعرض زمنا عن النجف قبل اقباله عليه ، اما اليوم فان اقباله على هذا النحو تجاه الكبير منهم والصغير قد صار حديث الجميع ، فقد تفقد مرضاهم ، وزارهم فى بيوتهم ، واسهم معهم فى اعمالهم ، وخفف كثيرا من اثقالهم ، وطالما صحبتته فى زيارة عدد من الذوات ، وكنا ذات ليلة فى زيارة بعض العلماء والشيوخ ، وحين تم لنا ان نزور عدة بيوت سألتنى :- اترى هنالك من يقتضى لنا زيارته بعد ؟ قلت - اذا لم تر بأسا فلنزر الشيخ قاسم محى الدين ••• وهكذا فعلنا وقد كانت ليلة لم يزل يذكرها جميع من حضرها فقد كان فيها سعد مرحا ، وقد فاض مرحة حتى تجاوز الحد فاذا به يبدع فى ارسال النكتة ، واذا بظرف الشيخ تاسم المشهور تضيق دائرته امام ظرف سعد الواسع حتى كدنا ان لانسبح للشيخ قاسم صوتا •!

وهكذا ظل ينتقل من بيت الى بيت ، ومن محل ، الى محل ، واتخذ من (دار الهاتف) مقرا له ، واستطاع ان يفيض عليها من المحبة ما اخجلنى امام نفسى حين كنت اذكر ايام الجفوة ، وكانت النجف قد بدأت تشعر بضعف يئتابها فى جميع نواحيها لاسباب كثيرة ليس هذا وقت حصرها ، أهمها كان ارتحال عدد كبير من كبار رجالها عنها اما بحكم الوظيفة ، او التجارة ، او الامور الاخرى ، وقد تناول هذا الارتحال او الهجرة على الاصح حتى رجال الادب وأهل العلم ، فاستطاع سعد خلال هذه الايام التى اقامها فى النجف ان يجدد لها امالها ، ويبعث نشاطها من جديد ويخفى عنها نقاط الضعف ، وغدت النجف تموج مرة اخرى بافكارها واعمالها ، ودب النشاط فى مفاصلها فنسيت كل مواطن ضعفها على الرغم من قصر اقامة سعد فيها •••

واعقبت هذه الزيارة من سعد زيارة اخرى جاءت مكملة لما بدأ به من عمل يزيد حبا فى النفوس ، وفى كل هذه الزيارات كنت من أكثر المتصلين به ، سواء

في بيته أو في (دار المهاف) ، أو في بيوت العلماء ، والوجهاء ، وقد كثرت الولايم التي اقيمت على شرفه واشتدت اواصر الالفه بين قوم وقوم بسببه ، وزالت خصومات كثيرة بنتيجة هذه الاجتماعات ، والولايم ، وكثر المجون الادبي والمساجلات الشعرية ، وعادت لتنجف بعض مزاياها في ارسال النكته اللاذعة ، واناذرة المرتجلة وكانت والله من انذ الايام بل من احلى ما مر على النجف في تلك الاوقات من اطيب مجالسها بفضل سعد .

ولزم سعد بغداد بحكم نيابته في البرلمان ، وبحكم استيزاره ، فقل ذلك من تردده على النجف ، ولكن سعدا ظل متصلا بالجميع من طريق الروح ، فلقى الناس الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه في سعد مأملا في قضاء حوائجهم ، وتسهيل ما يستطاع تسهيله لراحتهم فلم يفرق بين طائفة وطائفة ، ولا بين جنس وآخر ، وفي مدة جد قبيلة أصبح اسم سعد لامعا في جميع الاوساط .

وانتقل (المهاف) الى بغداد ، فعدت الى سائف عهدي به ، ازوره كثيرا في اوقاته العامة والخاصة ، ولم تكن له اوقات خاصة ، لولا المرض الذي لازمه منذ سنتين فاضطره الى ان يجلس مجلسا خاصا للاصدقاء حين لا يكون بمقدوره ان يجلس للناس جميعا .

واصدقاء سعد نوعان حزبي ، وغير حزبي ، وكنت انا من اصدقائه غير الحزبيين ، وغير السياسيين ، ولقد كان يعلم بصلة كثير من اصدقائه بخصومه صلة وثيقة ، ومن اولئك كان سعد عمر ، فما اشار والله بشيء من هذا لاصدقائه ، ولا انكر عليهم مثل هذا الاتصال لان سعدا كان قد تغير - لقد تغير كثيرا - فلم يعد يهتم بمخالفة اصدقائه لارائه ولكنه طالما طرد البعض وشتم البعض من الذين كانوا يترددون على مجلسه وعلى مجلس خصومه فينقلون عنه حديثه لخصومه ، وينقلون عنهم حديثهم له ، واني لاذكر ذات مرة وقد كان سعد مدعوا عندي لتناول الغداء ، ان نال احد المدعوين معه من الشيخ على الشرقي ، ولم يكن الشيخ على الشرقي

حينذاك على حال مع السيد سعد ، وانا تربطني (بالشرقي) رابطة صداقة أكيدة يعرفها سعد ، فاتت سعد الى المتكلم وهو يتسم وقال :- والعاذرة ؟ (والعاذرة كلمة تسيهية تقال لكي يتوقى الشخص ذكر أحد بالسوء اذا كان هناك من لا يرضيه مثل هذا الذكر السيء) .

ومعناها انه : اي عذر تقدمه عن نيلك من هذا الشخص وله صديق صميم بيننا - وهو يعني - ؟ فرد عليه المتكلم قائلا وماذا بهم ؟

قال سعد :- اذا كان لا يهملك انت لانك شعبان فاني والله جوعان واخشي ان ينتقم منا (الخليلي) بسبيك ويحرمنا من الغداء ، وكانت لباقة منه صرفت الحديث الى ناحية اخرى .

وكنا ذات يوم - ونحن في النجف هو وانا - عند حسن محمد علي حاكم صلح النجف يومها ، وكنا في غرفة المحكمة في النجف ولم يكن معنا نحن الثلاثة احد ، وقد انجر الحديث الى أمور خاصة استلزمت ان يسرد (سعد) تاريخ تصدع علاقته الودية بصالح جبر وفي هذه الاثناء طرق باب الغرفة ودخل المحامي (فاضل عباس معله) فصرنا اربعة ، وظل سعد يروي القصة التي كان قد بدأها عما كان قد وقع بينه وبين صالح جبر ، لقد بدأ يرويها بخذافيرها ، ويستعرض موقفا يستدل منه على ان له بذمة صالح جبر مبلغا من المال لم يشأ ان يطالب صالح جبر به بعدما وقع بينهما من الجفاء ورجا سعد منا نحن الثلاثة ان نكتم ما دار من الحديث عما يتعلق بدينه على صالح جبر لان وصول هذا الخبر الى صالح جبر مما يسيء الى سعد . . . على ما قال .

وبعد بضعة ايام اتصل بي سعد بالتلفون من بيته في النجف - وكان قد ذهب الى بغداد وعاد الى النجف - وسأنتي بلهجة جافة خشنة قائلا :-

- ألم تستطع ان تكتم القضية اسبوعا واحدا ؟

قلت - أية قضية تعني ؟

قال - او بعد هذا الافشاء مجال للتباليه والتجاهل ؟

وهنا علمت ماذا كان يعنى ، فلم اتمالك نفسى ، وخففت اليه مسرعا ، وانا اشد ما اكون غضبا ، وهياجا ، لسوء ظنه بى وسألته :-

- أسمعتنى من قبل ناقلا عنك حديثا الى أحد ؟

قال - لا وارجو ان لاتذهب بك الظنون مذاهبها فقد كان ذلك منى مجرد

سؤال لاغير ؟

قلت - لا ابدا انه لم يكن مجرد سؤال كما تقول وانما كنت

تعنى امرا واقعا .

وتابعت الحديث قائلا :- ارأيتنى ناقلا لك عن أحد خبرا فيه شيء من معنى

النسيمة والوشاية بأحد ، وانت تعرف اننى اعرف عنك الشيء الكثير الذى قد لايجوز

نقله ؟

قال - لقد قلت لك كلا

قلت - فالذى لاينقل لك شيئا عن أحد لاينقل عنك شيئا لاحد .

قال - لقد قلت لك انه مجرد سؤال فلا تذهب بك الظنون هذه المذاهب .

ولم ادرا كان قد قنع فى وقته حقا بانى لم اكن انا الذى اوصلت الخبر الى

(صالح جبر) ولكنى علمت من سعد بعد زمن بانه قد عرف الذى نقل القصة الى

صالح جبر وسماه لى ، وما كان من صالح جبر الا ان اسرع وبعث بالمبلغ الى سعد

صالح !!

★ ★ ★

وسعد ظريف ، ويتقن النكتة كل الاتقان واذا احسن احد التنكيت استقبله

بالاستحسان حتى وان دارت على سعد الدوائر ، وان لهجة استحسانه غالبا هى كلمة

(جابهها) (اى انه اتى بها فى محلها) وهو يرسل هذه الكلمة عند سماعه النكتة المرتجلة

البليغة ، وانى لاذكر ذات ليلة وقد خرج جميع زواره من بيته ولم يبق غير (تومان

عدوه) ولم يكن سعد فى تلك الليلة على حال من الرغبة فى اطالة السهرة فطلب

من (تومان) التعجيل بالخروج من البيت قبل ان يداهمه احد من الزوار الذين

يخجل من الاعتذار اليهم وتلزمه المجاملة بالبقاء الى جانبهم ، فاستمهله (تومان) ريشما يتم نه (ف) سيكارته ، وتدخينها ، وفي تلك الاثناء قدم زائران محترمان على سعد وما كادا يجلسان حتى تكلم (تومان) وقال :- انها نعمت الصدفة ، لان سعدا فى شوق لا حياء جانب من هذه الليلة بالسمر والاحاديث وانا جد مشغول فى هذه الليلة وقد اعتذرت اليه قبل مجيئكما راجيا ان يطلق سراحي فلم يقبل ، وقد ارسلكما الله نعمة له لتقضيما معه ليلة ارجو ان تكون سعيدة ، كما ارسلكما الى نعمة لاننى سأستطيع بواسطتكما ان اذهب لشأنى .

اما سعد فقد خفته الضحكة ، وحين هم (تومان) بالخروج توعده سعد بالهمس وهدده قائلا :-

- ارجو ان لا يكون الصبح بعيدا يا تومان فقال تومان - لعنى الله ان لم اخرج فى هذه الليلة من المدينة ولتواجه الوجوه بعد شهر وكان بإمكان سعد ان يروى لزاثيره القصة ، ولكنه كان يحاذر من أحد زائريه وقد كان سريع التأثر ان يعتبر هذه القصة بمثابة طرد له وذلك لمزاج خاص عرف به ذلك الشخص ، فظل سعد يتناب وظل زائراه يتنابان الى ماشاء الله !!

وعرضت علبة السجاير الجديدة لشركة النصر التى اتخذت صورة سعد على الغلاف شارة ورمزا لها لقد عرضت هذه العلبة على السيد جواد الحيدرى وهو عند سعد فلم يعرف السيد جواد صورة سعد ، وظنها صورة رئيس الشركة كما لم يستطع السيد جواد قراءة كلمة سيكارة (سعد) المطبوعة عليها بالخط الكوفى وظن ان المكتوب (ساعة أو ساعد) فقال السيد جواد للذى قدم له العلبة - قال له :- الم يكن الافضل ان تصدر هذه العلبة مجردة من هذا (البجم) المنحوس . . . فقال سعد - ولقد قلت لهم والله ذلك قبلك فلم يوافقوا ، بل ارادوا ان يحققوا فى سيجارتهم الشطر المشهور (يكفيك شاهد منظرى عن مخبرى) وانت اعرف بقيمة سيجارتهم قال هذا وضحك وضحك الجميع

وقال مرة للسيد حسين كمال الدين على اثر مولود جديد ولد له (وكان

السيد حسين كمال الدين قد التزم بقافية الميم في تسمية ابنائه كعصام ، وسهام ، وهمام ، وسلام) لقد قال له السيد سعد : اخشى يا سيد حسين ان تنتهي جميع هذه القوافي الميمية والسجعات لكثرة مواليديك ويصل بك الامر الى (الصخام ، واللطام) .
وقيل له مرة ان شرطيا سريا يتخطى امام داره ليتجسس عليه وعلى زواره الداخلين عليه والخارجين منه ، فقابل سعد في اليوم الثاني مدير الشرطة وسأله عن ذلك ، فانكر المدير ان يكون ثمة شيء من هذا القبيل ، فعاد سعد الى بيته واوصى خدامه بان يستعدوا لنكتة عملية ، وهي ان يتجسسوا على الجاسوس ، حتى اذا راوه اليوم يفعل ما كان يفعل كل يوم فليقبضوا عليه وليدخلوه الى الدار وكان كما اراد وكانت نكتة عملية اذ وضعت رجل الجاسوس في (فلقة) اعدت خصيصا لذلك الجاسوس وكانت كل ضربة تنزل على قدمي الجاسوس تعقبها هتافات من (صلوات) الخدم ، وسعد يراقب الامر من بعيد ويضحك ، ولم يعد يرى احد لجاسوس شبحا حول بيت السيد سعد بعد ذلك !! . . .

وسعد شاعر ، وخطيب ، وله شعر كثير اغلبه يصور نزعاته الوطنية وقليل منه في النواحي الاخرى وقد وضع لمدرسة الغري اناشيد وطنية جيدة كانت تشدها المدرسة الى وقت قريب .

ولقد انشده مرة المستر (كرملی) ونحن في قارب بدجلة ايباتا بالانكليزية تتضمن تمنياته الطيبة للعراق وشعبه وتمنى في شعره ان يظل العراق دوما في رخاء من حيث ارضه ، وبساتينه ، ومزارعه ، ورد عليه سعد مرتجلا بثلاثة ابيات بالعربية تتضمن نفس التمني للانكليز ، وقد قال فيها ان هذه التمنيات مجرد الفاظ ينبغي ان يرد عليها بالالفاظ ، وحينما تكون التمنيات اعمالا فانه سيرد عليها بالاعمال ، وقد كتبت ابياته الثلاثة وكدت ادسها في جيبي ولكنه طلبها مني ليدخل تعديلا عليها وما كاد يأخذها مني حتى وضعها في جيبه ولم يعدها الى ، ولقد رثي نفسه قبل ان يموت باسبوعين بقصيدة في نحو ستين بيتا سماها (بالاشباح) ولما كان لا يستطيع ان يمسك القلم بيده فقد كان ينظم الابيات ويحفظها ثم يتلوها على من يحضر ليكتبها عنه ، وقد كتب شطر منها بقلم حسن الاسدي وشطر اخر بقلم محمد علي كمال الدين ، وشطر

بقلم ابنته (سلمى) وهذه ابيات منها :-

الاشباح (١)

ابوارق الامال والالام لوحى نعلك تكشفين ظلامى
فلقد بدا شبح الهموم على الدجى حلكا ركاما قام فوق ركام
يوحى الى نفس الكئيب كآبة خرساء تخلع مهجة الضرغام
متوسطا شبحين ذاك لمحنة الوطن الاسير ، وذا لقرط سقام
فلعلتى شبح رهيب كالردى ولموطنى شبح جريح دام

وسعد زعيم من زعماء السياسة المحنكين دون اقل شبهة ، ومقامه السياسى معروف لدى الجميع ، وقد طغت السياسة عليه حتى لم يعد لمن يعرف سعدا عن كتب ان يتبين فيه شيئا غير السياسة ، وهو رجل كان من القابلة واللياقة بحيث يستشف كثيرا من الحوادث ، ويتكهن بكثير من العواقب قبل حدوثها ، وله اراء جد صائبة ينفرد بها بين مئات السياسيين فى هذا البلد ، ويقدرها له الذين عالجوا المشاكل السياسية عندما خبروا بواطنها ، فقد اوتى حظا كبيرا من الذكاء والفتنة وان لاصابته الهدف وحسن قيامه بما يعهد به الى نفسه فى اشد الاوقات حراجة ، الاثر الكامل الملموس ، ولعل ذكاه كان ابرز خصلة من خصاله الغريزية ، وقد يغضب سعد على امر ، او شخص ، وان غضبه وان كان مأمون العواقب ولكنه ليس من السهل انتزاعه لشدة وقعه من ذهن المغضوب عليه ، فسعد على رغم ابتعاده عن الانتقام ، واطمينان المغضوب من العاقبة عند مقدرة سعد منه ، فان لون اعراضه لن يتحملة المغضوب عليه ، بل يود لو انه انتقم منه لكان خيرا له من هذا الاعراض والاهمال ، ولعل هذا اللون من الغضب قد افقده بعض اصدقائه ، واشهد انه عرف فى نفسه ذلك فجنبها على قدر الاستطاعة هذا المحظور .

ولقد قال لى يوما وهو وزير للدخلى وكانت جريدة (الشعب) تناوؤه بصورة خاصة لان خصومة سعد لصالح جبر السياسية كانت قد بلغت اوجها حينذاك

(١) وقد نشرت القصيدة فى الصحف بعد وفاته .

وكانت جريدة الشعب وصاحبها يحيى قاسم من اشد اصدقاء صالح جبر ومؤازريه
لقد قال لى سعد - والله لو مات - وهو يعنى بذلك يحيى قاسم - قال والله لو مات
فلن اكسبه شرف اغلاق جريدته

وسعد حين يرسل الرأى السياسى يرسله مدعوما بالادلة التى لاتقبل التشكيك ،
فهو يعتمد المنطق فى جميع تفكيره ومن طريق المنطق يسمى للظفر .

وكم رأيته وهو متحمس لرأى ثم لايلبث ان يعود لينقضه من اساسه حين
يبدو له رأى آخر سواء كان هذا الرأى له أو لغيره ممن يسمع به ، مادام يلمس
فيه الحجة الصائبة ، لذلك كان سعد ابعدا ما يكون عن العناد فى آرائه السياسية
وكانت سليته فى القضايا الوطنية منطقية معقولة ، ولعل لجرأة سعد اثرا كبيرا ايضا
فى شخصيته لاتقل عن مواهبه وقابليته السياسية والادبية ، والجرأة فيه قديمة
ترافقه منذ الصغر وبسبب هذه الجرأة دون غيرها فقتت احدى عينيه على يد اسماعيل
هرندى وهما طفلان يلعبان ففر اسماعيل هرندى خشية بطش اهل سعد ،
وسويت القضية على طريقة ذلك العصر ، وكان لجرأة سعد أثر محمود فى بروز
اسمه ، وفرض شخصيته ، فقد كان للجرأة بعض سيئاتها فى حق البعض عليه
خصوصا حين تتجاوز هذه الجرأة الحد وتكون صراحة اكثر مما تطبق هضمها
النفوس . كل هذا قد كون من سعد رجل سياسة لايشق له غبار .

وصادق سعدا كثير من الرجال على اختلاف نزعاتهم من حزبين وغير حزبين ،
وبالامكان القول ان كثيرا من اصدقائه قد صادقوه تحسسا بمنزلته ، وجبا بروحه ،
واعجابا برجاحة عقله ، وتعلقا بمبادئه القومية العربية ، وكان عبدالوهاب محمود
وعلى ممتاز الدقترى وكامل الجادرجى وعدد آخر من غير الحزبيين ممن اكثر
الملازمين لمجلسه فى ايامه الاخيرة وقلما زرته ولم اجد عددا من هؤلاء وامثالهم
يخوضون واياه مختلف الشؤون كانهم فى ناد لايومونه الا ليغذوا انفسهم بما
يطيب ، وما ينبغى ان تتغذى به النفوس الحرة التى لايقيدها اى قيد ولا يمنعها مانع
من ان تقول ما تحس به ، واشهد انهم برواه كاصدقاء فانس بهم ، وامتلات نفسه

من مودتهم واعجابهم به ، وولائهم له ، واشهد ان لهؤلاء ولبعض الاصدقاء الحميمين غير
من ذكرت الذين كانوا يزورونه غبا كل الاثر فيما بدا عليه من جلد اكثر مما كان
يتحمل مريض يعانى آلام مرضه سنتين كاملتين ، فقد كان يتناسى بوجود الاصدقاء
مرضه ، وقد كان الدكتور عاصم الحياى ، وصديقه الدكتور مهدى الصندوق الذى
قد يرافقه الحياى بعض الاحيان لمعالجة اسنانه اثر محمود على نفسه .

وآخر زيارتى لسعد كانت قبل وفاته بخمسة ايام ، وقد كان كل من ذكرت
هناك كما كان الدكتور احمد الجلبى ورأيت سعدا انشط ما يكون فى حديثه وأكثر
ما يكون مرحا ، وكان الحديث يدور حول هندسة الدور الحديثة ، وشكا هو
وتبعه الدكتور الجلبى فى الشكوى ، لقد شكيا مما كانا يعانياه من حمامى بيتيهما
وقالا انهما لا يستطيعان ان يسخنا حماميهما الا بعد ان يفتحا احدى الحنفيات ويتركاها
مفتوحة تصب الماء مادامت النار تشتعل فى الاتون !! والا انفجر خزان الماء !! وتناولا
فى حديثهما المهندس السيد محمد الحسنى بالدعابة وعزوا اليه عن طريق
الفكاهة هذا الخلل لانه هو الذى بنى لهما بيتيهما مع العلم بان ليس هناك من
علاقة بين هندسة البناء ومد الانابيب ولكن الدعابة كانت قد تحكمت فى نفس سعد
تحكما قويا ، وجر حديث السيد سعد الى ذكر (اسطه خاچى) وافاض فى التثكيت ،
وابدع فى تلك الليلة ابداعا عظيما ، واسطه خاچى هذا بناء نجفى معروف ، قيل
انه لا يبنى جدارا ويتمه حتى يتنبأ بسقوطه فى موعد معين خلال اسبوع أو أقل من
ذلك !! وحين يسأله الناس متعجبين عن صدق تنبؤه حينما يرون الجدار وقد
انهار - انهم يسألونه عن السر فيجب الاسطه خاچى قائلا :- « البناء بنايتى وانا
اعرفها . »

وكان سعد قد احس بدنو اجله فى ايامه الاخيرة ، وكان قد بلغ سعدا ان
السيد مرزا القزوينى قد زاره وكان سعد نائما وقيل له انه ربما كان قد جاء
من الحلة الى بغداد لحضور تشييع (سلطان البراك) فشاء ان ينتهزها فرصة لزيارة
سعد . فقال سعد :- بل الاصح انه اراد ان يشييع جنازتين فى آن واحد (وهو يعنى
بالجنازة الثانية نفسه .)

قلت لقد احس بدنو اجله فى الايام الاخيرة على رغم انه لم يحدث له شىء جديد غير ما كان يحدث له من قبل ، والدليل على ذلك هو احضاره اخاه السيد طلب وابن عمه السيد حسين جريو من النجف لتسجيل وصيته قبيل وفاته يومين فقط ، وقد كان جلدا ، وحين طفرت من عين اخيه الدموع لآامه على البكاء قائلا :- « ان الموت مصير لا بد منه وان الانسان يجب ان يهيب نفسه لقبوله بالحسنى » وكان من شعوره بدنو اجله هو تصديه لرثاء نفسه فى آخر أيامه وهو لم يفعل ذلك من قبل ولم يحدث به • وعلى ان سعدا كان جلدا فقد بدا عاطفيا فى أيامه الاخيرة ، اذ راح يستعرض الكثير من اصدقائه القدماء ومن الذين حالت بينه وبينهم الحوائل السياسية او غير السياسية ، مما كان هو نفسه السبب فى الجفاء او كانوا هم السبب فى ذلك ، لقد بدأ يستعرضهم بالحسنى ••• ويذكرهم بالخير ••• ويفض النظر عن كثير مما وقع لهم معه فلا يذكر الا اطيب أيامه معهم ••• وكانوا كثيرين ••• وكان يستعرضهم واحدا واحدا فى بلدانهم ، وديارهم ، وكان منهم اموات ، والكثير منهم احياء ، ولم يكن ذلك عن عاطفة وحدها ، وانما كان يمازجها شىء من الفلسفة التى ترى ان الواجب يقضى بان لا يحتفظ الانسان بغير الذكريات الطيبة من الماضى ••• اما السيئات ، فيجب ان لا يفسح لها المرء فى المجال حتى ولو باشغال جانب صغير من نفسه ••• ووالله لقد اعتذر حتى لخادميه محمد ، وسلمان ، وسمعتهم يرثى لهما ويذكر انهما قد سهرا كثيرا من أجله ••• وتعذبا كثيرا فى سبيله ، كما اعتذر الى جواد موسى مما كان قد سبب له من اتعاب فى اثناء ملازمته له فى سفره الى اوربا للمعالجة ، ومما قد يكون قد ند منه شىء فى هذا السفر فى حق جواد موسى الذى كان يجب سعدا كثيرا ، وشعر سعد منذ سنتين ، وكان مرضه يتطلب ان يكون بعيدا عن التفكير والهم ، وكان ذلك - على واحد مثل سعد - عسيرا ، وقد تحدث ذات ليلة ولم يكن عنده أحد سواى ، وتطرق الحديث الى راحته فقال :- لقد سعى كثيرا الى الراحة فلم يوفق ، واذا ما استطاع ان يبتعد عن اجواء التفكير ، وانشغال البال بالمزعجات ، فان ما كان يتلقى من الكتب والرسائل ، ومن احاديث زواره ، كاف ليجعله سابحا فى عالم

ليس له نهاية من الاخيلة المزعجة والهموم •

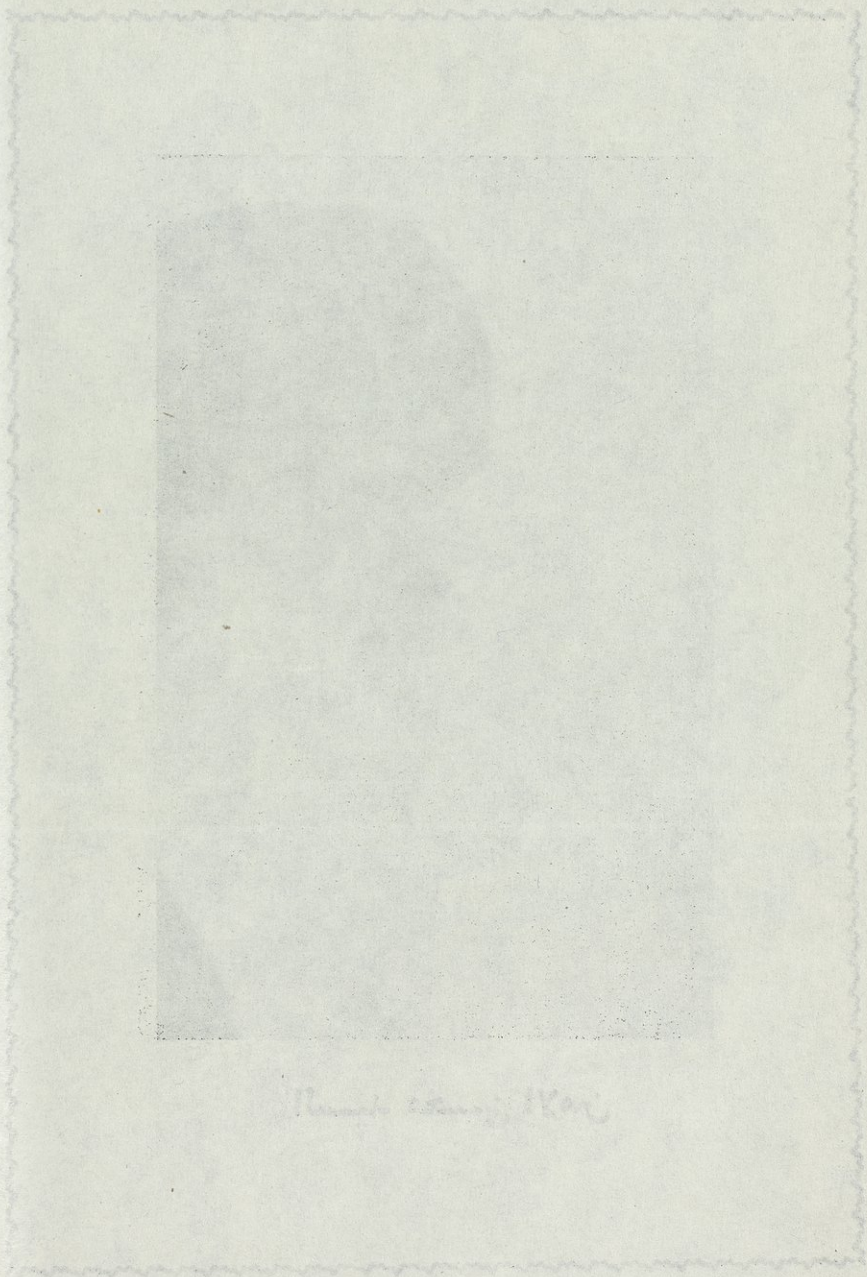
وقيل ان دواء سعد منحصر في تركيب جديد اكتشف حديثا بامريكا وهو كقيل ببناء ما كان يتهدم من الاعصاب وما كان يضمر من العضلات وينطفئ من جمرتها يوما بعد يوم وهو المرض الذي كان يشكو منه ، وكتب الى امريكا وطال الانتظار ، وقد وصل الدواء المجرب الذي انحصرت المعالجة به ، لقد وصل في اليوم الذي فارق سعد الدنيا •

واحس سعد بعد منتصف الليل بان حاله ليست على مايرام ، فسئل عما اذا كان بحاجة الى طبيب ؟ فقال ما مضمونه ليس هناك من فائدة فقد قضى الامر ، وكان سعد مالكا شعوره الى آخر لحظة من حياته وعلى رغم ما بدا عليه في ايامه الاخيرة من رقة في العاطفة ، ولين في الطبع ، وشفقة على اولاده الصغار وزوجته ، وهو يرى انكسارهم وفناده صبرهم وسيل دموعهم فهو لم يدع احدا يرى دموعه ويشهد ضعفه الذي خلفه المرض •

لقد كان سعد بارزا في حياته ، والذين برزوا وماتوا كانوا كثيرين ولكن امثال سعد كانوا اقل من القليل فهو نسيج وحده من حيث مواهبه الخاصة ومن حيث وطنيته وتوفر ملكات الزعامة السياسية في نفسه تلك المواهب التي استدرت دموع اصدقائه وغير اصدقائه على حد سواء حزنا عليه ، وشعورا بالخسارة الفادحة ، فكانت فاجعة البلاد به عامة ، وراح ولم يكسب من دنياه غير هذا الشعور ، وهو كل ثروة الذين يعيشون للناس ، وتوفى قبل اوامه ، في الوقت الذي اوشكت الزعامة الوطنية والسياسية ان تنحصر به •



السيد محسن الامين



Faint, illegible text or signature, possibly a name or date, located below the stamp.

السيد محسن الامين^(١)

المفروض عرفا - ولسنا ندرى من الذى فرض ذلك العرف - هو ان يكون العالم الروحاني رجلا جافا خشنا تدل على ذلك ما كله ، وملابسه ، وافكاره ١٠٠٠!! وسواء كان هذا المفروض حقا ام باطلا فقد وجدنا اكثر العلماء الروحانيين يعيشون على هذه الوتيرة ، ويتهيهم اكثر الناس لجفافهم ، وعدم فهم افكارهم ، ولترفعهم عما يحوط الناس ويكتشفهم ، اما الذين انطبق عليهم تعريف المؤمن من هؤلاء الروحانيين وهو ان المؤمن يكون هشاً بشاً فقد كانوا قليلين ٠٠٠ ومن هذا القليل كان السيد محسن الامين العالمى ، فقد طرق اسمه اذنى منذ اول ادراكى بانه رجل عالم مجدد ينزع الى تيسير الامور ، ويدعو للتبسط ، فمالت نفسى له ، وقرأت بعض توجيهاته وافكاره هنا وهناك ، فدلتى المقروء على روحانية من صنف آخر غير ما كنت قد التفت ان ارى فى النجف على الغالب ، لذلك هفت نفسى اليه ، وتقت الى رؤيته ، وكلما ازددت قراءة لافكاره ، ازداد ايمانى به كعالم افهم ما يقوله ، واعرف ماذا يريد ان يقول ، وكم كنت وانا صبى أمر على المسجد الهندي ، ومسجد الخضراء ، ومسجد الطوسي ، واخيرا الصحن الشريف فى النجف ، فاسمع العلماء يتدارسون ويتباحثون ، فكان ذلك عندى كالرطانة واذا كان ذلك حقا باعتباره درسا من الفقه والاصول الذى هو فوق مستوى ادراك الرجال فضلا عن الاطفال ، فاين الحق فى هذا الكلام الذى يتداولونه فى مجالسهم ، ويرسلونه تعبيرا عن اغراضهم ؟ انه لايزال رطانة من الرطائن ، لا يستطيع ان يتفهمها كثير من الكبار ، وجميع الصغار على الاطلاق ، ولكن قد ينطلق من بين هذه الرطائن التى

(١) الهافت - السنة السابعة عشرة - العدد ١١٤٣ - ٩ مايس ١٩٥٢

ينطق بها العلماء كلام مفهوم بعض الاحيان لدى جميع الكبار والكثير من الصغار
فترتاح اليه النفوس ، وينفذ الى القلوب ، ولم نعرف سبب هذا الاختلاف ، حتى
قيل لنا ان هذه اللغة المفهومة كلها او بعضها ، والروحية التي تدفع بها وترينها انما
هي لغة المتجددين من العلماء وروحيتهم فكانت آثار السيد محسن الامين من هذا
الوصف في الطليعة •

ومن الحق ايضا ان اقول - ان هذا الذي سمي بالتجديد لم يكن جديدا وانما
كان هو القديم الذي شرحه غير واحد من شراح الفلسفة بل كان اللب والاساس
من الدين ، ومن العلوم الاجتماعية ، ولكن الذي اخرج العلماء على قواعد الايمان ،
وانحرف بهم عن الطريق الذي يفرض على المؤمن ان يكون هشيا بشا هو الذي
اخرجهم على مغزى التشريع ، وقواعد الدين ، واتحى بهم ناحية هي واصول
الدين الصحيح على طرفي نقيض ، فاذا بنا لانعرف منطوقهم ، ولا محمولهم ولا
ما يهدفون اليه فيما يخص المجتمع وليس فيما يخص بحوثهم العويصة •
وما لنا وهذا الان ؟ وكل ما اريد ان اقول هو ان اول ما جذبني من السيد
محسن الامين كان هذا الذي يقوله السيد محسن فيفهمه الناس ويتحسسون
بخطره وقيمته •

وازددت معرفة روحية به عن طريق ابني •• فقد كان ابني زميله في الدرس
مدة طويلة ، وصديقه مدة اقامة السيد محسن في النجف طالبا للعلم ، ثم علمت ان
للسيد محسن اندادا من العلماء ، وهم الآخرون كانوا ينفذون الى النفوس بدعواتهم
الاصلاحية ، واحاديثهم الشهية ، والفرق بين السيد محسن وغيره هو ان السيد
محسن لم يكتف بالكتابة والتوجيه والارشاد بل راح يعمل على قدر الطاقة لتثريته
الدين من الشوائب ، والقضاء على كل تعقيد يوسع الخرق ، ويسعى في العمل على
تشثة جيل صالح منذ ان بعث به (الشيخ محمد طه نجف) الى دمشق ليكون هناك
المرجع الروحاني ، والامام المرشد ، وقد توجه اول ما توجه الى تأليف كتب أدبية ،
اخلاقية ، مدرسية ، وتأليف كتب خاصة بتاريخ سيرة الحسين (ع) وقد عرض
لهذه السيرة عرضا مجردا من كثير من الشوائب والاكاذيب على قدر الامكان

لاتخاذها مصدرا لخطباء المتأبر الحسينية ، والزوم الخطباء بمراعاة خطته في المآتم الحسينية واول عمل قام به بعد ذلك هو تحريم الضرب بالسيوف والسلاسل في يوم عاشوراء ، ومقاومة الذين يستعملون الطبول ، والصنوج ، والابواق ، وغيرها في تسيير مواكب العزاء بيوم عاشوراء فكان ذلك اول ذريعة اتخذها مخالفوه وخصومه لمهاجمته ، وقد ايدهم في نشاط الحملة ضده كونها جاءت متفقة ورغبة العوام (السواد) كل الاتفاق لذلك اتسمت الحملة ، وكان المجتهد الشيخ عبدالحسين صادق في (النبطية) ، والامام السيد عبدالحسين شرف الدين في (صور) ممن خالف دعوة السيد محسن الامين ، فبعثت هذه المخالفة في نفس السيد محسن روحا جديدة زادته حماسا وثورة في وجه القائلين بجواز الضرب بالسيف على الروؤس في يوم عاشوراء ، وحمله الغضب على اصدار (رسالة التنزيه) التي بنى احد اسباب غضبه على الرواية القائلة (من اغضب ولم يغضب فهو حمار) وكانت غصبة مضرية ، أدت الى مشاكل كثيرة ما كادت تبدأ في (جبل عامل) بلبنان ، حتى انتقلت الى العراق ، وتحولت من مشكلة اصلاحية ، الى مشكلة شخصية ، وقد كان لآل صادق وآل شرف الدين ، و آل الأمين ، اصدقاؤهم ، ومؤيديهم في النجف فاندفعت كل جهة الى هدفها بكل نشاط ، واتجه الجميع الى كبار العلماء يستفتونهم في أمر الضرب بالسيف كمظهر من مظاهر الحزن على ابي عبدالله الحسين (ع) ، فافتى (السيد ابو الحسن) الاصفهاني بحرمة الضرب بالسيف ، وقال ما مضمونه «ان استعمال السيوف والسلاسل والطبول والابواق وما يجري اليوم من امثالها في مواكب العزاء بيوم عاشوراء باسم الحزن على الحسين انما هو محرم وغير شرعي»^(١) .

وافتى الميرزا حسين النائيني والامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وجميع كبار العلماء بشرعية الضرب !! و جوزوا تلك المراسيم ، وكان (السيد ابو الحسن) لم ينفرد بعد بانزعامة الروحانية ، بل كان في طريق انفراده بها وكان وقوف منافسيه - وقد اجتمعت فتاواهم على خلافه - مما يوخر وصوله الى مركز

(١) - رسالة السيد ابي الحسن الفارسية - الطبعة الاولى .

الزعامة الدينية الكبرى ، فقد تلقى اغلب الناس افتاوى المخالفة للسيد ابي الحسن المؤيد للسيد محسن الامين بشيء من الارتياح ، وزاد من هياج الناس في وجه السيد محسن الامين تبنى الخطيب الشهير السيد صالح الحلبي فتاوى العلماء وشبه الغارة الشعواء على السيد محسن الامين وكان السيد صالح من مشاهير الخطباء الذين قلما توجد الطبيعة بامثالهم من حيث اللباقة ، والخبرة ، والجرأة^(١) فصرخ بالناس وهاجمهم ضد السيد محسن الامين وانقسم الناس الى طائفتين على ما اصطاح عليه العوام (علويين) و (امويين) وعنى بالامويين اتباع السيد محسن وكانوا اقلية لا يعتقد بها ، واكثرهم كانوا متسترين خوفا من الاذى . . . واتخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجرد مهاجمة اعدائه واتهامه اياهم (بالاموية) . . . فكثرت الاعتداء على الاشخاص . . . وأهين عدد كبير من الناس ، وضرب البعض منهم ضربا مبرحا . . . وبلغت الجرأة بالسيد صالح الحلبي ان يتناول على السيد ابي الحسن ويتناول السيد محسن بالسب والشتم ، وتجاوزت به الجرأة كل حد حتى قال في السيد محسن قوله المنكرة :

يا راكبا اما مررت بخلق فابصق بوجه (امينها) المتردق

وقد قيل ان البيت المذكور كان لاحد (العالميين) وقد نسب الى السيد صالح الحلبي لانه كان الصق به من غيره لما هو معروف به من جرأة وعدم مبالاة .
ومثل هذه الجرأة وان كانت قد اثارت نفوس الغياري ، وهاجت قرائح الشعراء المدركين والعارفين حقيقة الاصلاح فانها لم تفعل ولا بقدر الذرة في نفس السيد محسن الكبيرة خصوصا وكان قد استعرض مواقف النبي محمد (ص) وآل البيت في دعوتهم الاصلاحية فيما الف من كتب مدرسية ساق فيها الشواهد والامثلة لما ينبغي ان يكون عليه الداعي الى الاصلاح من استعداد لتقبل جميع صنوف الاذى وضروب العذاب وقد احسن الشيخ مهدي الحجاز وقد كان من (الامويين) في الظليعة حين قال من قصيدته يخاطب السيد محسن :

تأس يا (محسن) فيما لقيت بما لاقاه جذك من بغى ومن حسد

(١) مرت اشارة اوسع من هذه عن السيد صالح الحلبي في استعراض ايام السيد ابي الحسن .

وبدافع اعجابي بالسيد محسن ، وانطباعاتي عنه منذ الصغر ، وايماني بصحة
دعوته ، اصبحت (امويًا) ، وامويًا قحًا في عرف الذين قسموا الناس الى امويين ،
وعلويين ، وكنت شابًا فائر اندم ، كثير الحرارة ، فصبت حرارتي كلها في مقالات
هاجمت بها العلماء الذين خالفوا فتوى السيد ابي الحسن والذين هاجموا السيد
محسن ، ولما كنت يومذاك موظفًا فقد نشرت مقالاتي في الجرائد بتوقيع مستعارة ،
وتبغني في عملي هذا عدد من (الامويين) على حد ذلك الاصطلاح ثم ما لبثنا ان تعارفنا
نحن (الامويين) وكان الشيخ محسن شرارة في الطليعة من اولئك التحمسين لمبدأ
السيد محسن الامين الاصلاحى ، ولست اذكر شيئًا كثيرًا مما مر ، الا اننى كنت
قد احسنت الدفاع عن السيد محسن بقلمى ، ولسانى ، حتى لقد هدوت بالقتل
والاعتداء حين انكشف امرى للبعض .

وكنت اجد في كثير من الاحيان رسالة او أكثر وقد القى بها من تحت باب
الدار وهى تتضمن الى جانب التهديد بالقتل شتائم بذية تدل على خسة ، وجبن ،
فكنت أسعى لانتقاطها قبل ان يعرف احد عنها شيئًا ، ذلك لان لى أما كانت ملتبهة
العاطفة ، وكنت اخشى ان يصل اليها خبر التهديد فتجن وتنغص على حياتى ، وكان
لى من حسن الحظ من يدفع عنى الشر ، ومن الحق ان اشير هنا بالثناء الى الشيخ
عبدالكريم الجزائرى ، فقد كان ممن ذب يومذاك هو والزاهد اناسك الشيخ على
القضى والفقير الشيخ جعفر البديرى لقد ذبوا عن السيد محسن بحرارة ودافعوا
عن رأيه دفاعًا جريئًا وكان ذلك سببًا لاتصالى الوثيق بالشيخ عبدالكريم الجزائرى
ولكن التيار كان جارفًا ، والقوة كلها كانت فى جانب (العلويين) ، وكان هؤلاء
(العلويون) واتباعهم يتفننون فى التشهير بالذين سموهم (بالامويين) ، وبلغ من
الاستهتار ان راح حملة القرب وسقاة الماء فى ماتم الحسين بيوم عاشوراء ينادون
مرددين : (لعن الله الامين - ماء) بينما كان نداؤهم من قبل يتلخص فى ترديدهم
القول (لعن الله حرمة - ماء) فابدلوا الامين بحرمة نكابة ، وشتما ، وبعد عدة
سنوات ، وحين أثرت هذا الموضوع ، موضوع تحريم الضرب بالسيوف فى جريدة
الهاتف ، هاجت النجف ، وماجت ، وكادت تحدث هناك فتنة ، وهنا تحول النداء

على الماء في المآتم الحسينية الى المتأداة باللعن على افواه سقاة الماء صارخين
(لعن الله الخليلي - ماي) •

ولا تسل عن عدد الذين شتموا ، وضربوا ، واهينوا بسبب تلك الضجة التي
احدثتها فتوى السيد محسن الامين يومذاك وكان السبب الاكبر في كل ذلك هو
(العاملون) اعني - اهل جبل عامل - ان الذين كانوا يسكنون النجف طلبا للعلم وكان
معظمهم من مخلفي السيد محسن •

وممن دافع عن السيد محسن خارج النجف كان السيد مهدي القزويني في
البصرة ، وكان السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في بغداد الذي ساعدنا نحن
الذين تولينا الكتابة والدفاع عن السيد محسن مساعدة فعالة ، على ان دفاع هؤلاء لم
يكن مستغربا حينذاك بقدر ما كان يستغرب دفاع الشيخ علي القمي ، ودفاع الشيخ
جعفر البديري لبعدهما عن روح التجدد •

وقد اثار هذان الاخيران في ذمهما عن السيد محسن دهشة جميع الاوساط
واستغرابهم •

اما السيد محسن نفسه فان لرده على خصومه اسلوبا خاصا يهيج به نهج خصمه
في الرد من حيث الطريقة لامن حيث الشتيمة ، وانه ليدع في العرض على ذلك
النسق وبشيء كثير من الانسجام والتبسط حتى ليدخل بكلامه الى قلوب قرائه
بدون استيذان ، ولاعجب فقد كان اديبا بارعا وشاعرا اجاد في كثير من مواضيع
الشعر •

فمن امثلة ردوده ان بعض صحف بيروت كانت قد نشرت له تحريمه
لشجج الرؤوس بالسيوف ، والضرب على الصدور ، واستعمال المزامير والطبول في
مواكب الامام الحسين (ع) ، فانبرى له أحد كبار الروحانيين المتسترين مفندا ومكفرا
ومشهورا به في رسالة مستقلة طبعها وقد جاء في بعضها قوله :

«ومن فواجع الدهور ، وفظائع الامور ، وقاصمات الظهور ، وموغرات
الصدور ، ما نقلته بعض جرائد بيروت في هذا العام عن نحرتم اشخاصهم من

المعاصرين الوطنيين (يريد به السيد محسن) من تحييد ترك المواكب الحسينية ،
والاجتماعات الغزائية بصورها المحسنة في (النبطية) وغيرها ، فما ادري أصدق
الناقل ام كذب ؟ فان كان صادقا فالصية على الدين جسيمة عظيمة * * * * *
وقد راعى السيد محسن في رده اسلوب منتقده في سخرية مؤدبة جميلة اذ
قال :

« ان عذا التهويل وتكثير الاسجاع لايفيد شيئا ونو اضيف اليه اضاعفه من
قطعان النحور ، ومجففات البحور ، ومفطرات الصخور ، ومبعثرات القبور ،
ومهدمات القصور ، ومسقطات الطيور ، بل ان من فجاجع الدهور ، وفطائع الامور ،
وقاصمات الظهور ، وموغرات الصدور ، اتخاذ الطبول والزمور ، وشق الرؤوس
على الوجه المشهور ، وابرار شيعه اهل البيت واتباعهم بمظهر الوحشية والسخرية
امام الجمهور ، مما لايرضى به عاقل غيور » *

وقد اخذ بعض هؤلاء الخصوم من انروحانيين على السيد محسن محاربه لهذه
البدع من التطويل والتزمير ونبس الاكفان والضرب بالسيف والسلاسل فقالوا
معرضين عليه :

« أتبكي السماء والارض بالحمرة والدم ولا يبكي الشيعى بالدم المهرق من
جميع اعضائه » *

فرد السيد محسن على هؤلاء بما يلي :

« اتنا ما رأيناكم أهرقتم دما طول عمركم نلحزن من بعض اعضائكم لتهرقوه
من جميع اعضائكم ، فلماذا تركتم هذا المستحب المؤكد تركا ابديا ، وهجرتموه
هجرا سرمديا ، ولم يفعله احد من العلماء في عمره ولو بجرح صغير كبضمة
الحجام ، ولماذا لم يلبسوا الاكفان ، ويحملوا الطبول والابواق ، وتركوا هذه
المستحبات يفوز بها العوام والجهلة دونهم ؟ » *

وامستطاع السيد محسن ان يوجه مساعيه توجيها عمليا فيحول بين ارباب
المآتم الحسينية وبين القيام باية حركة تنافى والشريعة الاسلامية على قدر
امكانياته وفي ضمن حدود تفكيره ، حتى الخطباء ، خطباء المنابر الحسينية استطاع

السيد محسن ان يفرض اطاعته على كثير منهم فيحصر خطبهم ضمن دوائر معينة من الموعدة ، والارشاد ، وقراءة سيرة (الحسين) ، وتاريخ شهادته ، بعد ان كانت الفوضى قد عملت عملها فيهم حتى بلغ من تصرف الخطباء ان صاروا يروون الكثير من الاخبار المنفقة ، والروايات المدسوسة على المنابر ، وهي اخبار ، وروايات ، ربما كانت اقرب الى الكفر منها الى الاسلام عند علماء الشيعة المدركين والواقفين على فلسفة الاسلام .

أما النجف وسائر المدن الاخرى فقد قابلت دعوة السيد محسن ، وفتوى السيد ابي الحسن ، برد فعل قوى ، شديد ، ظهر اثره فى أول شهر محرم من تلك السنة ، فقد ازداد عدد الضارين بالسيوف والسلاسل . . . ! وازداد استعمال الطبول والمزامير والصنوج والابواق . . . ! وكثرت الاهازيج والاناشيد التى تتضمن النقمة والتحدى لتلك الحركة الاصلاحية . . . فخاف (الامويون) واختفى الكثير منهم طوال العشرة الاولى من (المحرم) وبعدها بايام ، وانسحب البعض من الميدان كرها او اختيارا . . .

وبنح السيد محسن خبر هذه الضجة ، كما بلغه خبر الذين ذبوا عن رأيه ، ودافعوا عن حركته ، وظهر لى من شكره لى وثنائه على يوم التقيته لاول مرة : انه كان قد عرف كل شىء عن الحركة فى العراق وفى النجف وهو فى دمشق ، فلقد كنت قد اصدرت (جريدة الفجر الصادق) وكنت يومذاك فى ريعان الشباب وشدته ، وعصبيته - كما قلت - وكنت جريئا بقدر ما كانت تقتضيه طبيعة الشباب المؤمن بحقه ان لم اكن اكثر ، فكانت لى مع السيد صالح الحللى مواقف مشهورة ملأت بها (جريدة الفجر الصادق) واستطعت ان انتقم للاصلاح الدينى منه انتقاما ضج منه السيد صالح الحللى وهاج ، وضج معه انصاره ، وهاجوا . فهددوا ، واوعدوا ، ولكنى لم ابال بالتهديد ، والوعيد ، ولم يخفنى الابراق ، والارعاد .

ومن الحق ان اذكر ان اندفاعى فى تحدى السيد صالح على تلك الصورة من الجرأة التى لم يقدم عليها احد من اقرانى لم يكن وليد جرأتى الذاتية وحدها وشبابى

الفائز وحده ، وانما كان لها ما يسندها - كما اشرت - من الامور المشجعة ، فقد كان (الحاج عطية ابو كلل) يؤيدني في موقفى لعدة اسباب ، والحاج عطية كان اكبر زعيم يهابه المتشدقون بقوتهم ، والمغرورون بسلاحهم - وأن اهم اسباب تأييد الحاج عطية لموقفى من تلك الجرأة التى سجلت منها جريدة الفجر الصادق جزءا غير يسير ، هو ان الحاج عطية كان من مقلدى (السيد ابى الحسن) اضافة الى ان للحاج عطية صلة صداقة جد متينة باسرتى ، حتى كان من مظاهر تلك الصداقة انه خرج من بيته ذات يوم على اثر مشاجرة جرت بينه وبين اولاده وأهله زعلان غاضبا وعلى كثرة بيوت ارحامه ، واصدقائه ، فانه لم يقصد بيتا غير بيت عمى الميرزا كاظم الخليلي وقد مكث فيه عدة ايام لم يترك اولاده فيها طريقة لم يسلكوها لكسب رضاه ، حتى رضى وانتقل الى بيته ، هذا فضلا عن اتفاق كان قد جرى بينى وبين الحاج عطية على ان تقوم ببث الدعوة لتحمل (المواكب) ووفود المدن على ان يتخذوا من يوم ٢٨ صفر من كل سنة - وهو يوم وفاة النبى - يوما من الايام الدينية الرسمية لكى يقصد الزوار من جميع الجهات مدينة النجف على غرار ما يفعلون فى زيارة (كربلاء) فى يوم (الاربعين) وهذه الحركة وان لم تخل من نكاية للنجف بمدينة كربلاء لسبب ليس هذا محل ذكره ولم يكن باعها الاول منفعة النجف ولكنها كانت حركة لها اهميتها الروحية ، والسياسية ، والاقتصادية • بالنسبة لمدينة النجف تلك الحركة التى كان الحاج عطية بطلها الاول والاخير ، وقد تكلمت بالنجاح ، ومنذ ذلك اليوم والنجف تغص بالمواكب والوفود لزيارتها فى هذه المناسبة حتى لزم الامر - لكثرة الازدحام ، وكثرة المواكب ، ان تستدعى الحكومة قوة احتياطية من الشرطة للمحافظة على الامن والنظام لهذا اليوم من كل سنة •!! ولان والكثير لا يدرون بان محدث هذه الحركة كانت (جريدة الفجر الصادق) وكان الحاج عطية (ابو كلل) ، وقد اصبح عشرات الالاف يؤم النجف فى كل سنة من مثل هذا اليوم •

اقول - كان كل هذا مما يسندنى ، ويشجنى اكثر للوقوف فى وجه السيد

صالح الحلبي ، الذي كان الجميع يخشاه ويتهيونونه بالاضافة الى ما كنت انال من
تأييد (الامويين) وان كانوا قليلين يومذاك .

ولكى تتكلم الحملة على السيد صالح بالنجاح ، ويتم الانتقام لدعوة السيد
محسن الامين الاصلاحية قامت (جريدة الفجر الصادق) بالدعوة للخطيب الشيخ
محمد علي اليعقوبي الذي يسكن الحيرة (الجعارة) يوم ذاك ، ليحل محل السيد
صالح الحلبي في مهمة الخطابة في المآتم الحسينية ، فلقبت الدعوة اقبالا غير قليل
بالنظر لما كان يتمتع به اليعقوبي من مواهب ومميزات ، وشعر الناس بعد وقت قصير
بما كانت تترك (مجالس) اليعقوبي من لذة في نفوسهم ، ونجحت الفكرة ، واصاب
السيد صالح الحلبي شيء كثير من الفشل والانكسار ، وبان اثر هذا الانكسار والفشل
على السيد صالح اكثر حين لمس انصار الحركة الاصلاحية ، ضعف السيد صالح
وانكساره ، وبدا الجو يتغير ، فلم يعد يتردد اسم (الامويين) كثيرا كما كان يتردد
من قبل !!

وزرت دمشق مصطافا لأول مرة وكان اول عمل عملته ان قمت بزيارة
السيد محسن الامين ، وكان يسكن بيتا الى جوار (المدرسة المحسنية) وجاء عنده
ذكر الحركة الاصلاحية فافاض (السيد) كثيرا في وصف العلل والاسباب التي
تؤول الى فشل تعميم الاصلاح ، وما يسود الناس من فوضى وقال ان الحركة
الاصلاحية بحاجة الى ايد فعالة لازالة الموانع والعراقيل لكي تتمكن من انتشار
هؤلاء الجهلاء من جهالتهم .

وقد اعطى الدعاوة ، والعظة ، والارشاد ، والجرأة اهمية كبيرة ، وقال انا
يجب ان نعد للاصلاح خطباء ماهرين ، وحين جاء ذكر السيد صالح الحلبي وهو
العدو الاول والاكبر لحركة السيد محسن الاصلاحية قال عنه السيد محسن بهذا
المضمون الذي أكاد أورده بالنص :

«ان السيد صالح الحلبي هو احسن خطيب عرفته المنابر الحسينية ، وانا اود
ان نعد الخطباء على غراره اذا ما اردنا ان ننبه الناس ونوقظهم ، ونوجههم توجيهها
صحيحا !!» .

ثم اضاف قائلاً :- « اما موقفه ضد الحركة الاصلاحية وضدى انا بالذات ، فله تفسير خاصة لايجوز ان تصدني عن قول الحقيقة !! » •
ودعاني السيد محسن في تلك الزيارة لحضور مجلس من مجالس المآتم الحسينية تقام في تلك الليلة بدمشق فقلت له :
- اننى اشكو التحمة لكثرة ما حضرت هذه (المجالس) وما سمعت من احاديثها •

قال - ولكنك ستسمع في هذا المجلس ما لم تكن قد سمعت ••••• وسترى خطباء جددا اعدت لهم مثل هذا ، وانا اسعى لاعداد المزيد منهم •••
ثم قال - « واني الزمك بالحضور في هذه الليلة فايك ان تتخلف » •••
ولكنى خرجت ولم اعد ••
وبعد يومين او ثلاث زرته في بيته المذكور فلاننى على عدم حضوري (المجلس) في تلك الليلة ••• وأكثر من زيارتي له مدة اقامتي في دمشق وقد علمت انه ينوى القيام بجولة في بعض الاقطار الاسلامية كالعراق ، وايران ، للوقوف على المصادر التاريخية النادرة لكي يعول عليها في اخراج موسوعته الكبرى (اعيان الشيعة) •

وجاءت الاخبار تنبئ ان السيد محسن قادم الى العراق فاختلف انصاره في امر هذا القدوم فمنهم من رجحه ، ومنهم من لم يرجحه ، ذلك لان الفتنة فتنة (الامويين) و (العلويين) لم تكن قد خمدت بعد تماما • وان رد الفعل وان كان قد بدأ اخف من السابق ولكنه لم يكن بحيث يستهان به او تتجاهل عواقبه ، وقد كتب البعض الى السيد محسن ينصحه بتأجيل قدومه الى وقت انسب وذلك خشية ان يلقي ما لا يليق به من الاعراض ، والتنديد ، والتحرش ، بصفته البطل الاول في تلك الدعوة التي مست السواد في الصميم ، ولكن السيد محسن كان جريئاً وكان غير هيب ، فتحرك من دمشق ••• ولست ادري كيف ؟ كيف انقلب الوضع مرة واحدة ؟ وكيف دبت في النفوس روح جديدة !؟ فاذا بالجماهير كلها تتحرك ، وتستعد لاستقباله ، وجاءت اشارة (السيد ابي الحسن) بوجود التهيؤ لاستقبال

السيد محسن ملهبة لشعور الناس ، فاذا به يستقبل استقبالا لم تشهد النجف نظيرا له في كل المناسبات الماضية .؟! واذا بالسرادق الكبير - وهو اكبر ما تملك النجف - يقام خارج المدينة فلم يبق عالم ، او تاجر ، أو وجيه ، او وضع ، دون ان يخرج الى استقباله على نحو من الجلال الذي لا يوصف واذا (بكلو الحبيب) وهو من الزعماء ، ومن وجوه الطبقة التي يسمونها (بالمشاهدة) والمعروفة باستخدامها السلاح في حل مشاكلها ، اذا (بكلو الحبيب) الذي كان اكبر دعامة (للسيد صالح الحلبي) واكبر خصوم (السيد محسن الامين) اذا به يدنو من السيد محسن ، ويأخذ يده ، وينهال عليها بالتقبيل ، مرة بعد اخرى ، وهو يقول ويردد هذا المضمون - «لعن الله من غشنى فصورك لى (امويا) فها هو ذا وجهك النورانى يشع بالايمان فاغفر لى سوء ظنى ، واعف عنى ، فانما كان الذنب ذنب اولئك المغرضين المارقين الذين شوهوا الحقائق وقالوا عنك ما قالوا » .

وكان وجه السيد محسن يشع بالايمان حقا ، وكان بهيا وفي غاية البهاء ، فقد كانت له جاذبية ، وسحر ، يشعرك بنفس وادعة بعيدة عن التعقيد ، لاغموض فيها ولا ابهام ، فلا يكاد يراه الرائي الا وأحبه . .

ونزل في ضيافة السيد ابى الحسن اول منازل ، ثم انتقل الى بيت الشيخ خليل مغنية على ما اذكر وقد زرته هناك وكان محله غاصا بطبقة كبيرة ، ومن بينهم عدد ممن كان قد تالب عليه ، أو كان يؤلب الناس عليه الى عهد قريب ، ولكنهم ما كادوا يرونه حتى ذابوا امامه كما يذوب الثلج امام شمس الصيف الساطعة ، وبالغ الحاضرون في استقبالى وجاملونى وانا ادخل مجلسه سترا لمواقفهم النابية ، وخوفا من ان اشير - وانا العارف بفعلتهم - انى ما كانوا يبذلون من مجهود ومساع للنيل من السيد محسن والخط من شأنه ، وكان معظمهم من (العاملين) كما قد اشمرت الى ذلك .

وبولغ فى اكرام السيد محسن والاحتفاء به ، وكثرت الولايم والدعوات التي اقيمت تكريما له ، وفرضت (شخصيته) نفسها على خصومه فرضا ، فبالغوا هم

الآخرون في تكريمه ، وتبجيله ، ولم يخرج من التجف حتى سقط اسم (العلويين) و (الأمويين) نهائيا من سجل الاستعمال ؟؟؟!

وانهمك مدة اقامته في العتبات باستنساخ طائفة من الكتب الخطية وتبع المصادر اللازمة لموسوعته (ايعان الشيعة) وقد اجتمعت به عدة مرات ، وكلفني بتهيئة عدد من تراجم اسرتي فاحلت امر ذلك الى محمد الخليلي الذي كان اخبر مني بهذا الموضوع وادري •

وسافر الى ايران وطاف باكثر مكباتها العامة ، والخاصة ، وعاد من زيارة ايران والعتبات الى سوريا ليتفرغ لتأليف (ايعان الشيعة) وما لبث ان اصدر بعض الاجزاء فنفدت ، وفي صيف احدى السنين جرى ذكر هذه الموسوعة في الشام وانا مائل بين يديه ، فقلت له - لقد حوت موسوعة (ايعان الشيعة) الى جانب اللب كثيرا من القشور ، وكم كان جميلا لو كان سماحة (السيد) قد اخرجها مغرلة نقية صافية • • فقال لي ما مضمونه :

« لقد مرت عدة قرون ولم يتصد احد لمثل هذا المشروع ، وقد تصدبت انا وجمعت ما جمعت ، فاذا كان ثمة بينكم من يصلح للعمل فليقدم ، وليتول هذه الاجزاء بالغرلة ، وليخرجها خالصة فلقد سعيت كثيرا ولقيت عناء جما ، في سبيل الحصول على المصادر والمعلومات اللازمة ، وليس هنالك من مشقة لمن يتقدم الان منكم لعزل ما تريدون عزله وانتقاء ما تريدون انتقائه ولتر أحقا انكم عاملون ، ام انه الفضول ؟ • • »

وكان الحق كما قال ، فلقد كان فضولا بحثا ، والا فاين اولئك - وانا منهم طبعا - اولئك الذين كانوا ينتقدون (ايعان الشيعة) لاحتواء مجموعتها على الكثير مما لم يكن مقتضيا ؟

ولماذا لا يتصدون الى تنقيته او تلخيصه وليس ذلك عليهم بعسير ؟
وخير مؤلفات (الامين) عندي هو (ابو فراس الحمداني) فقد ضرب به مثلا رائعا لاحدث اساليب التأليف من حيث الدرس والتحليل والاستنتاج • فانت حين تقرأه لاتصدق ان كاتبه رجل روحاني قضى عمره بين الكتب الصفراء القديمة اكثر

مما قضاه فى قراءة الكتب المشرقة الحديثة • فقد ابدع فى العرض والتحليل ، واستخلاص الرأى ابداعا غاية فى الكمال ، وسرعان ما خرج الكتاب من الطبع حتى نفذت نسخته ، وكان سوق القاهرة من أكبر الاسواق التى استفدت منه • وزرته فى صيف سنة اخرى بدمشق ، وقد جاء فى ضمن الاحاديث حديث العراويل التى طالما وضعها فى طريقه المتزيون بزي رجال الدين والمتلبسون لباسه وهم ابعد من يكونون عن الدين ومفهومه ، واهدافه فقال :

- اننى رجل او من بالعمل كثيرا ، وقد جئت الشام اول ما جئت ولم يكن للعمل قيمة ، فسعيت لجمع القلوب ، وتأليف الافكار ، وعملت على توحيد الكلمة ، ودعوتى الى نبذ الخصومة ، والى العمل فيما يصلح شأن الناس بدون تفرقة ، وكانت دعوتى عملية ، اقول عملية ، لاننى سعيت من طريق العمل لازالة تلك العراويل ، ورفع سوء التفاهم ، وجمع الكلمة ، وكنت اكثر ما اخشى فانما اخشى اولئك الذين يعتمدون الاقوال وحدها فى تسديد خطى المجتمع اولئك الذين افسدوا التوجيه بما غدوا به الناس من نظريات ، وافكار غير عملية وغير مجدية •
ثم قال :

وحين مر الشيخ عبدالكريم الزنجاني بدمشق ورجب فى المكوث هنا بعض الايام رأيت يميل الى صعود المنبر فى الجامع الاموى ليلقى محاضرة دينية ، فخشيت ان تزيد محاضراته متاعبى فيخلف لى بعض المشاكل التى كنت قد تغلبت عليها بعد عناء طويل ، لانى لم ادر ما الذى كان سيقوله ، فسعيت جهدى لصدده فلم افلح ، وصعد المنبر وخطب ، وانى احمد الله اذ لم يتقل الرجل كاهلى فى خطابه بما كان قد اثقله غيره من المحسوبين على الدين ، الذين يرسلون القول جزافا دون التفكير فيما اذا كانت النتائج لتلك الاقوال عملية ومجدية ، ام غير عملية وضارة • كما قد تعرف انت بعض اولئك ؟

وكان قد نقل كاهله حقا من جراء تلك الحملات الشيعة التى شنت فى وجه دعواته ، ومن جراء ما كانت تفيض به كتبهم ، وخطبهم ، ورسائلهم من الافكار

والاراء غير العملية والبعيدة عن التطبيق ، والمخالفة للهدف الذى يرمى اليه الشرع ، ولعل دعوة السيد محسن الامين العملية الى الاصلاح هى ابرز صفاته على الاطلاق ، فهو لم يكتف بمحاربة البدع فى قضية المواكب الحسينية ، بل عمد الى تأسيس المدرسة المحسنية للبنين ، ومدرسة اخرى للبنات ، وسعى لوضع كتب مدرسية ، تهيئية للتربية والتوجيه ، وقد تجاوزت هذه المؤلفات العشرات ، وبلغ من أمر اتجاهه العملى ان حمل عددا ممن عثر بهن الحظ من المنحرفات اللواتى أبجن عقتهن ، وتجردن من عصمتهن لقد حمل عددا منهن على العودة الى حظيرة العفة ، وأمر باخراجهن من دور الدعارة والمبغى ثم دفع ببعضهن الى ازواج شملوهن بالعضو والغفران فعشن شريفات ، ورزقن باولاد صالحين ، ببركة مساعيه العملية .

كثيرون اولئك العلماء الذين خبرتهم عن كتب ولكنى قلما وجدت كالسيد محسن الامين زعيما روحانيا كبير النفس ، على الهمة ، نبيل القصد ، سليم الذات ، اغرم بالاصلاح العملى وتحمل فى سبيله العذاب والمشقات ، هذا زيادة على ما ملك من خبرة علمية واسعة ، وطول باع فى الفقه ، والاصول ، والتاريخ الاسلامى ، والعربى ، فقد كان من كبار المجتهدين ، ومن فحول العلماء ، وله فى الشعر والادب يد جد طوبلة وكان من الافذاذ الذين قلما تجود الطبيعة بامثالهم .

وكان آخر رؤيتى له فى صيف ١٩٣٩ ، وقد وجدته كعادته بين طائفة من الاوراق والكتب المبعثرة هنا وهناك على الارض تحوط ثلاثة اطراف مجلسه وكان معى صديقى الاديب الفلسطينى عبدالغفار كاتبه ، الذى التقانى مصادفة فى دمشق ، وعرف رغبتى فى زيارة (الامين) فابدى هو الاخر رغبتة فى ان يمتع عينيه بهذه الزيارة لاول مرة كما قال : وفى هذه المرة كان السيد محسن هو الذى يفتح باب داره فى وجهنا ويقوم بتقديم قدحين من شراب الليمون بنفسه لنا ، على رغم اصرارنا عليه بملازمة محله ، ذلك لان القائم بخدمته كان قد بعث فى شغل ولم يعد ، والاغرب من ذلك اتنا وجدناه اشد ما يكون انهما كافي الكتابة وهو محموم!! وعجبنا كيف يقوم باعماله الكتابية وهو محموم منذ نهار امس على ما علمنا ؟ ولكنه كان يستزيد مع ذلك النشاط ، ويدفع بنفسه دفعا الى العمل ، على رغم شيخوخته!!

فيقوم بمراسيم الضيافة لزمائريه بنفسه ، كما لو لم يكن لديه من يقوم على خدمته ؟
ثم يفنى نفسه وسط تلك المجاميع من الكتب ، والاوراق التي تحيط به ، وفي
ضمنها كتب خفية تحتاج قراءتها الى امعان وانعام تامين •

واعترضته وقلت - ان عليه واجبا تجاه نفسه لاسيما وقد اصبحت هذه
النفس ملكا للمجتمع فلا ينبغي ان يفرط فيها وينهكها بالعمل في الاوقات الاعتيادية ،
فكيف به وهو محموم منذ نهار الامس ؟

فقال وهو يحدق اليئا -

قال - من عجائب التجارب انني اجد في عملي ، وانا منحرف الصحة ، شيئا
غير قليل من السلوى ، وراحة انبال ، حتى لقد كدت احصر أمر علاجي في وعكتي
وما ينتابني من مرض اعالجه بالدأب على العمل ، والاعرب من كل هذا انني وجدت
نشاطي في العمل يمشى بنسبة طردية مع المرض حتى لقد استطعت ان اقول انني
انتجت اجود ما انتجت من البحوث والمؤلفات وانا منحرف الصحة •؟!•••

وانتقل الحديث الى الامزجة والعادات فقرط مسامعا بطائفة من الاخبار
والنوادير والطرائف عمن شذوا في خلقتهم وطبائعهم وامزجتهم وكان كما قال
- لم يعقه مرض ، ولم يقعه حادث عن مواصلة البحث ، والتتقيب ، والتأليف ،
وكان يعاني في مرضه الاخير شيئا كثيرا من الضعف ، حتى لقد عسر على جسمه
ان يودى وظائفه الطبيعية من تناول الاغذية ، والنوم بالقدر اللازم ، اما الذي لم يطرأ
عليه اى تغيير يذكر فهو اقباله على المطالعة ، والبحث والتأليف ، ثم هذا المزاج المرح
الرائق الذي قلما شوهد عند الروحانيين كما شوهد عند السيد محسن فهو مزاج
ظل يرافقه الى ساعته الاخيرة •

مر ذات يوم (بشتورة) قادما من بيروت الى الشام فوقفت السيارة هناك ونزل
سائق السيارة لتزويد سيارته بالماء بينما ظل السيد محسن داخل السيارة وكان قد
حسر رأسه ووضع عمامته الى جانبه ، والمعروف عن اشتورة وزحلة انهما من اشهر
المدن التي تجيد عصر الخمر وتناجر بها ، وكثيرا ما يعرض باعة الخمر والعرق

خمورهم على المارين ، واستلفتت هيئة السيد محسن وهو داخل السيارة حاسر
الرأس احد باعة العرق وظنه من الاعيان والامراء المحافظين العريقين فدنا اليه
وعرض عليه بضاعته قائلاً له : ان لديه عرقاً لم تصعبه للان آنية بمثل هذه الجودة
والطعم والنكهة ... فهو من اعلى الاصناف والذها وإرخصها •

وليس من شك ان هذا البائع لو كان قد عرض عرقه - بمثل ما عرض - على
روحاني آخر لاقام هذا الروحاني الدنيا واقعدا ولعد ذلك اهانة ما بعدها اهانة ،
وإذا تجلد و لطف مزاجه ، وغفر للبائع جهله فهو على الاقل سيقابله بشيء من التجهم ،
والاستعازة ، والزراية ، والاعراض عنه بشيء كثير من الاستهزاء والاحتقار ، ولكن
السيد محسن توجه للرجل بوجه بشوش ، وانطلاق وبشر وقال :

- من المؤسف اننا قد اعتدنا تموين انفسنا بالعرق في كل سنة ابتداء من اول

الموسم !!••

لقد كان يذكر من النجف صوراً لم تمر على بال وكان لا يكاد يلتقي باحد من
النجفيين وهو في الشام الا وسأله عن الكثير من الناس والكثير من الامور التي ألفها
يوم كان يدرس العلم في النجف ، وقد قال لي مرة انه يقرأ الهاتف من ألفها الى
يائها فتمر عليه فيها اسماء ذات علاقة جد كبيرة بماضيه وذكرياته العزيزة ، وقال لي
مرة انه لا يتصور ان احدا يستطيع ان يعي معنى القناعة بمختلف صورها ما لم تكن
(النجف) من اهم ما يمر على عينيه من اشرفة الحياة • وصورها العامة ، وقال لي انه
يتذكر شخصاً ضخماً الجثة بدينا كان يفترش الارض مما يلي باب الفرج من
الصحن الشريف في النجف فيعرض لبيع مفاتيح واقفالاً وسكاكين ، ومجابر خزفية
وسبحا وخرزا ، وكلها من القديم الصدى والعتيق والتفانيات ولست ادري من اين
يجمعها ويشترها لبيعها على طالبها من المحتاجين الفقراء بارخص الاثمان ، وكنت
ارق عليه - قال السيد محسن - فارغم نفسي وارغم اخواني العاملين على ان يشتروا
منه بعض الحاجات وان لم يحتاجوا اليها ولم يكن حالنا ونحن طلاب علم بالحال
المجردة من التقدير ، وقد ابعت منه مرة سكتنا صغيرة لبري القلم وهي لم تنزل
عندي الان تذكرني بهذا الرجل البدين الضخم الجثة والبشوش الضحوك الذي

لايستر جسمه غير ثوب وعباءة خفيفة وعمامة بيضاء هي هي نفسها في الشتاء
والصيف فكنت افكر كيف يستطيع رجل كهذا ان يقات ويقت اهل بيته من عمل
محدود كهذا؟ ولكنها القناعة التي فلما وجدت لها حدا في مدينة (النجف) ♦

فقلت للسيد محسن - ان الرجل المذكور لم يزل حيا وهو على ما وصفت من
رقة الحال وضيق الرزق ، وقد استوفضني مرة عنده صديق انحنى على معروضاته
ليبحث عن حاجة معينة بين تلك الاكوام من الخرز ، وقطع الزجاج والمسامير
المختلفة والمفاتيح والاقفال ، وكان هذا الصديق معروفا بالدعابة والظرف فراح
بداعب الرجل ويدها تبخثان بين تلك الاكوام من المسامير وقطع الحديد عما كان
ينشد ، وسأله - وهو يشير الى بطرفه ليوجه انتباهي اليه - لقد سأله مازحا :

- ما هي اعز امانيك من دنياك؟

قال - موته مريحة ♦♦♦

قال الصديق - ما اسهلها طلبه ، وما ايسرها؟

قال الرجل - وكيف؟

قال الصديق - ادع الله ان يميئك بانشكل الذي تريد وهو يفعل ♦♦♦

قال - انه لايفعل ♦

قال الصديق - الم يقل الله عز وجل « ادعوني استجب لكم » ♦

قال - اذا استجاب الله دعاء الناس جميعا فانه لن يستجيب لى دعائي ♦

قال الصديق - وما هي هذه الذنوب الجسيمة التي اقترفتها حتى ضععت

ايمانك بالله في استجابة دعائك؟

قال - وهو يضحك - ليس هنالك ذنب او جريرة ، ولكني معتقد ان الله اذا

استجاب دعائي واخذني اليه فانه لن يستطيع ان يظفر ببغل او حمار بمنزل ضخامتي

وقناعتي وهو دائب يوصل الليل بالنهار كذا وعملا ليقبث ثمانية عشر فردا من افراد

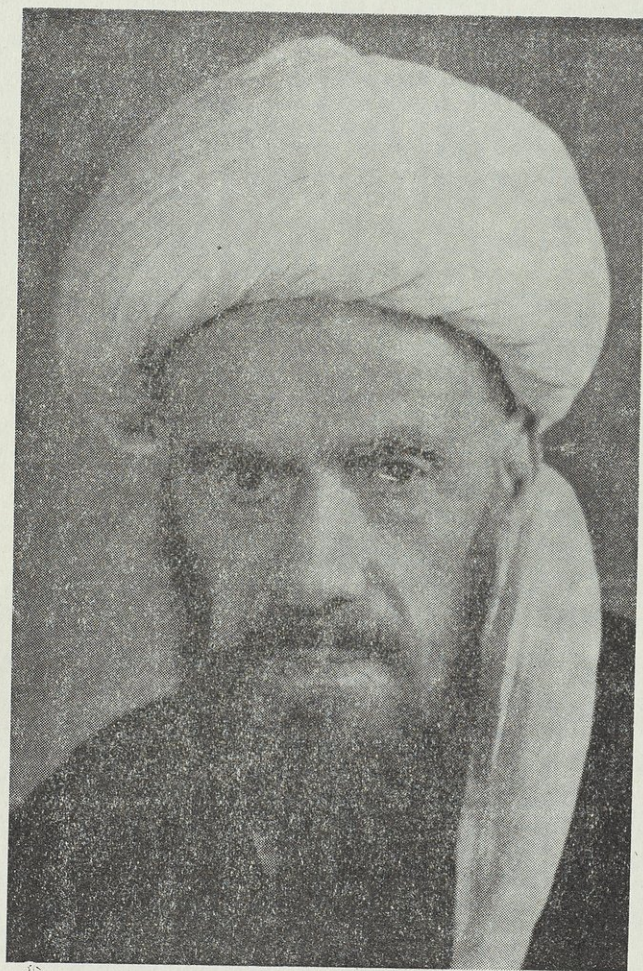
العائلة التي ينوء بقوتها كاهلي ♦♦♦

وهنا انفجر السيد محسن بانضحك ، لقد ضحك طويلا وظل يضحك ،
وحملنى سلامه الى الرجل القانع وقال لى ذكره بى فانى احسبه غير ناس .
تم قال : ولم ازل اذكر رجلا من رشت كان يدرس العلم فى النجف وكان
اهله من الاغنياء وكان يتناول منهم بين آن واخر مرتبا يضمن له عيشا مرفها وحياة
رتبية ، هذا فضلا عما كان يتلقى منهم من المنسوجات الحريرية والرز الكيلانى الفاخر
فكان يقسم كل هذا بينه وبين عدد من طلبة العلم الفقراء ويساوى بينه وبينهم قائما
بما يسد منه الرمق ولا يحتفظ من ذرر الرز المعروف بجودته باكثر من (طبخة) أو
طبختين ليدعو عليها بعض رفاقه فى بعض المناسبات من الاعياد .

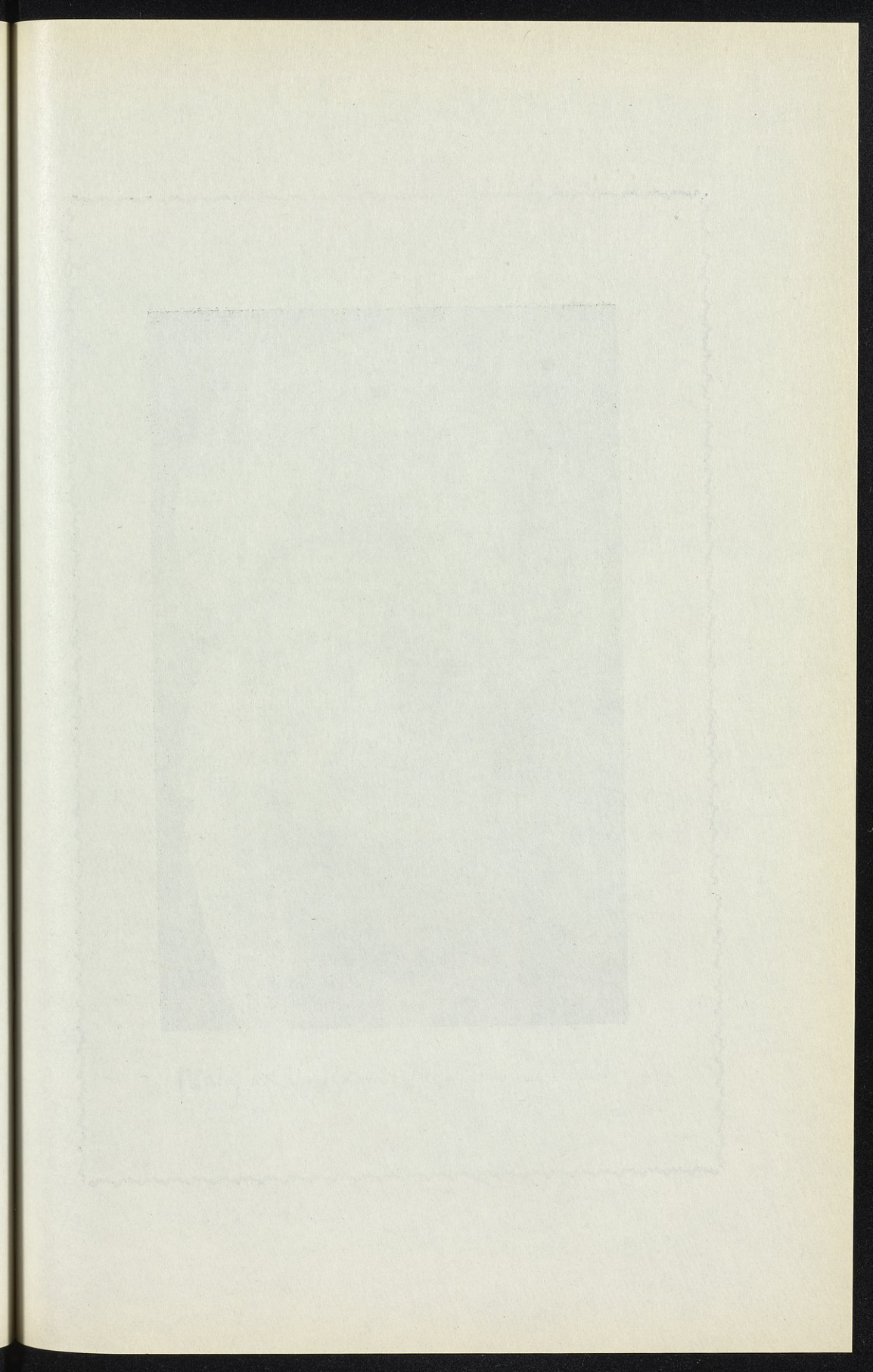
واذكر من اهل القنعة فى النجف رجلا هو الاخر من طلاب العلم ، وقد
كان فقيرا معدما حتى بلغ من عوزة ان راح يصوم بعض الشهور من السنة ليوفر
على نفسه الطعام والشراب والتدخين بعض التوفير ، وعلى رخص التبغ وتوفره حينذاك
فلم يكن بوسع الرجل ان يشتري منه شيئا ولو كان من اردأ انواعه فكان يعمد الى
العيدان التى ترمى بها باعة التبغ بعيدا ، فيأخذها منهم ويسحقها ثم يشحنها فى
(سبيل) له كان قد صنعه بنفسه من الطين ، وقد اضطره الاحساس بالجوع ان
يقصد - وفى خفية من الناس - بين آونة وأخرى احدى آبار النجف القديمة فى
خارج المدينة فكان يصطاد فيها طيرا من طيور الحمام التى تعشش بكثرة هناك ، كان
يصطادها بطرق شاقة قد تكلفه بعض الاحيان تمزيق ثيابه او خدوش يديه ورجليه ،
ويأتى بهذا الطير - بعد ان يذبحه هناك ويتنف منه ريشه - الى غرفته فى مدرسة
الشيخ مهدى ، وهناك يطبخه فى خفية من الناس ، لان مس هذه الطيور فضلا عن
ذبحها قبيح اذا لم يكن حراما فى نظر جميع العوام بدون استثناء وكان هذا
الرجل شاعرا واديبا وكان على رغم عبوس الايام وتجهمها ومعاكستها له قائما
ضحوكا لا يعرف الجزع الى نفسه سيلا

وكانت آخر رؤيتى للسيد محسن فى الفندق بدمشق حينما تفضل فشملى بالطافه فى رد
الزيارة ، وحين خرجت لتوديعه الى الشارع لم ادر اننى القى عليه نظرة لن

تتكرر بعد هذا ، واننى افارق وجهها لن اسعد برؤيته ورؤية امثاله مدى العمر .
لقد كان سراجا وهاجا ، بل كان منارا يهتدى به التائه ، والفرق بينه وبين
الكثير من العلماء المرشدين العاملين ، هو ان اكثر اولئك قد نفعوا الناس ماداموا احياء ،
اما السيد محسن الامين ، فقد نفع الناس فى حياته ، وضمن لهم النفع فى مماته وذلك
بما خلف لهم من آثار علمية جلية وآثار عملية مشهودة .



الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء



الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء^(١)

لم تكن شهرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء يوم وعيت تتجاوز شهرة استاذ من افاضل الاساتذة ، وقد رأيت اول مرة وهو يباحث عددا من طلاب العلم فى الحجرة الواقعة فى الزاوية من الركن الجنوبى الشرقى من الصحن الشريف فى النجف ، وما زلت اذكر اول ملتقى اياه ، واتصور هيكله حينذاك ، فلقد كان رجلا طويل القامة ، اسود اللحية ، حلو التقاطيع ، تدل ملامحه وهو يدخل الحجرة ويخرج منها على شخص كثير الثقة بنفسه ، وكثير الاطمينان من قدرته ، ثقة واطمينا نا خالصين من أية شائبة من شوائب الغرور والعجرفة التى عرف بها بعض اساتذة العلم ، وكلما فهمت - وانا فى مبتدأ الطريق من دراسة الادب - هو ان الشيخ محمد الحسين من اساتذة العلم المرموقين ، وانه فوق ذلك كاتب مبدع ، وشاعر بليغ ، ولكننى كنت قد سمعت باسم اخيه الاكبر المرجع الروحانى الكبير الشيخ أحمد كاشف الغطاء (واند الاستاذ عباس كاشف الغطاء مدير البنك اللبنانى المتحد الحالى) قبل ان اسمع باسمه ، وكنت قد رأيت الشيخ احمد وهو يصلى بالناس كل يوم فى الصحن قبل ان ارى الشيخ محمد الحسين ، وكنت قد سمعت باسم ابيهما الشيخ على آل كاشف الغطاء قبل ان اسمع باسميهما ، فلقد كانت لابييهما الشيخ على آل كاشف الغطاء شهرة كبيرة كسبها من سفره الى اسطنبول ومقابله السلطان وكبار الوزراء ، والقادة ، والعلماء ، واقامته فى اسطنبول زمنا طويلا .

وان رؤية اسطنبول ، ومقابلة السلطان ، والوزراء ، والقواد ، والقضاة ،

(١) جريدة الايام العدد ١٣٥ - ١٩٦٢/٩/٢٣ .

ورجال العلم فى ذلك اليوم لا يعد له فى هذا اليوم شىء حتى الطواف بالدنيا كلها
والتعرف بجميع شخصيات العالم من الميكادو الى البانديت نهرو وفخرو شيف فالملكة
اليزابث فاديناور وكندى وكل رجال الدنيا وشخصياتها ، فلم يكن يجىء ذكر
الشيخ على كاشف الغطاء الا وتفغر الافواه اعجابا بهذا الرجل الذى رأى كل هذا ،
واجتمع بكل هؤلاء القادة والرجال !!...!!

وزاد احترام الانكليز له فى اثناء الاحتلال ، واعتبارهم الاسناد والاوراق
الموقعة من قبله اوراقا رسمية لها حكم اسناد الطابو وحكم الاسناد المصدقة من كاتب
العدل !!...!! فقد زاد هذا شيئا من احترام الكثير من الناس له وان كان احترام كهذا
من جانب الانكليز قد قلل بعض الشىء من شأنه عند الاحرار والوطنيين .

وهناك شىء آخر له قيمته فى شهرة الشيخ على ثم فى نشأة ولديه - الشيخ
احمد الذى صار بعد ذلك مرجعا من اكبر المراجع الدينية وزعيما كاد يفرد بزعامه
الشيعة وحده ، ثم تلاه أخوه الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذى صار هو
الاخر من اكبر الزعماء الروحانيين بعد اخيه - الا وهو المكتبة ، فقد كان للشيخ على
كاشف الغطاء مكتبة انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة وضمت مئات من
الكتب النادرة التى بذل الشىء الكثير للحصول عليها ، وكانت تعتبر المكتبة الاولى
فى الشرق من حيث جمعها للنادر والمفقود من الكتب ، وعلى الرغم مما بيع منها بعد
وفاته فهى اليوم لاتزال فى عداد المكتبات المهمة وان كان مجموعها لايزيد على
بضعة الافى كتاب جمعها بشق الانفس كما يقولون ، ولقد روى فيما روى عن حرصه
فى اقتناء الكتب انه بينما كان منهمكا مرة فى نقل كتاب خطى فى أحد الجوامع
بسطنبول اذ جاءه أحد الضباط للقبض عليه بناء على أمر السلطان عبدالحميد الثانى
متهما اياه بالتواطؤ مع (ابى الهدى) فى تدبير مؤامرة سياسية نمت عليها قصيدة نسب
نظمها الى ابى الهدى ، وابو الهدى هذا كان من اقرب المقربين الى السلطان
عبدالحميد ...!! ولكن الشيخ على قال للضابط :

- كل من حدثك بانى سأترك عمل استنساخ هذا الكتاب قبل ان اصل الى

نهاية الفصل الذى يستلزم الانتهاء من استنساخه نحو ساعة أو أكثر فلا تصدق ذلك

وهكذا اضطر الضابط بداعى الاحترام ، الى الانتظار حتى يتم الشيخ نقل هذا الفصل من الكتاب ، وبعد ان قبض عليه انكشف الامر عن بطلان تلك التهمة واطلق سراح الشيخ على وابى الهدى واجزل له العطاء من السلطان ومن صديقه ابى الهدى .
تقد كان الشيخ على يجمع كتبه على هذا النحو من الحرص والتهاك ، حتى اتم جمع تلك المكتبة النفيسة الثمينة .

وكان لهذه المكتبة شأن كبير فى مد ذينك الاخوين العالمين الكبيرين بتلك الثقافة الواسعة فى أول نشأتها وقبل انفصالهما عن ابئهما ، وكان لتلك المكتبة صدق كبير فى الاوساط العلمية ، وعلى رغم حرص الشيخ على تلك الكتب فقد كان لا يتوقف عن اعارة الكتاب للكثيرين ممن يعرف ومن طريق اعارته بعض الكتب النادرة لوالدى استطعت ان اعرف اصل هذا الشيخ وفصله ، وشيئا عن بيته ، وآله ، واستطيع ان اوكد بان الشيخ على لم يكن يمتنع عن اعارة الكتاب حتى للمشكوك فى اهتمامهم بالكتب ، والمحافظة عليها ، وكان من اولئك الشاعر محمد مهدى الجواهرى الذى اعتاد ان يستعير بعض الكتب منه ، ويعيدها اليه سالمة صحيحة ، ذلك لان الشيخ على لا يمتنع اذا ما تأخر ميعاد اعادة الكتاب ان يعث بخادمه فيجر المستعير اليه جرا ، ولن يمتنع من ان يلقيه ارضا ، وينزل فيه ضربا ، بتلك العصا الغليظة التى كان يستعين بها فى مشيته .

واذكر مرة - والشئ بالشئ يذكر كما يقولون - ان الشيخ هادى الخضرى قرأ للشيخ على كاشف الغطاء بيتين من الشعر يتضمنان طلب جبة أو قباء ، فاستحسن الشيخ على البيتين ، ونادى الخادم فجاء له بجبة من جبيه والبسه اياها ، وبعد يومين وهو يقلب الصفحات فى كتاب (نفحة اليمن) استقصاء لموضوع كان قد شغل باله ألفى البيتين مسطورين هنالك !! وعلى رغم ان الوقت لم يكن مناسباً فقد بعث خادمه يدعو الشيخ هادى فى تلك الساعة من الليل اليه وحين جاء به انزال عليه بعصاه والشيخ هادى يستغيث ويطلب معرفة السبب !!

قال الشيخ على - وقد انهك يده الضرب - اريد ان اعرف مأتى هذه الجراءة
التي تحملك على ان تسرق بيتين من نفحة اليمن وتتحلها لنفسك لتستجيزني
عليهما جبة ؟

فقال الشيخ هادي - ولكن من قال لك اننى انتحلت البيتين ؟ ان الامر ليس
اكثر من انى قرأت عليك البيتين متمثلا فاكرمتى جبة ... فعلام كل هذا الغضب
وهذه الشدة ؟

ولعل اول باب فتح لشهرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى خارج
النجف كان عن طريق المراسلات التي جرت بينه وبين أمين الريحاني تلك
المراسلات التي تتضمن تبادل آراء فى ردود اعجبت جميع قراء العربية على اختلاف
نحلهم ، ثم جمعت وطبعت باسم (المراجعات الريحانية) ، وعلى انى قرأت هذه
المجموعة فى ذلك الوقت البعيد ، فلم يزل يعلق بذهنى شىء غير قليل منها .

وعلى ان الشيخ محمد الحسين كان اقل تقيدا بالتقاليد من العلماء الروحانيين
الآخرين وأقل مراقبة للرأى العام وأكثر العلماء جرأة فقد حاول التهرب من مقابلة
أمين الريحاني فى اثناء زيارته للنجف مراعاة للسواد الذى كان يعتبر الريحاني
ملحدا ، او ممالئا للانكليز على الأقل ، او لشيء آخر تبادر الى ذهن الشيخ فرأى
الشيخ ان من الصلاح الاعراض عنه .

ومع ذلك فقد تمت هذه المقابلة ، ووقع نظر الريحاني على مسودات اوراق
كانت امام الشيخ ، فسأل عنها فقبل له - انها مسودة رسالة للشيخ تتعلق بالفرائض
الدينية من صلاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك ، فقال الريحاني يخاطب الشيخ
بهذا المعنى :

« .. ان الذى اعرفه هو انك لم تخلق لهذا فانت ارفع شأننا من ان تقضى
وقتك بمثل هذه الامور وتعاف اصلاح المجتمع .. »
وحين هم الريحاني بالقيام من عند الشيخ قال : « لقد كان الامام كاشف
الغطاء من اعز اصدقائنا فافسده الدين علينا » .
وظل الناس يتحدثون عن زيارة الريحاني للشيخ طويلا ، وعماد بينهما من

احاديث ادبية ، واجتماعية ، ودينية ، عامة ، وخاصة ، ولكن الشيخ لم يسلم من النقد والمؤاخذة من لدن الكثير من اولئك المتعصبين الجامدين الذين كانوا لا يرون من حق الروحانيين ان يصادقوا اشخاصا من غير دينهم ، وعلى غير طرائقهم ، ومع ذلك فلم يعدم الشيخ الجماعات التي كانت تؤمن برسائله ، وتذب عنه ، وتدافع عن مثل مصادقته للريحاني وتأسيسه بصداقة الشريف الرضى والسيد المرتضى للصائبيء التي كان من امرها ان رثياه بتلك المرثيتين المعروفتين

وهذا اللفظ قد نبه الكثير ممن لم يكن منتبها بعد الى مقام الشيخ محمد الحسين ، وعلو كعبه ، ولاول مرة يلتفت الناس الى ان روحانيا من طراز جديد سيبثوا مقام الزعامة الروحانية ، وذلك قبل ان يتاح لهم ان يسمعوا فتاواه ، ويشهدوا أحكامه ، وان كانوا قد شهدوا شيئا من هذا التجديد عند اخيه الشيخ أحمد من قبل .

وتأيد رأى اولئك ، كما اتسعت دائرة شهرة الشيخ اكثر واكثر حين انعقد اول مؤتمر اسلامي في القدس ، وحين توحدت الفرق الاسلامية من الوفود وغير الوفود على اختلاف مذاهبهم فائتت به في صلاتها في ذلك المسجد الكبير ، واقبلت الصحف وحتى الصحف الاجنبية تتوسم في هذا الاتحاد - اتحاد المذاهب والطوائف الاسلامية تحت زعامة كاشف الغطاء - خطورة كبيرة ، وتتوقع ان يضمن المستقبل خلق زعماء روحانيين من طراز الشيخ محمد الحسين يستطيعون ان يقضوا على الكثير من الاختلافات الطائفية خصوصا لما كان لخطبه البليغة الرنانة من الاثر العميق في النفوس .

وحين عاد الشيخ محمد الحسين من المؤتمر الاسلامي كانت شهرته العامة بالاضافة الى شهرته العلمية كاستاذ برع في تدريس العلوم الدينية براعة جعلت طلابه يمتازون على الكثير من طلاب الدين في اتساع افكارهم ، وتحرر عقائدهم ، تحررا نسبيا وعلى الاخص في طريقة اجتهادهم اقول كانت هذه الشهرة قد شقت له بلريقا لا حبا بين طرق زعماء الدين المتتوية .

وعرف الشيخ محمد الحسين عن طريق التجديد في الاجتهاد والفتاوى
وسعة العلم وعن طريق الادب الذي كان قد مكّنه من الشعر والنثر تمكينا قويا وجعل
منه فذا من الافذاذ، ولكنه كبشر لم يستطع ان يتجرد عن العاطفة التي كانت تتحكم
فيه احيانا فقد كانت بينه وبين السيد (ابى الحسن) الاصفهاني الموسوى - وكان
(السيد ابو الحسن) حينذاك قد انفرد بزعامة الشيعة في مختلف جهاتهم
انفرادا كاد ان يكون مطلقا - لقد كانت بينه وبين السيد ابى الحسن حزازات
ليس هذا موضع شرحها، وقد حملته هذه العواطف اى حملت الشيخ على ان يتناسى
ولو لحين فكرة التجديد، ومبدأ الاجتهاد الذى يجب ان يتمشى فيه العقل
والتصوص الدينية جنبا الى جنب، فمضى يناوئ اتجاه (السيد ابى الحسن) الذى
كان قد ايد السيد محسن الامين فى تحريم شجج الرؤوس بالسيوف، وادماء الصدور
باللطم، والضرب عليها فى يوم عاشوراء، اذ كان السيد ابو الحسن قد اعتبر ضرب
الظهور بالسلاسل، وشجج الرؤوس بالسيوف واللطم على الصدور، ودق الطبول
والصنوج، مما كان يجرى فى ايام عاشوراء بدعة من البدع التى يحاسب عليها
الله، ومع ان مثل هذا التحريم كان من مبادئ الشيخ محمد الحسين وكان مما
يتفق واتجاهاته الاصلاحية ولكن العواطف كانت قد عملت عملها فلم يؤيد السيد
ابا الحسن فى فتاواه وقبولت فتاوى السيد بحملة قوية من الحملات الرجعية التى
غذاها خصوم السيد ابى الحسن واستغل السيد صالح الحلى سكوت الشيخ وعدم
تأييد السيد أبا الحسن فى حملاته المختلفة على (السيد ابى الحسن) تلك الحملات
التى عملت عملها فى وقتها، ولكن (السيد) ما لبث ان استظهر عليها حتى تلاشت مع
الزمن، الا انه لم يستطع ان يلغى (التطير) والتزوير، والتطيل، ودق الصدور
الذى بدأ يتضاعف يوما بعد يوم حتى يومنا هذا .

وكنت يوم ذاك الى جانب السيد ابى الحسن، بل اننى لم اكن قد تعرفت
بالشيخ محمد الحسين عن قرب بعد، وان كنت اعرف ان أبى من اصدقائه، وقلما
كان يتخلف عن زيارته، اما هو فقد رأيته فى بيتنا عدة مرات، وأكثرها كان على
أثر زلة قدم أبى فى الحمام التى كسرت بسببها ساقه فلأزم الفراش قبل ان يجبر الكسر

مدة طويلة مكتتى ان ارى فيها الشيخ محمد الحسين عن كتب وهو يتفضل بزيارتنا
عدة مرات ، ولا اكنم القارىء ، لقد كنت اشعر بعدم الميل اليه يومذاك بسبب موقفه
من حركة السيد (ابى الحسن) الاصلاحية ولم اكن ادرى ان الانسان لا يستطيع ان
يعرف نفسه بعض المعرفة الا بعد زمن طويل ، وحين اصدرت جريدة الفجر الصادق
تحاشيت على قدر الاستطاعة تأييده ، وصرت اهاجم السيد صالح الحللى الخطيب
الشهير الذى شن غاراته على السيد ابى الحسن - مستندا على تأييد الشيخ - وكانت
مهاجمتى للسيد صالح حقة ولكنها كانت قاسية عبرت عن طيش الشباب وحرارته
وغروره لحد كبير .

والحقيقة ان مصاحبة السيد صالح الحللى للشيخ واستناده عليه قد الحق
بسمعة الشيخ محمد الحسين بعض الضرر ذلك لان السيد صالح قد اشتهر - حقا أم
باطلا - بكونه رجلا زنيا يستجيب لعواطفه الآنية دون الالتفات الى المصالح العامة ،
والدواعى العقلية ، والفكرية ، ثم هو بعد ذلك جرىء فى الحق والباطل ، جرىء
فى الجدل والهزل ، وقد يسلك فى مزاحه مسالك وعرة ملتوية ليس هذا محل شرحها
ولقد صادف مرة ان مر السيد صالح بحرم الامام على (ع) والشيخ محمد الحسين
يصلى بالناس فى الرواق ، ومن عادة الشيخ محمد الحسين ان يجهر فى الصلاة
ويتلو الايات مفخمة مضخمة بعض التفخيم والتضخيم ، وما كاد السيد صالح
يسمع الآية الكريمة (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) متلوة على فم الشيخ بذلك
النحو من الاداء المفخم ، المضخم ، حتى قال يخاطب الشيخ مازحا وهو مار من
امامه :

- انك ياسيدى كسمك ابى خريزه (السردين) والله لو ظللت انفتح فيك دهرا
لما كبرت ، ولما صرت حوتا قبل السيد ابى الحسن ، فعلام هذا التفخيم والتضخيم
للرحمن الرحيم مالك يوم الدين؟! .

وحين اتيج لى بعد ذلك ان اتصل بالشيخ - وان اكون مغمورا بالطافه بحيث
بلغ من دالتى عليه ، ومن اللطف الذى افاضه على ، ان صرت لا امتنع ان امشى معه
فى صراحتى الى ابعد حد ممكن اذا لم استطع ان امشى الى النهاية - اقول وحين اتيج

لى ذلك لم أخف عنه ما كنت اشعر به فى السابق من عدم الميل اليه واسباب ذلك ،
وقد ازددت حبا له بل كدت اعبده عبادة حين رأيتة يجينى بهذه الآيّة ولا يزيد
عليها قائلا :

— « عفا الله عما سلف » •

وكررها مرتين ••• وهناك تجسمت لى طهارة نفسه ، وتجلى لى صدق
ايمانه ، وابتعاده عن التدجيل وكان بإمكانه لو اراد ان يورد لى الف عذر وعذر من
الاعذار المعقولة عن مواقفه السالفة لفعل ولكن قد قنعت •••

وشخصان لم ادع غيرهما (عما) لى ، وان لم يكونا لى عمين حقيقيين ، احدهما
الشيخ عبدالكريم الجزائرى ، وثانيهما الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، وهما
الاخران كانا لايفضلان لقبنا او نعتنا يعناتنى به غير العمومة ، فاذا ما قلت لاحدهما
مثلا — كيف ترى (يا عمى) ان يكون الامر الفلانى ؟

رد على قائلا سيكون كذا وكذا (يا عمى) •••

وعلى رغم خروجى على حدود هذا الادب فى بعض الاحيان لاسيما حينما
اكون غاضبا وحين أتغافل عن استعمال هذا النداء واخاطب الشيخ محمد الحسين
بالخطاب المتعارف قائلا له — يا شيخنا ! ويا مولانا ويا سيدى •• فانه لم يغير خطابه
ولم يرد على بغير ما كان يرد قائلا : يا عمى •••••

وحين نجحت الحركة القبلية فى الفرات التى تزعمها هو فى اواخر سنة
١٩٣٤ وفى أوائل سنة ١٩٣٥ التى استغلها ياسين الهاشمى وجماعته من
العشائر التى كانت قد التفت حول الشيخ محمد الحسين وفى طليعتهم كان الحاج
عبدالواحد الحاج سكر ، والسيد محسن ابو طيخ ، تلك الحركة التى اطاحت
بوزارة على جودة الايوبى اولا والمدفعى ثانيا ، وجاءت بوزارة الهاشمى كعاد
الشيخ محمد الحسين ينحرف بتيار الحزبية وكاد يستكين ، ويستسلم ويتنامى
زعامته الدينية من حيث لا يدرى فقد استطاع زعماء العشائر وكلهم كانوا من
الحزبيين ان يجروا الامام الى جانبهم فيحققوا بذلك الاطاحة بحكومة المدفعى وعلى

جودة الايوبى خصوصا وقد لقوا من جانب الشيخ عبدالكريم الجزائرى تأييدا كبيرا ، وكان ما عرف عن الامام كاشف الغطاء من طيبة القلب ، وسماحة النفس ، والاعتقاد ببراءة الذمة ، ما ساعد على اختفاء اغراض هؤلاء الشيوخ الحزبية وانطلاء اغراضهم هذه عليه فقد بدوا انهم لا يريدون الا الاصلاح الذى يدعو اليه الامام كاشف الغطاء ، حتى اذا جاء الهاشمى الى الحكم تكشفت النيات ، واذا بهم يحاولون جر الشيخ الى تأييدهم بصفتهم الحزبية ولم يبق منهم على اخلاصه وعهده الا القليل وكان من هذا القليل الشيخ خوام العبدالعباس

و كنت يومذاك لا ازال فى ريعان الشباب ، و كنت حاد المزاج ، و كنت اصدر جريدة الراعى ، ولم تزل فى بقية من تلك الحرارة التى ادرت بها جريدة الفجر الصادق الهاججة الصاخبة من قبل ، فهجت ، ودفعتنى الغيرة على مقام الشيخ ، ومركزه ، فجتته وانا احرق الارم غيظا ، وقلت له - ماذا تعمل يا سيدى بنفسك . . ؟ اتريد ان تنازل عن الرعامة الروحية الى ياسين الهاشمى . . ؟

فتجهم وجهه وقطب جبينه وقال :

- ولكن ما الذى ترانى عملت ياعمى ؟

قلت - وما الذى تريد ان تعمل ؟ فلقد اصدرت ذلك (الميثاق) تحت تأثير نفر استغلوا طهارة نفسك وكان ينبغي ان لاتثق بهؤلاء وان تحتاط والان تريد ان تندفع فى تأييدك لياسين الهاشمى اكثر من السابق لتمكنه من التتكيل بالطرف الاخر من الاحزاب والعشائر . . . ؟ (و كنت فى ثورة لاتوصف من الهياج) والميثاق الذى اشرت اليه هو مواد وشروط بلغت نحو ١٤ شرطا على ما اذكر ، لم تخل من تطرف كان يجب ان يخرج بشكل آخر ، وقد حسن وضعه بتلك الصيغة نفر من المتطرفين كانوا قد جاؤوا من بغداد وسائر جهات الفرات ، وكان ابرزهم ذيبان الغبان الذى صار نائبا فى المجلس بعد ذلك ، وقد طبع هذا الميثاق ووزع على الجماهير فى حينه وكانت المواد والشروط تدعو الى التجزئة والانقسام والى امور ليس هذا محل ذكرها وذكر كيفية وضعها وطبعها . . . وكان اغلب رؤساء العشائر تؤيده ليس لشيء الا لغرض الاطاحة بالوزارة والاتيان بياسين الهاشمى .

واحسنت ان الشيخ بدأ يهدأ فقال :

ولكن من قال لك (يا عمي) اننى سأمضى فى تأييدى لياسين الهاشمى الى
هذا الحد الذى تقول ؟

قلت - ليس من اعتراض ان تمضى فى تأييد من تريد من السياسة لو كنت
سياسيا ، اما وانك زعيم روحانى فلا يسوغ لك باى وجه من الوجوه ان تميل الى
جهة دون جهة وانت فى هذا المركز من الزعامة الروحانية •

ولست ادرى أأنا الذى وقفته بعد ذلك حيث وقف ؟ ولكنى ادرى ان خطته
قد تبدلت ، وقد سبب هذا التبدل ارفض اوثك الزعماء عنه خصوصا بعد ان
عجزوا عن ضمان تأييده لهم ، وكان ان اصدر السيد محسن ابو طيخ كتابا باسم
(المبادئ والرجال) عرض فيه بالامام ، فكان ذلك من الادلة على اختلاف التيات
والاهداف فقد كان الامام يريد شيئا ، وكان اوثك يريدون شيئا آخر ظل مضمرا
فى صدورهم حتى قامت الوزارة الهاشمية •

اقول ولست ادرى أأنا الذى وقفته حيث وقف ، ولكن الشيخ قد تبدل ، وقد
لحقنى بسبب هذا الاتصال وبسبب سفرى الى الشامية الشىء الكثير من المضايقات ،
وقد بدأت السلطة تطاردنى منذ تلك الساعة ، ونالنى من حقد رشيد على الكيلانى ،
وسوء ظنه اذى كبير ، وقد سحب امتياز جريدة الراعى منى ، وعطلتها الحكومة الى
الابد ، ولم يدع صالح حمام - وكان يومها وكيلا لقائم مقام النجف - وسيلة من
وسائل التنكيل الا واستعملها معى ومع بعض اسرة الجريدة القلمية ، وكان موسى
كاظم نورس يومذاك مأمورا لدائرة بريد النجف ، وكان من اسرة الجريدة القلمية
فى الطليعة ، ومن السواعد التى قامت جريدة (الراعى) ثم (الهاتف) على تأييدها
الادبى وشد ازرها ، وكان صالح حمام قد ناوأ موسى كاظم نورس مناوأة قوية لعدم
تمكين نورس اياه من الاشراف على المخابرات التليفونية والبرقيات كما كان يريد
وذلك لعدم وجود نص قانونى يخول القائم مقام مثل هذا الاشراف ، وصادف ان
اتصل بى داخل الشمالان تليفونيا من بغداد طالبا منى السعى لدى الشيخ محمد الحسين
بالاسراع فى اجابة كتابه الخصوصى الذى كان قد بعث به الى الشيخ فكان صالح

حمام يتحرق لمعرفة ماهية هذا الكتاب ومضمونه ، وما كان قد جرى بيني وبين داخل
 الشعلان من حديث بالتلفون مع انى انا نفسى يعلم الله لم اكن اعرف اى شىء عن
 هذا الكتاب وفجواه ، ولم اكن فى الامر اكثر من وسيط ظن بى داخل الشعلان
 الخير فكلفنى بمتابعة كتابه عند الشيخ واشتدت الخصومة والشكاوى الرسمية
 السرية بين صالح حمام وموسى كاظم نورس وانتهى الامر باستظهار موسى كاظم
 عليه فظن صالح حمام ان لى فى هذا الاستظهار يدا فزاد ذلك من غضبه ، وراح
 يهاجم الراعى ، وصاحبه ، بكل ما يملك من مجهود سرا وعلاية .

وعلى ان (الشيخ) قد جمع نفسه ، او هو قد بدا يجمع نفسه ، ولكن الجهة
 الثانية وهى الجهة المعارضة لياسين الهاشمى وجبهته قد سخطت على (الشيخ) ووصمته
 بالحزبية ، وكان معظمها يتألف من قبائل الشامية ، وكان علوان الحاج سعدون
 يومذاك على رأسها فخر الشيخ فى يومه الجبهتين ، ووقعت بينه وبين البلاط
 الملكى جفوة ، واحسب انها هى التى حملته على ان يقول عن الملوك ما تضمنته
 مقطوعته الشعرية التالية ، اما الانكليز فكان يكرههم ، ويندد بهم اينما اتسع له ذلك ،
 وله فيهم اقوال كثيرة ربما كانت على خلاف رأى ابيه الشيخ على .

ومن اقواله الكثيرة ما يلى :

م	فيها	والعرب	م	نكبة تحطم الاسلا
فتش	تجدهم	السبب	والانكليز	اصلها
من	ويلات	حرب أو حرب	بل	كل ما فى الارض
وصيروا	الناس	حطب	هم	اشعلوا نيرانها
اضرينا	ولا	عجب	واستخدموا	ملوكنا
كان	والا	لا نقلب	فملكهم	بفرضهم
فى	كل	شعب فاشعب	هم	نصبوا عرشا لهم
التاريخ	عنهم	وكتب	واسوأة	•• ان حدث

ولقد شاع آئذ ان هذه القبائل التى يرأسها علوان الحاج سعدون والتى

كانت تميل لجهة المدعى سنغزو القبائل التي يرأسها الحاج عبدالواحد الحاج سكر
التي ناصرته ياسين الهاشمي واتبته الى الحكم وكانت من احواله .

وقبيلة (آل فتلة) تشطر في جنوب الكوفة الى شطرين ، احدهما يقيم في
(المشخاب) ، وهذا الشطر واحلافه يؤلف جهة قوية ليس من الهين اخضاعها ، اما
الشطر الثاني فهو الذي يقيم في المهناوية وهو محاط بقبائل مناوئة له ، وعلى اثر
هذه الاشاعة كان لابد ان تتأثر - اول ما تتأثر - قبيلة آل فتلة التي تسكن المهناوية
(الشامية) بالنظر لقله عددها وسط تلك القبائل المناوئة لها ، وكان الجو قد اكفر ،
واوشكت الواقعة ان تقع يوم جاني عبيد آل عبدالسادة وهو أحد مشايخ آل فتلة
(المهناوية) وخال اركان العبادي ، لقد جاني هو والسيد هاشم الزامل في نحو
الساعة الحادية عشرة ليلا وبسطا لي القضية وقالوا ان الامر في غاية الخطورة فاذا
وقعت الواقعة بين العشائر المتخاصمة وقعت البلاد في حرب اهلية لايعرف مداها غير
الله ، وقالوا لي انهما لن يبرحا من بيتي حتى يطمئنا بانني استطعت ان احمل الامام
الشيخ محمد الحسين على التدخل في الامر ، وكان الشيخ محمد الحسين قد بدأ
يشيح بوجهه عن تلك القبائل التي قامت - اول ما قامت - على تأييده وبدأت هي
الاخري تتكر له ، وهنا تركت السيد هاشم وعبيد آل عبدالسادة في بيتي وجئت
الشيخ في ذلك الوقت من الليل ، وشرحت له الكيفية ، وطلبت منه ان يوفد من قبله
شخصا الى الشامية لمعالجة الحانة والحيولة بين هجوم قبائل الشامية احلاف المدعى
على آل فتلة احلاف الهاشمي .

واصر الشيخ على ايفادي انا من قبله رسولا الى الشامية ، وعبثا حاولت
التملص ، ولكي يحملني على الموافقة حملا طلب من جعفر الاعسم ان يرافقني في
هذه المهمة ، فسرت معه برسالة من الشيخ وانا مكره ، ولم يصبح الصباح
حتى كنا في الشامية ، وكان اجتماع الشيوخ والرؤوساء في بيت الحاج رايح ،
وادلى كل واحد من الشيوخ برأيه في القضية ، وكان مرزوق العواد اصلبهم عودا ،
وأشدهم حماسا ، وقد اتهمني هناك بانني انما يهمني من الامر هو ما يهمني آل فتلة

- بصفتي صديقا لهم - وليس للمصلحة العامة في مجيئي اليهم اصعب او شأن ، وساءني في ذلك المجلس ما جوبهت به من لدن مرزوق ، ولكن علوان الحاج سعدون والحاج رايح قد طيبا خاطري ، وأكد لي ان الجميع سيحترمون امر الشيخ ، ولن بدر منهم نحو هذه القبيلة أية بادرة ورجوا ان ابلغ الشيخ بان اقل ما ينتظرون منه هو التخلي نهائيا عن تأييد سياسة ياسين الهاشمي ذلك لانهم لم يكونوا قد اعتقدوا بعد تماما بان الشيخ كان قد كف عن التدخل ، وانه ليس على صفاء مع اولئك ، خصوصا عندما تجل له اي للشيخ ان الجماعة التي ايدها كانت ترمى الى هدف حزبي ليس له دخل بما كان يهدف هو اليه من الاصلاح الشامل وانهم قد قبلوا له ظهر المجن *

وفسر ذهابي الى الشامية عند الحكومة تفسيراً غير صحيح ، وجاء في تقرير (القضاء) والشرطة ، اني كنت الوسيط الوحيد بين علي جودة الايوبي وجميل المدفعي - اللذين كانا يعملان متحدين - من جهة ، وبين الشيخ محمد الحسين وبين هذه العشائر من جهة ثانية بقصد انارتها ، وهياجها في وجه وزارة الهاشمي ، فكان من نتائج ذلك تعطيل جريدة (الراعي) ، وملاحقتي من قبل الحكومة كما مرت الاشارة الى ذلك ، والمضحك في الامر هو اني لم اكن يومذاك اعرف السيد علي جودة الايوبي ، ولم التق به ، بل لم ار وجهه * * * والغريب اني لم يتفق لي الاجتماع به الا في سنة ١٩٥٨ أي بعد اربع وعشرين سنة من هذا الحادث * * *!! حين اتصل بي تلفونيا مبديا اعجابه بكتابي (كنت معهم في السجن) الذي قال لي انه لم يتسن له ان يقرأه الا في هذه الايام فاحب ان يتفضل بتسجيل اعجابه ، وهنا تمت المعرفة بيني وبينه * * *!! لا اول مرة عن طريق التلفون *

أما جميل المدفعي فانه لم يتفق لي التعرف به ، والتحدث اليه الى ان مات * * * ولكن من يستطيع ان يتقع الشرطة ؟ ومن يستطيع ان يبدل عقلية الحكومة وطراز تفكيرها ؟؟ * * *

قلت ان الشيخ محمد الحسين كان طيب القلب ، نقي السريرة طاهر النفس ، فكانت هذه الصفات تساعد كثيرا على تقبله الاقوال ممن يضع ثقته فيهم *

ولقد استطاع صالح حمام - وقد كان قائممقام النجف حينئذ - لقد استطاع ان يكسب ثقته وان يفهمه عنى بانى لم اذهب الى الشامية الا لغراض سياسية تخصنى ونسى الشيخ رحمه الله انه هو الذى اوفدنى ، وانه هو الذى الح على فى الذهاب الى الشامية واننى كنت مكرها فى الامر ، لقد نسى ذلك كله فراح يحوقل ويظهر العجب وقد بلغتنى حوقلته فانقطعت عنه سنة كاملة انهر لى فيها العطف الكثير ، وحاول ان يعرف سبب القطيعة حتى تم ذلك عن طريق الشيخ قاسم محى الدين الذى تعهد للشيخ بان يحملنى اليه حملا وان يجعلنى كما كنت اولاً - مشمولاً بلطفه وعطفه ، وأكد لى هناك الامام انه لم يتقبل من صالح حمام اقواله فى وكل ما فعلت اقوال صالح انها اثارته عنده الدهشة والاستغراب !! ولكنه لم يصدق ما قيل وكان يريد ان يعرف الاسباب التى حملت الحكومة على ان تقول فى ما قالت ولكننى انقطعت عنه

وكان من تأثير صالح حمام على الشيخ ان حملة حين تضعضت ثقة الحكومة (بحمام) وكثرت شكاوى الناس منه ومما استعمل من اساليب للضغط على الحريات ، والتدخل فى شؤون البلد ، بسبب ما استمد من قوة صالح جبر وسعد صالح وثقتهما فيه فى اول الامر ، لقد حمل صالح حمام الشيخ كاشف الغطاء على ان يبرق للحكومة برقية هذا نصها :

« صالح ، صالح للبلاد »

هذا فى الوقت الذى كان الشيخ فد امتنع من الاتصال بالحكومة وكان غاضبا عليها !! ..

وتذكرنى تورية اسم (صالح) باسلوب الشيخ الذى قلما خلا من البراعات الفنية التى يتضمنها الجنس والتورية وسائر ضروب البديع وهو يرسل ذلك عفو الخاطر وبدون قصد كلون من الوان سرعة البديهة الطبيعية .

ولقد كنت حاضرا المجلس الذى ضمه وضم الاستاذ أحمد أمين فى النجف ، وكان الشيخ قد ناقش أحمد أمين وعاتبه على ما اورد فى كتاب (فجر الاسلام) عن الشيعة ، ثم انتقل الحديث الى الشعر فسأل أحمد أمين الشيخ عن تاريخ نظمه لاحدى

فصائده التي تخص زيارته لمصر ، ولانت قوافيها (عينية) وكان من تلك القوافي
(البزوغ والنزوغ) قائلا :

- متى كان هذا (البزوغ والنزوغ) الذي اوردموه في قصيدتكم عن مصر؟
فقال الشيخ - لقد كان ذلك قبل بزوغ (فجر الاسلام) ونزوغه .
فضحك احمد أمين وأقسم انه لم يرد بهذا السؤال التعريض والغمز ،
فايده اشيخ وقال - وانه هو كذلك لم يقصد الا الدعابة .
ولقد كتب اشيخ مرة الى السيد عباس شبر موصيا اياه بشخص امي قروي
ولكنه كان كريم انفس ابا ومعوفا باشهامة ، قائلا : « انه ابي ولكنه امي » .
ومن البراعات الادبية التي اتصف بها اديه هو الايجاز ، فقد كان يحسن
فن الايجاز ويتقنه لحد يثير الدهشة وتقد رويت لفنون ايجازه نصوص ذات
قيمة في معرض الامثة .

وسئل مرة وهو يتسلق جبل (صافي) الرباض على صدر مدينة (جباع) بلبان ،
وكان على القمة من هذا الجبل مدفن ولي يسمى (باصافي) وقد كثرت فيه الاقوال
والاحاديث ، ورويت عن معجزاته الروايات ، وهو محل يرتاده الكثير بقصد
الزيارة والمثوبة ، وبقصد التمتع بتلك المناظر الزاهية الجميلة من فوق مدينة
جباع .

لقد سئل الامام الشيخ محمد الحسين وهو يتسلق هذا الجبل باتجاه مرقد
(صافي) لقد سئل عن حقيقة هذا الولي وقيمه القدسية ، وكان التعب قد اعيا الشيخ
وهو يصعد فقال وهو يضحك :

- « يا صافي ما اكثر اتعابك ، واكل ثوابك »

وكان ايجازه هذا كافيا لتجريح تلك الاقوال والشهادات بقضية الولي (صافي)
ومعجزاته ، وقيمه الدينية ، وظل اهل جباع يفرغون في مسامع الصاعدين الى
(صافي) بقصد التقرب الى الله ظلوا يفرغون في مسامع الصاعدين قول كاشف
الغطاء :-

« يا صافي ما اكثر اتعابك واكل ثوابك » .

وتمكنه من الشعر لا يقل عن تمكنه من النثر ولربما حوت رسائله الخاصة
الكثير من شعر المناسبات الذي يرسله غفو خاطر كما حوت الكثير من صنوف
البيدح والجناس والتورية المرتجلة وهي رسائل تعبر عن الاساليب الادبية التي تجمع
بين الشعر والنثر في الجيل المتقدم ولم يترك لنا منها صوراً لانه لم يتعود ان يجعل
لرسائله مسودات ، لذلك حرص الذين رافقهم التوفيق بمكاتبته على رسائله هذه
التي تعد من ازخر الاثار الادبية بالقرن ، والبراعة الدالة على منتهى ما يتصور الانسان
من مقدرة تحكيها عصارة فن مليء بالابداع ، وافكار غاية في السمو ، مع انه ليس
غير أدب مرتجل يسيل به القلم كما يسيل العسل من الإنحاء اذا فتحتها وكثيراً
ما جمعتني الصدفة به وهو يحبر رسالة الى احد فاستغل هذه الفرصة وانقل من
تلك الرسائل شيئاً حتى اجتمع عندي شيء غير قليل من هذه الصور الحية ، وهذه
احدى رسائله التي كتبها لامين خالص حين دعاه ليقضي اياماً من الصيف عنده في
الشمال يوم كان امين خالص متصرفاً بكر كوك اثبتها هنا كنموذج لما كان يفيض به
ادبه المرتجل على النورق بدون مسودة ، وكصورة من ازوع الصور الفنية ، وازخرها
بالمعاني والافكار لادب الجيل الماضي الذي ظل ينسج على منواله الكثير من علماء
الادب حتى اليوم .

«سلام شائق ، ودعاء وامق ، وتحية مخلص

وردني كتابك الكريم ، وكنت انتظره انتظار العليل للشفاء ، او الارض
المجذبة لماء السماء ، فاعاد لنا تلك الذكريات الطيبة ، والسويغات المنعشة ، التي هي
صفوة العمر ، بل هي العمر ، وما نسيناكم فاقول بكتابكم ذكرناكم *** ولكني
ذكرتكم ذكر الزلال على الظلما فلم اتفح من برده بسلام
اسائل عمن لا احب وانما اريدكم من بينهم بسؤالى
واطوى على حر السعير جوانحي واظهر للعذال اني سالى
ولا والذي عفاكم وابتلى بكم فؤادى ما من السلوبالى
اما دعوتكم لنا ان تزوركم ، فهي دعوة اخ شقيق ، بل دعوة ولد بار ، لاب
أبر ، وما احوج هذا الجسد النحيل الذي صار كعود الخلال ، او من عالم المثال ،

فما احوجه الى المتع بتلك المناظر البديعة التي نوهت عنها بكتابتك الذي التقط الفاظه من تلك الازهار ، وقوة معانيه من تلك الصخور والاحجار ، ورقة اساليبه من سمات هاتيك الاسحار ، وما الازهار الاسجايك ، وما الانهار العذبة الاطباك ، وما الاقح والشقيق والعبر الاحديثك ، وقديمك ، وما الخمائل الا تلك الشمائل •

نعم ما احوجنى الى التمتع بالمنعشات الثلاثة - بلادك ، ورؤياك ، وحديثك ، ولكن أنى لى بان تسعدنى الظروف والاقدار بهذه الامانى والاطوار « وكيف يطير مقصوص الجناح؟ » •
وانا :-

اهم بامر والليالى كأنما	تطاردى عن نيله واطارد
نعم ايها العزيز	
ليهنك عيش بالشمال) منعم	فبعذك عيش (بالجنوب) منكدم
بودى لو أنى ازورك ساعة	لعلى منها نظرة اتزود
ونعماك فى تلك الورود فأنى	على حسك البلوى اقوم واقعد
رضينا بان تبلى الليالى جديدا	اذا كانت النعمى لكم تتجدد

وانت ايها الاديب اللبيب تعلم انى لست من الشعر ولا قلامه ظفر ، ولكنها اشجان تهيج فى الفكر ، فتملى على اليراع تلك الشذرات التى هى من ذوب الفؤاد ، وصباية القلب ، جرت على عفو خاطر ، وجرى القلم ، ولعلها دون ما تجنه الجوانح وبعض ما فى النفس » •

وبعد كل ذلك فاكتر ما يعجبك من الشيخ هذا الجلد والصبر على العناء والاجهاد ، فهو بالاضافة الى كثرة مراجعته والوقوف على بابه ، وخروجه للصلاة بالناس ظهرا وعشاء والقائه سلسلة من البحوث فى كل مساء فان معدل ما يتلقى فى اليوم ليتراوح بين خمسين او ستين رسالة ، وقد يتجاوز المعدل فى بعض المواسم المائة رسالة تأتيه من مختلف الاقطار الاسلامية ، وحتى من الاقطار الافريقية ،

والامير كين ومعظمها استفتاءات شرعية ، ومسائل اجتماعية ، وأدبية ، كان يقرأها جميعا ويوجب عليها نفسه وكان الكثير من تلك الاجوبة يكتبها على نفس الرسالة ، ويعيدها الى صاحبها ، وكنت ارى بعض هذه الرسائل حين تتاح لي الفرصة ، فاستأذنه في نقلها الى قراء انهاف ، وقد نقلت قطعا ادبية رائعة من اجوبته في الكثير من المناسبات في جريدتي وكان بين تلك الرسائل والاستفتاءات رسائل من مختلف المذاهب والاديان ، وكثير منها كانت ترد اتيه من رجالات العلم والادب المسيحيين المقيمين بلبان والمهاجرين منهم ، وكان يجيب على كل منها في حدود مستواها ، ومضمونها ، لذلك قل العلماء الذين تم الاتفاق بهم فقها ، وادبا ، واخلاقا ، من امثال الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، ثم هو من الجرأة بحيث لا يهاب احدا ولا يحترم قوة في الوجود اذا ما تنكبت طريق الحق والمنطق ، واذا ما عرض له ان يغير ويبدل ويعدل فليس ذلك على حساب التهييب ، والخوف ، وانما على حساب المصلحة التي تبدو له ، والمقتضيات التي تعرض امامه والا فهو ابعد الناس عن تهيب الرأى العام او السلطة الغاشمة ، وقد نمت هذه الجرأة مع نموه وحسبت لها الحكومة في مختلف ادوارها حسابها الكامل .

اردت ذات يوم ان اقوم بدعوة منظمة لتهديب خطباء المنابر الحسينية في جريدة الهاتف ، فقد بلغت المهزلة حدا لا يطاق من جراء صعود عدد من اشباه الاميين المنابر الحسينية ، والاتيان باحاديث ملفقة مكذوبة على الله ، ورسوله . واوليائه ، وجئت الى الشيخ مستفتيا عن رأيه في هؤلاء الذين يرقون المنابر على هذه الكيفية ، والذين كثيرا ما يسمعونهم اشيخ بنفسه ، فرأيته يكاد ينفجر غيظا ، وقد صب جام غضبه عليهم ، وعلى الذين يستقروونهم في بيوتهم وهم يعلمون شأنهم ، ويعرفون عجزهم فاستكتبته ، فكتب لي رأيه فيهم ، واعتبر الاصغاء الى مثل هؤلاء الخطباء وحضور مجالسهم والاستماع الى خطبهم من الامور المحرمة التي لايجيزها الشرع بوجه من الوجوه ، وقد حدد في هذه الفتوى مؤهلات الخطيب وواجبه تحديدا جيدا دون ان يهتم بالرأى العام وما يمكن ان ينتهي اليه الامر . ولما كنت اعلم بخطورة المهمة التي اقوم بها نظرا لكثرة عدد هؤلاء الذين

سيصبحون خصوما للجريدة ، اندفعت اعد العدة وابتحث عن الكتاب والمساعدين الذين يمكن التعاون معهم فى هذه الحملة وتهيأت لى اسباب الحملة عند بعض المفكرين من الروحانيين ، وكانت جماعة (منتدى النشر) فى طليعة المؤمنين بالفكرة ، وكان الشيخ محمد الشريعة ، اشدهم ايمانا ، واجراهم فى الصرخة ، وكانت جمعية منتدى النشر قد تهيأت لذلك فى فتح صف من صفوفها المدرسية لاعداد خطباء تتوفر فيهم هذه الشروط ، ولقد رجحت انا ان استعين بعد ذلك فى هذه الصرخة التى نويت ان اصرخ بها بخطباء المنابر المثقفين ثقافة عالية ، وممن لن يكونوا مشمولين بفتوى تحريم صعودهم المنابر ، وكنت احسب ان الخطيب الشهير الشيخ محمد على يعقوبى سيكون فى مقدمة هؤلاء الذين يمكن الاستعانة بهم فى هذه الحملة ، ولكن شيئا من (البرودة) حينذاك كان مستحكما بينى وبين يعقوبى حمله على ان يطلب مواجهة الشيخ محمد الحسين ويقنعه بان يسحب منى تلك الفتوى التى لو كانت قد نشرت لاضافت حسنة اخرى الى حسنات الشيخ محمد الحسين الكيرة والكثيرة العدد فى ميدان الاصلاح الدينى ، والاجتماعى ، وقد لقي الشيخ محمد على يعقوبى نفسه من اولئك الزعانف المحسوسين على رجال المنابر ، والذين دافع عنهم يعقوبى الامرين فيما بعد ، وقد جوزى منهم بما جوزى سمنار ، ويستطيع المرء ان يعلل موافقة الامام كاشف الغطاء بسحب الفتوى منى بمختلف التعليقات والاسباب ماعدا الخوف من الرأى العام ، ذلك لان الامام فى سنه الاخيرة قد برهن على انه لا يهاب سلطة ، ولا يخشى مجتمعا ، ولا يهتم

بتهديد *

والشيخ كاشف الغطاء اول داع للاصلاح الدينى ، والاجتماعى ، واول مجتهد اتقن اداء مهمة الاجتهاد ضمن حدود الامكان ، لذلك كان من الغريب ان يعدل عن رأيه ، ويسحب الفتوى منى *

ومشت جمعية المنتدى فى أمر اصلاح خطباء المنابر وفتحت صفها خاصا للخطباء وكانت للشيخ محمد الشريعة وقفته التى لاتسى ، وحدثت هذه الوقفة ، ضجة كبيرة فى وسط التجف لم يعبء بها الشيخ محمد الشريعة ولم يلن ، ولم

يتضعف ، وتبلورت الضجة والنقمة على جمعية المنتدى حتى صارت ثورة فلم يزد
الشيخ محمد الشريعة ذلك الا ثباتا واستهزاء بالتهديد الذي لقيه ، ولم يكن الشيخ
محمد رضا المظفر ، عميد المنتدى حاضرا في النجف يومها فاصاب اعضاء المنتدى
امام تلك الثورة شئ من الخور فقرروا ايقاف حركتهم الاصلاحية بالاجماع ولم
يعارض هذا القرار الا الشيخ محمد الشريعة •

ولو كان المشروع قد نجح لكنا قد حصلنا على عدد اكبر من نظراء الخطيب
الشيخ احمد الوائلي والخطيب السيد جواد شبر وغيرهما ممن انجبتهم جمعية
منتدى النشر •

★ ★ ★

اقول ان الشيخ محمد الحسين كان اول داع للاصلاح الدينى والاصلاح
الاجتماعى ، وكان يتمتع بسليقة قل ان تمتع بها زعيم روحانى فى استنباط الاحكام ،
فلقد لامنى حين سمعنى اخطب فى حفلة تأيىن السيد ابى الحسن الاصفهانى حين
قلت « ان السيد ابا الحسن كان اول مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة من زوج
كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات » • فقال لى الشيخ محمد الحسين « بل انا
الذى كنت اول من حكم بطلاق امرأة من زوج مسلول وكان ذلك قبل حكم السيد
ابى الحسن بسنوات » فيكون الشيخ بناء على ذلك اول من اخذ الحق - حق الطلاق
المفروض ان يكون بيد من اخذ بالساق - من الرجل وطلق الزوجة دون اخذ
موافقة الزوج ، فسألته عن المسوغ ؟ عن المسوغ الشرعى لا المدنى طبعا الذى
يسيح له اصدار مثل هذا الحكم بينما لم يسبق لاحد من الائمة فضلا عن العلماء من
استطاع ان يقتى بمثل هذا او ما يشبهه ؟

فاجابنى بكل ثقة وصرامة قائلا : « ان المجتهد مشرع يا عمى ؟ » • • !!
ومن هذا يستبان ان الشيخ كان يعطى الاجتهاد حقا لم يعطه احد قبله من
الفهاء •

ومع ذلك فقد كانت له اراء شرعية لم يتح له ان يخرجها على رغم جرأته فلقد

قال لي مرة وانا أسأله عن الامام الثاني عشر (صاحب الزمان) والخصائص المذهبية الواردة عنه لقد قال لي :

« ان الاعتراف بوجوده على هذا النحو ليس من الضروريات » !!
ومن هذه الآراء ايضا انكاره (للمرجعة) وقد اورد ذلك في الطبعة الاولى من كتاب (اصل الشيعة واصولها) ثم اضطر الى اغفال ذلك في الطبعات الاخرى بسبب الضجة التي احدثها رأيه هذا على ما قيل .

ولكنني اعتقد ان ذلك كان قبل عدة سنوات وقبل ان ترسخ قدمه في ميدان الزعامة اذا صح ، لاني وجدته اجراً الزعماء في السنين الاخيرة .

وقال لي مرة اذا كانت في الاسلام احكام لا ينبغي ان تتبدل وتتغير على مدى الايام ، فان هنالك احكاما تستلزم التبديل والتغيير اذا تطلبها العقل ، والمنطق ، والمستلزمات الشرعية ، ولكن الكثير من المجتهدين - تعوزهم السليقة ليحجروا مثل هذا التبديل ، والتغيير ، فتظل تلك الاحكام جامدة وبعيدة عن الهدف الذي يرمى اليه الشرع .

وقال خذ مثلاً وصية الميت التي يوصي فيها بانفاق ما يخصه من ثلثه على بناء (السييل) وهو محل لعرض الماء مجاناً للشرب في طريق القوافل ، وفي مداخل المدن ، كما كان يفعل المسلمون في العصور السابقة اجابة لحض الدين عليه ، وطلباً للمثوبة قال : فهل من المعقول او هل من الشرع ان تنفذ وصية الميت بعد ان توفرت اليوم مياه الشرب في كل مكان ، واصبحت وسائل النقل من السرعة والسهولة بحيث يفطر الانسان صباحاً في البصرة ويتعدى ظهرها في القاهرة هل من الشرع ان تنفذ هذه الوصية لمجرد انها وصية يجب على الوصي تنفيذها ؟

وقال : لقد كان بناء المساجد في العصور الاسلامية السابقة ، من اقرب المقربات الى الله ، يوم كان المسجد محلاً لاداء الصلاة ، ومدرسة يقوم فيها الطلاب بتلقي العلوم ، ومنتدى يجتمع فيها المسلمون في كثير من المناسبات وملجأ للغرباء الذين يفتدون على المدينة ، ويوم كانت ابواب المساجد بمثابة الجرائد تلتصق عليها الاعلانات ، عن فقدان حاجة ، او العثور على حاجة ، وغير ذلك من الاغراض ، فهل يمكن ان

تكون المثوبة في بناء هذه المساجد - اذا زاد عدد المساجد عن الحاجة - هي عين المثوبة بعد ان فتحت المدارس الكافية ، وتأسست المستشفيات وبنيت الاندية ، وتكاثرت المرافق الاجتماعية والمؤسسات التعاونية ، لو ان رجلا اوصى بان ينفق من ماله الخاص به (اي من ثلثه) على بناء مسجدين او اكثر في المدينة ؟

قال اننى لا اعتقد ان المثوبة الحاصلة اليوم من تأسيس (سييل) للماء ، وبناء مسجد ، هي عين المثوبة السابقة ، فالاسلام يوم كان يحض على اقامة المساجد وتعميرها كان يتبعى منها كل تلك الفوائد التي ذكرت وأكثر من نشر دعوته والتبشير بسننه العادلة ، وايصال صوته الى الغايبين عما يرمى اليه الاسلام الصحيح من هدف عملي في حياة الانسان العامة ، لذلك .. (قال الشيخ) .. لذلك قد حملت مرة احد الاثرياء من رؤساء العشائر وكان قد جاءني ليأخذ رأيي في بناء مسجد في قريته ، وكان فيها مسجد آخر لقد حملته على ان يبني بعض الغرف في مصح (حمانا) ويهديها مجانا للمسلمين العراقيين ، وقلت له ان الثواب في ذلك عند الله اكثر واكبر مادام في قريته مسجد يكفي لاداء المهمة كما تحققت ، وقد علمت انه بنى غرفة او غرفتين في مصح (حمانا) ، وان افاضة المساجد عن الحاجة - كما قال الشيخ - هو الزائد الذي قيل عنه انه كالناقص ، وهو الذي يلزم المجتهد باعادة النظر في الحكم ، ولقد تسبب من عدم ادراك الناس ، وعدم تصدى المجتهدين لفهام بناء المساجد ، ان كثر عدد هذه المساجد واصبح الكثير منها مقفلا ومهملا ولحق من جراء ذلك شيء من الالهانة بالطقوس الاسلامية فضلا عن ضياع المال وانفاقه سدى . ولم اجد شخصا يعدل عن رأيه بالسرعة التي يعدل الشيخ محمد الحسين عن رأيه حين تتضح له الحقيقة ، ويتجلى له الحق ، وكثيرا بل وأكثر من الكثير الذي رأيت فيه الامام يدلي برأى خاص كان يؤمن به منذ زمن ثم لم يكنف بتغيير رأيه وانما راح يعدل الاخرين على المواطن التي لم يصب فيها من قبل ، واذا تبجح الكثير بما قد اصابوا في كثير من الاراء فانه ليسرد لك في المناسبة كثيرا من المواقف التي التبس فيها عليه الامر ! .. وهي صفة لزبدة العلماء المحققين .

زرته ذات ليلة بمستشفى الكرخ ببغداد فانفيت عنده جمعا من المشايخ والوجوه وكانت صحته مما تسمح بالجلوس للناس وقد وجدت الجمع يخوض في بحث كتاب (وعاظ السلاطين) للدكتور على الوردى الذى كان قد صدر منذ ايام قريبة ولم يترك أحد من الجالسين شيئا لم يقله عن افساد الوردى لافكار الناس ، وكفره ، واستهزائه بالدين والائمة الذى تضمنه كتابه على حد رأيهم ، وكان الشيخ يحتدم غيظا ، ويحوقل ، ويستعيد ، وقد علمت ان ارشد العمرى كان عند الشيخ منذ دقائق فافرح الشيخ غضبه فى اذن العمرى ، ولم يترك العمرى الشيخ حتى وعده وعدا اكيدا بأنه سيتخذ جميع الاجراءآت الممكنة فى حق الدكتور على الوردى وفى حق كتابه هذا اذا ما اصبح الصباح ♦♦♦

و كنت قد فرغت من مطالعة الكتاب المذكور فى ذلك اليوم ، او اليوم الذى قبله ، فانبريت الى القوم افند ادعاءهم ، واروى للشيخ آراء الوردى على حقيقتها ، وكان ردى على اولئك المتحمسين فى هجومهم على الوردى عنيفا وكان دليلى او قل تأثيرى على الشيخ قويا ، بالرغم من اننى كنت واحدا ، وكانت الحاشية التى احاطت الشيخ جمعا كبيرا ♦ وفيهم بعض الشعراء والادباء اللبقون المعروفون فلقد قلت للشيخ :

- او لم تنعتى باكثر مما استحق من نعوت اديبة فنية كدت ترفعنى بها الى المضراح الارفع ؟ - وكان الشيخ قد كتب مقدمة كتابى « عندما كنت قاضيا » المطبوع فاضفى على وعلى جريدتى - الهاتف - بالشيء الكثير مما لا استحق من ثناء وصفات سواء فى طبعة الكتاب الاولى او الثانية ؟ -

قال - بلى ♦

قلت - تناس كل ذلك ياعمى ♦♦♦ واعتبرنى قارئنا يحسن فهم ما يقرأ على الأقل ♦♦♦ وانا اوكد لسيدى العم اننى قرأت الكتاب من الفه الى يائه فلم اجد فيه شيئا ولا شبه شيء مما يقول هؤلاء القوم ، وانا واثق بانك لن تخرج بغير هذه النتيجة او باقل مما خرجت بها انا حين يتسنى لك الاطلاع على الكتاب بنفسك ♦

فانطلقت اسارير الشيخ هنا ، وهذا ••• ولم اتركه حتى حملته على ان يوفد احدا في تلك الليلة الى ارشد العمرى ليخبره بانه كان قد تسرع في طلبه بمعاقة الدكتور الوردى لانه لم يكن قد قرأ الكتاب بعد ••• وعلى انى لم اسمع رأى الشيخ بعد قرائته كتاب الوردى ولكنى كنت واثقا بانه سيؤيدنى فى الكثير مما قلت عن هذا الكتاب اذا ما اتم قراءته ، ذلك لانه لم يوجد بين كبار علمائنا المتأخرين من كانت له مثل هذه الاحاطة الفقهية ، والادبية ، وحسن السليقة التى عرف بها الشيخ كاشف الغطاء ، فقد كان بدون شك اكبر علماء عصره الروحانيين ، وكان افضلهم فى جميع مراتب الاجتهاد ، ولكن امورا خاصة تتعلق بشؤون الزعامة هى التى لم تجعل الانفراد فى زعامة الشيعة اليه وحده ، وامورا تخصه نفسه هى التى لم تدعه ان يشغل المكان اللائق به كأكبر زعيم روحانى فى العصر الاخير •

وفى اثناء الحرب الثانية كان على رأس مديرية الدعاية والنشر السيد كمال عبدالمجيد وكان قد حرم جريدة الهاتف - لسبب ليس هذا محل ذكره - من تخصيص حصة لها من الورق بينما كانت لجميع الصحف حصص معينة ، فكنت اشترى ورق الصحف من السوق السوداء ، ومن الصحف التى كانت تشتري (البند) من حصتها بنصف دينار او اكثر قليلا • فاشترى انا منها بتسعة دنانير ••• حتى اشتريت مرة البند الواحد بأحد عشر دينارا ••• ولم ادع (الهاتف) يتوقف عن الصدور فكان (الهاتف) يعانى ازمة شديدة حملت السيد (ابا الحسن) الزعيم الروحانى الاكبر على ان يخص الهاتف بمقدار من الورق الذى جلب له لى يطبع به رسالته الدينية ، ويبدو ان الامر قد بلغ الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء فبعث لى بمبلغ من المال مصحوبا بالرسالة التالية :

« عزيزى اعزك الله بعزه ومدك بعنايته

انت تعلم ان صحيفتك الغراء منذ فجر نشئتها الى اليوم تصلنا تباعا ، ونحن وان كنا نساعدنا بالمساعدات الادبية من تنويه ، وتحبيذ ، وغيرها ، ولكن لم يتفق لنا طول تلك المدة من مساعدتها مساعدة مادية ، وعلى اثر ازمة الورق ، وغلاء الاجور ، كنت اود ان اضع لى فى تلك المائدة اصبعا ان لم تكن يدا ، لذلك تجاسرت

(كذا) بتقديم هذا المبلغ الضئيل ، ولك الفضل في قبوله (كذا) ولا يحسب مولاي (كذا) ان لهذا علاقة بأية قضية ، فالله شهيد انه من خالص ما في يدي ، وكن على ثقة بان دعائي ، ودعايتي ، هي خير لك من اضعاف هذا المبلغ قل ام كثر ، والله يحفظك ويرعاك بدعاء ابيك الروحاني البار . *

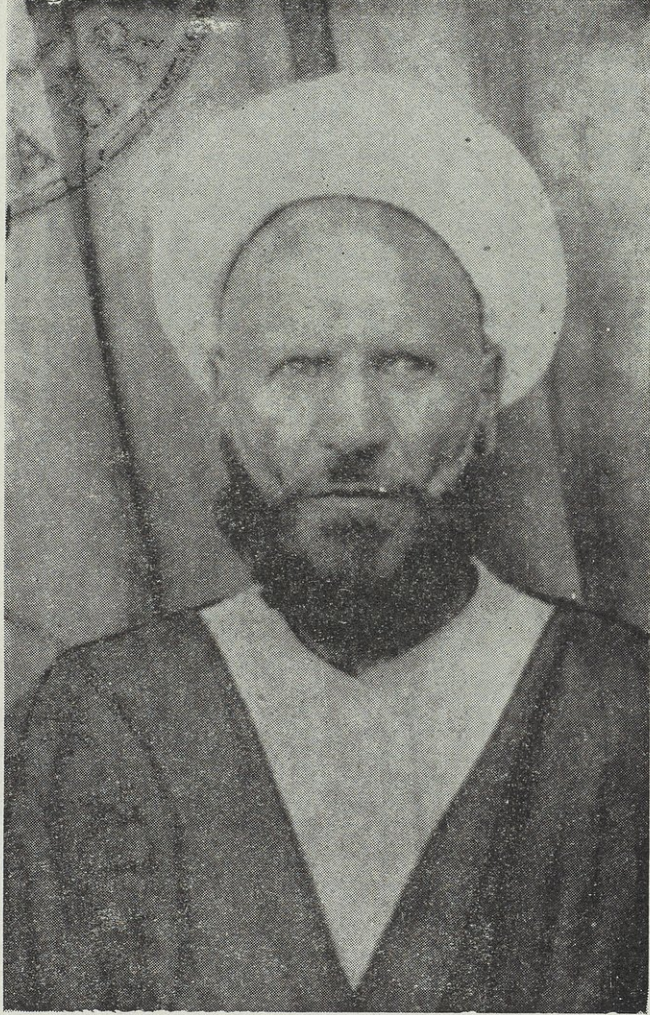
محمد الحسين

٣٠ شعبان ١٣٦١

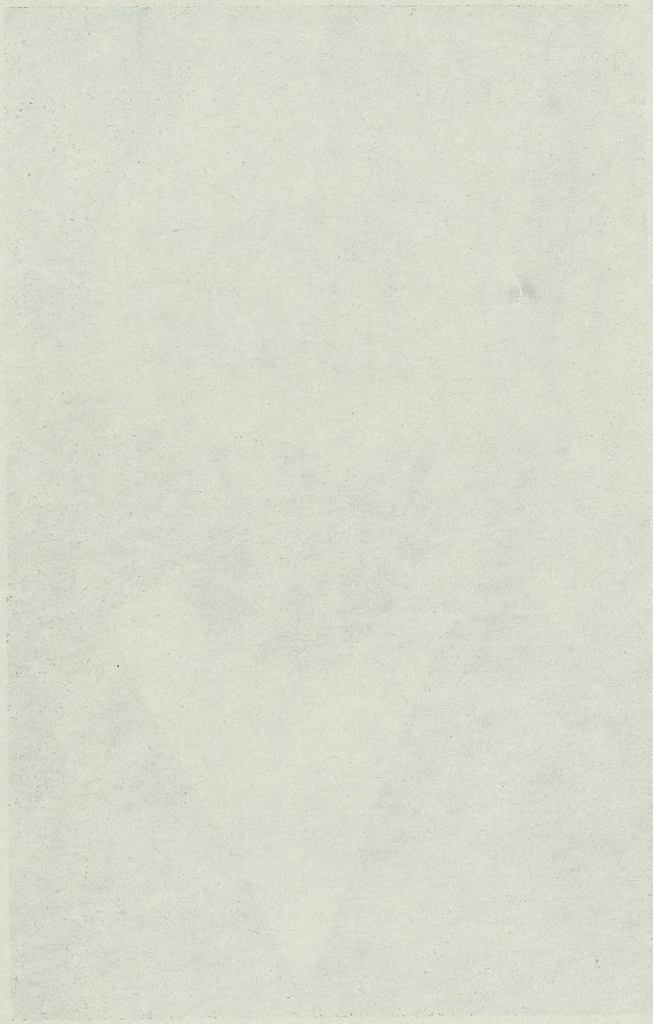
وقد زرتة بعد تسلمى المبلغ والرسالة بساعة واحدة ، ولاول مرة أقبل يده ، لاننى لا اذكر انى قبلت يد احد غير يدي ابوى واخى الكبير حين بدأت اشعر ، لقد قبلت يده لاننى لم اجد وسيلة تحمله على قبول استرجاع المبلغ منى بغير هذا النحو من الالتماس الذى عبرت فيه له عن غاية امتناني ، وشكرى ، ورجوت منه اعفائي عن قبول المبلغ ، ولم ازل به حتى وافق على ذلك مكرها ، ومرة اخرى قبلت يده حين تفضل وزارنى فى بيتى على أثر تصميمى على الانتقال (بالهاتف) الى بغداد ليحول بينى وبين هذا التصميم ، فكان تقبيل يده بمثابة آخر ما فى كنانتى من وسيلة فى الرجاء منه بتركى وشأنى ، ولقد لقيت من لدنه الشيء الكثير من الرعاية ، والعطف طوال السنين التى اتيح لى فيها التشرف بالاتصال به وهى رعاية وعناية قلما لقيها شبه متمرده مثلى ، من زعيم روحاني كبير مثله . *

لقد كان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء نسيج وحده علما ، وأدبا ، وفنا وكان زعيما روحيا فذا ومصلاحا كبيرا سيظل التاريخ زمنا طويلا يبحث عن نظير له بين جماعة الروحانيين فلا يوفق وقلما شوهد شخص يجمع بين عدد غير قليل من زعامات انفرد بها فى العالم الاسلامى والعالم العربى ، فقد كان زعيما روحيا ، واسع الاطلاع تخرج الكثير من العلماء على يديه ، وكان منهم السيد محسن الحكيم المرجع الروحاني الاكبر اليوم ، وكان خطيبا قل نظيره من حيث بلاغة الكلام ، وفصاحة اللفظ ، ونفوذ معانيه الى قلوب مستمعيه ، وكان زعيما من اكبر الزعماء فى عالم الادب ، شعرا ، ونثرا ، ثم هو بعد ذلك محدث بارع ، ماخلا حديثه من

الملح الادبية ، وانكت الفنية ، اما الشخصية فحدث عنها ولا حرج ، ولقد انجبت
اسرة كاشف الغطاء عددا كبيرا من نوابغ اهل العلم والادب ولكن الشيخ محمد
الحسين كان من انبغ من انجبت التجف في تأريخها الطويل العريض .
واقته المنية وانا اصطاف في ايران ولم تغني تلك العيون الثرة التي هطلت
على ثراه من دموع المسلمين الذين حضروا تشييعه الذي قل مثيله في التاريخ .
اجل لم تغني تلك الدموع الغزيرة الثرة عن ان اذيب قلبي فاسكبه من بعيد
قطرات ظلت وستظل رمزا لكأبة عميقة ، وحزن ممض ، وجرح لايندمل .



الشيخ عبد الحسين الحلبي



[Faint, illegible text or markings]

الشيخ عبدالحسين الحلبي^(١)

كانا اثنين ذاتك اللذان يحملان نفس الاسم ونفس النسبة • ولم يكن الفرق بين الاسمين يزيد على اضافة اسم عبد الى الحسين وتجرد الثاني من هذه الاضافة • وعلى رغم التفاوت بين الشخصين في العمر وفي منحى التفكير والاتجاه • فقد التبس الامر على الكثير ممن لم يعرفهما فظن ان الشيخ حسين الحلبي هو الشيخ عبدالحسين الحلبي ، وانهما اسمان لمسمى واحد • وكنت انا من هؤلاء الذين التبس عليهم الامر • ولا ادري بالضبط متى بدأت أميز بين الاسمين • ولا متى عرفت كلا منهما المعرفة الكافية ، وكلما دريت به هو اني صرت بعد حين اعرف اين موضع الشيخ عبدالحسين الحلبي من هذا الرهط • فكنت انظر اليه نظرة اكبار واعجاب نلقيتها من ابي • ومن اخي الاكبر ومن اعمامى • وممن الفت التقاءهم فى المجالس • ثم مالبت هذا التلقين الطبيعى ان صار اساسا بنيت عليه عقيدتى غير الاختيارية ثم عقيدتى الاختيارية •

وعلى الرغم من وجود عدد غير قليل من فطاحل الادب يوم وعيت ، وعلى رغم امتلاء ذهنى بأسماء طائفة منهم من الذين رأيتهم كالشيخ جواد الشيبى • والسيد رضا الهندي ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ، والشيخ هادى الشيخ عباس ، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائرى ، او الذين لم اراهم كالشيخ آغا رضا الاصفهاني • والسيد محمد سعيد الجوبى من المعاصرين ، وعلى الرغم من عدم ترك هؤلاء اى مجال لذكر اشخاص آخرين لبعدهم ،

(١) مجلة العرفان - صيدا - مجلد السنة ١٩٥٧ •

وامتداد شهرتهم ، فان الشيخ عبدالحسين - وكان اصغر اولئك سنا ومن الطبقة التي
تليهم - لم يعدم الوسيلة الادبية التي يستلقت بها الانظار الى نفسه مع وجود اولئك
الجهابذة • واعلام الادب في دنيا العربية •

وسواء صح هذا ام لم يصح فاني اؤكد أنني كنت قد سمعت بأسم الشيخ
عبدالحسين كاديب يوم كانت سماء الادب مزدانة بتلك الشمس ، ومضيئة بتلك
الكواكب ، ولم تكن يوم ذاك مدارس منتظمة ذات صفوف مرتبة ، ولا شهادات ذات
سمات معينة ، ولا امتحانات يتعين بواسطتها درجة الشخص وفضيلته • وكل ما كان
هناك ان كانت حياة عملية يشخص فيها المرء بجميع مواهبه معكوسا على العيون ،
والقلوب ، والادمغة ، في شعره ، ونثره ، وتفكيره ، واتجاهاته ، فاذا بها لوحة
مكتسوفة لاتكاد تعرض عليها بصورة حتى يبين منها ما يعجب وما لا يعجب ، وما يمكن
ان يرسخ في الذهن او ما لا يمكن من الذي يذهب جفاء •

واللوحة هذه او المحك الذي تميز به المواهب هو فيما تسخ من فرض
احتفالات الاعراس ، والافراح ، واحتفالات المآتم ، والذكريات ، ومجاسن
التندر ، والدعابة ، وما تفيض به الرسائل التي يبعث بها القائلون عن النجف الى
المقيمين فيها ، فتنشأ من كل ذلك فكرة عن الشاعر ، واثار ، والمتحدث ، لاتلبث
ان تجول في اذهان خاصة حتى تعم اذهان العامة ، ويظل يتناقلها الجميع ثم تأتي
الايام عليها بالشواهد المؤيدة ومن هنا تحصل الشهرة لمن يستحق الشهرة •

وكان الكثير من المتأدبين يحفظون الشيء الكثير من نوادر اعلام الادب ، وبنات
افكارهم ، ويتحدثون بها متأدين ومتدربين ، والدليل على شهرة الشيخ عبدالحسين
الادبية في ذلك اليوم هو ما كان يتناقل قراء الادب من آثاره الادبية الى جانب ما كانوا
يتناقلونه لكبار الاعلام • وأني لاذكر لئلا نادرة ادبية حفظتها له واما في اول شبابه
واول عهده بمعرفة اسمه والتميز بينه وبين الشيخ حسين الحلبي •

فقد روى عن احد اغنياء النجف الذي طالما كان يستخدم مواهب بعض الابداء
بما كان ينفقه عليهم وما كان يقيمه لهم من ولاءم ودعوات كسبا للشهرة • لقد روى

ان هذا الغنى الغبى عاد مرة من زيارة العتبات فدعا جمعا من الادباء بهذه المناسبة
وكان من ضمن مدعويه : الشيخ عبدالحسين الحياوى • والسيد محمد حسين
الكيشوان ، والشيخ عبدالحسين الحلى ، وغيرهم ، وهنالك نثر عليهم مجموعة من
الخواتيم النفيسة التى جاء بها على سبيل الهدية والصوغه ودعا كل واحد لاختيار
خاتمه بشرط ان يقول شيئا من الشعر بهذه المناسبة فكان ان تناول كل شخص
خاتمه ، وقال شيئا ، اما الشيخ عبدالحسين الحلى فقد ختم المجلس بيتين تناقلهما
جميع الادباء والمتأديين يوم ذاك لما فيهما من جمال التعريض والتورية فى مجال
الدعابة وظل البيتان حديث القوم زمنا طويلا وهما :

لقى الخواتيم لنا فانتشرت حتى تنافسنا عليها معه
فلا تسئل عنا فكل واحد ادخل فى (خاتمه) أصبعه
كذلك كنت احفظ له بعض التشايبه الرائعة فى ذلك الدور البعيد وقبل ان
اشب وادرك مما كان يجرى على السنة المعجيين ومن ذلك كان قوله واصفا :

اطلع لى قده وخده فخلت غصنا عليه ورده
وهى تشايبه واوصاف تتوفر فيها كل ملكات الشاعر المبتكر المبدع فى ذلك
اليوم ، فضلا عما يتصف به هذا الشعر من السلاسة والاستجمام والغذوبة •
وحين تقدمت بى السن الفيت الشيخ عبدالحسين يتسنىم عرشا آخر غير عرش
الشعر والادب ، وان ملكاته فى التحقيق والبحث كانت موضع اعجاب الجميع ،
بحيث لم يستطع اكبر العلماء والمؤلفين من معارفه الاستغناء عن القاء نظرة منه على
مؤلفاتهم قبل دفعها للطبع ، سواء كانت هذه المؤلفات تخص علم الفقه او علم الاصول
او تخصص التاريخ الاسلامى او علم الرجال • او تخصص اللغة وتاريخ الادب ، فكان
الشيخ عبدالحسين موسوعة عجيبة ، ودائرة معارف غرغف منها الكثير من العلماء •

وحين عثر على النسخة الخطية المشوهة من ديوان مهيار الديلمى لم يجدوا من
يمكن الركون اليه فى اكمال مانقص منها وتصحيح ماوقع فيها من الغلط • ورد
ما خرج منها عن القواعد الى حظيرته غير ان الشيخ عبدالحسين حين تم الاقدام على
طبعها ببغداد •

ولقد نقل لى الشيخ محمد السماوى قال ان النسخة الخطية كانت من حيث رداءة الخط والتشويه بحيث كانت تتعذر على غير الشيخ عبدالحسين قراءتها وتصحيحها. وقال لى السماوى : وصادف وجودى فى الكاظمين فاستعان بى الشيخ عبدالحسين ذات ليلة على قراءة بعض فصول النسخة للاطمينان من صحتها قبل دفعها للطبع . ولقد اعتذرت عن المبيت معه فى الخان * لان الفصل كان شتاء * ولانى كنت شديد الاحساس بالبرد فلم تكن عينى لتغمض قبل التأكد من ان ثقل عدد اللحف التى تلقي على قد بات يقيد لى كل حركة من حر كاتى « والحق ان الذين عرفوا السماوى يؤيدون مبلغ احتياطه وخوفه من البرد حتى ليظن ان ثقل ما عليه من الالبسة قد يتجاوز ثقل جسمه مرة ونصف مرة او اكثر وان الفرو الذى لا يسقط عن كتفيه طوال الشتاء هو فرو مخصوص زاد وزنه على اثقل انواع الفراء !!» *

وقال السماوى : ولكن الشيخ عبدالحسين الحللى أكد لى بأن الخان الذى يدعونى للمبيت فيه معه ، يعمل فى جانب منه نداف قد لا يقل عدد اللحف التى عنده عن عشرين لحافا ولم يزل بى حتى قنعت * ووالله لقد ارانى من جلده * ومن سرعة خواطره * ومن استنباط ما شرد من ذهن المحققين العجائب وهو يراجع نسخة الديوان ويقلب رأيه فيه *

واقسم انى تجاوزت فى اعجابى به - يقول السماوى - حد الغبطة وقضينا ثلثى الليل ونحن نحقق ونصحح ، وحين نمت بدأ يلقي على من اللحف اقلها حتى اشرت له من تحت اللحاف بالاكفاء *

وعند الصبح - قال المرحوم السماوى - وعند الصبح * لم اجد من اللحف الا اللحف الاول الذى كان يغطى جسمى مباشرة اما تلك الاثقال الملقاة على فلم تكن لحفا وانما كانت اجلالا للحمير ، وقد القى الشيخ عبدالحسين على منها ما استطاع ، ذلك لان الشخص الذى كان يعمل فى الخان لم يكن ندافا كما قال بل كان جلالا يخيظ اجلال الحمير كما فهمت فى الصباح !!* * *

* * *

واول تماس لى بالشيخ عبدالحسين الحللى كان فى سنة/ ١٩٢٩ وكنيت اصدر

يومها جريدة الفجر الصادق • وكنت قد اذمت النية على نشر ترجمة لرسالة كان
الفها بالفارسية الزعيم الروحاني الميرزا حسين النائيني قبل ان يصبح مرجعا دينيا
كبيراً ، وكان قد نقلها صالح الجعفرى الى العربية لتنتشر تباعاً فى الفجر الصادق
وكان الجعفرى يومها من محررى الفجر الصادق • وكانت هذه الرسالة عنواناً
للحضارة الاسلامية التى تنظر الى الامور - فيما يتعلق بثقافة المرأة والرجل ، وفيما
يتعلق بالحرية والعمل ، وفيما يتعلق بالمسؤوليات - نظرة مستقيمة تدل على منتهى
النضج والاعتدال مما يعبر عن رأى (النائيني) المصلح المدرك الذى يفهم مقتضيات
المسلم المعاصر فهما صحيحاً ولكنه حين بدأ يخطو الى الزعامة الدينية وجد ان هنالك
مجالات واسعة سيستغلها خصومه لمهاجمته بسبب هذه الآراء التى تضمنتها رسالته ،
والتي تتنافى دعوتها مع الزعامة الروحانية التى يؤيدها الرجعيون والجهلة تأييداً
مجرداً من كل تفكير حر مستقيم •

فسعى النائيني الى جمعها • وبذل على ما قيل يومذاك لشراء كل نسخة ما لا يقل
عن ليرتين ذهبية • وهو مبلغ جد كبير كئمن لرسالة لم تزد صفحاتها على عشرات
الصفحات • وهذا ما حفزنى على نشرها فى جريدتى والاشادة بها وتوجيه الناس الى
مطالبها ولكن هذه المحاولة قد حملت (النائيني) على بذل مجهود كبير للحيلولة دون
نشرها • وكان من هذا المجهود قيام الشيخ عبد الحسين الحلى بالتوسط لسحب
الرسالة من قلم التحرير وحمل الجريدة على العدول عن نشرها •

ولاول مرة اجلس الى الشيخ عبدالحسين فى مقبرة آل الحولاوى فى
الصحن الشريف مدة ساعة اشرح له رأى فى تخطئة هذه الاساليب ، وابسط له
مذهبي فيما تخلف مجاملة العوام من قبل العلماء من الاثر السئ فى المجتمع ، وابدى
له معارضتى وتصميمى على المضى فى ترجمة الرسالة ونشرها • وكم دهشت • وكم
تعجبت حين رأيت هذا الرجل الذى بعثه (النائيني) ليقتضى قد بدأ يؤيد رأىي •
وينفخ فى من روجه • ويضرب لى المثل على ان هذا الدين لا يقيم الا الحق والا
الصراحة وقال :-

لقد انتفع الاسلام من صراحة السيد جمال الدين الافغانى ، وجرأة الشيخ محمد عبده اضعاف ما يمكن ان ينتفع احد من مجاراة الرأى العام ، ومجاملة العوام ثم قوى فى عزمى وصار يقص على بعض الامثلة التى تزيد من قوة ارادتى ومضى فى عقيدتى وروى لى بعض الخواطر الادبية بلغة وبنبرات هادئة • وكلمات موزونة كأنه كان امام ند من انداده • لا تلميذ صغير من تلاميذه • ولقد كان هو هذا طوال ما رأيت ••• كان مجموعة من تواضع • وموسوعة من علم وأدب وتأريخ • ولست ادري ما الذى قال للنائينى وما الذى قاله له النائينى ولكن الامر سوى معنى من طريق الشيخ جواد الجواهرى الذى ارغمنى على العدول عن نشر الرسالة ارغاما ••• ليس هذا موضع شرحه •

وبعد زمن علمت بان الذى قال بأن الشيخ عبدالحسين كان من جماعة السيد كاظم اليزدى • وانه من خصوم دعاة الحرية (والمشروطة) لم يكن يعرف عن الشيخ عبدالحسين الا حضوره بحث السيد كاظم • اما اختلافه معه فى الرأى والعقيدة فلم يعرف احد عنه شيئاً • ولا ادل على ذلك من ملازمة الشيخ عبدالحسين للشيخ عبدالله الماقدانى مع انه كان يختلف واياه اختلافاً كلياً فى كثير من الامور ، ولكن هذه الملازمة لم تتناف مع هذا الاختلاف الاساسى •••

وقوى اتصالى به • وكان لاحد ابناء عمى وهو الشيخ سعيد مآثم حسينى يقيم فى كل سنة فى بيته مدة عشرة ايام يحضره عدد غير قليل من فضلاء التجف واعلامها • وحين يرفض عقد المجلس من كل ليلة يتأخر بضعة انفار من اولئك الفضلاء ويتحول مجلسهم الى مجلس ادبى خاص ، وكان الشيخ عبدالحسين من حضار هذا المجلس • وفى هذا المجلس عرفت للشيخ عبدالحسين اشياء كثيرة لم اعرفها من قبل • لقد قل من يدانيه فى ملكة ارجاع المسائل الى مصادرها • كما قل من يجاريه فى مناقشة التشريع من ناحية الفقه ، وفيما يحفظ ويستظهر من الشواهد العلمية والادبية • ويمتاز على العدد الكبير من تلك الحوزة بما كان يضيفه على المناقشة والافصاف من جمال الاستعارات والجناس وحلاوة الصياغة • وأنى

لاذكره مرة وهو يناقش الشيخ جعفر البديري في مسألة فقهية استتبط لها الشيخ عبدالحسين من المفاهيم ما يغير رأى (البديري) مغايرة اساسية • وحين احتدم الجدل واحتدام الجدل عند الشيخ عبدالحسين حركة للجذع مستمرة بين الانحناء قليلا وبين الاعتدال ، ثم توجه نحو اليمين ، وتوجه نحو اليسار ، ثم بسط الكف على الارض • فاذا انتهت المناقشة بالظفر ، خمدت هذه الحركات رويدا رويدا ، وعاد الشيخ عبدالحسين الى وضعه الطبيعي • والا فلا بد انه قائل شيئا ، وبهذا الشئى اعتاد ان يختم المناقشة فلا ينبس بعدها بكلمة فى اصل الموضوع ، اقول وحين احتدم الجدل بينه وبين الشيخ جعفر البديري ورأى انه غير قادر على ان يغير للبديري رأيا قال له أسمعنى يا سيدى الشيخ :-

- ان فقهاء عتيق • عتيق وكفى •

ولم يكن أحد يعرف ان من الفقه ماهو جديد وما هو عتيق ولكن الادباء من امثال الشيخ عبدالحسين كثيرا ما يوجدون ما لم يوجد ، ومنذ ذلك اليوم صار الفقه جديدا وعتيقا ، وظل الفقه العتيق يرمز الى الافكار الجامدة التى تعجز عن تسخير الاذهان لاستنباط المعقول من الامور واصبح اصطلاحا عند الكثير •

ولم يبق من لم يعرف للشيخ عبدالحسين الحلى قيمته العلمية ومقامه الادبى الرفيع حتى البقال حين كان يقف عليه الشيخ ليشتري شيئا كان يطفح وجهه بالبشر لالشيء الا لان الشيخ عبدالحسين قد اشترى منه شيئا ، وحتى العوام كانوا يعرفونه من مشيته الرتيبة وهو قابع بعباءته فيسلمون عليه ويأخذون يده بقصد التقييل على الرغم منه • وحتى الشباب والطامحون كانوا يفهمون بان لهم بين علماء الدين عالما اقل ما يقال عن علمه ان فقهه جديد على حد تعبير الشيخ عبدالحسين نفسه • وانه لم يؤخره عن الزعامة الدينية الا عدم التزامه بما يلتزم به المرشحون للزعامة فكان لايمتنع ان يناقش الصغير والكبير • وان يعلن عن رأيه بدون توقف وحذر ، وان يدخل حلبة ليس له فيها من ند ونظير ، لانه لم يفكر يوما ما بالزعامة الروحية • ولو كان يفكر فيها لتجنب حتى نظم الشعر •

وكان من مفاخر اهل العلم والادب ان يذكروا انهم تتلمذوا على يد الشيخ
عبدالحسين • او تتلمذوا على تلاميذه • وكان من مفاخرهم ان يذكروا بأنهم قرأوا
شعرهم فى مجلس كان من متصديه الشيخ عبدالحسين الحلى • وان قصائدهم
قد حظيت منه بالاستعادة • بل كان اكثر من هذا ••••• فقد طالما كان حكما
بين جهتين فى مسألة فقهية • أو مسألة أدبية • أو قضية تاريخية ذات علاقة بالفلسفة
الروحية أو التحقيق الادبى • وكان اكثر من هذا كله ايضا ••••• لقد كان حكمه
الفصل فيما يعرض عليه فلم يستأنف حكمه مستأنف • ولم يميزه مميز •

اجل انه لم يبق من يجهل مقام الشيخ عبدالحسين العلمى والادبى من كبير
أو صغير عالم أو جاهل • اما الجهة التى ران عليها الجهل • وعشى عنها الغباء فجهلت
حق الشيخ عبدالحسين فهى جهة الحكومة فقط •

لقد كان لى قريب شاب عرف بشدة الكسل بين اقرانه حتى لقد كان يتناقل
والله ان يتناول اللقمة من الخوان ويدنيها من فمه •••!! وهو نفسه يدرك هذه الاحوال
وكثيرا ما تحدث قائلا : لا احسبى لشدة كسلى قادرا على ان اقوم بادنى خدمة لاقرب
شخص منى اذا ترك الامر لى وحدى ، وقد قال لى قريبى الكسول هذا يوم تم تعيينه
موظفا فى الحكومة ، لقد قال لى وهو يضحك مازحا :

- لم اكن اعرف مدى غباوة الحكومة ، وبلادتها ، وعدم ادراكها ، الا يوم
قبلت تعيينى موظفا فى ملاكها •

اما انا فلم اعرف مدى غباوة الحكومة وبلادتها الا يوم قررت ان تجرى
للشيخ عبدالحسين الحلى امتحانا لكى تعينه قاضيا شرعيا فى محاكمها ، ولم اعرف
مبلغ جناية الحكومة على الحق والعدل والقضاء الا يوم اعلنت الحكومة ان الشيخ
عبدالحسين الحلى لم يجتز الامتحان بالنجاح المطلوب •••!!

ولست ادري ايجوز ان يجرى احد امتحانا لاديسون فى الكهرباء؟ ولمدام
كورى فى طبيعة الراديو؟ ولماكونى فى الراديو؟ فاذا جاز هذا جاز لاحدنا ان
يعطى لنفسه حق اجراء امتحان للشيخ عبدالحسين فى الفقه وفى القضاء الشرعى ••
ومالنا وهذا؟ وانما اريد ان اذكر بان الشيخ عبدالحسين قد ساءت احواله المادية

كنتيجة لعدم رضوخه للتقاليد ، ونتيجة لعدم مجاراته المحيط الذي كان يفرض عليه
 فروضا غير ملائمة لجبلته وحيويته ، وزادت الايام في سئوها حتى اضطر لبيع
 مسكنه ، وحتى تنازل عن كتبه ، وكانت له بال الشيبسي - وبالمرحوم الشيخ جواد
 الشيبسي خاصة - صلة قوية نسجها الادب الرفيع الذي يتحلى به الشيخ عبدالحسين
 ويتحلى به بيت الشيبسي . فرأى آل الشيبسي ان يعرضوا عليه القضاء الشرعى . . .
 واشهد انه على رغم حاجته الشديدة يومها لنمال وعلى رغم فقد انه كل رجاء فى
 تحسن وضعه المالى فقد امتنع عن اجابة الطلب ، وكان له الحق ان يمتنع . ذلك
 لان القضاء الشرعى العراقى فى دور الاستقلال لم يكن قد شهد من قبل ولن يشهد
 من بعد ندا للشيخ عبدالحسين ، ولان نزول الشيخ الحلى على نظام (الروتين) الحكومى
 وقبوله دخول الامتحان كان لا يخلو من منقصة لامثاله ، ولكن آل الشيبسي أصروا .
 وما زالوا به حتى استقدموه من النجف الى بغداد ، وحتى ارغموه على دخول
 الامتحان الشكلى ، وتم كل شيء ، وظهرت النتيجة بانه لم يستطع اجتياز الامتحان
 بالنجاح المطلوب . . .!! وكثر يومذاك الحديث عن السبب الذى آل اليه الامر على
 تلك الصورة ، وكان الشيخ على الشرقى حينذاك رئيسا لمجلس التميز الشرعى .
 والشائع المعروف انه كان كل شيء فى هذا الامتحان ، وكانت بين آل الشيبسي
 وبين الشيخ على الشرقى جفوة طال امدها ولم تنزل حتى اليوم فاتهم انصار الشيبسي
 الشيخ على الشرقى بما آل اليه الشيخ الحلى ، ودافع الشيخ على الشرقى بكونه
 تلميذا من تلاميذ الشيخ عبدالحسين ، وانه درس عليه شطرا غير قليل من حياته
 المدرسية فليس من المعقول ان يوقع بالشيخ عبدالحسين من اجل خصومتهم لآل
 الشيبسي . وكثر يومها اللفظ والحديث وصار الناس صفين متعارضين بين متهم ،
 وبين مدافع ، فما رأيت والله ايمانا فى تلك الازمة والنفس فى اشد انفعالها لما وقع ،
 يحاكي ايمان الشيخ عبدالحسين الحلى ، ولا نفسا اكثر هدوا فى تلك العاصفة
 ولا صدرا اوسع حلما . من نفسه ومن صدره . وقد تلقى تلك الصدمة بصبر ما
 مثله صبر . وبحلم عز نظيره فى مثل هذه المعامع بينما ظلت قضيته تدوى فى اندية
 النجف طويلا .

ومثل هذا الموقف النبوي ، المخجل من الحكومة كان موقف النجف واكثر .
 تلك المدينة التي نهلت من فيض الشيخ عبدالحسين نحو خمسين سنة كأستاذ
 لعاهدها وكركن من اركان أدبها الرفيع وكعميد من عمداء الفقه والبحث والتحقيق .
 تلك المدينة التي تساوى العالم والجاهل . والكبير والصغير في معرفة الشيخ
 عبدالحسين بحقيقته . لا ادري كيف رضيت لنفسها ان تراه يغادرها الى البحرين
 بصفة رئيس للتميز الشرعى دون ان تحرك النجف ساكنا ؟ وهى تعلم - اى
 النجف - ان الشيخ عبدالحسين قد افنى زهرة عمره فى سبيل عزتها العلمية .
 وشهرتها الادبية . وهو عمر لو قضى الشيخ عبدالحسين بعضه - والبعض اليسير
 منه - فى مصلحة خاصة لبنى نفسه ما بنى . وعمر ما عمر . وكانت التبعة تقمع
 فى الدرجة الاولى على الزعماء الروحانيين . وكان بوسع هؤلاء الزعماء وحدهم
 ان يحولوا بين الشيخ وبين السفر من اجل العيش ، وكان المسؤول الاكبر فى ذلك
 السيد ابو الحسن الزعيم الروحاني الكبير .

وانى لاذهب الى ان موقف اهل بغداد مع عبدالوهاب المالكى فى القرن
 الرابع الذى حمله ضيق ذات اليد على السفر الى مصر ، والذى اجتمع حوله
 العلماء والفضلاء ليحولوا بينه وبين الهجرة فقال انه لو وجد من يدفع له كيلا من
 الباقلاء فى اليوم لعدل عن الهجرة . فبكى الجميع ولكن لم يظهر احد استعداده
 لسد هذه الخلة ، اقول اننى لاذهب الى القول بان موقف بغداد فى القرن الرابع مع
 عبدالوهاب - على نبوه - كان أنطف بكثير من موقف النجف مع الشيخ عبدالحسين
 فى القرن العشرين .

وكانت لى بآل الشيبى صلة وثيقة ، وكان لهذه الصلة الفضل فى توثيق
 اتصالى بالشيخ عبدالحسين بل ليتمكن اعتبار هذه الصداقة منى للحلى مدينة لتلك الصلة
 بال الشيبى اكثر من غيرها اذ هى التى زادت علاقتى وثوقا بالشيخ الحلى حتى
 تحولت الى صداقة متينة نشطت منذ اول يوم وصوله الى البحرين . وقد ظفر الادب
 الرفيع منها بخير مجهوده من الشعر والنثر . اما الشعر فقد ضمت جريدة (الهاتف)
 منه اقلبه ان لم يكن كله . واما النثر فأنى محتفظ له باضبارة من ارووع

الرسائل وابلغها وقد حكى الكثير منها ادق الاحاسيس وكشف عن اتجاهات ليس
بامكان احد ان يكشفها مالم يكن من الموهوبين ، واعتقد ان دراسة هذا الشعر والنثر
والتصدي لعرض حياة الشيخ عبدالحسين الادبية قد تكون ذات فائدة كبيرة في
دنيا الاداب الحية ، اما هو فانه لم يجن من علمه وأدبه الرفيع شيئا وهو حي ، أفيمكن
ان يجنى منه شيئا وهو ميت ؟

اقول لقد توثقت هذه الصداقة بيني وبينه حتى كتب لى مرة من البحرين

يقول :

(... وانى آمل ان لا ابقى خائبا دائما من رسائلكم الخاصة التى تبهج نفسى
وتزيدها نشاطا . وبالله أقسم وما على يمين : ان عمدة ما استفيد من الهاتف هو
تجدد ذكرى صاحبه آنا فأنا ، ثم تغذية الروح بما يجرى به ذلك اليراع السيال
من محرره لما فيه من أدب جم . وفن نافع . واخلاق جميلة ...)

وراح يغمرنى بعواطفه ويبعث فى (الهاتف) من روحه الادبية ما يقصر
القلم عن وصف اثره فى رافع مستوى هذه الصحيفة ، وصارت لاتمر مناسبة
دون ان يستغلها ليفيض بأدبه على الهاتف وصاحبه فيضا لايعرف قدره ، ولا يدرك
مداه الا الادباء والا الذين نهلوا من معين (الهاتف) وصاروا شعراء وكتابا عن
طريقه ، وما معين (الهاتف) الا عدد من نوابع الشعراء والكتاب المجلين وكان الشيخ
عبدالحسين الحلى فى طليعتهم ، فهذا هو يبعث للهاتف بقصيدة من البحرين ضمن
رسالة خاصة ويعنونها بكلمة (الود) مهنيا ، بمناسبة عيد رمضان من سنة ١٣٦١ ،
ويقول فيها :

حي اوطانى اذا سعدت	بالتحايا الغر اوطان
واصبحا با عهدتهم	وهم فى الله اخوان
لهم فى كل مكرمة	اثر بالفضل ملآن
كيف يخفى فضلهم وله	بينهم من لطفه شأن
(يا خليلي) انت لى وكفى	بك عمن لى قد كانوا
انت فى مرآك مشرح	لى ومن ذكراك سلوان

لك ودى لا ارتياب به
 اعرب (الراعى) (لهاتفه) (١)
 ومعان للكمال غدت
 انما (الراعى وهاتفه)
 وهما سفر فان فكته
 لك يولى العيد بهجته
 فاستق الاقداح فيه اذا
 وخذ الافراح منه وما
 واستمعها من فمى نغما
 لك اهديها محبرة
 كعقود الدر فصلها
 كل عقد لاتوازنه
 ما وراء الحس برهان
 عن مزايا بك تزدان
 هي روح وهو جثمان
 لشتات الفضل ديوان
 نفس من يهوى فبستان
 وهي الطاف واحسان
 صح ان اليوم نشوان
 هو الا بك جذلان
 للتهانى هي الحان
 وعليها (الود) عنوان
 بديع الصنع مرجان
 دلة تهدى وفنجان

وهو يريد بالدلة والفنجان هنا تلك الدلة التى اهداها لى السيد مير على
 والفنجان الذى اهداه لى الشيخ جواد فسام فى أبيات من الشعر حملت عددا من
 ائمة الشعر حينذاك على مباراتها ومجاراتها حتى كان من تلك المباراة والمجاراة قلادة
 ازدان بها جيد الشعر ، وكانت قصيدة الشيخ الحلى عين القلادة (٢) .

وزادت افضاله الادبية حتى راح يقرط اذن (الهاتف) بما يرينا من العقود
 التى حوى (الهاتف) الشئ الكثير منها مما يصلح ان يكون نواة دراسة ادبية عميقة
 لائمة الشعر والادب فى النجف ، ولا بد للقارىء ان يلمس حتى فى المناسبات
 الخاصة ، مزاجه واتجاهاته ، ومنحى تفكيره ، فهو حين يقرض كتاب (فى قرى
 الجبن) مثلا وهو احد مؤلفاتى القديمة فانما يقرضه بما يستوحى منه وما يحب ان

(١) الراعى ، والهاتف ، الجريدتان اللتان اصدرتهما انا فى النجف ، ثم انتقلت
 الهاتف بعد ذلك الى بغداد .

(٢) يجد القارىء بعض الامثلة من قصيدة الدلة فى عرضى لايام السيد مير على
 والشيخ محمد حسن حيدر من هذا الكتاب .
 المؤلف

يكون له من الاثر في نفسه ، وما قد يستتبط منه من القواعد ، كقوله من أصل
قصيدة بهذا المعنى :-

بنى المنهدم الجن ورحنا نهدم المبني
تقلنا مع الايام من وهن الى وهن
واخلدنا الى الارض ولكن بغية الدفن
غنيا نحن بالراحة والراحة لا تغنى
وما الراحة للانسان الا العمل المضنى

واشهد انه راح ضحية تفانيه في خدمة العلم والدين والادب . وكان صاحب
رسالة ادبية لاتحسب انه قد خلق لشيئى غيرها ، وانه ليهيجه الموضوع الادبي
الخلقى اكثر مما يهيجه اى شئى فى الدنيا حتى وان كان ذا مساس بحياته المادية
وقد كان يسكن بالقرب من بيته شخص يبيع الخضروات ما رآه مرة في
الطريق الاوخف اليه واخذ يده وطبع عليها قبله حارة وقال :

«عمى الشيخ عبدالحسين يمته تصلى حتى نصلى وراك؟» فاجابه الشيخ ذات
يوم «انت ابدى وانا اصلى وراك» فقفز (الخضرواتي) كالدفع وهو يستغفر قائلاً :
- استغفر الله يا شيخنا استغفر الله ***

وهذا الجواب وحده من الشيخ (انت ابدى وانا اصلى وراك) يدل ذلك كم هو
راغب عن الجاه والزعامة ، وعازف عن الشهرة وجازم منذ اليوم الاول على عدم
ترشيح نفسه للزعامة الروحية حتى ليرضى بان ياتم ببائع المخضرات فى سبيل ان
يترك لسانه . ويعيش غير مقيد ***!!

ولقد كان للهاتف يوم باسم (يوم الهاتف الادبى) وهو يوم الاثنين من كل
اسبوع وقد جرت العادة ان يجتمع الادباء فى هذا اليوم بمكتب الهاتف ويبدأ
احدهم بتسجيل ما يتداولون فيه من احاديث ونقاش فيشر ذلك فى الهاتف تباعاً ،
ثم حدثت هنالك امور تعطل بسببها هذا اليوم وسحبت من الجريدة اخباره ووقائعه ،
ولقد كان لتعطيل هذا اليوم صدى فى نفوس بعض الادباء ، ولكنه كان فى نفس
الشيخ عبدالحسين عاصفة . وعاصفة هو جاء اكتسحت كل شئى امامها وقد ظهر

اثرها في قطعة نثرية رائعة وقصيدة شعرية اروع منها ، بعثها من البحرين جاء فيها :

فقدت سبعين عاما لم تزد كربي لها كفقدي (ليوم الهاتف) الادبي
قد كان لي سلوة عما اكابده - اعاذك الله - من هم ومن وصب
قالوا أتبدل عاما من سواء ولا والله مالي بذلك العام من ارب
سئمتها صحفا ليست مطهرة ولا بأيدي كرام سادة نجب
ما كنت انفقت في يوم بها ذها فكيف اتلف فيها وقتي الذهبي
ولم تكن راحتي يوما بها وكفى ان لا يكون بها في ساعة تعبي

وكل القصيدة على هذا النمط وهي دليل على ما كان يعطى الادب من أهمية .
وما كان يريد ان يكون الادب وتكون الصحف عليه من جلال وكمال ومنفعة .
وكان برا بالنجف . وكان متفانيا في حبها ، وكان يرى ان السعادة تحل بين تلك
الاجواء الادبية التي تحكيها مجالسها . فمن هناك . فمن البحرين كان يكتب لي
سائلا عن كل جزئية وكلية حتى عن (باچه) الشيخ محمد چيوان والمشاركين فيها
والتي عقد الهاتف عنها فضلا وعلق عليها البعض تعليقات ادبية فكهية في حينها ،
وكان يتعقب ندوة (الصفوة) التي كان يترأسها السيد على بحر العلوم ، والتي اعتادت
ان تجتمع في كل يوم ارباء بيت السيد مير على أبي طينخ وتتحول هنالك الى ندوة
علمية لغوية ادبية . فكان يكتب لي سائلا عنها ، مستفهما عما يدور فيها من نقاش
ادبي ، ومن طرائف شعرية ، وكان يتعقب حركة (جمعية منتدى النشر) خطوة
فخطوة وان له الفضل الكبير على النجف - في خلق المناسبات الادبية . وانعاشها
بعد ان طرأ على أدب النجف شيئي غير قليل من الخمول ، والفتور والركود بسبب
انتقال طائفة من رجال ادبها عنها . كآل الشيبسي . والشيخ على الشرقي .
واحمد الصافي ومهدى الجواهرى واحست النجف على أثر مغادرة الشيخ عبدالحسين
الى البحرين بالفراغ الكبير ، وبالخللة التي خلفها في جميع النفوس ، وظلت ذكراه
ملء القلوب ، وراحت الايدي تتخاطف كل عدد من اعداد الهاتف الذي يحوى
شيئا عن خواطره .

وعند قيامه بالزيارة الاولى للعراق قادما من البحرين استحال النجف كلها

الى مهرجانات أدبية حتى ضاقت اوقاته بالندوات الكثيرة • وامتلاء بيته بكبار العلماء ورجال الادب ، واسمعتة النجف قصائد فاضت بالحب والاخلاص والتجلة لمقامه العلمي • واحتفت به احتفاء قل نظيره ، وقد طال بطول ايامه التي قضاها هنا •

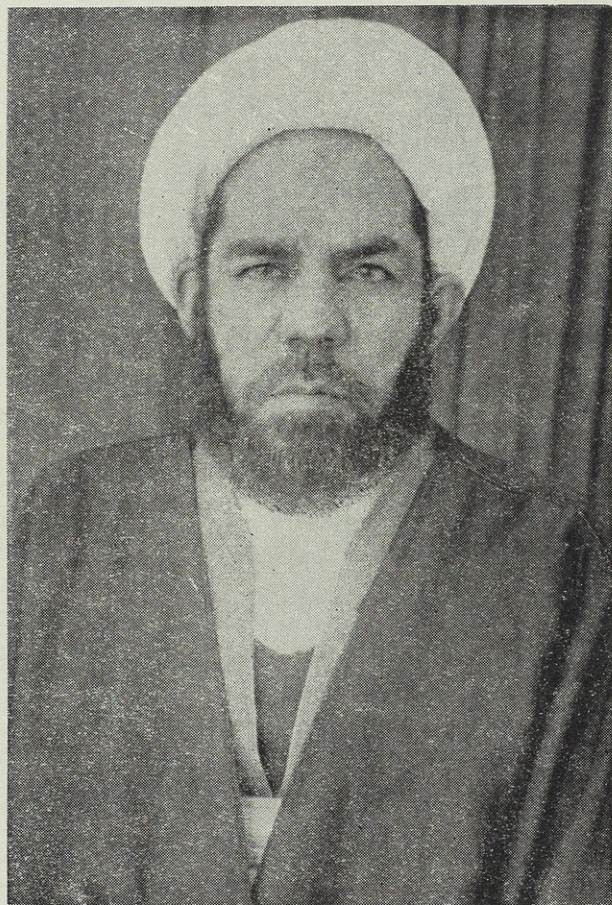
وحين رجع الى البحرين لقي في الطريق شيئاً غير قليل من عدم الراحة وحين وصوله الى البحرين مرض مرضاً شديداً وقد كتب لى على أثر ذلك يقول :-
«♦♦♦ واشد من كل مالاقت اذية هى الوحشة التى لازمتنى فى البحرين ، فليتنى لا رأيت العراق من قبله • اوليتنى لم اجد فيه نعيماً مما يلد من موجودات العراق ♦♦♦»

وبادلتة النجف عين هذا الشعور فقد أحست بوحشة أكبر • وبألم أمض • وتمنى كل واحد لوان الشيخ عبدالحسين لم يقدم النجف • ولم يجدد عهده بها • وطفح الشعوران شعوره وشعور النجف على الكثير من صفحات الهاتف • وساءت صحته • واعتل جسمه • اما الذى لم يسؤ ولم يعقل فهو شعوره ، واحساسه ، وقلمه ، وقد ظل تفكيره خصباً يفيض بالحيوية • لقد ظل كما وصفه هو من قصيدة عامرة بقوله :

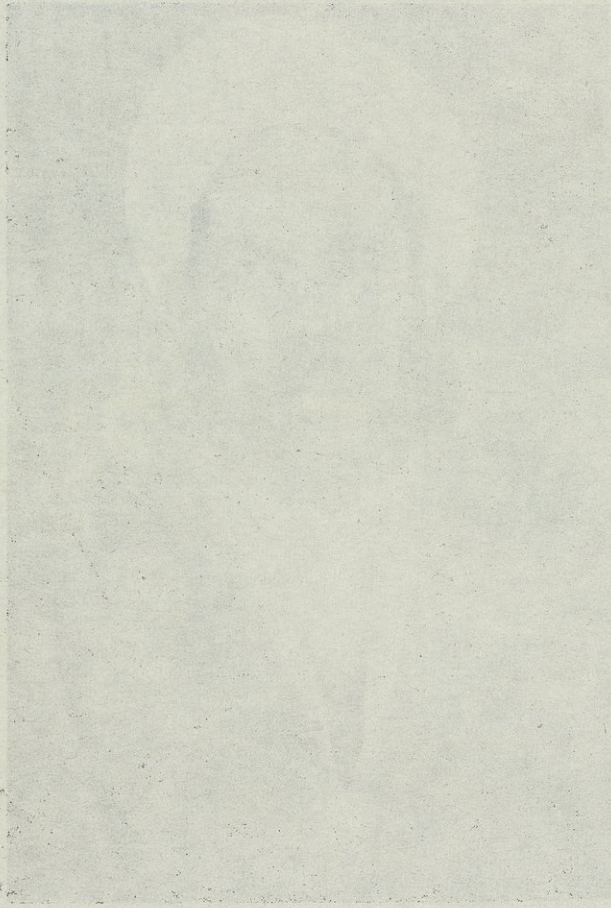
تطلعت من المربأ	الى العود الى المبدأ
وسرحت به طرفاً	حديد الطرف لا يخسا
وفكرا لم يزل يخطو	ولكن قلما يخطأ
حديدا لم يكن ينبو	اذا شم ولم يصدأ

وحدث بينى وبينه ما يشبه الجفاء وليس هذا مورد ذكره - فانقطعت مكاتيبى عنه • وانقطعت مكاتيبه عنى • ولكن ذلك لم يمنعه من ان يقصدنى ببغداد قصداً - وكان قد جاء من البحرين ليقضى اياماً فى النجف - فممرنى بلطفه ، وشملنى بعطفه وطوانى بحلمه • ورأيت فى هذه المرة شبح الموت ماثلاً فى ضعفه وهزاله • وهالنى ان أراه فى هذا الضعف • وفى هذا الهزال وقد اهدى لى آخر صورة له وقال انها الصورة المفضلة عنده لانها تحكيه وهو فى شتاء العمر ♦♦♦!!

ولم يكتب لى بعد ذلك ان أراه • وكانت الهاتف قد تعطلت عن الصدور •
فحرمت • وحرمت القراء • وحرمت التجف فى فترة هذا التعطيل من التمتع بذلك
الادب الساحر • والعلم الزاخر • والمثل الاعلى للمخلق الرضى والقلب الطاهر •
وكانت وحشة اخرى شعرت بها التجف تفوق ما سبق لها من شعورها بغيبة
الشيخ عبدالحسين • ذلك لأن هذه الوحشة لن يزيلها من الذهن مزيل مادام
الشيخ عبدالحسين قد مات فى البحرين !! • وبموته انطوت صفحة من المع صفحات
العلم والادب فى هذه المدينة المقدسة فوالهفتى على تلك الذكريات الحبية •



الشيخ قاسم محيي الدين



Handwritten text, possibly a signature or name, located below the watermark. The text is very faint and difficult to read, but appears to be written in a cursive or semi-cursive style.

الشيخ قاسم محي الدين^(١)

تعود بي الذكرى الى ايام الطفولة وانا صبي العب مع الصبيان في آخر الشارع او فيما يلي آخر الشارع من محلة العمارة في النجف ، وفي هذا الشارع كان يقوم بيتنا كما يقوم بيت الشيخ امان محي الدين (والد الدكتور عبدالرزاق محي الدين) . وكنت ارى بين مرتادي هذا البيت شابا يلبس (اليشماغ) ومن فوقه عقال احمر داكن . ولا يستلفت النظر لولا مشية خاصة يخيل الى الراثي انه يجبر قدميه فيها جرا . ويميل فيها نحو اليمين ونحو الشمال اذا ما اسرع في خطواته ، ولولا انف كبير كان اكثر بروزا من عقاله الذي كان ينفرد بلونه الاحمر الداكن بين مئات «العقل» في ذلك اليوم . ثم رأيت بعد ذلك غير مرة عند اخي في مدرسة اسرتنا آل الخليلي ، ثم عند اخي في بيتنا ، فعرفت انه الشيخ جاسم محي الدين . وانه يسكن في الطرف الاخر من محلة (العمارة) وبالقرب من (السور) ، وانه ابن اخت الشيخ امان محي الدين ، وانه يقوم بزيارة خاله بين آونة وأخرى لمحض الزيارة أو لارتياح مجلسه ، والتمتع بما يدور فيه من الاحاديث الادبية والعلمية ، فقد كان لخاله الشيخ امان ديوان تحضره طبقة من أهل الفضل والادب ، ويمتد بعض الاحيان الى منتصف الليل ، ثم تزوج الشيخ جاسم ابنة خاله وما زلت اذكر خروج العروس الى بيته ، واذكر صفا من طلاب العلم الذين قاموا بالزفاف وقد لحنوا التسيب تلحيناً راقصاً جميلاً يهز السامعين . فكان البعض منهم ينشد وهو في حال اشبه بالرقص أو الدبكة صارخاً بنغمة حلوة خاصة :- الله . الله .

(١) جريدة اليقظة - ٣٠/١١/١٩٥٦ .

فيجيب الآخرون بتلك النعمة وعلى رويتها ولحنها :- سبحان الله •
وقد ظلت مدة طويلة وأنا اردد هذه الازوجة الجميلة بلحنها ، ونعمتها ،
كلما ركضت ، او صعدت السلم ، او هبطت منه ، وقد صار تردد الشيخ جاسم على
بيت خاله بحكم هذه المصاهرة اكثر واكثر •

ولم ادر كم مضى حينما بدأ اسم الشيخ جاسم يتردد على المسامع ، ولكني
الفيت ان صورة ذلك الشاب - المعقل - المتردد على ذلك النحو الى بيت خاله بدأت
تغيب عن الذهن ، وتحل محلها صورة لشخص في عمة بيضاء ، وجبة نقيه ، وعباءة
خفيفة تدل على شيء من الاناقة النسبية ، وانه كان يجلس للدرس ويتحلق حوله
عدد من الطلاب الذين يدرسون المقدمات ، والادب العربي ، وبعض الفنون التي
اخص بها الشيخ جاسم ، وانفرد من دون انداده واترا به من طلاب العلوم العربية
والدينية بتدريسها حتى اشتهر بذلك • وحتى تكاثر عدد طلابه الذين بدأوا
يدرسون عليه المقدمات والعروض منها بصورة خاصة ، ولم يتفق الا للقليل - من
شباب ذلك اليوم الذين شقوا طريقهم فيما بعد وكان لهم شأن في الفقه ، وفي
الشعر ، والادب - من لم يأخذ بالنصيب الوافي او التقليل من اندرس على يدي الشيخ
جاسم محي الدين في النجف ، ومن اشهر هؤلاء كان الشيخ محمد كاظم الشيخ
راضي ، والشيخ محمد رضا المظفر ، ومحمد مهدي الجواهرى ، وسلمان الصفواني
والدكتور عبدالرزاق محي الدين ، وصالح الجعفرى •

وكان الشيخ جاسم وحيد امه ، ولم يكن لها غيره ، فعنت به كثيرا ، وفتحت
له بيتها ليتخذ منه ديوانا على غرار ديوان خاله ، ومجلسا يسمر فيه طلاب العلم
والادب من امثاله • فكان يقضى اوقات الفراغ في بيته لاهيا بقرض الشعر والمساجلة
في النظم • ومزاولة الترقية - وهي نوع من انواع التسلية الادبية المعروفة في
النجف اذ ينشد المشد بيتا من القصيدة ، وحين يصل الى نهاية البيت يقف
منتظرا لنطق الآخريين بالقافية التي يكونون قد عرفوها بالقرينة والسياق وقلما كانوا
يخطئون في الترقية (١) •

(١) لقد جاء وصف الترقية في مواضع اخرى من هذا الكتاب وصفا كاملا •

واشتهر مجلس الشيخ جاسم محيي الدين بمثل هذا اللون من الادب والتسلية، وبدأ
يؤمّه الكثير من ائداد الشيخ ، وزملائه ، وتلاميذه ، وصار للشيخ جاسم بعض
الشأن عند اهل العلم وارباب المجالس . فلقد كان جريئاً ، وكان فصيحاً ، واذا
اجتمعت الجراة والفصاحة عملتا الاعاجيب . وكان الى جانب ذلك يستظهر الكثير
من الطرائف العلمية والنوادر الادبية وكان يبحث عنها في الزوايا والخبايا ويفتش
عنها في جميع المظان ليستشهد بها في اماكنها ، ويأتي بالجنب الساحر منها عندما
تجىء المناسبة ، وقد دفعت به هذه الرغبة الى ان يحفظ طائفة كبيرة من الامثال ،
والنصوص ، والاقوال ، وطائفة كبيرة من شعر القريض والشعر العامي حتى كان
اشبه بخزانة نفيسة من الطرائف والبدائع الادبية .

والى جانب ذلك كان يحفظ الشيء الكثير من صور المشاكل ، والمسائل
الفقهية العويصة ، وطرق حلها عند البعض دون البعض ، ويحفظ تاريخ الكثير من
القضايا التي اهملها التاريخ ، كما كان يروي عددا من القصص الممتعة التي كان
ينفرد بنقلها وكيفية حكما ، واذا اضفنا الى ذلك سخاءه وكرم نفسه وجه للناس
ادركنا سبب تجمهر الادباء والمتأديين حوله وكثرة عدد طلابه الذين كان يسخرهم
لكثير من الاغراض فيلبون اوامره بطيبة خاطر ، ولما كانت حالته المادية يومها حالة
ضيقة ، ضيقة ، بحيث لم يكن من السعة ليستخدم احد للقيام
بشؤونه كان يعهد الى طلابه بان يستسخوا له بعض الكتب ، ويفرشوا له مجلسه ،
ويجلدوا كتبه ، وقد ظل يستخدم طلابه هؤلاء لمختلف الاغراض حتى بعد اجتيازهم
مراحل التلمذة ، وحتى بعد بلوغهم مراحل الاجتهاد ، وذلك لما عرف به من قوة
الشخصية ، وما كان يتبع من اساليب تحملك شئت ام ابنت على تنفيذ الكثير من
اوامره .

وكان صالح الجعفري ، والدكتور عبدالرزاق محيي الدين يلقيان من العناء
والمشقة اكثر مما يلقاه الآخرون ، فيما كانا يقومان به من ملء الجرار بالماء ، ومن
فرش ديوانه ، ومن وقوفهما في خدمته الخاصة والعامه .

وقد تعرضت جريدة الهاتف ذات مرة الى هذين الاديبين في سياق

محاكمات أدبية كانت تعقدتها جريدة الهاتف بين آونة وأخرى على لسان الادباء فكانت تقيم الدعوى على صفحاتها من قبل البعض ضد البعض ، وقد فرضت الجريدة إقامة الدعوى مرة من جانب (الجعفرى) وزميله عبدالرزاق محيي الدين على الشيخ جاسم ، ووجهت الدعوى توجيهها ادبيا فكيفها ثم اوقفتها مرة كمدعين ، ومدعى عليهما مرة اخرى ، وقد ظلت تلك المحاكمات موضع تندر الكثير من القراء .
وظالما ابدى الشيخ قاسم اسفه - وذلك على سبيل الدعاية طبعاً - لقد كان يبدى اسفه لاننى لم اكن من ضمن طلابه الذين قرأوا دروس العربية عليه قائلاً :-
- ان الانتساب له ، وتلقى ادرس عليه ليعد مفخرة للطالب ، وان الذين لم يكتب لهم ان يأخذوا العلم منه لم يكتب لهم التوفيق ! (انه كان يقول ذلك مازحاً) وقد قال لى ذات يوم :-

- ليس عليك من بأس اذا لم تتلق علومك العربية على ، ولكن هسل هنالك بأس لو عرفتى بأستاذك الذى درست عليه العلوم العربية ؟
قلت له - انه الاستاذ عبدالمنعم الحكام ، فضحك الشيخ جاسم وقال :- الم اقل لك ان من الخير لو كنت تجيب حين تسأل : بأنك قد درست على ؟
قلت - وما الضائر فى قولى الحقيقة بانى قد درست على الشيخ عبدالمنعم الحكام ؟

قال - ان استاذك هذا كان من ابلد تلامذتى ، ولكنك استنكفت ان تتصل بى مباشرة وتقول بأنك درست على بينما لم تستنكف ان تتصل بى من طريقه !!
ولم يمر بعض زمن حتى لمع نجم الشيخ جاسم ، وكان له فى قصبة (القاسم) من لواء الحلة محبوبون زادوا على مرور الزمن خصوصاً بعد ان اصطبغ الشيخ جاسم بصبغة العالمية و (الوكالة) ، وبعد ان ايدهته المراجع الدينية فكان عالماً تلمزه ظروفه بقضاء بعض الوقت من كل سنة فى تلك النواحي من قصبة القاسم ، واصبح بعد ذلك يدعى بالشيخ قاسم .

وفى قصبة (القاسم) مدفون الولى (القاسم) سليل الائمة الاطهار ، وقد قدم الشيخ قاسم للناس هناك كما يقعد فى النخف وعمر مجلسه بالزائرين وبالضيوف الذين

كانوا يفتنون الى ضريح (القاسم) للاستجابة بزيارته فينزلون في ضيافة الشيخ قاسم ،
وجل ضيوفه هناك كانوا من فضلاء النجف وادبائها ، وقد قضى الخطيب السيد
صالح الحلبي وعدد من تلامذته في بيت الشيخ قاسم في قصبه (القاسم) اياما وصلت
اخبار نكتهم الادبية وقصصهم الى اقصى مدن الفرات ، وللان وأهل القاسم يذكرون
تلك الايام التي قضاها السيد صالح في ضيافة الشيخ قاسم وما طعموا به الادب من
ملح ولطائف ♦

وقد قصد مرة السيد احمد الموسوي الهندي زيارة الامام الحسين ، ومن هناك
عرج على زيارة (القاسم) ونزل في ضيافة الشيخ قاسم ، ثم اتم رحلته بزيارة الكاظمين ،
وعاد الى النجف وكتب للشيخ قاسم محيي الدين شاكر اياه حسن ضيافته وموجها
له هذين البيتين :-

المهي لك الحمد اذ قد قضيت لي الفوز مكتملا (بالحسين)
ويسرت لي شرف الانتقال من (القاسمين) الى (الكاظمين)

وكثير هي المناسبات التي بعثها وجود الشيخ قاسم في النجف ، وفي (القاسم)

لقرض الشعر والمساجلات الادبية ♦

وحين يبلغ الشيوخ من رجال الدين مرحلة العالمية يتغير الشيء الكثير من
اخلاقهم وسيرتهم ، فاللحمة يجب ان تطول اكثر ، والعملة يجب ان تكبر اكثر ،
والضحكة يجب ان تنقلص وتتجمع فلا تزيد على ابتسامة خفيفة ، اما الكلام فيجب
ان يقل او يقتصر اكثره على الحمد له والحوقة والاستغفار واما المشية فيجب
ان تكون موزونة ، رتيبة ، ثقيلة ، ولكن الشيخ قاسم وقد
وصل مرحلة (الوكالة) قلما اتزم بكل هذا او باكثره ،
فكان كثير الدعابة والمزاح ، بشوش الوجه دمثا ، حتى يشق عليك ان
تفارق مجلسه ، او ان تطول غيبته عنك ، او غيبتك عنه ، بمقدار ما يشق عليك
الجلوس عند امثاله ممن تهيئوا للزعامة الدينية ، أو ممن كانوا وكلاء للزعماء أو
أقل من الوكلاء . واني لاعرف رئيسا روحانيا انقادت له الامور حتى كان من
أكبر المراجع الدينية ان لم يكن اكبرها ، ولم اعرف انه قد اتفق لهذا الروحاني

ان ضحكك أو ابتسم ، وقد وضعت على لسانه روايات اذا لم تصح فهي تلائم وضعه
كل الملائمة ، فلقد قيل عنه انه سأله السائلون مرة :

- هل اتفق لكم يا مولانا مرة أن ضحككم ؟...

- فأجاب على ما يزعم الرواة - لقد اجاب قائلا :-

- ولم لا ؟... فقد يتفق ذلك بعض الاحيان ؟...!

اما مشية الشيخ قاسم فهي كما كنت رأيته وانا طفل صغير هي . هي . لم تزد
ولم تنقص ، فهو يخط الارض بقدميه ، ويمشي في بعض هزة نحو اليمين ، وفي
بعض هزة نحو الشمال - وهذا في النهار طبعاً - لان الشيخ قاسم كان اعشى لا يخرج
في الليل اذا ما استئينا أيام شبابه . وقد قيل عنه انه رأى سواد ذات ليلة فسلم
عليها ، ولكنه ظهر بعد ذلك ان تلك السوادة كانت حماراً . وقيل انه كان
يستغل عشوائته فيمضي في دعابته ومزاحه لحد بعيد ، فهو حين يرى الشيخ كاظم
السوداني مثلاً ، يتظاهر بانه لم يعرفه ويروح محققاً اليه وسائلاً :- أسطه
بمرور هذا ؟

وأسطه بمرور عامل بناء ، خلق منه الشيخ قاسم شخصية فكهة مضحكة ،
وكان للشيخ قاسم خادم امي قروي اسمه (مشكور) فسماه بالشيخ مشكور ، وحين
اعترض المعترضون عليه قال :-

- ان خادم المشايخ يجب ان يكون شيخ الخدام ، فما هو وجه استكثار لقب
(الشيخ) على الشيخ مشكور ؟ فضلاً عن ان هناك كثيراً ممن يحمل لقب (الشيخ)
بيننا وهو اقل فضلاً من الشيخ مشكور !!..

اجل ان الشيخ قاسم لم يتغير على الوجه العام ولكن هنالك حالات كانت تلزمه
بان يكون اقل دعابة ، وقل مزاحاً ، وقل تحدثاً في غير الفقه والحديث الشريف ،
وذلك حينما يكون في مجلسه اناس لا يستطيعون ان يسمحوا للعلماء بان يكونوا
على تلك الصفة من الانطلاق ، ففي مثل هذه الاحوال يضطر الشيخ قاسم الى ان
يكون على خلاف سجيته وطبيعته ، وكانت بين الشيخ قاسم وبين حضار مجلسه علامة
برعاها هؤلاء كل الرعاية عندما يكون في مجلسه شخص لا ينبغي ان يضحكوا امامه

ضحك الادميين ، او يظهر وا امامه بمظهرهم الحقيقي البعيد عن الرياء ، وكانت العلامة هذه هي ان يمد الشيخ قاسم يده الى لحيته كمن يريد ان يمسدها او يريد ان يستغفر ربه ، ويرفع رأسه الى السماء ويقول في شبه تنهدة او آهة :-

- يا مستعان يا الله •

وهنا يقيد اصحابه انفسهم ، فيمسكون عن الدعابة والمزاح والانطلاق على السجية وأخذ الحرية التي اعتادوا ان يأخذوها كاملة في مجلس الشيخ قاسم الخاص •

واذكر مرة ان كان الشيخ محمد علي الجعفري شقيق صالح الجعفري يناقش قضية اضطرته الى دخول جدل عنيف في بيت الشيخ قاسم ، وكان يحضر ديوانه آنذاك رجل كان من المناسب ان لا يطول هذا الجدل امامه ، فراح الشيخ قاسم يرفع رأسه الى السماء ويمد يده الى لحيته ممسدا ويكرر القول :-

- يا مستعان يا الله •••• يا مستعان يا الله •

فقال الجعفري - لاتربك نفسك يا شيخى ، فانتى لن اعبأ (بالمستعان) وغير المستعان ، ولن اسكت حتى اثبت للجالسين خطأهم • وكان ان امثل الجالسون لامر الشيخ ، ونزلوا على رأى (الجعفري) ، وكفوا عن المناقشة ، فاضطر الجعفري ان يكف هو الاخر •

واتسعت دائرة الشيخ قاسم محيى الدين ، وطاب مجلسه بالعلماء والادباء ، وبعد صيته ، وتجاوز النجف ، وحين سافر الى لبنان لاول مرة جاء معه بشاعر زجلي معروف بالارتجال يسمى (ابا سظام) وانزله عنده ، وجمع فى بيته شعراء الزجل من النجفيين وفتح فى وجوههم باب المساجلة بالمديح مرة ، والمهاجاة اخرى ، وظل بيته عدة ايام كسوق عكاظ مزدحما بالمشاهدين من كل جانب حتى لم يعد لاحد موضع قدم للوقوف فى داره •

ومثل هذه المساجلة جرت بينه وبين عدد من علماء جبل عامل الذين درسوا العلم فى النجف ، وعدد من اديانهم حين زار تلك الربوع فكانت مساجلات ومباريات قلت نظائرها ، وقد اشارت اليها مجلة (العرفان) فى بعض اعدادها ، وعلق

عليها الكثير من الادياء ، واكثر ذلك كان قد جرى بينه وبين الشيخ محمد رضا الزين فقد اخذ الزين - في بعض ما اخذ على الشيخ قاسم - في معرض سماجة اللفظ عند العراقيين قولهم :-

(منجاسة ، ورازونة ، وعتوى ، وبزونة ، ومناك) فاخذ الشيخ قاسم على اللبنانيين والعامليين قولهم -

♦ (جمطاسة ، وطنجرة ، وتطرطش او اعيك ، وهونيك)

ودخلت هذه الالفاظ وغيرها في الشعر ، فكانت منها قصائد عامرة حفظها الكثير من ادياء النجف وادباء البطية ، ونشر الكثير منها في مجلة (العرفان) والبعض منها نشره (الهاتف) في بعض المناسبات ♦

وكان للشيخ قاسم مجلس خاص يقتصر ارتياده على طبقة محدودة ، كان منها الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم الشيخ راضي ، ومحمد الخليلي ، والسيد هادي فياض ، والشيخ محمد جواد الشيخ راضي والسيد محمد جمال الهاشمي ، واشخاص آخرون لسنا في صدد حصرهم ، وفي هذا المجلس كان الشيخ قاسم ورفاقه يتسبطون اكثر ، ويتمتعون بحرية كاملة في لهوهم الادبي البريء الذي لو اتبح لجامع ان يجمع الوانها لكان منه سفر فني ممتع لادب النجف الحر المشرق ♦

واني لاذكر يوماً وقد تم الاتفاق فيه على ان يزور جمع من هؤلاء الرفاق بيت السيد محمد جمال الهاشمي ليلاً وان يلهوه بالحديث على قدر الامكان ريثما يتسنى للشيخ محمد الشريعة ان يفك رباط خروف كان للسيد محمد جمال فيسلمه لخدام آل الشيخ راضي ، ويذهب به هذا الى بيت الشيخ قاسم محيي الدين حيث يكون هنالك الشيخ عبدالجليل العادلي بانتظاره لذبحه وطبخه ♦

وهكذا كان ، وخف الرفاق الى بيت السيد محمد جمال الهاشمي فواذا كأنهم نيسوا على ميعاد ، وتكامل المقعد بعد ساعة من الموعد ، ونصب السمساور الكبير واديرت كؤوس الشاي ، واستمد الهاشمي للقيام بالخدمات اللازمة ، ولكن البعض اقترح عليه ان يتلو عليهم قصيدة (الغدِير) وكانت من قصائده الجديدة

التي اخذت ماخذها من مستمعها عند اشادها قبل ايام ، فجاء بها الهاشمي وبدأ يقرأ وبدأ الجمع يستعيد ويكرر الاستعادة ليشغل الشاعر عن الالتفات الى غرضهم ، وحذرا من ان يصل صوت الخروف - والشيخ محمد الشريعة يفكر باطه - الى مسامع الهاشمي اقترح البعض ان يهتفوا بالصلاة على محمد كلما قرأ السيد محمد الهاشمي بيتا ، او كلما سمعوا للخروف صوتا ، حتى وان جاءت هذه الصلوات في غير محلها وفي غير مناسبة

وعندما احس الجمع بان الشيخ محمد الشريعة قد اوشك ان يخرج بالخروف الى باب الدار ، وانه على وشك ان يفتح الباب خشوا ان يصل صوت قرعة المزلاج الى مسمع الهاشمي فيحس ويفسد التديير ، فقرروا ان يهتفوا بالصلوات سبعا متوالية ودوت تلك الغرفة الواسعة بتلك الاصوات المفضحة :- اللهم صل على محمد وآل محمد . اللهم صل . . . الخ .

ودعى السيد محمد جمال الهاشمي الى تناول الغداء في اليوم التالي في بيت الشيخ قاسم ، وقد طهى الشيخ عبدالجليل من لحم الخروف انواعا من الاكلات ، وتليت في ذلك النهار بعض المراثي الشعرية المرتجلة للخروف المذبوح ، كما قدمت للهاشمي قطع من اروع الشعر على سبيل التعزية والمعدرة والاستغفار .

ولست انسى يوما دعينا فيه الى بيت الميرزا صالح الخليلي في الكوفة ، وقد تم هنالك عقد اتفاقية التحقت ببروتوكول في عشرات من المواد بين الشيخ قاسم والسيد احمد الهندي على ان يضعا حدا للتهاجي الادبي للخشوم ، فقد كان قد مر عليهما نحو عشرين سنة وهما في تهاج لم يعرف الادب نظيرا له في عالم المرح والظرف سواء بالشعر او بالثر ، وان المعاهدة الخشمية التي وضعت والتي نشرتها جريدة (الهاتف) هي الاخرى قطعة ادبية رائعة تضيق هذه الممحة الخاطفة بايرادها هنا ، فقد عرف كل من الشيخ قاسم محيي الدين والسيد احمد الهندي بضخامة الانفر بحيث قل من يحاكي انفيهما حجما وشكلا .

ولقد بلغت هذه المباراة الخشمية بين الشيخ قاسم والسيد احمد اقصى حدود الروعة من حيث الجنس ، والبديع ، والتورية ، ويؤمنني ان لا امستحضر الان

ما نظمه الشيخ قاسم عن انف السيد احمد الهندي لعدم استطاعتي القيام بتقليد
اصاير الرسائل والاثار الادبية في الوقت الحاضر ، ولعل فاعل ذلك في مناسبة
اخرى ، وهذا بعض ما قاله السيد احمد الهندي في انف الشيخ قاسم وهو يكفي
للدلالة على البراعة الفنية الادبية والمقدرة الكافية على التلاعب بالمعاني والالفاظ :-

قال السيد احمد في بعض ما قال عن خشم الشيخ قاسم :-

سمتك امك (جاسما) فتصرف الـ قدر المتاح فصرت تدعى (خاشما)
قاسمت هذى الارض كل جبالها بعظيم انفك فلنسمك (قاسما)
ولكم حسمت مشا كلا يا قاسما يا حاسما ، يا خاشما ، يا جاسما
وللتفنن عاد الهندي فاخصر تلك الايات بما يلي :-

سمتك امك (جاسما) وأراه صحف (خاشما)
قاسمت هذى الارض كل جبالها يا قاسما
ولكم حسمت مشا كلا فدعيت فينا حاسما
يا حاسما ، يا خاشما ، يا قاسما ، يا جاسما

وكانت المعاهدة الخشمية التي تم بموجبها الصلح واثقاء السلاح بين محبي
الدين والهندي ، تحوى على مواد وشروط غاية في الادب والدعابة والفكاهة ،
فكان من موادها ان يتعهد الطرفان بان يتجنبنا ذكر الخشوم لفظا ومعنى في كل
حديث لهما فلا يصح ان يقولوا لاحد - ولو في عرض الكلام - (على رغم انفك)
ولا يصح ان يوردا في عرض كلامهما اسما (لخشم الدلة) او (خشم الطبر) او طير
(ابو خشوم) مثلا كما لا يصح ان يناقشنا قول القائل بان الانفونترا انما هي (انف
العزوه) بل عليهما ان يرفعا حاجيهما الى الاعلى علامة النفي وعدم الموافقة ، واذا اراد
المتاهدان ان يحتشما احد المتواضعين من الناس فلا يجوز لهما ان يقولوا له الكلمة
المألوفة وهي (مخشوم) وذلك لثلا يتبادر الى الذهن بان المقصود هو (المخشوم) وهو
تعريض ربما يعيد الحرب الى حالتها الاولى ، ومثل هذا حوت المعاهدة الخشمية
الشيء الكثير من المواد المنشورة في الهاتف .

وفي تلك الجلسة بالذات تلا الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم

الشيخ راضى والشيخ محمد جواد الشيخ راضى ، والميرزا محمد الخليلي ، والميرزا صالح الخليلي مقاطيع وابياتا مرتجلة ضمنوها شيئا من التعريض بخشمى الطرفين المتعاهدين واتخذ كل واحد من الحاضرين بطلا له رمز به الى الشيخ قاسم او السيد احمد الهندي فكانت اول جلسة للادب الرمزي الفكهي الرفيع وقد استهل الميرزا محمد الخليلي مقطوعته المرتجلة بما يلي :-

لكل قوم بطل فى الزجل وبطل فى زجلي (مشتى على) (١)
مشتى على حديثه حلو طلى يا ما احيلاك (ولك) مشتى على

ولم انس يوم قرأ الشيخ قاسم على هذه الزمرة من الرفاق الف بيت من الرجز الذى نظمه فى سلاطة بيته وهم يتناولون طعام الغداء عنده ، فانصرفوا من بيته وقد بيتوا له امرا وهو ان يأتوه ان حان الغد بعدد من الارجيز والقصائد يهاجمونه فيها ويتناولون سلاته التى اوصلها بالسند الى ابينا آدم بالهجاء على سبيل المزاح وهكذا فعلوا ، وكان لتلك القصائد رنين ، وكان لها دوى وقد نشر (الهاتف) عنها شيئا فى وقته وما عدا هذه المناسبات الادبية كانت هنالك مناسبات كثيرة لا يتسع لذكرها صدر هذا المختصر من الحديث ، وكان من اهمها الحلبة الادبية المنعقدة فى بيت الشيخ على ثامر ، وكانت قصيدة الشيخ على ثامر التى تلاها ابنه (٢) والتى تناول فيها الشيخ قاسم وتناولنى انا بهجاء غاية فى الروعة من حيث قيمته الادبية .

★ ★ ★

وليس كالشيخ قاسم من يفهم قول النبى القائل - احب من دنياكم ثلاثا -
(النساء ، والطيب ، وقرعة عينى الصلاة) .

فقد بلغ تمسكه بالطور مبلغا كبيرا ، وكان يستعمل عطر الورد بصورة خاصة ، ويحمل منه قينة صغيرة ، وقد يحمل قينتين واكثر فى جيبه ، وكان يودى

(١) ومشتى على هذا كان طباحا فى النجف معروفا بضخامة الانف ، وقد استعرضه الناظم هنا رامزا به الى احد المتخاشمين المتعاهدين ، محبى الدين والهندي .

(٢) هو الدكتور محمود ثامر .

صلاته على احسن نحو تؤدي به الصلوة ، لا لكونه من وكلاء العلماء وأئمة الجماعة الذين
بأتم به عدد كبير عندما تستدعيه الظروف ان يكون في ناحية (القاسم) بل لان طبيعته
وطبيعته وحدها ، هي التي تحمله على ان يدوب في صلاته فتشعر بأنه قد كاد يتجرد
عن كل شيء غير التفكير في ربه عند قيامه بالصلاة .

اما النساء فقد بلغ من حبه لهن ان تزوج عدة زوجات ، وقد جمع بين اثنتين
واكثر ، ولم يكن يمانع لديه لو تسنى له من الوجة المادية ان يتزوج كل شهر
بواحدة !!

وقد نزل محمد على (الحوماني) ضيفا عليه مرة فمضى يصف للشيخ قاسم
كل يوم احدى بناته من حيث جمالها ولطفها وظرفها وكونها آية من الايات وهو
يعنى الشيخ قاسم بالزواج منها ، والشيخ قاسم يزيد انتعاشا وابتهاجا وعناية
بالحوماني ، وسألت ذات يوم الحوماني :-

- أنت جاد فيما تقول ؟ بان تزوج ابنتك الفتية المثقفة من الشيخ قاسم ؟

قال - لا وانما عرفت نقطة الضعف في الرجل فاردت ان اظفر باكبر

قدر من عانيته من هذا الطريق

وسألت الشيخ قاسم على انفراد :

- أنت واثق من ان الذي يقوله (الحوماني) صحيح ؟ وانه قادم على زواج

ابنته منك ؟

قال - والله ما رأيت أحدا اظلم منك واقسى ، فلقد شق عليك ان تراني

منتعشا بوصف الحوماني الجميل ، وتشطا بهذا الخيال المفرح فرحت تنغصني بمثل

هذا السؤال ! ان الحوماني لن يعطيني ابنته ، وهو لا يعلم اني اعلم بأنه لن يفعل ذلك ،

فدعه كما يظن ، ودعني كما احب .

وتستدعيني المناسبة ان اذكر ان محمد على الحوماني الشاعر كان من رجال

الدين المعممين ، ومن الذين تلقوا علومهم في النجف ثم سافر الى اميركا الجنوبية

حينما كتبت الجالية الاسلامية هناك طالبة ايفاد مرشد روحاني يتولى معالجة طقوسهم

الدينية وارشادهم الروحي وزود بالتوصيات والشهادات من المراجع الدينية ولكنه

أخفق هناك في اداء وظيفته كمرشد ديني ، لابل اثار سخط العلماء الروحانيين عليه بسبب سلوكه الذي اعتبرته المراجع الدينية منافيا ، فعاد من اميركا خاسرا ، وكان الشيخ قاسم محيي الدين من حملة لواء النعمة عليه ، وصادف ان التقى الشيخ قاسم محيي الدين في بيروت بمحمد قره علي ، ومحمد قره علي هذا من المعجبين بالحوماني ، ومن الذايين عنه في تلك الحملة التي انتهت بملازمة الحوماني لبيته مدة غير قصيرة بسبب غضبة رجال الدين عليه ، وهنا في بيروت اصطدام الرأيان المتعارضان في شخص محيي الدين وقره علي بخصوص الحوماني اصطداما حادا حمل محمد قره علي على ان يستخف بالشيخ قاسم محيي الدين وان يقول له اين هو - اي الشيخ قاسم - من الحوماني ومقامه وشأنه !! وهذا ما رواه لي الشيخ قاسم محيي الدين ، وقد اسرها في نفسه الحانقة على الحوماني وعلى قره علي .

وجاءت الفرصة اندهية ، لقد جاءت الفرصة التي يستطيع الشيخ قاسم محيي الدين ان يعرب فيها لمحمد قره علي عن مقام الحوماني وشأنه بالنسبة له ، فقد اقتضت المصلحة ان يقصد الحوماني مدينة النجف ، ويلتمس مختلف الوسائل ليغسل بها ما علق بذهن العلماء عنه وينال شيئا من الثقة ليستعين بها في جولة له في ربوع الشرق وفي آسيا الجنوبية ، وكانت المصلحة تقضي ان ينزل في ضيافة الشيخ قاسم وان يمهده لهذا النزول ببرقية يبرقها الدكتور عبدالرزاق محيي الدين من بغداد الى الشيخ قاسم يطلب منه ان ينسى حنقه على الحوماني وان يعنى بضيفه ويساعده على قضاء مهمته بحيث لا يخرج الحوماني من النجف الا وهو راض .

وبر الشيخ قاسم بضيفه ، ولكنه هول له الامر ، وبدأ يعدد له هفواته في اميركا ، وذنوبه الكبيرة التي ستجعل يد الشيخ قاسم قاصرة عن ان تمده بالمساعدة المطلوبة ، ولكنه . . . قال الشيخ قاسم : سيجرب وسيلة واحدة يؤمل ان يكون فيها شيء من النجاح وهي ان يتقدم الحوماني تائبا عما سلف مما نسب اليه حقا ام باطلا ، وان تجرى هذه التوبة على يد الشيخ قاسم نفسه وبمحضر من رواد ديوانه في احدى اللبالي الخاصة ليشهد مجلس التوبة اكبر عدد من رجال المسلم والدين والادب .

وهكذا تاب الحوماني على يد الشيخ قاسم محيي الدين ، وجاء الشيخ قاسم محيي الدين في اليوم الثاني طالبا مني ان اكتب كلمة ضافية عن توبة الحوماني في جريدة (الهاتف) ففعلت ، وقرأت المسودة عليه فتدخل حاذفا فقرة ومدخلا فقرة أخرى في المقال ، ومازال يغير ويبدل حتى استقام المقال كما اراد هو ، والحق انه لم يطلب مني شيئا غير ما وقع ولكن بشيء من المبالغة .

وحين صدر الهاتف ، لم يترك الشيخ قاسم محيي الدين احدا من معارفه في لبنان الا وبعث له بنسخة من الهاتف لكي يثبت لمحمد قره على مقام الحوماني من مقامه .

وليت الشيخ قاسم قد اكتفى بهذا ، وانما راح يلح على ان توبة كهذه لن تقبل من الحوماني وهو حليق اللحية . فاضطر الحوماني الى اطلاق لحيته ، وبعد مرور شهر والحوماني لم يزل في ضيافة الشيخ قاسم ، وكانت لحية الحوماني قد نمت قال الشيخ قاسم للحوماني : لم يبق الا شيء واحد وهو ان تستعمل الخضاب بقصد المثوبة لتدل على انك لم تكنف باقيام بالواجبات من الامور بل رحت تعني المستحبات منها حتى استعملت من الخضاب الوسمة ، والحناء .

وجاءني الشيخ قاسم يقول :-

- ان لي عندك حاجة ؟

قلت - أمرك يا سيدي .

قال - ان تبحث لي عن مصور يستطيع ان يصورني مع الحوماني ويظهر لحيته

بخضابها (١) .

قلت - لا اعهد مصورا يعمل هذا الا بالريشة ، ولكن ماهو الغرض من كل

هذا ؟

قال - ان الحوماني سينتهي من مهمته قريبا فاذا ما غادر النجف فلا تنتظر ان

يبقى شيئا من لحيته .

قلت - وهب ان الامر كان كذلك ؟

(١) لم يكن الفلم الملون قد عرف يومها في الاوساط الفنية بعد .

قال - وهو يضحك من ابن اثبت لمحمد قره على فيمتي حين يقول لى ابن
انت من الحوماني •

ولم يرتج الحوماني من الشيخ قاسم كما لم يرتج منى على الرغم من انه لم
يكن قد بدأ شىء منى ، ولكن ألم اكن انا الذى كتبت مقال التوبة ؟ ثم ألم اكن انا
الذى دعوت المصور ليأخذ هذه الصورة فى مكتب الهاتف ؟ ثم ألم اكن انا المنفذ
لرغبات الشيخ قاسم ؟ فكان من حقه والله ان يحقد على ، وان يحق ، وان يثور ،
وقد ظهر ذلك كله فيما كتبه عنى وعن الشيخ قاسم محيي الدين فى كتابه (وحي
الرافدين) وان حاول ان يخفى فيه السبب •



الشيخ قاسم بين المؤلف والحوماني

والشيخ قاسم محيي الدين ظريف وطريف ، ظريف فى كل شىء ، وطريف
فى كل موضوع ، وله تخريج ، وتعليل ، وتعليق كثيرا ما يسترعى الانتباه ويخلب
الافكار فى الكثير من المواضيع ، ومن اطرف ما كان يعلل به الشتيمة التى تبانى عليها
بفض الاباء عندنا فى شتم ابنائهم حين يقول الاب لابنه فى ساعة الغضب : « يا ابن
الكلب ، او يا ابن الخنزير ، او يا ابن الحمار » وغير ذلك مما تعود الاباء ان يطلقوه
على ابنائهم هنا دون الالتفات الى مغزى تلك الشتيمة ، اقول ان من اطرف تعليقات
الشيخ قاسم على مثل هذه الشتائم انه كان يقول :-

- ان المفهوم من قول الاب لابنه : « يا ابن الكلب ويا ابن الخنزير » لايعنى المفهوم اللفظى او السطحى الذى يتبادر للاذهان ، وانما يريد الاب بهذه الشتيمة ان يقول لابنه : « انك لاستحق يا ولدى ان تكون لى ابنا ، وانما انت تليق بان تكون ابن كلب او ابن خنزير » وهو تخريج حلو لاوثك الذين اعتادوا ان يكيلوا مثل هذه الشتائم لاولادهم •

ومن اطرف تعليقاته على معجم (مختار الصحاح) حين سئل عن رأيه فيه قال :
- فى قصبة (القاسم) لم يكن لى من كتب اللغة غير (مختار الصحاح) فما بحث مرة عن كلمة ووجدتها فيه ، فيهيجنى ذلك ويحملنى على البصق فى صفحاته حتى لقد امتلأت النسخة التى امتلكها من مختار الصحاح على مرور الزمن بصاقا ولكم بعد ذلك ن تقدروا فائدة مختار الصحاح •••

★ ★ ★

واهتم فى سنواته الاخيرة بمكتبته واسبع عليها لونا من الوان الفن فى جمعها ، وتنسيقها ، وتنظيمها ، وسعى ان يجعلها موضع اهتمام الباحثين من حيث محتواها على النادر غير المؤلف من الكتب التى كان يعرف كيفية الاهتداء الى جمعها ، فقد كان لى كتاب خطى قديم يحتوى على كثير من الاساطير ، وكان يتضمن صورا لخطوط الانبياء كخط (آدم) ابى البشر وخط (نوح) ••• وخط ادريس ••• وخط النبى شيت •• الخ !؟ وقد تكاثر طلاب الطرائف ، وهواة الاساطير على قراءة هذا الكتاب ، ودفع له فيه ثمن باهظ لشرائه فى الوقت الذى كان قد اشتراه من سوق (الهرج) بما يعادل ربية ونصف ربية على ما اذكر ثم جلده تجليدا فخما وعنى به عناية زادت من فضول الفضوليين فى الاطلاع عليه وهو يعلم انه كتاب ليس له أية قيمة من حيث الواقع والحقيقة ، ولكنه كان كتابا ثمينا لانه كان يصور مقدرة مؤلف فى العصور السالفة يستطيع ان يضع من عنده خطوطا وارقاما غير متشابهة وينسبها للانبياء •

ومن غرائب مكتبته كتاب خطى يقع فى ثمانية وعشرين مجلدا ضخما

اشتراه الشيخ قاسم من مخلفات (قربون على) وقربون على هذا كان عاملا عند حلاق في المدينة تعلم على يده كيف يخبز الاطفال ، وكيف يعالج القرع ، وكيف يصنع بعض المراهم لمعالجة البثور والدمامل وغير ذلك ، وكان (قربون على) ذكيا اذ ما لبث ان استقل بدار خاص به ، ثم ما لبث ان حول هذا الدكان الى محل عيادة واشتغل بالطب ، ورويت عنه المعجزات ، وكنا نعرفه جيدا ، وكان الشيخ قاسم فضلا عن كونه لايؤمن بطبه فانه طالما اتخذ منه موضوع تفكحه يروي عن لسانه المعجزات الطبية المضحكة على سبيل المزاح •

وقد ارتأى (قربون على) ان يضيف الى شهرته كطبيب في العهد العثماني شهرة مؤلف في الطب ، فنصدي الى تدوين تجاربه الطبية فكتب ثمانية وعشرين مجلدا اورد فيها وصفات تضحك الشكلي في معالجة جميع الامراض ولاسيما معالجة الباه وكيفية صنع المراهم الخاصة التي اعتبرت من مبتكرات (قربون على) واكتشافاته • وحين مات (قربون على) وعرضت مخلفاته للبيع اشترى الشيخ قاسم منها هذه المجلدات الثمانية والعشرين بمبلغ اربعين رية وجلدها تجليدا فخما وسماها (دائرة معارف قربون على) واستكتب احد الخطاطين فكتب له هذا الاسم على كل جلد ، ثم صف تلك (الدائرة) في رف مستقل كتب عليه اسم (دائرة معارف قربون على) وكان يرشد المستطلعين الى نقاط خاصة منها ليقرؤوها ويمتعو انفسهم بقرائتها والتعليق عليها ، وقد ارتفع ثمن هذه الدائرة بعد ذلك وصارت لها قيمة لا من حيث واقعها وانما من حيث قابلية مؤلف يستطيع ان يضع ثمانية وعشرين مجلدا في بحوث ليس لها اصل وفرع من قبل ، فكانت هذه المجموعة على غرار كتاب (خطوط الانبياء) من حيث الندرة •

والى جانب هذه الغرائب كانت مكتبته تحتوي على امهات الكتب والمراجع بمختلف انواعها ، وقد بيعت كلها ليأخذ من اثمانها مبلغا يساعده على معالجة نفسه من مرض السرطان في اوربا ، وكان أحب تلك الكتب الى نفسه المرححة السمحة المشرفة هي تلك الغرائب التي طالما أنس بها وأنس بها اصدقاؤه في اوقات الفراغ والاستجمام •

والشيخ قاسم اديب فقيه حضر الدرس على الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء والسيد ابي الحسن الاصفهاني واجيز منهما ، وله مؤلفات ودراسات ، منها تعليق على (كفاية الاخوند) في علم الاصول ، ومنها تعليق على طهارة (الرياض) في الفقه ، كما ان له عددا من الكتب الخطية في مختلف العلوم العربية ، وقد طبع له ديوان شعر باسم (العلويات العشر) كما طبع له ديوان شعر آخر باسم (الشعر المقبول) ، وله ديوان شعر كبير لايزال مخطوطا ، واغلب شعره مبدؤ بالفزل من النوع المألوف في الاجيال الماضية ، ومختوم بمدح ال البيت او بمراتيهم ، واحسن ما خف هو كتاب (البيان في غريب القرآن) وقد صدر منه الجزء الاول في سنة ١٩٥٥ وظلت اربعة اجزاء منه مخطوطة .

وكتاب البيان هو عبارة عن حصر الالفاظ الغريبة من القرآن الشريف ، وشرحها شرحا مبسطا ، سهلا ، في ارجوزة من الشعر السلس اذكر منها على سبيل المثال قوله :-

فسروا القضاء بالخيار او ما يضاهيه من الاتمار
وقيل مطلق الجبوب (الفوم) او فمح ، او خبز ، وقيل الثوم
(بأووا) بمعنى (انصرفوا) اورجعوا وهي لغز الشر ليست تسمع
(والصابئين) من هم قد خرجوا عن دينهم وفي سواء ولجوا

وكل هذه الارجوزة على هذا النمط. من الشعر السهل المبسط تفسيراً للغريب من الفاظ القرآن .

ومن هذا وغيره يلمس القارئ قدرته على صياغة الشعر بحيث يجعله من السلاسة كالنثر في باب التعريف والشرح والتبسيط .

★ ★ ★

وجاءت الحرب الثانية وكثرت حاجة الناس عند الحكومة من طلب اجازات واستحصال بطاقات للاعاشة وتعهدات اعمال ترايبية وعمرانية فاتفع الكثير بالشيخ قاسم ووساطته عند رجال الحكومة الذين كانوا يزورونه في جميع المناسبات مجازين

تلك الازقة الوعرة الضيقة حتى يصلوا الى بيته ، وقد يطيلون الجلوس عنده فيطول
انتفاع الناس بهم ويبدأ الشيخ قاسم بنسج المقدمات اللبقة الجذابة التي يلج منها
الى موضوع الحاجة فلا يجعل متصرف اللواء ، او قائممقام القضاء ، او مدير
الناحية يقوم من مجلسه حتى يحقق له وساطته .

وهكذا كان الشيخ قاسم من جانب آخر يقضى حاجة الناس عن طيب خاطر ،
ويتصدى على قدر ما يستطيع ان يجعل قاصده راضيا مسرورا ، فقد كان على جانب
كبير من الطيبة والسماحة وحب الخير ، ولكنه لقي الشيء الكثير من غنت حاسديه
والحاقدين عليه ، فوالله ما تناول احدا بسب ، ووالله ما مس احدا بثلب ، بل كان
يسعى ان يكون رقيقا ، رفيقا ، لينا ، حلوا ، على قدر ما تحمل هذه الكلمات من معنى
فقد كان له صدر خلا من كل شيء حتى في السر ، وهذه طبيعة النفوس المكشوفة
الوادعة البسيطة .

* * *

ومهدت العمل للانتقال بجريدة الهاتف من النجف الى بغداد ، وقد احس
الشيخ قاسم على حد تعبيره بوحشة كبيرة وقال انه سيشعر بفراغ كبير اذا ما تحقق
هذا الانتقال ، وستشوب ايامه الصافية كثير من شوائب الكدر ، لذلك راح يسعى
بكل طريقة للحيلولة دون هذا الانتقال ، وهيا لى جماعة من اقرب الاصدقاء الى
ليحملوني على العدول عن تحقيق هذه الفكرة وفي طليعة العلماء الذين زاروني
لهذا الغرض فى بيتى كان الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذى كان يرى
بقائى فى النجف امرا واجبا ، وكان منهم الشيخ عبدالكريم الجزائرى ، وفى مقدمة
الاشخاص الذين حملهم الشيخ قاسم على الوقوف فى وجهى باذنين كل مجهود كان
الصديق الحاج مصطفى الصراف ، وكان سعد عباس على دوش وغيرهم ممن يعرف
مقدار حبى لهم وحبهم لى ولكنى كنت قد صممت ، وكنت قد شرعت بالتمهيد واعداد
المقدمات المقضية لهذا الانتقال فلم يكن فى وسعى العدول عن ذلك التصميم .
وابتعدت عن الشيخ قاسم ولكن روى كانت ترفرف حوله وحول ذلك المجلس
البهى الذى كان يحكى صفحة من انصع صفحات النجف وابهاها واروعها .

ولقد تلقيت منه اول رسالة تفيض بالشوق ، وتبع بالشكوى مما بدأ يحس به من وحشة ، وفراغ وقد عنون رسالته بهذا البيت :

فما وحقت ما طابت مجالسنا - من يوم فارقتنا يا درة النجف

وبدأت انتهز الفرص ، فازور النجف بين آونة واخرى ، وكنت افضى وقتا طيبا عنده ، قيلح على بالبقاء ولو ليلة اخرى ، او وقتا قصيرا آخر ، أو ساعة عابرة على الاقل ، وكان ينتهز هذه الفرصة فيدعو الخاصة من اوثق الرفاق ، ويعملها (صحنية) يجمع فيها كل صديق غداء في بيت الشيخ قاسم فيمتد خوان كبير يحوى غالبا شيئا من طيبخ الماش وهي الاكلة النجفية العامة ، وتحلو هنالك النوارد الاديبة ، ويكون هو المجلى دائما لما عرف به من سرعة البديهة ، وسرعة الخاطر ، وحلاوة النكتة التي قلما كان يجاربه فيها من العلماء والادباء المعروفين بحسن السليقة .
وهذا مقطوع في وصف جانب من تلك (الصحنيات) التي مرت علينا في بيت الشيخ قاسم وقد اقتطعته من ارجوزة لى كانت قد تناولت موضوعا في حلبة من حلبات الادباء ليس هنا مجال لذكرها :-

وكيفما كان فولى البرد	وجلس الاخوان واستعدوا
حول خوان مد من قماش	قد زانه صحن طيبخ الماش ^(١)
وكاسة من لبن لذيذ	اشبه ما يكون بالنبيذ
والدبس ما بينهما ينادى	اياكم ان تكفروا بالتراد
لست انا (مذهب كلب) ^(١) جان	مذهب كلب ، كل من سمانى
فاكل الرفاق فى شهية	واطعوا الصحن والصينية . . الخ

(١) وفي مواضع اخرى من هذا الكتاب قدورد ذكر الماش وطيبخ الماش ، وهي اكلة نجفية تتألف من الرز وحبوب الماش ، ويؤدمونها اما بالبصل ، او اللبن ، او الدبس ، ولكن الدبس اشهر ما عرف به من ادام ، وقد مل النجفيون هذا ادام لكثرة استعماله خصوصا وقد كانت النجف قاحلة ومعدمة فلم يكن فيها من الخضرة واللحوم قبل بضعة قرون واكثر الا القليل ، فاطلق النجفيون على الدبس صفة (مذهب الكلب) فكل (مذهب كلب) من المأكول فى مصطلح النجفيين هو الدبس على الاكثر .

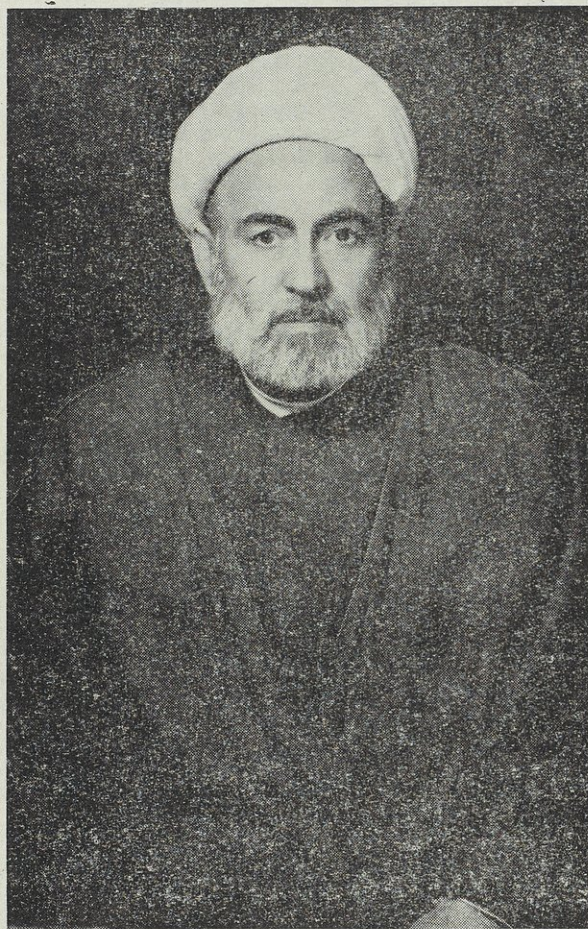
وألهتني الدنيا فقلت زيارتي للنجف ، ولم اعد ارى الشيخ قاسم الا قليلا ،
وفي فترات محدودة ، وذات يوم دق جرس التلفون في بيتي واذا بالمتكلم يخبرني
بان الشيخ قاسم هنا في بغداد ، وانه مريض ، فحفظنا اليه انا والصديق امين خالص
واجريت له عملية استخراج الحصى من المثانة ، وظللنا ندلف اليه في كل فرصة
من كل يوم وهو نزيل المستشفى ، وقد عنيت به وزارة الصحة عناية فائقة حتى
شفى من عملياته وعاد الى النجف ، ولكن الشك الذي تسرب الى ذهن الجراح كاظم
سبر من وجود بعض الاورام في المثانة الدالة على السرطان قد تحقق ، فما لبث
ان عاد الشيخ قاسم الى بغداد وقد اشتد عليه المرض فلم يجدوا له علاجاً ، ولم
يرجعوا له اجراء عملية ، وكانت حالته المادية قد ساءت اكثر ، خصوصا وقد انهار
جانب من داره فكأن هذا الانهيار كان نذيرا لانهيار شيء اسمى وافخم ، واعظم ،
واضطر لرهن داره لدى المصارف بغية بناء ما انهدم منها ثم اضطر لبيع تلك المكتبة
النفيسة لينفق ثمنها على معالجة نفسه ، وسافر الى فينا مستشفيا ، وهناك خدعه بعض
الاطباء الدجائين وابتز منه ما كان قد هيا ودبر من المبالغ واجرى له عملية استئصال
جزء من المثانة فخيّل اليه انه قد شفى او انه قد صار في طريق الشفاء ، فكتب الى
اصدقائه من هنالك يبشرهم بنجاح العملية ، ويخبرهم بانه عائد اليهم في ظرف
شهر او اقل من ذلك . وقد كتب لى رسالة بهذا المضمون وزاد بان بعث لى بقصيدة
نظمها في وصف (فينا) وقتياتها يقول فيها :-

طبت على حسن الطبيعة	في عجائب من صور
فالماء من شمس الضحى	بردا تصبب كالمطر
بلد تخال سماءه	في ارضه - عند النظر
لله من ظيياته	في الحسن ازرت بالزهر

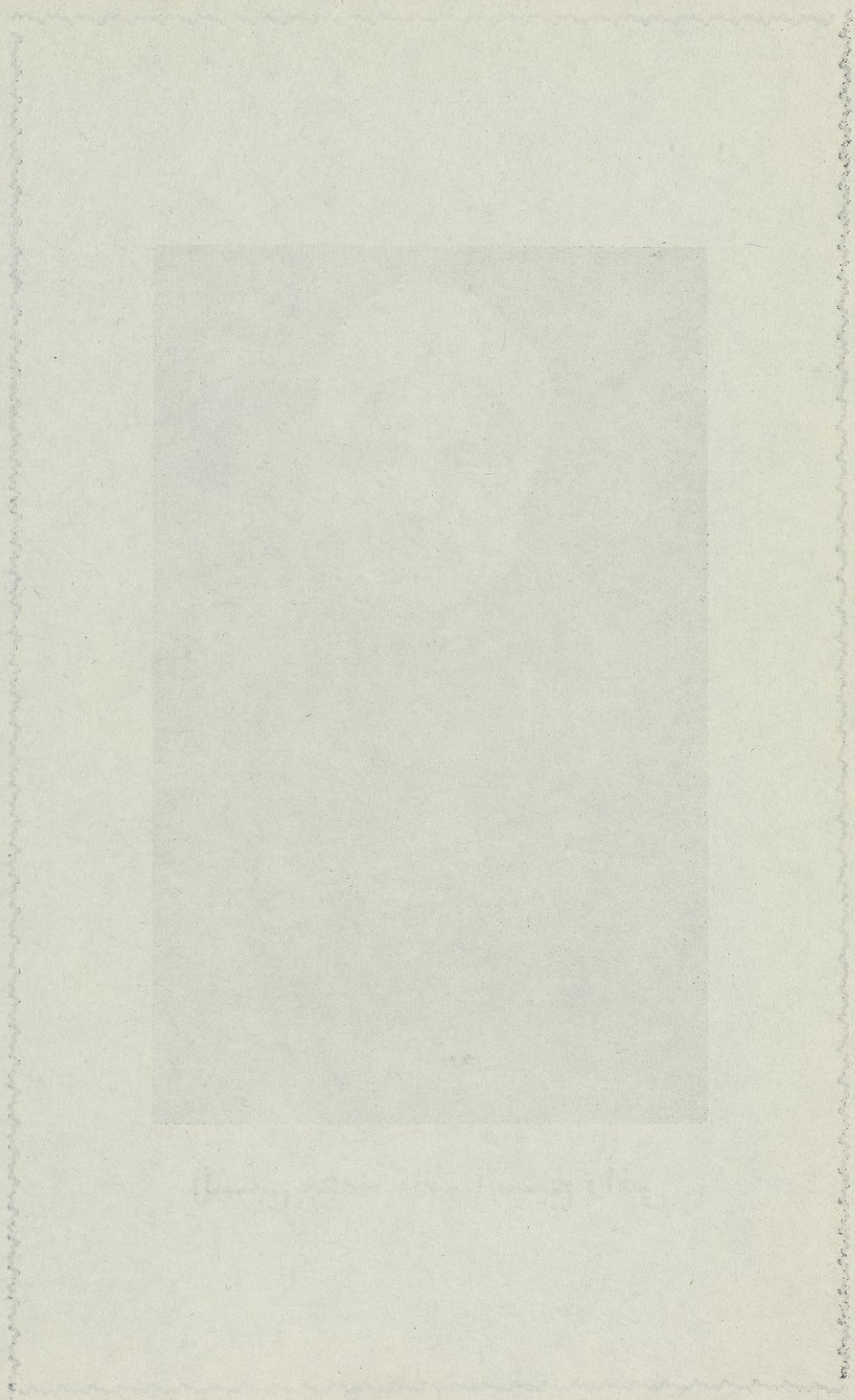
وكتبت له مهنتا وقلت له في رسالتي ان على اذا ما عاد الى النجف معافى لاقمن
شهرًا كاملا عنده في النجف ، ولواقمن المهرجانات الادبية مهرجانا بعد مهرجان
واعيدها ليالى كالسابق واكثر ، ولم ادر ان الاقدار تجيء به الى النجف وهو في

آخر مراحل حياته ، ثم يحول ضغط الدم عندي الذي يلازمى منذ زمن دون
حضورى النجف وهو فى ايامه الاخيرة • وقد كتب لى قبل وفاته باربعة ايام يقول لى
ان صحته تفتقر الى الدعاء الى الله وانه فى شوق ما بعده شوق الى رؤياى •••

مات الشيخ قاسم محيى الدين وبموته انطوت صفحة لامعة من صفحات
الفضل والادب ، ونقاوة الضمير والظرف ، ولحقت بالفضيلة خسارة كبيرة لاتعوض
خسارة لم يكن احد يقدر مداها قبل ان يموت هذا الرجل ، وحين مات انهار آخر
بيت من بيوت النجف التى عرفت بذلك النحو من الجمع بين الفضيلة والادب
والمرح الذى عرفت به النجف فى الاجيال الماضية ، وان ذكره لتصابحنى وتماسينى
فى يقظتى ومنامى فتتكبد على عيشى بما تبعث فى نفسى من اسى لفقدانه وفقدان تلك
اللذة الروحية التى ذهبت بذهاب الشيخ قاسم ولن تعود •



الشيخ محمد كاظم الشيخ راضى



الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي^(١)

لم تكن الشهرة وفقا على الكبار دون الصغار ، وذلك لان الشهرة مظهر من مظاهر الامتياز والشذوذ ، فحيثما كان الامتياز والشذوذ في الخلق او المزاج او الاستعداد او الرأي والعمل ، كانت الشهرة على قدر ما تستدعيه الامتيازات لا فرق بين رجل وامرأة وكبير أو صغير •

وكان لاطفال (آل الشيخ راضي) في النجف شهرة اكتسبها بصفتهم ابناء اسرة لها مقام جليل ، وشأن كبير بين الاسر العلمية والادبية ، وقد زاد قيمتها ظهور غير واحد من هذه الاسرة بمظهر الزعيم الكبير لمدينة النجف في مختلف الادوار وكان آخرها دور الثورة العراقية ، ومطالبة الانكليز بالغاء الذي لعب فيه (الشيخ عبدالرضا الشيخ راضي) دورا مهما في اشعال نار الثورة في وجه الانكليز فكان من أكبر زعماء الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ التي انتهت باستقلال العراق ، فلا غرو ان يرث الشهرة اولاد الشيخ راضي وهم صغار ، بل ويرثها خدمهم وعبيدهم فيقال : ان هذا هو ابن آل الشيخ راضي ، وان هذا هو العبد المملوك لآل الشيخ راضي ، وحتى الجيران كان الكثير منهم يعرفون بجوارهم لآل الشيخ راضي ، فكيف اذا مشت الى جنب هذه الشهرة شهرة اخرى تولدت من ميزة بعض هؤلاء الاولاد في الملكات الطبيعية والفتنة والذكاء ؟ ولقد كان لي - وانا طفل - بعض الاصدقاء من اطفالهم شدتني اليهم الزمالة ونحن طلاب في المدرسة ، وجذبتني منهم مزايا ساحرة بالاضافة الى ما كانوا يتمتعون به من شهرة الاسرة وكان من هؤلاء الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي الذي امتاز وهو طفل صغير بشيء آخر غير ميزة نسبه

(١) مجلة النجف - ٢٤ مايس ١٩٥٨ •

لهذه الاسرة ، وغير ميزة ذكائه وفطنته ، فقد كان يعلو رأسه طربوش من جلود
الحملان ذات الصوف المجعد الاعشم ، ولم يكن يومذاك من يلبس مثل هذا (الكلاو)
كما يسمونه الا عدد قليل من الاولاد المدللين اذكر منهم الاخوين (مجيد الصراف
وحسين الصراف) وادى الحاج رضا الصراف ، اما بقية الاولاد فاما ان يكونوا من
لابسى القلانس المعروفة (بالعرقين) أو من لابسى (اليشماغ) وحده ، او اليشماغ
والعقال معا ، او العمام على اختلاف الوانها ، واغلب الاولاد المعممين هم من ابناء
العلماء ، اما المدن العراقية الاخرى فلم يكن اعتمام الصغار بالعمائم مأثوفا عندها ،
لذلك ربما كان هذا مثار دهشة عندهم ، ولقد حدثنى صديق ممن كتب عليه ان يعتم
بالعمة وهو ابن سبع سنوات قال :-

« كنت فى رفة ابى ونحن نجتاز احد ازقة بغداد وانا لم اتجاوز من العمر
سبع سنين ، وكانت تعلق رأسى عمامة ربما كانت اثقل نسبة مما يطبق رأس واحد
مثل ان يحمل ، وما كدنا نمر على زمرة من الاطفال اللاعين فى عرض الطريق حتى
نهض احدهم فاغرا فاه من الدهشة وصاح :-
- «شوفوا ها العالم شكذاته ؟ »

اى هلموا لرؤية هذا الطفل الذى بلغ رتبة العلماء وهو لم يزل صغيرا بهذه
السن .

اما اكثرية الاولاد ومنهم اولاد آل الشيخ راضى ومن هؤلاء الشيخ محمد
كاظم فقد كانوا من لابسى العقال فى طفولتهم . وان الذى يمكن الصغار من
النابهن الممتازين من الشهرة انما هى الدواوين على الغالب ، فالكثير من الزعماء ومشاهير
النجف - كما هو الحال فى اغلب المدن والقصبات العراقية - يجلسون للناس فى
بيوت خاصة ، او اجنحة منعزلة عن البيوت او فى غرف مستقلة تعرف فى النجف
باسم (البرانى) فيضطر اولادهم بحكم احترامهم لابائهم الى ملازمة مجالس ابائهم
فى دواوينهم والظهور للناس والاصفاء لما يجرى فى هذه الدواوين من احاديث
وقصص وشعر ونثر يساعد كثيرا على الاسراع فى نضج هؤلاء الاطفال ويتيح لهم
الفرص بعض الاحيان لاطهار مواهبهم ، فيعرف الممتاز من اولئك من اجوبته

وتعليقاته ورد الكلام بما يناسب التكلم على قدر المستطاع ، لذلك كثيرا ما رافقت الشهرة النابيهين من ادباء النجف وعلماؤها منذ عهد الطفولة .

وكان آل الشيخ راضى عدد من الدواوين فى عصر واحد ، وكان للشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ديوان عامر يرتاده كبار العلماء وفحول الشعراء والادباء ، وكانت للشيخ عبدالرضا ملكات متعددة يرجع اليها الفضل الاكبر فى نشأة اولاده : الشيخ محمد كاظم وأخيه الشيخ محمد جواد وكثير من ابناء هذه الاسرة نشأة ممتازة من حيث دماثة الخلق ، ورهافة الحس ، وامتلاك ناصية الادب ، ونفاذ البصيرة فكان الشيخ محمد كاظم بحكم ملازمته لديوان ابيه كثير الاحتكاك بمختلف الطبقات من رجال العلم ورجال الادب الذين يفص بهم ديوان ابيه فضلا عن انكبابه على المدرس وطلب العلم .

وكانت هذه الدواوين او المجالس - كما قلنا من قبل - محك الملكات والمواهب اذ كثيرا ما تكون ميدان اختبارات للذكاء والقابليات ، ولقد عرف الكثير من اولاد آل الشيخ راضى وهم صغار عن طريق هذه الدواوين حتى أخرسهم - ، وهو عبدالغنى الشيخ جعفر وكان أخرسا - لم يعدم الوسيلة التى يبرهن فيها على انه موهوب ، وانه ممتاز ، وقد نقلت عن طفولته وشبابه قصص تثير الدهشة .

ومما نقل عنه انه ادرك يوما بثاقب بصيرته ان صييا قد دخل ديوانهم برفقة ابيه وهو أخرس مثله ، فمشى اليه عبدالغنى وقعد الى جنبه ، ثم بدأ الحديث بينهما بالاشارات ، ولم يحس المجلس الا والصبي الاخرس الزائر يضع سبابته فى اذنه ويطلق صوته بتمتمة طويلة عالية هزت الديوان كما لو كان يعنى مقاما من الدشت العالى ، او البنج گاه ، اما عبدالغنى الاخرس فقد قفز من مكانه بعد انطلاق هذا الصوت من جلسه ، واما الصبي الاخرس فقد جمدا لاتجاه الانظار كلها اليه ، ونودى عبدالغنى للسؤال عن القضية ، وعبدالغنى يحسن التعبير بالاشارة لئلا انه يستطيع ان يقص على الجمهور قصة طويلة ذات فصول ، وهو فوق هذا يكتب الكثير من الاسماء ، ويرسم رسوما تبهر العيون ، لقد سئل عبدالغنى عن القضية فقال بلغته الخاصة :-

- حين علمت ان الصبي الذي ولج ديواننا اخرس مثل ملت اليه بطبيعتي ، ثم ما لبثت ان اكتشفت انه ساذج بسيط قليل الذكاء ، فقلت له لتغن انا واياك ، فقال انه لا يستطيع ان يطلق صوته في هذا الجمع ، فقلت ان الحاضرين جميعا لا يسمعون فدهش و صوب نظاره الى وجهي ليري ما يرتسم عليه فوجدني جادا ، فقال لي ولكن فلتغن انت اولا :-

قال عبدالغنى - فوضعت سبابتي اليمنى فى اذنى ، وفتحت شدى ، وحررت لساني دون ان اطلق صوتا ، فظن الصبي اننى قد غنيت ولم يسمعنى احد ، وحين جاء دوره اندفع يغنى بأعلى صوته فكان الذى سمعتم ورايتم

وسواء صحت هذه الحكاية أو لم تصح ، وسواء كان لها نظائر كما يروى البعض او لم يكن ، فانها لم تكن تروى لو لم يكن لعبدالغنى من المؤهلات التى تسوغ للراوي ان يضعوا مثل هذه الروايات على لسانه او ينسبوا قصة غيره له .
وحتى الذين لم يتح لهم من آل الشيخ راضى ان يتعلموا تعليما كافيا لم يخجل بعضهم من مظاهر تشير الى مواهبهم .

قال الشيخ عبدالرزاق الشيخ راضى (وهو يحاول تعريف طبقة الشيوخ من الروحانيين ويسعى لحصر صفاتهم فى اقصر جملة وواقع مفعول) .
قال - (وهو يحدث السائل عن هذه الطبقة الروحانية) :-

« والله انهم - يقصد المشايخ من الروحانيين - ليستطيعون ان يقنعوا الحمار بان يحجم عن أكل الشعير والبرسيم اذا ارادوا » .

والقارىء فى غنى عن لفت نظره الى ما تحمل هذه الجملة القصيرة من معانى كبيرة وكثيرة تكفى لتصور مدى القدرة التى اراد ان يصفهم بها الواصف .

★ ★ ★

سأل مرة الميرزا محمود الخليلى مازحا - وهو أحد اعمامى وقد عرفت أسرته اى أسرته بكثرة الاطباء منهم فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر - لقد سأل الميرزا محمود على سبيل المزاح الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ، او قيل انه سأل الشيخ جعفر الشيخ راضى معرضا بسرعة توثب ابناء (آل الشيخ راضى) الى مقام

الإمامة والصلاة بالناس - وكانت هذه الأسرة قد عرفت بكثره علمائها في القرنين
الآخرين - قائلاً :

« أنت ترى كيف يقفز بعض أبناء أسرتم في الزعامة الدينية ؟ كأن العلم
مخزون في السقف ، فإذا مات أحد أفراد آل الشيخ راضى مد الآخر يده الى السقف
ففتحه وتناول العلم منه واصبح علماً في اليوم الثاني بكل سهولة وبدون اى تعب ؟ »
فلجابه الشيخ عبدالرضا - وانت أترى كيف يقفز بعض أبناء أسرتم في ميدان
الطب ، فكأن الطب موضوع على الرف فإذا مات أحد أفراد أسرتم مد الآخر يده
الى الرف فتناوله واصبح طبيباً في اليوم الثاني بكل سهولة وبدون اى تعب ؟ »

★ ★ ★

والشيخ عبدالرضا جمع الى غزارة علمه وفقهه أدباً رفيحاً ، ورجاحة فى العقل
والتفكير ، وتجلت قيمته فيما حرر من بحوث فقهية منها كتاب فى (الوصية) وآخر
فى (النكاح) وفى هذين الكتابين يجد القارىء اراء جديدة فى الاستنباط
والتعليق تدل على أحكام فقهية محكمة ، والتفادات بارعة اختص بها بين العلماء ،
ومع ذلك فقلما شوهد شخص من طرازه وطراز الشيخ عبدالكريم الجزائرى
من حيث وفرة الادب ، والتبسط ، والتواضع ، وفوق ذلك فهو سريع البديهة ،
بارع النكتة ، وقد رافقته هذه البراعة من صغره فكانت تفيض بالمرح منذ الطفولة
وبقيت تفيض الى آخر ساعات موته ، ولقد حدثنى مرة فقال :-

- كنت وبعض اترابى من طلاب الادب ونحن فى اول درجة من سلم الشباب
نعقب الشعر والشعراء كلما حدثت مناسبة شعرية ، ومناسبة الشعر فى النجف هى
الزواج ، والوفاة ، والقدوم من السفر وغير ذلك من أمور (١) ، فإذا تزوج شخص ،
او توفى شخص من ذوى الجاه انبرى الشعراء لاستغلال هذه المناسبة للتفيس عن
كروبيهم ، وللمباهاة والمفاخرة بملكاتهم الادبية ، ولم تنزل النجف
لان ممتازة بهذه الظاهرة ، وكان المتأدبون والادباء يرتادون تلك المجالس ليسمعوا

(١) لقد اشير الى هذه المناسبات فى اكثر من محل واحد من هذا الكتاب .

الشعر ، وليجربوا مواهبهم ، وقابلياتهم الشعرية في (التقنية) والتقنية هي السبق في معرفة القافية قبل انتهاء كل بيت من الشعر واعلانها قبل الاخرين .
وقال الشيخ عبدالرضا ، وكنا تتنافس في النطق بالقافية عاليا ، نلقت الينا الانظار ، وكان شاب من اولئك الشبان الذين يحسنون التظاهر بالمعرفة ، كان يعرف كيف يخطف من افواهنا القافية فيعلنها بصوت اعلى من اصواتنا ليلفت لنفسه الانظار ، بينما ليس له منها شيء او بعض شيء ، بل انه كان ابعد مايكون عن فهم الشعر وموازينه وقوافيه .

وقلت لرفاقي - قال الشيخ عبدالرضا - ساكفيكم شره ان هو ضايقتنا بعد اليوم .

وجاء يوم تبارى فيه عدد من فحول الشعراء في قصائدهم ، وتبارى فيه عدد من الادباء والمتاديين في تقفياتهم ، وجاء هذا الشاب الغبي الوقح ودس نفسه بيننا كما كان يفعل من قبل ، وكانت القافية باء مفتوحة على وزن (يبابا) و (شعابا) فقفف من افواهنا بعض قوافينا وصرخ بها في ذلك المجلس مستغلا حياءنا ونحسن في مقبل اشباب ، فتواصينا ان نهمس بقافية لاتسجم مع تلك القافية البائسة وعيناها بيننا فكانت (بليدا) فلقفها من بين شفاهنا وصرخ بها صرخة مدوية قبل ان يصل منشد الشعر الى القافية فكانت نكتة تلك السنة

لقد زرت الشيخ عبدالرضا في مرضه الاخير قبيل وفاته بيوم أو يومين ، وكان يحيط به بعض ارحامه وزواره وهو مضطجع في سرداب بيتهم الكبير ، وكنت قد سمعت بخطورة مرضه وخوف الاطباء عليه ، ولكني لم المح اى شيء يدل على تلك الخطورة في اثناء عيادتي له ، فلقد كان وجهه يفيض بشرا ، وكان ترحابه بعواده وهو سقيم لايقبل عن ترحابه بزواره وهو سليم ، ولم اعرف ان النفس متى كبرت استوت عندها الظروف والاوقات الا بعد ان مات ، اذ لم تطل حياته بعد ذلك الا يوما أو يومين

★ ★ ★

ونشأ الشيخ محمد كاظم في رعاية هذا الاب وفي رفقته فتأثر به لحد بعيد ،

وانطبع بطباعه من حيث النهج والسيرة وطيب النفس والمرح وخفة الروح بالاضافة الى ترسم خطاه في طلب العلم والاقبال على دراسة الادب والاحاطة به من جميع اطرافه . وقد ملك سليقة وذوقا انفرد بهما في عالم دراسته الروحية وكان اديبا من طراز خاص يجمع بين صحة التركيب وبراعة الفن وسرعة البديهة ، وعلى رغم انه كان يتجنب الاندماج في زمرة الشعراء فقد كانت شاعريته معروفة لدى رجال الادب ، وقد شهدت له بعض المناسبات الخاصة شعرا ينم عن اوسع الملكات في عالم الادب ، فلقد جمعنا ذات مرة مجلس عامر بمن حضره من العلماء وأهل الادب وتطرق القوم الى بحور الشعر واوزانه فانكر البعض من الحاضرين على الشيخ محمد كاظم ان يكون هنالك من الشعر ما يقوم شطره على كلمة واحدة !! !! فروى هنالك الشيخ محمد كاظم الشيء الكثير من الشعر الذي قام شطره على كلمة واحدة بدون زيادة وكان من ذلك ابيات لشوقي منها .

أعجبية بدت العرب

وعجب الحاضرون لهذا الالتفات ولكثرة ما يروى من الشواهد العابرة ، ولهذه الملكة الادبية التي لا يفوتها شيء من دقائق الادب ، واذكر انه جاء مرة ذكر البحور الشعرية التي تصعب فيها الاجادة في النظم واداء عرض الشاعر ما لم يكن الشاعر متمكنا من قول الشعر وسبكه تمكنا كليا وكان بحر (المديد) مما تطرق اليه القوم من البحور ، والمديد المبتور خاصة الوارد على وزن (فاعلاتن فاعلن فعلمن) فمضى الشيخ محمد كاظم وجاء في اليوم الثاني بقصيدة عصماء طويلة نظمها على هذا النحو وابتدأها بقوله :-

طال ليل المسهد المغموم فمتى تنجلي ليالى الهم ؟
مل جنباي مضجعي سأمًا ساهر الليل كيف لم يسأم ؟

في مثل هذه المناسبات ينظم الشيخ محمد كاظم ويبدع ، ولا يضيع القارئ ابداعه في الشعر حتى ولو كان بيتا او بيتين ولقد كان للسيد عبدالله المكرم الساكن في قضاء طويريج (مشروع) يتعلق بدائرة الري ، وكان صديقي السيد حسن الرفيعي

يوم ذاك مهندساً ارى فى طويريج ، فلم يحصل الاتفاق فى الرأى بين السيد عبدالله المقرم والسيد حسن حول ذلك (المشروع) ، وبلغ الشيخ قاسم محيى الدين خبر مجيء السيد حسن من طويريج الى النجف زائراً فكتب لى مع السيد عبدالله رسالة يطلب منى التوسط للسيد عبدالله عند السيد حسن لانجاز مشروعه ، ثم استكتب الشيخ محمد كاظم لكى يضم صوته الى صوت الشيخ قاسم فكتب لى الشيخ محمد كاظم البيتين التاليتين: فى ذيل رسالة الشيخ قاسم محيى الدين :-

يا حسن الخلق ومقياس العلى وخاطر لكل (مشروع) حسن
فكن بعون الله خير شافع ما بين (عبدالله ، والسيد حسن)

★ ★ ★

وعلى ذكر الشيخ قاسم اذكر انه ضمنا ذات يوم ونحن عنده ، مجلس حافل ببعض الادباء والعلماء ، وقد تلا علينا الشيخ قاسم اى بيت من الرجز فى نسب آل محيى الدين اوصل فيها نسبهم بأدم ابي البشر على الطريقة القديمة وعلى نحو انساب (سبائك الذهب) لنا مر جميع الحاضرين على ان يأتى كل واحد منهم فى اليوم الثانى بقصيدة يتناول فيها ناظمها هذه الطريقة من سرد الانساب بالهجاء على سبيل الدعابة والمزاح^(١) وكان معنا الشيخ محمد كاظم الشيخ راضى بل كان من المؤيدين لهذا الضرب من المزاح والمجون الادبى .

واصبح الصباح واجتمع القوم فى بيت الشيخ قاسم نفسه حول خوان أفته (الصحنى) وهى الطعام العام الذى يسهم فيه المجتمعون بصحون طعام يأتون بها من بيوتهم^(٢) . وقرأ القوم هنالك اشعارهم فكانت كلها عبارة عن هجوم رائع جاء كآية من آيات أدب المجون وصورة حية من صور ادباء النجف حين يهلون ، وحين يسخرون ، وحين جاء دور الشيخ محمد كاظم اتقى هنالك مقطوعة تناول فيها المهاجمين على الشيخ قاسم بالتدديد وفى هذه المقطوعة سخر من كل واحد منهم ،

(١) اشير اليها اشارة خفيفة فى معرض الحديث عن الشيخ قاسم .
(٢) لقد مر ذكر الصحنى وتعريفها فى مواضع أخرى من هذا الكتاب .

ووقف الى جانب الشيخ قاسم وقفة اذهلت القوم وعرفوا انها كانت دسيسة اديبة ،
 وكانت بحق من أروع الشعر الزاخر بالنكت والتفنن فى الفر والكر على الجمع ،
 وكان مجلسا من ازهى مجالس الادب فى وقته ، ومن المؤسف ان يتسلم الشيخ
 قاسم كل تلك القصائد والمقاطع فلم نعد نعرف عنها شيئا غير ارجوزة لى كنت قد
 طلبتها منه ونشرتها فى (الهاتف) تحت اشرافه وبرضى منه اذكر منها على سبيل
 المثال ما يلى :

اسمع حديثنا من احاديث العرب	وقصة غريبة من النسب
فى ذات يوم والهواء بارد	والماء بل وكل شىء جامد
ضمت جماعة من الاخوان	وليمة فى غاية الاتقان
أقامها لهم صديق فاضل	وبحر جود ضاع منه الساحل
فاشعل الفحم لهم نيرانا	وكيف الجو لهم الوانا
فمن دخان عاقد فى الحجره	سحائبا مصفرة محمرة
الى لهيب يخفى احيانا	ويعتلى فيطرد الدخانا

وتمضى الارجوزة فى وصف الجو ووصف الوليمة الى ان انتهى بالقول :

فشكر الرفاق هذا انكرما	لصاحب البيت ومن له اتقى
وعطروا مجلسه بالحمد	وفاح عطر مدحهم كالنمد
وكلما زاد مدحهم له	اغتر وغير الغرور شكله
فلم تعد تسمع منه ها هنا	الا انا انا انا انا انا
انا ابن شالغ انا ابن شفتى	اما المسيح الروح فابن اختى
انا ابن اخنوخ الهزبر القرم	والبحترى الشاعر ابن عمى

وتمضى الارجوزة فى مزاحها ومناقشتها النسب على هذه الطريقة الساخرة من
 الدعاية الى ان تقول وهى تعنى الشيخ قاسم محبى الدين :

لو قال انى ابن يدى ورجلى	اغزو اليهما كريم اصلى
لكان من احسن اصل اصله	واطيب الفصل يكون فصله

الى آخر هذه الارجوزة المنشورة بكاملها في جريدة الهاتف كلون من
الوان المجلس المذكور في ذلك اليوم .

* * *

وتعرفت بالشيخ محمد كاظم منذ الصغر ، واشتدت اواصر الصداقة بيننا في
الكبر ، وكلما تقدمت يوما انكشفت لي من امره ومن امر ملكاته مواهب زادتني تعلقا
به ، فلقد كان يملك كل صفات الزعامة واخلاقتها في مجتمع كالنجف من حيث
السعي للخير ، والبعد عن الشر ، والاتصاف بسعة الصدر ، واخذ الناس بالحلم ،
وكان كبير النفس ، على الهمة ، بعيدا عن الرياء ، وقد رشح للصلاة بالناس عدة
مرات فابى ، كما رشح الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي غير مرة فابى هو الآخر ابا
شديدا وهذه امور وان بدت تافهة ولكنها تصلح ان تعطى عن هذين الرجلين اذا
لم تعطى عن جميع الاسرة فكرة واضحة عن اتجاهاتهما وعلو نفسيهما
واستصغارهما لمقام الرياسة .

ولقد اصاب السيد مير علي (ابو طيخ) كل الاصابة حين وصف الشيخ محمد
كاظم في قوله :-

اراك مقياس تشيبيهي فمعدرة ان عنك قد ضاق ذرع الشعر تشيبيها
وزادت من صلاتنا الروحية صلات اسرتينا من قبلنا ، صلات تجاوزت حدود
الصداقة ودخلت نطاق القرابة والاخوة فكانت مصداقا لقول القائل (رب اخ لم تله
امك) وقد سبق لاحد اعمامي ان اثر الشيخ جعفر الشيخ راضي على عموم اسرته
فاختاره وصيا على ميراثه بعد مماته .

وزحت اقضى اغلب اوقات فراغي عند الشيخ محمد كاظم فاجد عنده متفسا
لم اجده عند غيره ، وفي ايام المحنة ايام تألب الناس على لصرختي بوجوب الاصلاح
الديني وتهذيب قراءة المآثم عند خطباء المتأثر ، ومقاومة ضرب الرؤوس بالسيف
في محرم ، لم يكن آل الشيخ راضي يتفقون معي في رأيي ، ولكنهم كانوا وكان
الشيخ محمد كاظم الشخص الوحيد الذي تركز اليه نفسي وترتاح اليه افكاري .

وحين مات ابني الوحيد (هاتف) وشملني الاصدقاء بألطفهم وأبعدوني عن بيتي اياما ، لقيت من الشيخ محمد كاظم من الحذب على والاهتمام بي الشيء الكبير الذي سوغ لي ان استجيب له ، فاقضى عنده من الايام والليالي اكثر مما قضيت عند جميع الاصدقاء مجتمعا •

وولد للشيخ محمد كاظم توأمان قبل موعد ولادتهما الطبيعية واحسست بخوفه عليهما ، وكان خوفه من نوع غريب لا يشبهه خوف آخر اذ كان الشيخ محمد كاظم يحاول ان يجعل كل شيء مسودا للعقل ، وخاضعا للتواميس العلمية ومع ذلك فقد قال لتجرب ارادة القدر قبال الحقيقة العلمية الداعية الى الخوف على مصير هذين الطفلين ونهايتهما ماداما قد ولدا قبل اوان ولادتهما الطبيعية بشهرين او أقل قليلا •

قلت - فماذا نعمل ؟

قال - سمهما انت فعسى ان تكون التسمية فألا حسنا (وكانت قد اشيعت عن فألي الحسن اشاعات تجاوزت حدود المعقول) •

قلت - فليكن اسم الطفل (رجاء) وليكن اسم الطفلة (أملا) وقد كانا ••• وعاشا ، ومرة اخرى آمن بعض الاصدقاء بانتي رجل ميمون وان في قدمي بعض الخير ، وفي لساني مثلهما ، وهي شهرة ليس لها ولا ذرة من الواقع ، ولكن أليس من حسن الحظ ان يظن الناس بك الخير وانت لم تعمل شيئا بل ولا تؤمن بما يظنون ؟

وكثر في السنين الاخيرة اجتماعاتنا ، وكثرت المناسبات التي دعت الى تبادل الاراء في كثير من الشؤون التي تتعلق بمدينة النجف من جميع وجوهها ، وكان الشيخ محمد كاظم ممن يعقب قراءة الصحف ويتعمق في الحوادث ، وكان لرأيه قيمته في الشؤون العامة وقلما جمع رجل من الفقه والادب وعلم الاجتماع والسياسة مثلما كان يجمع الشيخ محمد كاظم على ذلك النحو الخاص الذي عرف به وحده

بين اقرانه ، وكل ما كان يؤخره عن منزلة الزعامة هو انه كان يحاذر لحد بعيد ان يند منه ما يخذش احدا مهما كان شأنه ، وان صفة كهذه وان كانت تحببه للجميع ولكنها لا تبوؤه مركز الزعامة التي تتفع وتضر ، فلقد كان لطيفا جدا مع الجميع وحتى مع احسن الناس واكثرهم تعكيرا لصفاء الاخرين ، وكانت الكلمات التي يرسلها مزيجة بشيء كثير من الحلاوة واللين والعذوبة مما تصعب مجاراته فيها . كنا ذات ليلة في بيت محمد الخليلي وكنا قد اغرقنا في الضحك بسبب مباراة أدبية استدعتها (النكته) التي وقعت بين الشيخ محمد رضا المظفر وبين الشيخ محمد جواد الشيخ راضى شقيق الشيخ محمد كاظم فاغرقنا جميعا في ضحكة لا يبعد ان تجاوز صداها عشرات البيوت فالتفت احدنا وقال :-

- في مثل هذه الايام جرى هدم قبور ائمة البقيع في (المدينة) وقد اتخذ البعض من هذا اليوم ذكرى حزينة ، فلو مرر من هنا (عبد المحمد) (رادود) حلقة (الشوشترية) ^(١) وهو الذى يعتبر مثل هذه الايام ايام عزاء لا ينبغي لثغر فيها ان يفتر عن ابتسامه فضلا عن ضحكة ، وضحكة طويلة كهذه الضحكات ، فماذا تستطيعون ان تجيئوه وبينكم عدد من العلماء والاقفاء امثال الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم اتقولون له : انا لانؤمن بعرف يصنعه عبد المحمد وجماعته ؟ ام تقولون له انا نستهر بمثل هذه الطقوس وهذه الايام لانا اذا عينا بها فمعنى ذلك اننا لا نجد يوما بل ولا ساعة من الزمن تخلو من الذكريات المريرة . وهنا تحول الموضوع الى جد فقال الشيخ محمد كاظم :-

- خذوا الامر على سبيل الجد ، فلو فاجأكم عبد المحمد ، او من كان على شاكلته ، وقال لكم ما هو تفسير هذه الضحكات العالية في مثل هذا اليوم فماذا كنتم تقولون ؟

لقد وجمنا ، لان العثور على جواب يلائم مزاج اخينا عبدالمجيد ، ويقنعه ويقنع اضرابه ليس من الامور الهينة ، ولكن الشيخ محمد كاظم قال :-

(١) عبدالمحمد شخصية ذات حول وطول فى الالتزام بالمآتم الحسينية ومراعاة جداول الوفيات للائمة الاطهار .

- احسب ان المسألة ليست كما تظنون من التعقيد وصعوبة الحل ، اذ القضية لا تتجاوز أكثر من ان نقول له اذا ما قال :-

- لماذا انتم ضاحكون فى مثل هذا اليوم وهو يوم ذكرى مريرة ؟

ان نقول له - « انا كنا نضحك على يزيد ابن معاوية وتنتهى الحكاية » •

ولست ادرى ما اذا كان امثال اخينا عبدالمحمد سيقنعون بهذا الجواب ؟

ولكنى ادرى ان هذا القول بالاضافة الى تلك الاشارة التى يفيض بها وجه الشيخ محمد كاظم كما كان يفيض وجه ابيه كانت تخفف الشيء الكثير من غضب الرجل

اذا غضب ، ان لم تسحره •

لقد كان لى ابن عمه هو السيد محمد باقر العظمى وهو من العلماء الممتازين

يمثل هذا الخلق الرضى وهذا السحر الناطق به وجهه ولسانه ، وقد كان اذا احتاج

الى خادم فلا يحتاج الامر عنده الى اكثر من يوم يخرج فيه الى السوق او الحرم

فيعود بخادم بدون اى عناء ، وكل رأسماله فى ذلك وجه بشوش ، وكلمات حلوة

معسولة ، وطيبة نفس ، اما الشيخ محمد كاظم فلم احسب ان الامر يتطلب عنده

اكثر من ساعة وليس اكثر من ذلك يخرج فيها خارج بيته ليعود بخادم يقوم بكل

شؤون الخدمة حتى طبخ القهوة للضيوف يوميا وكيفية تقديمها ، وهكذا سحر خدامه

فكانوا اخلص ما يكونون له نسييا •

ولقد زادنى الخدم معرفة بالكثير من اصدقائى ، وانكشف لى جانب كبير

من اخلاقهم ، ومن طريق خدام الشيخ محمد كاظم عرفت الشيء الكثير عن علو

نفسه ، وشممه وطيب سريره ، وحسن معاملته لخدامه والطبقة الثالثة من الناس

حين كنت ازوره ولم اجده فاقضى الوقت بمداعبة الخدم واختيار ملكاتهم ريثما يعود

صاحب البيت •

لقد عدت الى ذكرياتى استوحى منها صورة هذا الرجل الذى خسر العلم

والادب وخسرته الاخلاق الكريمة الفاضلة وخسرته مدينة النجف ودواوينها فى

هذا الوقت الذى طغت المادة فافسدت النفوس حتى عز تعويض الخسارة فلم اجد

لى طريقا بين هذا المزدهم من الذكريات المليئة بالحزن والفرح ، والمفعمة بالعبرة

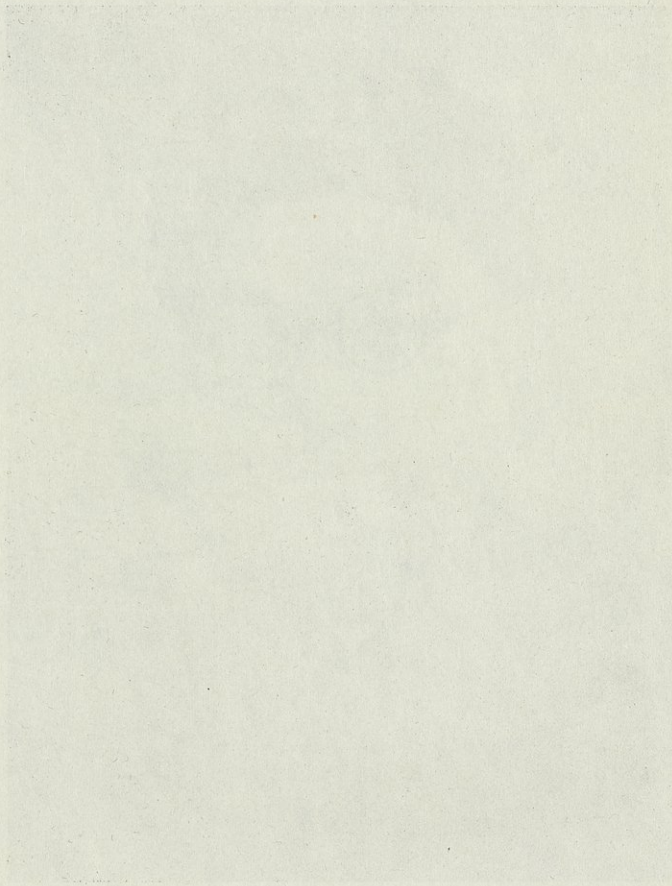
والتأمل ، فهي ذكريات من الحرام ان تظل مطوية في الصدور ، قابضة في زوايا النسيان ، ولكن اين لى الوقت لتتبع هذه الامور ، واستخراج كنوزها ، واستكناه عبرها ، وعرضها على الانظار صورا مجلوة بجميع الوانها عن حياة كان لى من متعها الشيء الكثير •

اننى اذكر الان لىالى احينها فى النجف ، وفى مسجد السهلة ، وفى مدينة الكوفة ، وقد شربنا فيها كؤوس الادب حتى الثمالة وان كل خاطرة منها تكفى لتؤلف صفحة نقية من صفحات تاريخ هذا البلد فى فترة من ذلك الزمن الذى خطه عدد من فحول رجال العلم والادب وكان الشيخ محمد كاظم من اعلام تلك الزمرة • فوجئت بموته مفاجأة غير منتظرة ، وفزعت فلم تدق عيني النوم لىالى طوالا ، وقد حضرت مجلس الفاتحة ، وخلافا للمألوف ، وخروجا على العادة المتبعة ، رأيتى كالاطفال انفجر بالبكاء والنحيب بدون اختيار ، لاننى كنت قد فقدت فيه صديقا كريما • واخا وفيا ، ورفيقا رقيقا ولان النجف قد فقدت فيه هى الاخرى احد رجالها الذين قلما تجود الايام بامثالهم من ذوى النفوس الكبيرة التى عاشت ساعة للخير هادية للصراط المستقيم ، بعيدة عن الشر ، حبيبة الى النفوس •

من كان يظن ان ذلك الوجه المشرق الساحر ، وذلك اللسان الذئق الجميل ، وذلك القلب الكبير الحنون سيخفيه الموت عن الانظار فى بضع ساعات كان لم يكن هنالك قلب حساس ، ولا وجه حبيب ، ولا لسان ذرب ، لولا تلك الذكريات لتلك المحامد التى عطرت اجواء النجف عشرات السنين •



السيد علي بحر العلوم



السيد علي بحر العلوم^(١)

اذا رجعنا القهقري نحو اربعين سنة واكثر قليلا واتيح لنا ان ندخل النجف زائرين فلن يستلفت نظرنا من النجف شيء غير هذه الحركة النشطة من دراسة الادب والفقه والاصول ، وهي حركة تتجلى في العشرات من المدارس الدينية ، وفي الجوامع ، والمساجد ، وفي عدد من (الدواوين) التي كانت تسمى (بالمجالس) وكان الزائر يستطيع ان يستعرض الكثير من ذلك في الصحن الشريف الذي كان يعج يومذاك بجموع غفيرة من المعتمين بالعمائم السوداء اشارة الى السلالة النبوية ، والمعتمين بالعمائم البيضاء التي تفصلهم عن غيرهم من العلويين وتجمعهم باكثرهم في حلقة واحدة من حلقات الدرس ، والى مثل هذه العمائم التي كانت ابرز ما يشاهد المشاهد في النجف يومذاك يشير الشيخ علي الشرقي (النجفي) في ضمن ما يريد أن يشير في قوله عن النجف قائلاً :

بلدى رؤوس كلها أرأيت مزرعة البصل؟

وكانت هذه العمائم من بيض وسود تتحلق حلقات هنا وهناك في الصحن الشريف وفي غيره مصغية بكل جوارحها الى استاذها الذي تنتهي عنده الحلقة كما ينتهي العقد عند رأس القلادة ، وأنا آخر تبدو مشبكة في مناقشة تلين وتشتد حسب طبيعة المتناقشين وامزجتهم ، فقد زعموا ان حدة المناقشة كانت اكثر ما تجرى عند الطلاب الاتراك الذين كانوا يفدون من تركستان وققاسية واذربايجان اما اللين والتؤدة في المناقشة فاكثر ما كانت تسود الطلاب الهند واليتيين ، والواقع ان المزاج الحاد في المناقشة كان مزاج الشبان من طلبة العلم على الغالب وكثيرا

(١) مجلة النجف - تشرين الثاني ١٩٦٠

ما كانت تؤول حدة هذه المناقشة في الدرس الى (ضرب المدس) فوق الرؤوس ••
اما الذين كان يتغلب عليهم الوقار في اغلب حركاتهم ومناقشاتهم فقد كانوا
من شيوخ الطلاب ومن الذين افنوا اعمارهم في الدراسة ، وقلما شوهد فتى ناشئ
يستطيع ان يكبح جماح نفسه ويحد من غضبه وحماسه في اثناء المناقشة والحوار
الغنيف انذى كانت تقتضيه دراسة العلم الحرة في ذلك العصر ، خصوصا وان
الصراع والعنف في النقاش كان بمثابة الاعلان ولقت الانظار الى ان هذا المتحمس في
صرخاته والمشمع عن ذراعيه ، والضارب بكفه على جلد كتابه ، انما هو من الجادين
في الطليعة ، ولقد كان هذا المفهوم مطبوعا في اذهان الكثير حتى كان البعض من اولاد
الشوارع والاطفال يقومون بتمثيل حلقات الدرس في العابهم ويستعملون اللفظة
الغليظة المفحمة ، والصياح ، والعريضة ، فيقفز بعضهم في وجه بعض معترضا
محتجا على الاخرين كما يفعل بعض اولئك الطلاب المتحمسين تماما متخذين من
تقليد حركة البحث والمناقشة موضوع تسلية في لعبهم •

ولربما مر احد طلاب الدين على الاطفال في الشارع وهم منغمسون في تمثيل
حلقة البحوث فيدونو منهم هذا الطالب ويضحك ، وربما نقل تلك الصورة التي
شاهدها الى بعض اصحابه مازحا متندرا وقال لهم :

- لقد رايتكم اليوم بعينى واتم تتحلقون في الشارع ، واصواتكم تشق عنان
السماء ، ورأيت رأس الشيخ محمود (مثلا) يكاد يتهشم تحت وابل من (المدس
الناشقة) •

اقول قلما شوهد شاب يستطيع ان يتغلب على مزاجه في تلك الايام ويدخل
البحث ويخرج من حوزة الدرس فلا حدة في النقاش ، ولا غضب خارج الحدود
ولا عصبية تستلقت الانظار ، ولا اى شيء مما اعتاد اغلب تلك الجموع من الشبان
ان يكون ، ومن هذه القلة كان شاب في نحو العشرين نحيف الجسم حلو السمائل
دلت عمامته الانيقة السوداء وعباءته الفاخرة وحذاؤه الجديد الذي كانوا يسمونه
يومذاك (بالتخته بابوج) والذي لم يلبسه الا القليل وجواربه البيضاء التي كان ينفرد
بلبسها الوجهاء لان الاغلبية في ذلك اليوم لم تعرف لبس الجوارب شتاء فضلا عن

الصيف لقد دل كل هذا على شيء غير قليل من الاناقة والوجاهة وكان يدنف الى (الصحن) وهو متأبط كتابا قد يكون هو الآخر منفردا بين الكتب من حيث جلده ، ونظافته ، فاذا حضر درس استاذة ، واندس في حلقة البحث كان من اكثر الطلاب اصفاء ، واقلهم شجارا ، واكثرهم وقارا كما لو كان في العقد الخامس او السادس من العمر !••••!

وكثيرا ما كان يرافق هذا الشاب شاب اخر اكبر منه في السن قليلا حين يدخل الصحن وحين يخرج من الصحن ، وقد يكون هذا الرفيق مشابهها له كل المشابهة ، ومجانسا كل المجانسة لولا شقرة بادية في وجهه ، وفي لحيته الخفيفة •

اما الاول فهو السيد على بحر العلوم، واما الثاني الاشقر فهو اخوه السيد ميرزه • وقد يرافق الاثنين بعض الاحيان شاب اصغر منهما سنا هو الآخر كان يستلفت الانتظار باناقته ، اما هذا الشاب فهو السيد ضياء الدين بحر العلوم رئيس محكمة التميز الجعفرى اليوم •

ولم يكن السيد على بحر العلوم ليضيع على من يتسنى له ان يدخل حوزة طلاب العلم ويلج (المجالس) لانه كان متفوقا على أقرانه في الدرس والبحث ، وانما لانه كان نسيج وحده من سلوك يثير العجب ، فهو فضلا عن كونه عنوانا للاناقة والذوق فقد كان عنوانا لعدد من الفضائل والمحاسن وكان طابعه الوقار في كل حركة يقوم بها ، وفي كل كلمة ينطق بها ، ولم يكن يعسر على الملاحظين ان يتوقعوا له زعامة اجتماعية ومكانة تجعل منه شخصية مرموقة ، وتجعل من بيته (مجلسا) عامرا باهل الفضل ، والعلم ، والادب ، وملجأ يلجؤ اليه ارباب الحاجات وطلاب المساعدة فالسنة الخصة تعرف من ربيعها الخصب كما يقولون •

واصحاب المجالس (الدواوين) في ذلك اليوم^(١) كانوا كثيرين في النجف ، ولكن الدواوين المرموقة باصحابها المرموقين لم تكن تزيد على بضعة دواوين كان في

(١) وفي غير هذا المحل من الكتاب وردت اشارات كثيرة لمجالس النجف وماهيتها وقيمتها التاريخية والاجتماعية في حياة النجف العامة والخاصة ، ولاسيما في استعراض ايام الشيخ عبدالكريم الجزائري ومجلسه العامر •

مقدمتها ديوان الشيخ جواد الجواهري وديوان الشيخ عبدالرضا الشيخ راضي
وديوان الميرزا مهدي الاخوند وديوان الشيخ عبدالكريم الجزائري وديوان
السيد محمد علي بحر العلوم وبعض الدواوين الاخرى *

والمجالس كانت عنوان النجف منذ كان تأريخ النجف ، وهي تمثل النجف
تمثيلا فيه الكثير من واقع البلد وحقيقته واهدافه ، وفي هذه المجالس كانوا يتبادلون
الاراء والافكار السياسية ، وفي هذه المجالس كانت توضع الخطط ، وتعد المناهج
العامه ثم هي بعد ذلك اشبه بقاعة المحاضرات ، والدرس ، والمباراة الشعرية ، بل
كثيرا ما قامت هذه المجالس بمهمة المحكمة ففصلت بين المتشاكين ، وتوسطت في
حل المشاكل على قدر ما لصاحب المجلس من لياقة وقابلية ، والمرتادون لهذه المجالس
وان كانوا من طبقات مختلفة ولكنهم كانوا عيون البلد ووجوههم لا يصلح غيرهم ان
يمثل النجف تمثيلا واقعا في افكاره وآرائه وما هي عليه من مواهب أدبية فنية ،
والى مثل هذه المجالس يعود الفضل الاول في بذرة الاستقلال ، ووضع اول خطة
نكيفية المطالبة باستقلال العراق ، ومن هذه المجالس انبعثت فكرة ثورة النجف
الاولى في وجه الانكليز ، والى مثل هذه المجالس يعود الفضل في تضييق دائرة
الحروب القبلية وحروب (الزكرت والشمرت) *

ولاهمية هذه المجالس في تاريخ النجف - بل تاريخ جانب كبير من العراق وما
يدور فيها من الوان للحديث والافكار - سمي بعض المؤلفين فصول كتبهم (بالمجالس)
وقالوا ان المجلس الاول من الكتاب مثلا يتناول من المواضيع كذا ... وكذا ...
ولقيمة المجلس من هذه المجالس وحيويته قال المار على القبور وهو يسلم :-

سلام على اهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في (المجالس)
ومهمة اصحاب المجالس ممن اتيح لهم ان يتبوؤا زعامة البلد الاجتماعية شاقه وخطيرة
بالنظر لعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، ومع ذلك فقد كان هنالك ما يذلل هذه المشقة ،
ويخفف من صعوبتها ، فقد كان بين الناس عدد غير قليل ممن جبلوا على حب
التضحية بالمال ، والتضحية بالمجهود ، والتضحية بالجاه ، وكان هؤلاء عادة من
المعجبين باصحاب تلك الدواوين ، والمأخوذين بسحرهم ، وكانوا يحضرون تلك

المجالس - وكثير منهم من يلازمها - فكان الزعماء الاجتماعيون من اصحاب الدواوين يستعينون بهؤلاء في سد ثغرة او تنفيذ امر او حل مشكلة كبيرة ، او تبرع بانال لجهة من الجهات الخيرية ، خصوصا وان الناس كانوا يعافون دور المحاكم والقضاة ويرجعون في كل دعاواهم ومشاكلهم الى هذه الدواوين بحيث لم يبق هناك ما يشغل المحاكم الا القليل من الدعاوى المتعلقة بالجرائم ، والتي تؤول الى المحكمة على رغم اغلب اصحابها وذوى الشأن فيها ، ومما كان يروى عن قيمة هذه المجالس في فض النزاع وحل المشاكل بحيث تخلو دور القضاء الرسمية في تلك العهود من الدعاوى : هو ان قاضيا كان قد تعين لمحكمة النجف في العهد العثماني ، وكان قد تأخر دفع راتبه له وهذا ما كان يحدث كثيرا حينذاك فلم يجد هذا القاضي من يرجع اليه في دعواه مدة اقامته لكي يستطيع ان يفيد منه شيئا على حساب القيام بخدمة خاصة على الاقل اذا لم يكن على حساب الرشوة فطلب القاضي فراش المحكمة وامره بان يقف على الباب فيدخل عليه اول شخص يمر من هناك وبعد ساعة مثل امام القاضي رجل كان قد مر فساقه الفراش الى المحكمة وسأله القاضي :-

- هل لك دين في ذمة احد لكي نبعث فنجلب مدينتك الينا ونستحصل لك المبلغ لقاء شيء تدفعه لنا ؟
قال الرجل - لا ...

قال القاضي - وهل انت مدين لاحد لكي تتدخل في الامر ونحضر لك الدائن ونحمله بطريقة من الطرق على تصفية دينك واعفائك منه نهائيا ؟
قال الرجل - لا ...

فالتفت القاضي الى كاتبه وقال له :

- اكتب له « لا طالب ولا مطلوب » وقل له « جيب مجيدي »
اي انه لقد ثبت لدينا انك لست دائئا ولا مدينا وعليه فيجب ان تدفع لنا (مجيديا) والمجيدى عملة عثمانية تساوى ما يقرب من ربع الدينار اليوم .

اقول لقد كان لتلك المجالس (الدواوين) فضلا عن قيمتها في حل المشاكل الخاصة والعامة وتمثيل النجف في مختلف ادوارها - شأن كبير في الثقافة العامة وصقل الافكار ، ولم يكن من الهين لكل من يستطيع ان يفتح بابه ، ويصف اباريق القهوة حول موقده ان يشغل تلك المكانة فيكون صاحب ديوان على هذه الشاكلة ، والا لكانت النجف كلها دواوين تسمع صوت فناجينها على بعد مئات الامتار وانما كانت لتلك المكانة مؤهلات خاصة يرجع اصلها الى الفطرة اولاً ثم الى مجموعة من الملكات التي تصقلها التجربة ، والدراسة ، والخبرة ، وتسندھا اخلاق تمتاز على اخلاق الوسط باشواط ومراحل ، وان الجديرين بهذه المنزلة كانوا معروفين من اول نشأتهم ♦

وكان السيد على بحر العلوم في شبابه في الطليعة اذا ما اريد حصر الذين يمكن ان يكون لهم مثل هذا الشأن في المستقبل ، فقد كان يضع نفسه منذ اول نشأته موضع هذه الزعامة ، وكانت مؤهلاته كلها من حيث الاسرة والقبليّة والجدارة تساعد على ذلك ، ويقول صديقنا الشيخ حسين الحلي - ان المرء حيث يضع نفسه في النجف فاذا قال النجفي اني اريد ان يكون اسمي شيخ المشايخ مثلا قيل له : فليكن ذلك ، او قال اريد ان اتصدّر المجلس ، قيل له ليس هنالك من بأس ، ولكن المؤهلات هي التي تعمل عملها بعد ذلك وان كان المرأ حيث يضع نفسه ♦
ولكى يدعم الشيخ حسين قوله هذا بالبرهان قال لي :

- لا اشك انك تعرف السيد جعفر بحر العلوم ♦

قلت - اعرفه ♦

قال - فما رأيك فيه ؟

قلت - عالم جليل ، وبحاثه معروف ، وهو في انفقہ والاصول ، والادبين

العربي والفارسي حجة من الحجج وتحفة من التحف ♦

قال الشيخ حسين - ولكن السيد جعفر قال - اريد ان اكون خاملا فكان ...

أفليس اذن حيث يضع المرأ نفسه ... ؟

والسيد على بحر العلوم لم يضع نفسه حيث اراد فحسب وانما كانت تسند

زعامة مؤهلات عرفها فيه الناس يوم اول دخوله حوزة طلاب الدين . . .
وشب السيد على وشبت معه هذه الخصال الحميدة ، محبة يعمر بها من يعرف
ومن لا يعرف ، وخير يريده للغير اولاً ثم لنفسه ، وغيره على الدين ربما تجاوزت
الحدود .

وتردد اسم السيد على في جميع الاوساط وبدأت شهرته تعمل عملها يوماً بعد
يوم .

- اين كنت ؟ . . .

- في بيت السيد على

- ومن اين جئت ؟

- من بيت السيد على . . .

ولم تلبث هذه الشهرة ان اخذت طريقها المستقيم فاذا بهذا البيت يعج
بالعلماء والادباء والتجار والعمال عصر كل يوم ومساء كل ليلة على الغالب ، واذا
بالمجالس النجفية تنقلص يوماً بعد يوم كلما مات زعيم من زعمائها الاجتماعيين
فينهض بيت السيد على بمهمة تلك الزعامة بعد مجلس الشيخ عبدالكريم الجزائري
ويصبح ديوانه الواجهة الوحيدة للنجف يطل منها الزائر الدارس على حياة النجف
العامة والخاصة بكل اتجاهاتها الاجتماعية والروحية واذا بهذا الرهط من خيار
الصحاب الذين يصاحبون السيد على ويماسونه ينشطون في اتجاهاتهم العلمية
والادبية فيختارون لانفسهم اسم (الصفوة) ، والحق انهم كانوا صفوة القوم في
بحوثهم وآدابهم واخلاقهم في جدهم وهزلهم ، ونقد قيل ان اسم (الصفوة) كان
اقدم من هذا التاريخ وانه كان يشمل عدداً من هذا العدد وكان من اعضائه الشيخ
محمد رضا الشيبى وغيره وكيفما كان الامر فانه لم يبق من الصفوة اليوم الا الشيخ
حسين الحلبي وكانت هذه الصفوة تتخذ من بيت السيد على ندوة عامة وخاصة فهي
لاتفارق (ديوانه) صباحاً ولا مساءً ، فاذا ما انصرف الناس وقضيت بعض حاجات
المراجعين من طلب وساطة السيد على في امورهم لدى العلماء او لدى الحكومة او
حل مشاكلهم الخاصة وفض النزاع فيما بينهم وانتهى المجلس فيما هو فيه من

مناقشات وانفرط عقد الاجتماع بقي اعضاء الصفوة في اماكنهم وتحول المجلس العام الى مجلس خاص ، وعمر هنالك بالوان شتى من جد وسمر برىء كانت تسوده النكتة والنظرف والدعابة .

ومعرفتى الذهنية بال بحر العلوم مستمدة من التاريخ البعيد مما كان لابائى الاول من صلوات متينة وقد جددها ابى بصداقته للسيد محمد على بحر العلوم والسيد جعفر بحر العلوم ، ثم توثقت اكثر بقيام حزب سياسى سرى بأسم (النهضة الاسلامية) كان قوامه السيد محمد على بحر العلوم واخى عباس الخليلى والشيخ محمد جواد الجزائرى والشيخ محمد على الدمشقى ، وهو الحزب الذى تبنى ثورة النجف سنة ١٣٣٦ هجرية وهى اول ثورة قامت فى وجه الانكليز واعتبرها البعض نواة الثورة العراقية الكبرى^(١) وقد قبض فيها على السيد محمد على والشيخ محمد جواد وغيرهما ونالوا فى سبيل (نهضتهم) الشيء الكثير من التعذيب والتشريد مما هو مذكور فى تاريخ هذه الحقبة من الكتب وفرأ اخى عباس الخليلى ونجا وكان الوحيد الذى نجا من جبل المشنقة .

اما معرفتى الشخصية بالسيد على بحر العلوم فانى لا اذكر متى بدأت لاول مرة وكلما اذكر هو اننى كنت والسيد ضياء الدين بحر العلوم زميلين وصديقين نجلس على رحلة واحدة فى المدرسة العلوية ، وظللنا سنين ونحن نصعد صفوف هذه المدرسة معا ومن هذا الطريق عرفت فيما بعد الكثير من افراد هذه الاسرة ، ولم البث ان وجدتنى صديقا حميما للسيد على بحر العلوم يشدنى اليه اعجابى الشديد بالمزايا التى انفرد بها فى هذا المجتمع وزاد من توثيق صداقتى به صداقتى للسيد مير على ابى طيخ عضو (الصفوة) والشيخ محمد حسين المظفر وانا وان لم اكن عضوا رسميا فى (الصفوة) ولكنى كنت اخلت منها جانبا مغمورا بمواقف الصفوة جميعها وكان يوم الاربعاء وهو اليوم الذى اتخذ منه السيد مير على ابو طيخ يوم (قبول) يسمح فيه لزواره الكثيرين بزيارته وهو كسيح مقعد فكان هذا اليوم يوم

(١) وفى مواضع اخرى ذكر عابر واشارة خفيفة لثورة النجف المذكورة لاسيما فى استعراض ايام الشيخ عبدالكريم الجزائرى .

تنفيس لاجزاء الصفوة يحضرونه كما يحضره غيرهم فاذا انصرف الزوار ظلت الصفوة جميعها عند السيد مير على ابى طيخ فلا يحين الظهر الا ويصل غداء كل عضو الى بيت السيد مير على فيمتد الخوان وتصف الصحون ولكن المعول الاكبر فى اغلب الايام ان لم يكن كل الايام على ما يأتى من بيت السيد على بحر العلوم من غداء يجمع بين الوفرة والتفاسة وكثيرا ما كان يحجم بعض الاعضاء عن الاتيان بغدائهم مكتفين بغداء السيد على الذى يكون قد اسنظر على ما يجلب الاخرون * وتأخذ هنالك الصفوة حريتها الكاملة ، وتأخذ من النكت والتعليقات والدعابة نصيبا وافرا ، وحتى فى هذا المكان يكون الوقار من اظهر مظاهر السيد على بحر العلوم فلا يكون هنالك شىء غير طبيعى عنده * * * !!

وانحصرت بديوان السيد على بحر العلوم جل مهمات دواوين النجف ولم يعد هنالك من الدواوين التى كانت تتعاون فى اداء الخدمة الا القليل وزاد من مشقة السيد على قلة اولئك الذين كانوا يضحون بالشىء الكثير من اوقاتهم ومجهودهم فى معاونة الزعماء فنقل عبء السيد على ، واصبح يعمل اكثر مما كان يعمل اى زعيم نجفى اخر *

وكان السيد على مجاملا باقصى حدود المجاملة * فكان لا يسمح لنفسه ابدا بالتأخر عن تفقد من يعرف ، وكان وصولا الا اذكر انه سبقه احد فى زيارة عاجز او ضعيف او محتاج او انه توانى عن قضاء حاجة تخص البلد كله او تخص الافراد ، وكما كان شديد الاحساس رقيق العاطفة مع الناس ، فانه كان شديد الاعراض عن كل من يحس باستخفافه بحقوق الاخرين او الذين لا يقيمون وزنا للفضيلة والكرامة ، واننى اعرف انه انقطع عن صديق له بعد صداقة ثلاثين سنة فلم يذكر اسمه على لسانه ولم يسمح لنفسه حتى بالاشارة اليه ، لانه كان قد اقتنع بان هذا الصديق قد ارتكب خطأ فظيحا عن عمد وسبق اصرار ولكن عداوة السيد على ما كانت لتتجاوز حدود الاهمال والافعال والاعراض التام عن يكره ويعدى فهو لا يذكره بخير أو بشر ، وهو بعد ذلك مرهف الحس كثير الغيرة على كرامته لحد الخيال تلك الكرامة التى يصعب ان تجد لها اليوم نظيرا ، والتى جعلت من يعرفه كثير

الحذر ، لثلا تبدر منه بادرة تساعد على ظن السيد على بانه من انذين لايفهمونه اولا
يعرفون قيمة كرامته كما ينبغي ان يعرفوا .

لقد اهدى لى ذات يوم (طاقة) من الترمة (الشمال الكرمانى) العزيزة الوجود ،
وكان هذا النوع من القماش وخاصة بلونه الترابى اجدر به مما هو بى انا لاختلاف
ملبوسينا ، فاصررت على ان يدعه لنفسه واصر هو على ان أخذه انا نفسى ، وعبئا
حاولت ان اثبت له ان لونا كاشفا قريبا للبياض كهذا لايمكن ان يكون لباسا شتويا
لمن يرتدى السترة والبنتلون من امثالى بمقدار ماهو مناسب لمن يرتدى الجبة والقباء
من امثاله ثم لمحت - وانا اصر - على وجهه سحابة اوحت الى انه ربما تصورنى
مستكفا ، فاستدركت واخذت (الطاقة) وشكرته ، واسرعت فعملت منها سترة وبنطلونا
ولبست البذلة مرة او مرتين حتى قنعت بانه قد رآها على ، ثم خلعتها بعد ذلك على
صديق كانت البذلة اكثر ملائمة له منى .

وعلى ذاكر الهدية والاهداء فانى اعرف ان الهدايا التى كان يتلقاها السيد
على فى بعض المناسبات كانت كثيرة ولكنى لا اعتقد انه قد سمح لنفسه مرة بان
تقبل أية هدية ممن لايعرف ، ولا اعتقد انه تلقى هدية من احد دون ان يخص
الكثير منها بالكثير من اصدقائه ، فقد كان كريم النفس ، سخى القلب ، لحد
الجنون ، وهو بعد ذلك من اوفى الاصدقاء ، ومن اكثر الناس حرصا على ان لا يكون
ثقيلا على أحد .

★ ★ ★

لقد بلغنى انه قدم بغداد مستشفيا وانه يشكو من وعكة ليست بذى بال كما
قال الاطباء وسرعان ما خففت الى زيارته ليلا بمدينة المنصور ، فالفيته قد انتقل الى
المستشفى ، وفى اليوم الثانى زرته فى المستشفى وقد وجدته قلقا على اكثر من
قلقة على نفسه . . . !! فقد كان يعرف انى اعانى بعض الشيء من وطأة ضغط
الدم وان الطيب كان قد الزمنى بقله الحركة فقال لى انه قد طلب من نجله السيد
محمد بان يتصل بى تلفونيا حين علم بمجىء الى بيته فى المنصور ليلا ، ليقول لى

بانه يكتفى منى بهذه الزيارة وانه لن يمنحني رضاه اذا ما فكرت بزيارته في
المستشفى .

★ ★ ★

وتكررت زياراتي له في المستشفى ورأيت الغرفة تكاد تتحول بل تحولت
الى ديوان آخر من تلك الدواوين المواجهة لرجال العلم والادب والسياسة في
النجف وكان السيد على في مرضه هو السيد على في شفاه وجه بشوش وذلاقة
لسان ، وفكر صائب ، وحديث حلو عذب ، وكان الازدحام على اشده من زائريه
الذين بدأوا يؤمون المستشفى من جميع الاطراف .

وتماثل للشفاء حتى لقد تعين يوم خروجه من المستشفى وقد اعدت العدة
لاستقباله ان هو عاد من بغداد الى النجف ، وفي آخر زيارتي له في المستشفى قال
لى وهو يتسم - قال لى - :

- ان الطبيب المختص قد طلب منى ان اسجل وزنى في كل ثلاثة ايام مرة هنا .
قلت - أهنا لك مانع لديك ؟

قال - اتظن انى باق هنا الى غد لكى اعيد نفسى بهذا التقيد ؟

ثم اضاف قائلاً انه قد اتوى ان يترك المستشفى غدا مادام قد شفى تماما .
وفى الغد فى الغد نفسه اتابته نوبة فجائية سلم على اثرها روحه لبارئته ،
وقد صدق حين قال لى انه اتوى ان لايمكث هنا اكثر من هذا اليوم .

★ ★ ★

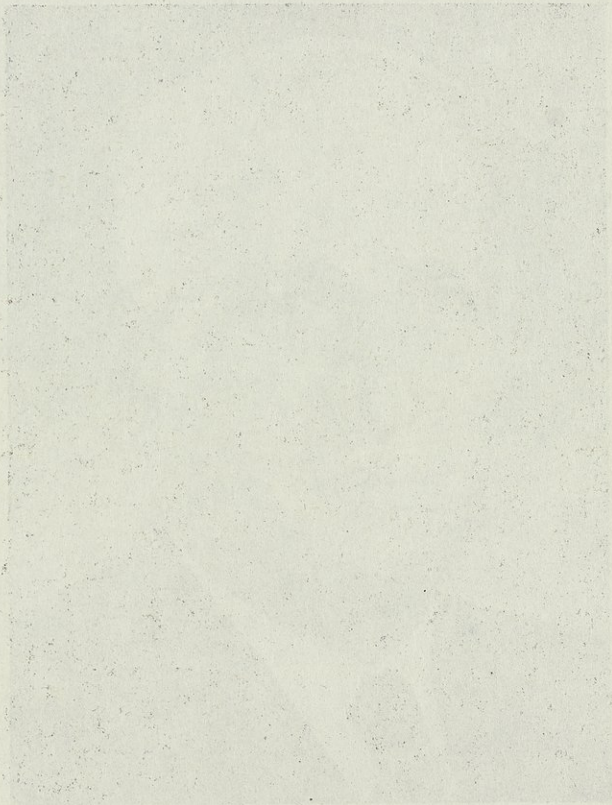
مات السيد على بحر العلوم وبموته اغلقت آخر نافذة يستطيع الزائر ان يطل
منها على النجف فيراها على حقيقتها ، مات فانطفأت بموته شمعة ظلت تير السبيل
للتائهين عشرات السنين ، وانهار ذلك المثل الشامخ من الرجولة والزعامة الاجتماعية
الذى طالما اتخذه ارباب الحاجات والخابثون فى آمالهم ملجأ تآوى اليه ارواحهم
وتتلج به صدورهم .

ربما كان الكثير قد ملك بسبب السيد على وعن طريقه افخم دار للسكن ،

ولربما كان الكثير قد تغلب على مشاكله المالية بسبب السيد على بحر العلوم ، ولربما
كان الكثير قد كسب راحة البال بسبب السيد على بحر العلوم ، ولكن السيد على
بحر العلوم نفسه مات ولم يرتح له بال ، ولم يملك عقارا ، ولم يكن له دارا ، وانما
ملك شيئا قل الذين ملكوه من الزعماء الا وهو تلك الكرامة التي انفرد بها والتي
ستحدث عنها تاريخ النجف طويلا ، فواللهفتى عليه وما افجع قلبي بفقده .



عبدالستار القرغولى



راوند ۱۳۵۲

عبدالستار القرغولي^(١)

لا احسب ان تعيين الزمن بالضبط ضرورى هنا ولذلك لن اكلف نفسى مشقة البحث عن تاريخ انتقالى المضبوط الى الحلة وانما سأترك لذاكرتى الحرية ان تسجل بعض ماهو مرسوم على صفحاتها من التواريخ والحوادث وكلما اذكر الان هو انى نقلت من مدرسة النجف الى مدرسة الحلة معلما فى نحو السنة ١٩٢٣ على اغلب الظن وكنت فى مقتبل العمر لا اخلو من الغرور بالكلمتين من المعرفة السطحية بالتاريخ والجغرافية اللذين كنت اتقنهما على حد زعمى وانا طالب وصرت ادرستهما وانا معلم ، ومثلهما من اللغة العربية والادب العربى ، ولا يبعد ان اكون قد مدت قدمى اطول مما يتسع لهما بساطى ، ووضعت نفسى فى محل اين منه الواقع لولا هذا الغرور الذى يركب الشباب ، وكان من حقى على زعمى ان افعل ذلك . . . الم استطع ان احمل القلم فاسطر بعض السطور من الاخبار وابعث بها الى جريدة الاستقلال والى جريدة العراق افرغ فيهما كل رغباتى حقا ام باطلا ، مثنيا على البعض او حاملا على البعض الاخر ، متسترا وراء اسم (المخبر الخاص) أو (مندوب الجريدة الفاضل) وهو فى الواقع تستر صورى ليس له وجه الا فوق الصحيفة ، اذ لم يبق فى النجف احد لم يعرف منى (انا بالذات) بانى انا - وليس غيرى - المندوب الفاضل ، والمخبر الخاص . . .

اضيف الى ذلك اننى كنت بحكم بيتى ومحيطى شديد التماس بمجالس النجف الادبية ، قريبا من الادياء اللامعين ، اراهم عن كتب ، واسمع احاديثهم عن قرب ، واتوخى الدعابة والمزاح على القدر الذى يألفه شاب نجفى مثلى يتطلب

(١) جريدة الاخبار - بغداد ١٢-٥-١٩٦١

السلو والمتعة فلا يجد في تلك الارض القاحلة الجرداء (النحف) غير الانتجاع لخلق
النكتة ، والسخرية ، والمزاح والمساجلات الادبية ، وغير ذلك من الدعاية البريئة
وغير البريئة ، واللذة الادبية الروحية الخالصة .



بمثل هذه الروح جئت مدينة (الحلة) قبيل افتتاح المدارس بأيام ، وعلى الرغم
من تنوع وسائل المتعة في هذا البلد يومذاك فقد وجدتنى انهيب هذه المتع كلها ،
بل اخافها كلها ، فانا لم اذق الخمرة ، ولم اجر ب حظى فى القمار ، فرحت ابحت
عن محيط يشابه محيطى النجفى ، وبيئة تحكى بيئى ، ومجموعة من الناس تهفو
اليهم نفسى ، وكان من حسن حظى ان وجدت فى أحد ابناء عمومى الذى كان
يسكن الحلة منذ زمن بعيد والذى نزلت فى ضيافته ملجأ ، فقد كان هذا القريب على
صلة لا بأس بها بالادب والادباء فى الحلة ، وقد كان نفسه يقرض الشعر ، ولربما
جود فيه بعض الاحيان فاتصلت عن طريقه بعدد من الادباء ، وقد تعرفت بهم عن
طريق قريبي هذا بزميل شيخ كان على جانب كبير من الخبرة بالادب وتاريخه ،
وبالشعر والشعراء ، بل كان فى الواقع ممن يعتقد برأيهم فى مفاهيم الشعر ،
وطبقات الشعراء فى جميع ادوارهم ، ذلك هو الشيخ عبدالرزاق سعيد ، او الشيخ
(رزوقى) كما تسميه الاكثرية ، وقد رحب بى الرجل كثيرا وتولى القيام بتعريفى
للادباء ، وقد رأيت شيئا اكثر من العناية من هؤلاء الادباء حين عرفوا بانى انا وليس
غيرى المراسل المرموق ، والمندوب الصحافى ، واننى سأكتب عنهم وعن الحلة
فصولا طويلة فى الصحف كما كنت اكتب قبل ذلك عن النحف ، ولم يكن يومذاك
من المؤلف لكل أحد ان يزاول الكتابة فجل الناس كانوا يصبون الى قول الشعر
وحده ، كما لم يكن من الهين ان يتمرس الكاتب اساليب الصحافة وصياغة الخبر
يومذاك ، وهذا ما كان يزيدنى غرورا خصوصا وقد ظهرت لى بعد ايام فى الصحف
اخبار ذات اهمية عن الحلة وسمعتها التاريخية ، ومقامها الادبى ، اما الشعر
فيكفينى منه اننى قد جربته من قبل وجودت فيه الى غير ذلك من المزاعم والادعاءات
التي كانت تقتضيها حالة الشباب الذى لا يكاد يعرف شيئا غير نفسه وما يحيط بها .

وانفتحت المدرسة وبدأ المعلمون يقدون اليها ، وكان من هؤلاء الواقدين من المعلمين شاب اسمر اللون ، حلو السمائل ، معتدل انقامة ، فى شىء من القصر ، يعلو رأسه فيس أحمر ، ولم تختط بعد شارباه ، تطفح بشرته بهجة ووداعة تقولان لك انهما عنوان الخير والمحبة ، ذلك هو عبدالستار القرغولى ، وخلال ايام قصيرة استلقت نظر القرغولى تقربى من الشيخ رزوقى ، وعرضى عليه ما كنت استظهر من الشعر ، والامثال ، وما كان يعلق به الشيخ على ما يسمع منى كلما سنحت لنا فرصة من فرص الدرس ، او فى اثناء ملازمتى للشيخ عند انصرافنا من المدرسة ونحن فى طريقنا الى البيت فلم احس الا وقد اندمج معنا القرغولى متحمسا بهذه اللذة الادبية ، ومشتركا معنا فيما نكون فيه من طرافة فنية ، ومتعة شعرية ، وصرنا نحن الثلاثة نخرج معا من المدرسة ونظل ماشين حتى نقابل جسر الحلة انقديم فيفارقنا عبدالستار ليغير الى الجانب الثانى حيث يساكن احد معلمى المدرسة الاولية ، ونظل انا والشيخ عبدالرزاق ماشين فلا نفترق الا عند بيتنا فقد كان بيت الشيخ عبدالرزاق قريبا من بيت قريبي الذى استضافنى ، وكان علينا ان نخترق السوق فى طريقنا الى البيت والمدرسة كلما عدنا من المدرسة او ابنا اليها ، وفى السوق كانت زمرة اخرى من ادباء الحلة تعرفت بهم عن طريق قريبي الميرزا عبدالحسين الخليلى وعن طريق زميل المعلم الشيخ عبدالرزاق سعيد وفى طليعة اولئك من الشعراء والادباء كان الحاج مهدي الفلوجى الذى كثيرا ما كنا نلقاه وقد اقتعد متجرا لاحد اولاده فى السوق ، ثم الشيخ حسن خصباك عم الدكتور شاكر خصباك ، والسيد قاسم وهو من افاضل اهل الادب واشرقهم ديباجة واخلاقا والحاج جواد فاتى ، والشيخ كاظم فاتى فنقضى بعض الوقت من كل يوم ونحن ذاهبون الى المدرسة او آيئون منها ، واتسعت دائرة معارفى واتصالاتى ، فعرفت فيمن عرفت الشيخ محمد امين عوض وكان من اوسع الادباء اطلاعا بتاريخ الادب ، ومن اكثرهم حفظا للنصوص ، ومع ذلك فلم يكن يستغنى الشيخ محمد امين عن ضبط الشيخ رزوقى وفصاحته فلقد عود الشيخ رزوقى نفسه على ان ينطق بالكلمة صحيحة التركيب ، مضبوطة الاعراب مفخمة حتى فى الكثير من الاستعمالات الاعتيادية ، وكثيرا ما كنا نسمعه وهو

يوجه كلامه لاحد الطلاب فى الصف صائحا به :

«اجلس طاح حظك بضم الظاء» وهذا الضم هنا وان كان يعنى المحافظة على الضبط ، ولكنه من جهة أخرى نوع من التوكيد على (طياح الحظ) ، وكان القرغولى يشعر بحاجة ماسة الى تلقى مثل هذا الضبط فى كل كلمة يسمعا ، فلقد كان ينزع الى الادب بطبيعته ، ثم اتيح له هذا الطرف فراح يغذى نفسه بما كان يسمع يوميا وما كان يعرض هو الاخر على الشيخ رزوقى وقد كان من حبه للادب ان قام بتدريس اللغة العربية فى بعض الصفوف فاقتضى ذلك منه ان يزيد من الاتصال بالشيخ رزوقى وان يأخذ منه ما يتيسر .

والشيخ رزوقى يستعمل كلمة (الربط والمربوط) كثيرا ، شأن النجفين وطلاب العلم فى النجف كأن يعترض الشيخ رزوقى مثلا على قول وارد فى غير محله ، او رأى يبدو له غير منسجم مع الموضوع فيقول : (شلها ربط) ؟

ويبدو ان القرغولى لم يكن قد سمع الربط والمربوط قبل هذا اليوم فسأنتى قائلا ان الشيخ رزوقى يكثر من كلمة « لا مربوط ، وبلا ربط ، وشلها ربط » وانا اخجل ان اسأله عن ذلك فما هو الربط ؟ فشرحت له معنى هذه العكازة ومحل استعمالها ♦♦♦

★ ★ ★

واشدت الالفة ما بيننا ، واذا بالقرغولى يصحبنا الى نهاية الخط فى كل يوم او فى اغلب الايام ، ويجلس معنا عند هؤلاء الاصدقاء فى السوق ، وكثيرا ما صحبنا الى بيت قريبي ، وتناولنا غداءنا معا عنده خصوصا بعد ان عرف ان مثل هذا فضلا عن كونه لا يكلف مضيفى شيئا فانه يسره كثيرا لاسيما وان طعامه كان من البساطة بحيث لا يوصف حتى لقد قدموا لنا ذات يوم خبزا وتمرا ولبنا وقالوا لنا انهم لم يطهوا شيئا اليوم بسبب الغسيل وطلبوا منا ان نأكل ونعذرهم ، والقرغولى من الدماثة والخلق الرضى والمجانمة ما ليس الى وصفه سبيل ، لذلك لم يكن غريبا منه ان يقسم لاهل قريبي بان غداءهم هذا هو الذ غداء يأكله فى حياته ولقد بالغ الرجل كثيرا حتى صحت به مازحا وقائلا له : يا سيدى ويا اخى لقد نويت انا ان ابقى هنا وعند قريبي

هذا الى ان اجد مسكنا مريحا انتقل اليه وانا اخشى ان يصدقك اهل قريبي وانت
تسنى عليهم وعلى طعامهم فيصاحبوني بالتمر واللبن ، ويماسوني بالتمر واللبن ، حتى
يهلكوني بالتمر واللبن ، اما انت فماذا يهملك وقد ربت لنفسك كل شيء في بيتك
من سكن وطاهية وغير ذلك •

★ ★ ★

ونزل قريبي على رغبتى فى البحث عن مسكن لى بعد ان اخفق فى حملى على
البقاء عندهم الى النهاية وبعد بحث طويل بالنظر لقلّة المساكن وجدنا بيتا يخص آل
النائب وقد تركوه منتقلين الى بغداد ، وكان قد سكنه رجل وامرأة على سبيل الحراسة
وهو بيت كبير ، يحتوى على عدة غرف ومرافق و (طوارم) ، وأبى آل النائب ان
يتقاضوا منى اجورا بالنظر لصلاتهم الوثيقة بقريبي الميرزا عبدالحسين وانتقلت اليه،
ورحت اتناول طعامى فى المطعم الوحيد الذى يتناول الموظفون الغرباء فيه طعامهم
ما عدا بعض أيام الجمع التى كان قريبي يرغبنى فيها على تناول الطعام عندهم •

وكنت اقضى جانبا من الليل انا والشيخ رزوقى فى بيت الشيخ محمد امين
عوض مجتمعين حول دنة ما عرفت القهوة الجيدة من غير طريقها ، ولا ازال للان
اتذكر اننى لم اكن وحدى الذى كان يتحسس جودة هذه القهوة وانما حتى
الفتجان كان ثملا بها ، فكنا نقضى جانبا من الليل نقرأ جانبا من شعر الرضى أو
المتنبى او البحترى ، وما كان يحضرنا من تعليقات واقوال حول ما كنا نقرأ ، والحق
اننى افدت من مجلس الشيخ محمد امين الشيء الكثير وعرف القرغولى سمرنا هذا
فرافقنا الى هذا المجلس ، وفى هذا المجلس عرف القرغولى صناعة (التقفية) لأول مرة
والتقفية هى ان يمسك احد ديوانا من الشعر فيقرأ البيت الاول قراءة كاملة ثم يشرع
بقراءة القصيدة بيتا بيتا دون ان يذكر القافية لان ذكر القافية يكون من شأن المستمع
الذى يجب ان يكون قد عرف - بمقتضى سليقته واطلاعه - القافية التى ركبها
الشاعر وصاغها كنهاية لهذا البيت (١) •

(١) لقد تم شرح التقفية فى أكثر من مناسبة من فصول الكتاب •

ولقد فرح القرغولى بهذا اللون من (المتعة) واعتبرها السلم الاول لقول
الشعر ، وهنا فى بيت الشيخ محمد امين جذبوا للقرغولى قراءة العروض وشجعوه على
النظم ، واعتبروا تجربته فى التقفية ، وفى التشطير ، والتخميس الذى مارسه قليلا
تجربة ناجحة دالة على ملكة ذات صلة بالمستقبل الالامع ، ومن هنا على اغلب الظن
بدأ تأريخ القرغولى الشعرى .

★ ★ ★

وفى العصر من كل يوم كنا نرتاد مقهى فى الحلة كان يضم السيد قاسم
والملا نافع ، والشيخ حسن خصباك ، وفى هذا المقهى كان يأتينا مرتادوه المذكورون
بكل طريف وجديد مغموسا بالدعابة والمجون وكان السيد قاسم هو المجلى فى هذا
الادب المرح وهو أدب كانت نفسى تهش له ولا يبعد ان أكون قد التذذت به اضعاف
لذتى بالجد الوقور منه ♦♦♦

وفى هذا المجلس من هذه المقهى عرفنا اشخاصا يشغلون مراكز ائمة فى
عدد من الجوامع المهمة لا تتناسب مراكزهم المرموقة مع ما كانوا يحدثوننا به عنهم
من ضعف المدارك وشدة البلادة ، وضحل المعلومات ، فكان هذا الجمع اى جمعنا
فى المقهى يتسقط اخبار اولئك النفر ويتخذ منهم موضوع شعر ساخر يتبارون فيه
ويظنون يتندرون به الى ان تهىء الحوادث لهم مواضيع جديدة ♦

وانى لاذكر ان مستقما كان يتصل بالحلة من جهة الغرب وقد ارتفع النزير
فى هذا المستقع حتى ضايق السيوت المتطرفة من المدينة فتصدى الحاج شكرى بك
الى هذا المستقع ودفنه فارخ له أحد اولئك الائمة اللامعين والذين طالما اتخذهم
الادباء موضوع دعابة ، لقد ارخ هذا الامام ردم المستقع بما يلى :

« سم عين نزت وشكرى بك عماها »

فتناول الرفاق هذا التأريخ وتفننوا فى تشطيره وتخميسه والتعليق عليه ، ولم
ادر فى وقته كما لم ادر للان بعد ماهو معنى (سم) ويغلب على ظنى ان تأريخه كان
ينقصه مائة من العدد فاستعان بالسنين والميم فى سد هذا النقص والله اعلم ♦♦ واذكر

فيما اذكر ان احدا من اولئك الائمة العباقره كان قد نظم قصيدة طويلة هذا هو
مطلعها :

لا اله الا الله تجرى المقادير حكمة بالغة تعتبر

وقد نالت هذه القصيدة من اولئك الرفاق الشيء الكثير من اهتمامهم حسب
العادة .

وقد تلا مرة احد الرفاق ابياتا لاحد مدرسى جامع الهيتاويين في الرحلة على
هذا النمط من اختلال الوزن والقافية وكان منها الشيء الكثير من (الدمدمة) فسماها
السيد قاسم بالقصيدة الدامية واقترح الرفاق ان يشتركوا كلهم في مباراتها فابتدأ
الملا نافع بهذا المطلع :

دوم ، دوم ، دوم طبلا بدمام قد حسن الصفع على الهام

ثم ضمنا هذه القصيدة البيت الهجائي الذي ظل يردده جميع ادياء الرحلة مدة
طويلة وهو :

افكاره تجذب اوساخها كأنها جرة حمام

واشترك الجمع واشترك القرغولى لأول مرة في هذا اللون من الفكاهة
فقبول بالتهليل والترحيب . وهكذا كانت هذه الزمرة تجتمع كل عصر فتتندر بالجاد
من الشعر والنثر ، والهازل منهما فتحضر انا والقرغولى الندوة وتقضى وقتنا نديدا
ثم نتقل ليلا لنسمر عند الشيخ محمد امين .

★ ★ ★

وتوسعت دائرة المتعة عندنا ففكرنا في اصدار جريدة ادية نكتبها بالطابعة في
بضع نسخ وتولى توزيعها على المدرسين والاصدقاء على ان يشترك كل جمع في
قراءة عدد واحد وقد انضم اليها أحد زملائنا المدرسين وهو فريد توما ، وفريد توما
هذا ذو مواهب متعددة ليس من حيث اتقانه عددا من اللغات العجبة فحسب وانما
لانه اديب متقن وقد اسهم معنا في هذه النشرة ، وكان لشعر القرغولى في هذه
النشرة سهم كبير ، وكان الفضل في طبعتها - كلما انجزنا مسودتها - يعود الى السيد

نورى شقيق السيد قاسم الاديب الشاعر .

★ ★ ★

وكانت فكرة التعليم المسائي قد انتشرت يومذاك فى العراق وقد تبناها ثابت عبد النور ببغداد فهبت الادارة والبلدية فى كل مدينة تفتح مدارس مسائية على حسابها ومن ضمن اولئك كانت متصرفية الحلة وبلديتها ، وقبلنا انا وعبدالستار القرغولى العمل فى هذه المدرسة الليلية غير راغبين وشبه مرغمين لان معارضة المتصرف لم تكن يومذاك هينة خصوصا وقد كان السيد ناجى شوكت من اقوى المتصرفين يومذاك ، والسبب فى عدم رغبتنا هو اننا لم نرد ان نفرط باوقات فراغنا التى خصصناها لمتعتنا الادبية ، وكم سرنا ذات ليلة حين وجدنا لنا عددا نقضى تلك الليلة عند الشيخ محمد امين عوض فقد انطفأت مصابيح الكهرباء ، وكان يملك مشروع الكهرباء فى الحلة آل سوسة ، وهم اهل الدكتور أحمد نسيم سوسة ، وكثيرا ما كانت تنطفئ الاضوية فجأة فيصبح اطفال الحلة (خدم سوسة) (خدم سوسة) فاذا ما اضاءت فجأة صاح الاطفال (اشتعل سوسة اشتعل سوسة) وفى تلك الليلة انطفأ الضوء فصرخ طلاب المدرسة المسائية على انهم لم يكونوا اطفالا لقد صرخوا (خدم سوسة خدم سوسة) ووجدناها فرصة ثمينة ، فخرجنا الى دار الشيخ محمد أمين عوض ، وفى الطريق الفينا السوق مضيا !! فهل يا ترى ان ضياء سوسة قد خمد فى المدرسة وحدها !! ثم علمنا بعد ذلك ان هنالك طريقة يلجأ اليها الفراشون فيقطعون مجرى الكهرباء فتتعطل الدراسة !! وعلم الفراشون اننا انا والقرغولى مرعمان على التدريس ليلا ، واننا نستطيع انقطاع الضياء ، فراحوا يراقبون سأمنا حتى اذا رأونا ذات مساء على غير سجيئتنا عمدوا الى المجرى فقطعوه ، فكنا نعرف القضية وتتجاهلها بل طالما عمد احدا فدعا الله على مسمع من الفراشين بان يبعث ملائكته تقطع التيار بعد انتهاء الدرس الاول مثلا ، فيرفع الثانى منا يده الى السماء قائلا : آمين اللهم آمين وسرعان ما ينقطع المجرى فتظهر الدهشة علينا امام الفراشين ، ونستغرب كيف ان الله قد استجاب

دعاء ، ويستغرب الفراشون هم الآخرون معنا ، ولكنهم كانوا يضحكون في (عبثهم)
كما يقول الاصطلاح العامي انهم كانوا يضحكون في سرهم منا ومن بلادتنا •

★ ★ ★

وجاء رشيد القرغولى الاخ الأكبر لعبدالستار الى الحلة ونزل عند آل الحاج
شكرى بك فقد كانت بينه وبينهم مودة ، ولأول مرة رأيت المرحوم رشيدا وعلمت
ان رشيدا هذا لم يكن راضيا من الاسراف الذى كان يظهر به عبدالستار ، وعلمت
ان راتب عبدالستار لم يكن يكفيه ، وان السيد رشيد كان يمدد فى كل شهر بمقدار
آخر من النقود لذلك عوتب عبدالستار من لدن الحاج شكرى بك واخيه ، وافهم
ان مثل هذا الاسراف غير صحيح ، وقد عرض عليه ان يترك بيته وينتقل الى بيت
الحاج شكرى وقد قبل عبدالستار بان يترك بيته ويترك العادمة المستأجرة من
قبله ومن قبل زميله ومساكنه ، ولكنه ابى خجلا ان ينزل فى بيت الحاج شكرى ،
وقال لآخيه بانه سيمثل امره ولكنه سينتقل الى بيت الاخ الذى لم تلده امه ، وقد
كان يعينى انا بذلك •

وهكذا تم انتقال القرغولى الى بيت آل النائب وأبى ان نختار له غرفة مستقلة
من تلك الغرف الكثيرة فى هذا البيت الواسع الذى لم يسكنه غيرى وغير حارس
وزوجته ، وانما فضل ان يشاركنى فى غرفتى ، فكنا نتناول طعامنا فى المطعم ، ونأوى
الى بيتنا هذا فنقضى بعض الوقت فى تحضير الدرس اما هو فكان يميل على أحد
الدواوين عند فراغه من تحضير الدرس وتصحيح ائتمارين المدرسية ويبدأ بقراءة
الشعر ولكنه كان يأبى ان يقرأ هذا الشعر لنفسه وانما يصر على ان يشاركنى معه
ولا يفيد معه قولى باننى مسبوق بهذه القصيدة ، واننى كنت قد قرأتها قبل سنوات ،
وكنت اقول ذلك صادقا بعض الاحيان وكاذبا حيناً اخر لكى اتخلص من هذه المشاركة
فى قراءة الشعر وانصرف الى مطالعاتى الخاصة •

وذات ليلة ايقظنى القرغولى بعد ان كنت قد اطفأت الضوء ونمت ، وقال لى
انه قد حضره بيتان من الشعر وهو يريد ان ادلى برأى فىهما ، والحق انهما كانا
بيتين جميلين على ما اذكر ، ولكنى قلت له اننى لم اسمع اسخف منهما شعرا وان

الاصح هو ان يترك قول الشعر وقلت له اننى كنت قد خدعته حين قلت له اننى
معجب بشعره وحين قلت له ان بينه وبين تبوأ مقام الشاعر ليس الا شبر أو أقل من
ذلك ••• فسكت ولم ينطق بكلمة واحدة وفى الصباح صارحته بالحقيقة ، وقلت
له اننى معجب كل الاعجاب ببيتك ولكن أفما كنت ترى من الانسب لو انك اجلت
عرض البيتين على الى الغد؟

قال - ولكن ادرى كيف قضيت تلك الليلة وانت تجابهنى بتلك الصراحة
التى لم اشك بها؟

قلت له - لا ادرى •••••

قال - لم تجف لى عين من الدموع !!

اذن فقد كان الشعر كل مبتغاه وامانيه فى حياته ، وقد ظن انه لن يظفر به
مادام احسن منظومه عندى هو استخف ما سمعته الاذن على ما قلت له فقد كان يعتر
برأىي كثيرا ، ولكى ازيل الشبهة من نفسه تماما طلبت منه ان يعرض البيتين على
الشيخ عبدالرزاق ، والسيد قاسم ، والملا نافع ، ثم يعرضهما على الشيخ محمد امين
عوض ليتأكد من اننى كنت هازلا ، ولم يكتف هؤلاء بالاستحسان بل عمد بعضهم
الى تشطيرهما وفى تلك الامسية تطرق الشيخ عبدالرزاق والشيخ محمد امين عوض
الى طائفة من المعانى المقاربة لبيتى القرغولى ، وفى تلك الليلة او فى ليلة اخرى طال
بنا السهر والسمر فى بيت الشيخ محمد امين فلم نلتفت الا وضوء الفجر يملأ
الكون ••••• !!

★ ★ ★

وافترقنا بعد ذلك ، فقد عدت انا الى النجف وانتقل هو الى الغربى ثم
الى بغداد وابتدأت المراسلة بيننا ، وقد تضمنت هذه المراسلة الشئ الكثير من هواجسه
وافكاره وآلامه النفسية وقد وقع بينه وبين أخيه رشيد شئ من سوء التفاهم ، فقد
كان يريد هو السفر الى مصر للدراسة ، وكان اخوه يمانع ، ثم حدث بينه وبين
بعض اصدقائه ما ابعد الشقة بينهما وكنت انا فى كل ذلك اسعى على قدر الامكان
لتبديد آلامه واحزانه ، وكنت انا الذى سمعت الى اصلاح ذات البين برسائلى او

بمواجهتي له في اثناء العطل بينه وبين اخيه فقد كنت ازوره في بيته في القرغول
وكان يفتح لي نفسه على مصراعها ليسمع من جديد ما كنت اسطره له بقلمى
مشروحا بلسانى وهذه احدى شكاواه التى كان يبعث بامثالها الى النجف •

لا احد غيرك يا جعفر يسبر احوالى او يشعر
فانت لى خير نصير اذا داهم قلبى الفزع الاكبر
يامن يقولون له (جعفرا) وتستقى من فضله الابحر
وافى كتاب منك الفاظه يفوح منها المسك والعنبر
بدد بعض الحزن عن مهجة تكاد فى نيرائه تسعر
قد كنت لا اعرف معنى الاسى ولا اذم الدهر او اضجر
وكنت لا ابكى لخطب عرا واليوم صارت ادعى تشر

واشدت ألفتنا أكثر وأكثر ، وازداد اتصالنا فى أيام العطل المدرسية حتى لقد
فكرت اخته ان تخطب لنا معا وفى آن واحد وقالت لى : انسى اريد ان ازوجك امرأة
سنية لكيلا تبعدك عنا ولتظل قريبا منا الى الابد وبدأت تبحث لنا فعلا عن زوجتين •

★ ★ ★

وقد وقع القرغولى فى حب احدى الفتيات اللاتى اكملن دراستهن فى تلك
السنة بدار المعلمات وكنت قبل ان اعرف القرغولى لا اؤمن بما جاءت به القصص
عن العذرين على ذلك النمط من المبالغة بل كنت اعتقد ان ذلك ضرب من السفسطة
التى لفقها كتاب القصص لقضاء الوقت او لتحييب المثل فى النفوس فاخرجوها عن
واقعها بتلك الصور التى مثلوا بها حب ليلى وقيس ، وحب ليلى وتوبه ، وحب جميل
وبشينة ، وغيرهم ، اقول لم اكن اؤمن بشئ من تلك المبالغات التى تجاوزت الحد
حتى رأيت القرغولى ، وحتى سبرت عواطفه ، وحتى فهمت قلبه فاذا بى اشد
ما اكون ايمانا بوجود هذا النوع من الحب العذرى •

وعارض اهله فى هذا الحب واطلعت انا على سر هذه المعارضة فالفيت نفسى
اكثر منهم حماسا فى الحيلولة دون تحقيق هذه الخطبة ، وحدثت هنالك امور كان
لها تأثير كبير على صحته ففضى صيف تلك السنة فى لبنان وسوريا استجماما للراحة ،

فقد نزل على رغبة الجميع وطلق حبه نهائيا ومع ذلك فقد ظل يئن ويحن ، ويبكى ، فهو من رقة العاطفة بحيث لا يستطيع ان يسمع قطة تموء الماء ، او شاة تغو استيحاشا وبعد زمن عرف تماما ان الخير كله كان في عدونه عن ذلك الحب وانصرافه عن الزواج بمن احب ، وهذه قطعة من قصيدة كان قد بعثها الى يوم كان الحب مسيطرا عليه :

اسر الحب فؤادى زمننا ونفى عن مقلتي الوسنا
اصبح الدمع طليعا ولقد الف الجسم نحول وضنا
ارقب النجم وحيدا فى الدجى كحكيم باندرارى افتننا
ليس لى فى وحدتى من مؤنس غير انى اتسلى بالمنى
نكت العهد اجبائى الاولى كنت فى قربهم اجنى الهنا

وتزوجنا انا وهو فى زمن متقارب وانا وان لم اتزوج سنية كما اجبت شقيقته ، ولكن زوجتى الشيعية كانت لآل القرغولى اكثر سنية من السنة من حيث قربها لهم فقد انتقلنا الى بغداد ، واتصلت العائلتان اتصالا اوثق وكثر التزاور بينهما ، وتعرف اولادنا بعضهم بعض ، ووجد كل منهم فى صديق ابيه ذلك الاخ الذى اشار اليه القرغولى ، وكنت قريبا من متوجه الادبى يقرأ على منه كلما قد تم قبل طبعه من شعر ، وتحقيق ، وتأليف ، وقد خلف شيئا غير قليل من نفايس بحوثه ، منها تاريخ القرغول ومنها تعليقات وبحوث ادبية لغوية ذات قيمة ، ومنها ديوان شعر يفيض بسوانحه ونزعه الوطنية الصادقة ♦

★ ★ ★

وشكا من علل قال الاطباء انها علل سببها الاجهاد ، فقد كان احرص من رأيت فى اداء واجبه كمدرس ، ومدير مدرسة ، ومفتش ، ومدير معارف وكان يقضى جانبا كبيرا من الامسيات والليالى فى انجاز الاعمال ، واستطيع ان اجزم انه كان احب الناس الى رؤسائه ومرؤوسيه ، واحب الناس الى كل من يتعرف به ، وكنت ازوره كلما حانت لى فرصة على الاخص فى ايام مرضه وقد طالت هذه

الايام وكان عليه ان يتجنب القراءة والكتابة والاعمال الفكرية حسب نصيحة
الاطباء ، وقيل وفاته بشهر كنت قد تلفنت له سائلا عن حاله فقال مازحا :
- لك ان تقدر حال مريض لم يكتفوا بتحريم القراءة والكتابة عليه فراحوا
يغلقون في وجهه حتى ابواب المطبخ .

قلت - افشتهى ان تأكل شيئا ممنوعا عليك ؟

قال - لا ، وانما المانع من دخول المطبخ هو الخوف من فضولى وتطفلى ومن
التدخل فى شؤون الطهى بداعى التسلية اما الاكل فيا ليتنى املك بعض الشهية .

★ ★ ★

وضاقت نفسه بمرضه خصوصا بعد ان قضى زمنا غير قصير فى المستشفى
واذا كان هنالك من فضل على تلطيف مزاجه واحواله النفسية فالفضل كله يعود
لاهل بيته من زوجة واولاد فقد لقي منهم مدة ثلاث سنوات وهو معتل كل حدب ،
واهتمام ، وعناية ، وقبل وفاته باربعة ايام او خمسة قمت انا وكل اهل بيتى بزيارته
فى بيته وكان اثر التعب باديا عليه وقد اوحى لى حاله بشيء غير سار وقد قضيت
عنده ساعات قطعناها باستعراض الماضى وهى المرة الاولى التى نفيض فيها انا وهو
بهذه السعة من تذكر الماضى وقد قال لى فيما قال :-

- لم يبق ما يدخل على نفسى شيئا من السكينة واللذة غير انغماسى فى الماضى ،
فانا اليوم اتمثل ايام شبابتنا كما لو كانت قد مرت امس فتدمع عيناي واحاول ان
انهض فاتمسك بظلالها ، واجمع خطوطها ، واحتضن صورها ، ولكنى كمن يمسك
الهواء وهنا لاحت لى دمعة تترقرق فى عينيه فغيرت الحديث الى ناحية ثانية
وتناولت احد مخطوطاته التى كان قد عرضها على مشاركته الرأى فيها وبدأت اقرأ
بصوت عال لاشغله عما هو فيه من استعراض للماضى .

★ ★ ★

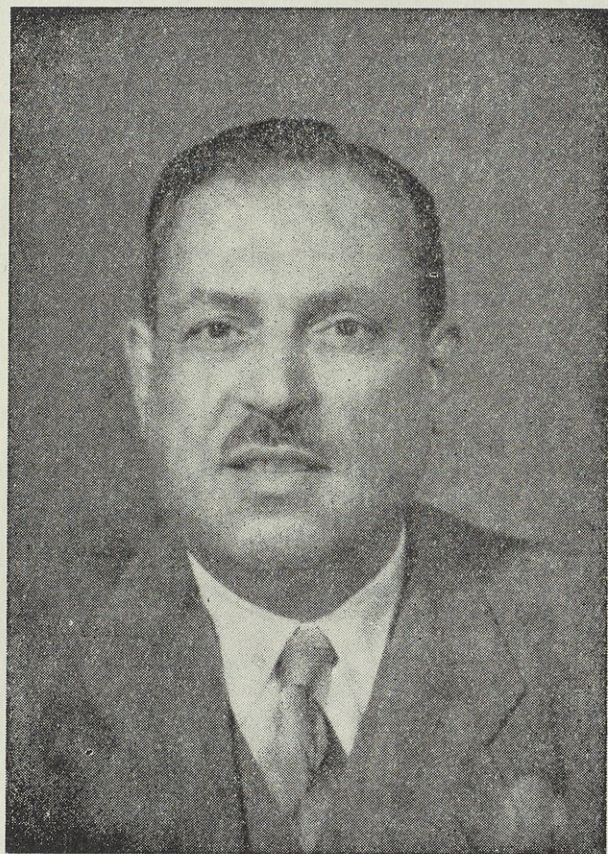
وفى الساعة السادسة من صباح الاسبوع الثانى ايقظتنى احدى بناتى والعبرة
تخفقها وقالت :

— مات — ♦♦♦

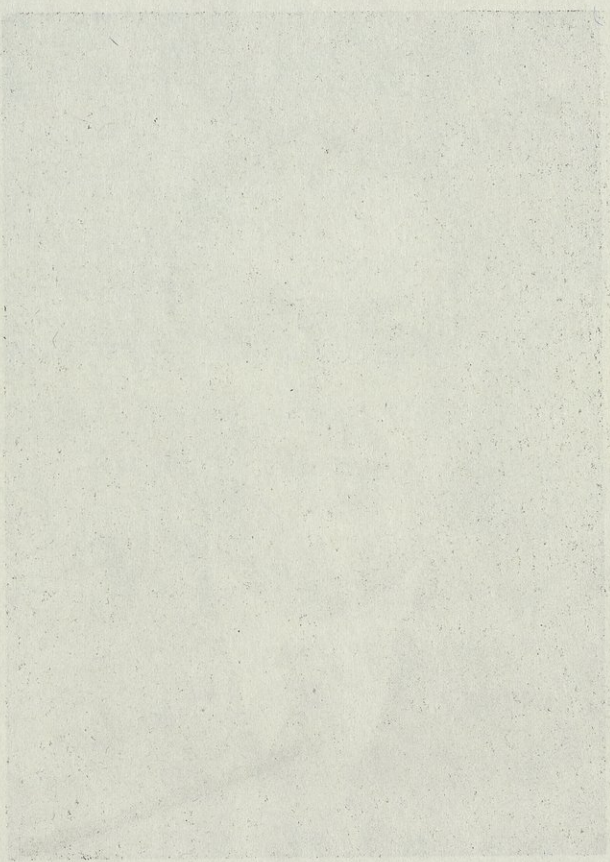
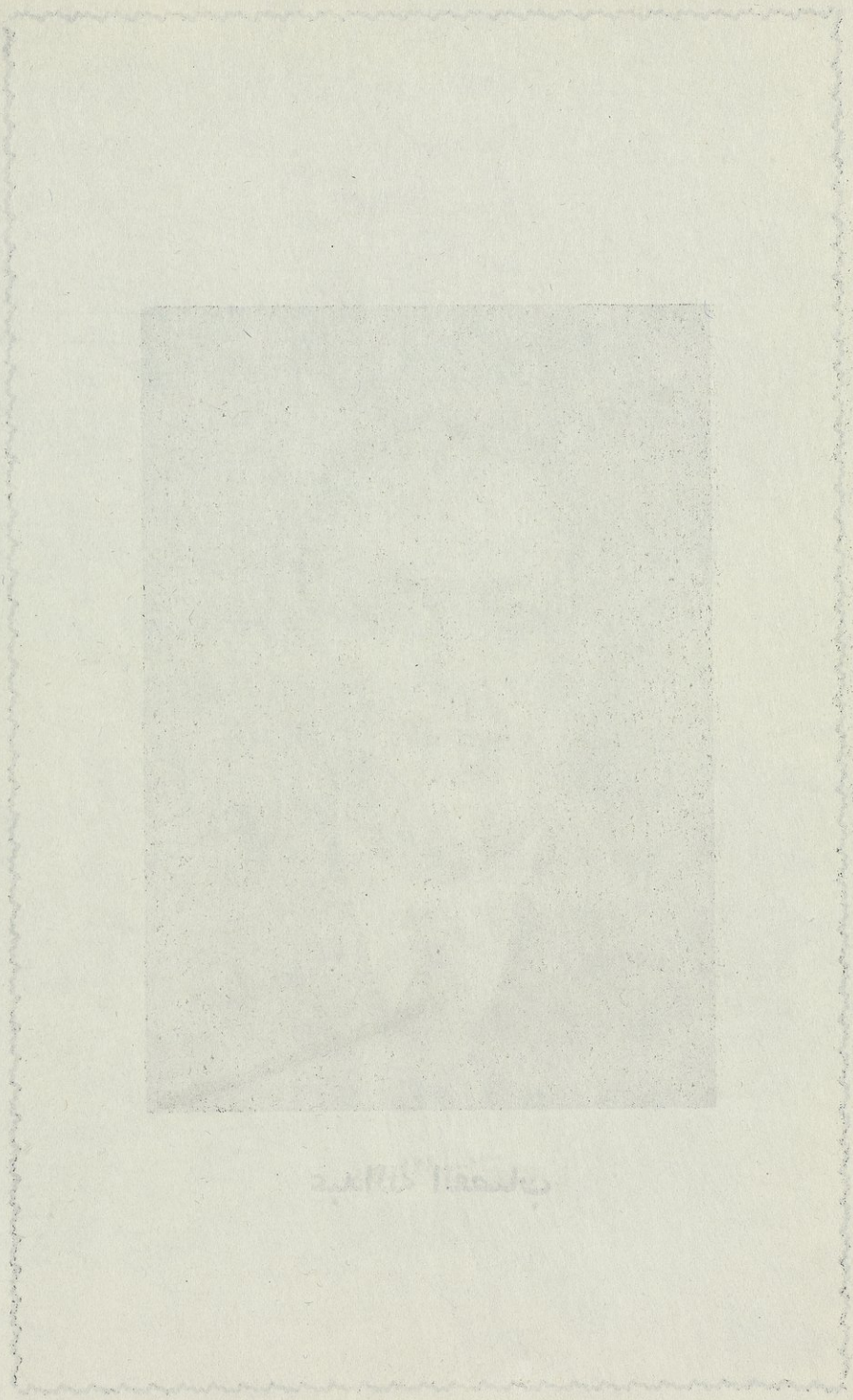
وقد قفزت من فراشي بهلع لا اطيق وصفه وقلت من ♦♦؟ من هذا الذي مات؟
قالت وقد انفجرت الطفلة في هذه المرة بالبكاء :

— لقد مات عمى عبدالستار ♦♦♦♦

مات عبدالستار القرغولى ، واذا كان له امثال من الشعراء ، والباحثين ،
والكتاب فقد والله عز وجود امثاله من حيث ظهارة النفس ، وسمو الذات ، وحب الخير ،
والانسانية التى عشقها فمشت فى وجوده مشية الدم فى عروق الانسان
فوا لهفتى عليه ♦



عبدالله القصاب



Handwritten text, possibly a signature or a title, located below the central rectangular area. The text is faint and appears to be written in a cursive or semi-cursive script.

عبدالله القصاب (١)

لست ادرى متى كان ذلك بالضبط ، ولكنى اذكر اننى كنت قد رأيت عبدالله القصاب وهو معتم بعمامة بيضاء ، مشوبة بشيء خفيف من زرقة الجويت بين اثنين أو ثلاثة من زملائه المعممين الذين تدل بزتهم على انهم من طلبة العلوم الدينية ، لقد رأيتهم فى طريقى وانا امر مع صديق لى بدار المعلمين لاداء امتحان اللياقة ، وكانت دار المعلمين يومذاك فى مكان (ثانوية الكرخ للبنات) اليوم وعلى النهر تماما ، فسماهم لى الصديق الذى كنت ارافقه الى (الدار) فلم يعلق بذهنى من اسمائهم غير اسم عبدالله القصاب ، والسبب على ما أعتقد هو ما كان يبدو عليه بين زملائه من اناقة ملبس ، وصباحة وجه ، واعتدال قامة ، ولربما كان مما بقى فى الذهن عن ابيه من شهرة كسبها عن مسلكه الدينى وتقواه شأن فى رسوخ اسمه فى ذهنى ، أو ربما كان لما عرف به عمه السيد عبدالعزيز القصاب الذى كان قائممقاما فى السماوة على العهد العثمانى ونجاحه فى الادارة الذى اكسبه بعض الشهرة فى الفرات ثم ماجرى عليه وعلى أهله وحتى أمه من سلب عند انسحاب الادارة من لواء الديوانية فى الحرب العظمى شأن آخر فى انطباع اسم عبدالله القصاب فى ذهنى بمجرد ان نطق به الصديق ، فقد كان السلب والنهب الواقع على امته السيد عبدالعزيز فى طريق الديوانية حديثا تناقلته الالسن ، واستكرته النفوس ، لما كان لعبدالعزیز من تماس بالناس ، وقد لمس اثره المرحوم عبدالله القصاب يوم صار بعد زمن طويل قائممقاما فى (السماوة) فقد عرف اصدقاء عمه عن كذب هناك .

(١) جريدة الاخبار - العدد ٥٩٤٥ - ١٩٦٢/٢/٢٣ -

ومن الغريب انى رأيت الرجل انذى قام بهذا السلب بعد ذلك بزمن بعيد ،
وبما يقرب من خمس عشرة سنة ، لقد رأيتة بعينى يوم كنت مديرا لمدرسة الرميثة ،
فقد رأيت ذات يوم شيخا قرويا كبير السن فى لحية بيضاء وقد خرج به الشرطى
من سجن الرميثة الى حديقة السراى وانا مقعد كرسيًا فى محل لا ابارحه من
مجلس مدير الناحية عصر كل يوم من حديقة السراى وكان مدير الناحية يومذاك
ابراهيم السالم •

اقول لقد رأيت الشرطى يقنأ شيخا كبير السن الى حديقة السراى ، ويسلمه
صفحة تنك ويأمره بان ينقل الماء من النهر بها ويرشه فى طريق الحديقة ، وفوق
الاشجار ، ورأيت السجين الشيخ ينقل الماء بدون فتور ذاهبا آيبا بين الشط والحديقة ،
وراقبته وانا اهم ان اتوسط له عند مدير الناحية ليعفيه ، بل لقد ترقرقت دمة فى
عينى وانا اشاهد العرق يتصبب من رأس هذا الشيخ ، وانتظرت ان يتم المدير
حديثه مع احد مرابعه لاعرض وساطتى اذا كان لوساطتى بعض شأن عنده ،
وكان ان فعلت ، ولكن المدير اعتذر وقال :-

- ان القانون لا يخولنى حبس أحد أكثر من سبعة ايام وقد اجهدت نفسى
لاحتال على القانون لعلى استطيع ان احبس الرجل واعذبه أكثر فما استطعت الا ان
اجزأ التهمة الى ثلاثة اجزاء لاسجنه واحدا وعشرين يوما اقتريد ان تخلصه منى
بهذه السهولة ؟•••••؟

قلت - ولكنه شيخ كبير السن ولا احسب ان ثمة ذنبا يستدعى مثل هذه
القساوة •••

قال - انه مجرم ، وقد كان قاطع طريق ، وسل عنه ليحدثك الناس عما
ارتكب هذا الشيخ من جرائم قتل وسلب فى أيام الفترة بين العهد العثمانى والاحتلال
الانكليزى فراحت تلك الدماء والاموال هدرًا وقد جرى سلب امتعة عبدالعزيز القصاب
ووالدته على يديه فلم يترك لهم شيئًا •• ولم يحجم عن سلب ثياب امرأة مخدرة مستة ••

★ ★ ★

ورأيت عبدالله القصاب فى بزته الجديدة وهو مدير لناحية الحيرة يرتاد

التجف فى كل يوم جمعة لقرب ناحيته منها ، وكان هذا اول اتصاله بالتجف والتجفين ، والحقيقة انى لم اكن انا اول من اتفت الى ان هذا الرجل لا يشبه بوجه من الوجوه الموظفين الاخرين من امثاله ، وانما كان جميع الذين يتصلون به يتحدثون فى ذلك ، فقد كان هنالك رجل من وجوه التجف هو الحاج عبدالرسول شريف ، وكان له مجلس عند دكانه يجتمع عنده بعض الشخصيات من الاهلين والموظفين ولاسيما فى ايام الجمع التى يقد فيها الى التجف اغلب حكام الادارة والمحاكم من الاقضية التى تحيط بالتجف ، فكان مجلسه عامرا ، وكان عبدالله القصاب من رواد هذا المجلس حين يتاح له ان يزور التجف ، ثم كان من اكثر المرادين لمجلس المجتهد السياسى الشهير الشيخ عبدالكريم الجزائرى .

★ ★ ★

وفى هذا المجلس تعرف به الكثير من رجال العلم والسياسة والادب لما كان يضمه مجلس الجزائرى فى كل يوم من مختلف الشخصيات البارزة ، وزادت روابط القصاب بالتجف فيما كان لكثير من التجفين من بساتين واملاك فى الحيرة واشتدت صلته بالسيد محمد رضا الصافى خاصة ، وازدادت صلته بالتجف والتجفين وثوقا بحكم زمالة البعض من التجفين له فى كلية الحقوق وفى مقدمتهم السيد سعد صالح .

★ ★ ★

هنا عرفت عبدالله القصاب عن كتب ولكن دون ما حاجة الى درس واختبار ، فقد كان وجهه ناما على جميع احاسيسه لامن حيث الصباحة والانطلاق فحسب وانما من حيث الاشعاع ، فقد كان القصاب من القلائل الذين يصلحون ان يكونوا مصداقا لعلم الفراسة بجميع مشخصاتها فانت حين تراه لاتلبث بعد دقائق الا وتؤكد بانك امام مجموعة من صفات سلبية فهو رجل لا يكذب ، ولا يحقد ، ولا يسىء وانك امام مجموعة من صفات ثبوتية فهو صديق ، وهو وفى ، وهو حلیم لاقصى حدود الحلم .

ولا ابالغ اذا قلت انه قلما وقع نظر احد عليه دون ان ينجذب اليه ، فقد

كان كالفلته بل انه فلتة واكثر من فلتة في هذا الزمان .
وتنقل في الوظائف فلم اعد اراه الا مصادفة ، وخين مررت لاقصى بعض
الوقت عند قريب لى فى السماوة كان هو قائمقاما فى السماوة ، وهنا تجلت مواهبه
باجلى صورها فى اصلاح بعض المرافق ، فقد كانت السماوة ابعد جميع الاقضية
عن الاصلاح ، وكان قد شغلها عدد من القائمقامين وفيهم عدد من المهوبين ،
ولكن الظروف لم تؤاتهم للقيام بما يتطلبه بلد كالسماوة من الاصلاح والمشاريع .
يضاف الى ذلك ان السماوة قلما وجدت نظراء لعبدالله القصاب من حيث الدمثة
والامتزاج بالاهلين كانه كان واحدا منهم ، فقد مرت على السماوة بل على جميع
لواء الديوانية ادوار فرضت السياسة على حكامها الاداريين ان يكونوا خشين مع
الناس ، اشداء عليهم ، وان الخشونة والشدة كانت ابعد ما تكون عن خلق عبدالله
القصاب ، لذلك وجد فيه الاهلون طرازا جديدا من الموظفين قل عهدهم بنظرائه .

* * *

خرجت معه عصر يوم بعد ان تناولت الغداء عنده ، فقطعنا مسافة ماشين على
ضفة النهر وليس معنا احد ، فما مر بنا شخص الا وسلم عليه ، وهم البعض منهم
ان يأخذ يده فكان يسحبها ، وان الموظف فى السماوة لا يتوقع مثل هذا من الناس ،
وان اهل السماوة لا يعملون مثل هذا مع اى موظف ولو كان متصرفا او وزيرا ،
وقد عرفت السماوة منذ عهد العثمانيين بالاعتزاز بالنفس وبعض الشموخ من دون
اغلب مدن الفرات ، لذلك كانت سياسة الحكومة معها قائمة على المخاشنة ، وقد
شهدت السماوة وعشائرها حروبا غير منقطعة بينها وبين الحكومة وبينها وبين
بعضها ، وكان البعد بين السماوة وعشائرها من جهة وبين الحكومة من جهة ثانية
كبيرا جدا بحيث اوشك ان يكون من المستحيل تبادل المحبة بين الحكومة والاهلين ،
ولهذا دهشت انا لمثل هذا التفاهم ، ولم اخف دهشتى على القصاب ، وزدت بان
طلبت ان يشرح لى السبب اذا كان الذى رأيت صحيفا فقال :-
- دعنى اختصر لك الطريق ، ان العلة كلها كامنة فى الحالة الاقتصادية وفقدان
العدل ، فاذا استطعت ان تضمن للناس توفر المعيشة بالقدر الممكن ، وتضمن لهم

العدل الذى يدخل الاطمينان الى النفوس أمن الناس شر الاعتداء ، والضغائن ،
والاجتقاد ، وحينذاك لن تسمع للسيد (طفار) وأمثاله من المدنيين والعشائر اسما فى
ميدان التمرد والخروج على الطاعة - والسيد طفار والقسم الشرقى من مدينة
السماوة كان مضرب المثل فى العصيان - ثم قال : وان السر فى شهرة لواء
الديوانية من حيث عدم الاستقرار بين جميع الالوية ينبعث من فقدان هذين العاملين
فقدان العامل الاقتصادى ، وفقدان العدل ، وما انا الا قائممقام محدود السلطة ،
وعلى قدر ما استطعت عملت لاوفر للبلد شيئا من الرخاء او قل حددت على الاقل
مضايقه حكومة القضاء للناس فى معيشتهم وسعيت ان اتجنب المحاباة والجنوح
والميل لبعض ضد بعض على قدر ما يتحج لى القانون ، ولا احسب شيئا غير هذا
يستطيع ان يجعل من الناس جميعا او من لواء الديوانية خاصة لواء آمنا مطمئنا يسوده
السلام والاطمينان .

★ ★ ★

والحق ان عبدالله القصاب كان يؤمن بما يقول ، ويجهد ليقرن القبول
بالعمل فى كل ادارة انيط أمرها به . وتمر زمن فاذا به يتولى متصرفية لواء
الديوانية ، وهنا استطاع ان يعمل اكثر فى تحقيق الغرضين ، لان حدوده كانت
اوسع ، وعند استعراض المستعرضين لتاريخ ادارة هذا اللواء الذى عرف منذ العهد
العثمانى بالتمرد ، والحروب ، والعصيان ، سيجدون ان الفترة التى شغل بها
عبدالله القصاب هذا اللواء كمتصرف كان اللواء اكثر هدوا ، واكثر اطمينا ، واقل
مشاكل ، واقل اضطرابا .

★ ★ ★

وفى هذا الوقت كان السيد سعد صالح متصرفا فى الناصرية وكان يسعى
لتأليف جبهة من متصرفى الالوية فى وجه صالح جبر الذى كان يشغل وزارة
الداخلية يومذاك ، وكنت انا يومها مدعوا عند الشيخ محمد حسن حيدر فى سوق
الشيوخ ، فاستبقانى السيد سعد صالح عنده فى الناصرية لقضاء ليلة هناك ، وكان
عبدالله القصاب قد جاء من الديوانية ليقضى تلك الليلة عند سعد بناء على دعوته له

وعلى مائدة العشاء جرى الحديث بين السيد سعد والقصاب عما ينبغي ان يقوموا به للحد من تصرفات صالح جبر في الادارة ، وقال السيد سعد : انه مطمئن من ان عبدالهادي الظاهر متصرف الحلة ، وعبدالرزاق عدوه متصرف العمارة وقال وربما كان عبد الحميد عبدالمجيد متصرف البصرة ايضا سيكونون متفقين تمام الاتفاق في الوقوف معنا في وجه صالح جبر .

وهنا التفت لى السيد سعد صالح وقال :-

- « بالله جعفر تراه المجالس بالامانات » .

فقال عبدالله - كنت انتظر ان تكون اعرف منى بالخليلى

فقال سعد وهو يضحك - وهو كذلك ، ولكن الخليلى صحافى ، ولو كنت اشك فيه لما اصررت عليه بالبقاء عندنا وانا بانتظارك ، ثم لما فاتحتك بمثل هذه الصراحة امامه ، وضحك عبدالله ، وكثر الاخذ والرد بين سعد صالح وعبدالله فيما ينبغي ان يكون ، وما لاينبغي ان يكون ، ورويت امامى اشياء على لسان عبدالهادي الظاهر ، وعلى لسان عبدالرزاق عدوه ليس هذا محل ذكرها .

وقال عبدالله - اريد ان اضع النقاط على الحروف كما يقول الصحافيون -

قال ذلك وهو يحدق الى وجهى ويضحك - فاشرح لك خطتى فى دنيائى ونهيجى كمتصرف او غير متصرف ، وهو انى لا اوقع شيئا لا اؤمن به ، واجهد ان لا انفذ شيئا لا اعتقد بصلاحه ، لذلك فان أى أمر يصل الى من أية جهة كانت سواء كان مصدرها وزير الداخلية أو غيره فلن يجد منى قبولا اذا وجدته مخالفا للاصول والواقع والفارق بينى وبين غيرى هو انى ارفض ذلك بدون ضجة واحتجاج وصراخ ، فانا معكم اذا كان الامر كهذا الذى اقول

★ ★ ★

والحق انه كان كذلك ، فقد وقع له اختلاف مع السلطات وهو متصرف فى الديوانية ، وفى الموصل ، ثم وهو وزير للداخلية ، وكان اختلاقه مع ارشد العصرى جوهرىا وكبيرا يوم كان ارشد رئيسا للوزراء والقصاب وزيرا للداخلية ، ويوم كان ارشد رئيسا لمجلس الاعمار ، والقصاب امينا للعاصمة ، ولكن تلك

الاختلافات لم يدخل فيها شيء من الصخب ، والصراخ ، والتنديد ، فكان القصاب يخرج من المصعة والابتسامة لاتزال مطبوعة على ثغره ، والحلم ، والوداعة ، والطيبة ، والمحبة تغمر نفسه فلا يبقى لاحد في نفسه شيء الا التزين من الامور والطيب من الذكريات •

★ ★ ★

وجئته وهو وزير للداخلية اشكو له خطة مديرية الدعاية والنشر مع جريدة الهاتف ، وكان المدير حينذاك كمال عبدالمجيد وكان مدير المطبوعات ناجي القشطيني ، فقد كان ورق الصحف يوزع على الصحف بعضا دون بعض ، اما جريدة الهاتف فقد كانت تشتري ورقها من السوق السوداء ، وقد بلغ الامر بها ان اشترت البند الواحد بأحد عشر دينارا ، ولم تكف مديرية الدعاية بحرمان الهاتف من حصة الورق بل عمدت مرة الى الكتابة الى متصرفية لواء كربلا للقيام بالتحقيق عن كيفية حصول جريدة الهاتف على الورق من السوق السوداء واقامة الدعوى على الجريدة لحصولها على الورق بالطرق غير المشروعة ، وبالفعل اقيمت الدعوى عليها بناء على طلب مديرية الدعاية ، في حين كانت اكثر الصحف تسلم حصتها من الورق بقيمة نصف دينار للبند الواحد فتطبع صحفها ببعض الحصة وتبيع الباقي في السوق السوداء باضعاف ثمنه !!••••!

★ ★ ★

لقد جئت عبدالله القصاب شاكيا سوء المعاملة والاجحاف ، وقد ساء كثيرا ان تكون الاتجاهات غير عادلة في اقسام وزارته ، وسألني عما اذا كنت اعرف صحفا محرومة اخرى غير الهاتف فاجبت بالنفي ، فطلب مني ان اراه في الغد وفي نفس الوقت •

وجئته في الغد فقال لي :-

- والان بإمكانك ان تواجه مدير الدعاية لترى كل شيء كما يقتضيه العدل •
وجئت مدير الدعاية واخبرته انني قد جئته بناء على طلب الوزير ، فقال وانا

اقول لك انه ليس لدينا ورق *
فقلت - كنت اعرف انه ليس لديكم ورق ، ولكن حسن ظني بعدل القصاب
قد حملني على مواجهته *
قال - كيف؟ كيف؟ (لقد قالها بشيء من الغضب والهياج) *

واعدت عليه نفس العبارة *
فلم التفت الا وقد هب الرجل من مقعده واندفع بشدة الى خارج الغرفة ،
وتركني في مكاني مبالغه في الاهانة !!
فقلت وانا اضحك ضحكة تجمع بين السخرية والاستعراب ، وسافرت توا
الى النجف دون ان امر (بالقصاب) ودون ان اخبره بما وقع *
وبعد اسبوع تقريبا تلقيت من مديرية الدعاية كتابا تقول فيه انها قد خصصت
للهاتف حصة من الورق !!*
!!*
اما كيف تم ذلك ؟ وما الذي قاله مدير الدعاية للوزير؟ وبماذا اجاب
الوزير ؟ فليس لي بذلك علم وكل ما عرفت هو ان هذا الامر قد جرى على رغم
ارادة مدير الدعاية لان القصاب كان يعتقد ان التبعض مخالف للعدل ومجحف
بالحقوق ، وهادم للبناء *

* * *

وتوثقت العلاقة بيني وبين القصاب فقد كان من قراء الهاتف ، ومن متبعي
مؤلفانه ، وكانت له تعليقات على بعض ما كتبت اكتب واطبع ، فقد كان كثير القراءة ،
يقرأ كل شيء بشغف ، واكثر ما يحب من القراءة هو قراءة المذكرات وتراجم
مشاهير العصر الحديث والتعليقات السياسية العامة وكان يصغي الى محطات الاذاعة
دون ان يتقيد بمحطة دون اخرى ، ويؤلف نفسه رأيا خاصا في السياسة والاجتماع
وحتى في الادب ، فكثيرا ما كان يختلف في الفكرة مع اصدقائه ولكن اختلاف
القصاب لا يشبه اختلاف احد ممن نعرف ، انه اختلاف لين ، هادئ ، لطيف ،
يتحاشى ان يقول لمناظره انا مختلفان ، وقد ملك لسانا لم يعرف الشتم ، او البذاءة ،
او أي شيء مما يعاب عليه المرأ عند الغضب ، بل قلما شوهد غاضبا بالمعنى الذي

شهد به اكثرية الغاضبين ، لقد طلب منه مرة خاند الدرّة ان يصحبه الى على ممتاز ، وكان وزيراً للمالية - للتوسط في اطلاق مجلة الوادي من قيد التوقيف ، فمشى القصاب الى وزير المالية والتقيتهما في الطريق فسرنا معا ، فلم ار شخصاً اكثر حماساً على مصلحة تخص غيري كما رأيت القصاب وهو يدافع عن (الوادي) وعن صاحبه ، وحين تناولت مجلة (الوادي) (القصاب) بالغمز والتنديد ذات يوم ، لم يبين والله على وجه القصاب ما ينم عن كدر ، او اسف ، او انزعاج ، وهذا جانب آخر مما حجب القصاب الى مختلف النفوس ، حتى لقد تضاfer على حبه جميع من عرفه وان اختلف نزعاتهم واراؤهم ، ولم اشهد رجلاً احبه الناس جميعاً حتى كاد يخلو من كارهين واعداء كعبدالله القصاب او كاد كارهوه على الاصح لايزيدون على عدد الاصابع .

وكان لهذه المحبة شأنها الكبير حتى في نفوس الحكومات المختلفة المشارب ولقد حرصت التحقيقات الجنائية على ان يظل الامر مكتوماً على القصاب حين حامت الشبهة حول عدد من الثبان وفي ضمنهم ولده (غازي) ، فقد كان يظن ان الحادثة التي ادت الى احتراق سيارة سمير الرفاعي امام قصر الزهور لم تكن حادثة احتراق طبيعية ، وانما هي قنبلة جاءت من الاردن منقولة بالطيارة لتفجر بها ولتقضي على الرفاعي الذي كان يستقلها الى بغداد ، ولكنها لم تفجر فحملت في السيارة الى حيث القصر ، ولكن الرفاعي لم يكن في السيارة فانفجرت ، الا ان التحقيق يومذاك لم يؤيد هذه الرواية ، وكيفما كان فقد تناولت الشبهة عدداً من الثبان وسعت ادارة التحقيقات ان تخفي الامر عن عبدالله القصاب بخصوص اتهام ابنه الى ان ينتهي التحقيق وذلك مبالغة منها في اكرام القصاب وتجنباً له عن الالم والاذى وكان يعانى وعكة قلبية وهو غاية ما يبلغ المرأ من المحبة ، وهكذا كان شأن حكومة الاردن فلم يند منها شيء امام عبدالله القصاب عن ابنه رعاية لشخصه .

★ ★ ★

وشغل القصاب أمانة العاصمة أمينا وهو أول من فسح في المجال لاشيرك

الاهلين فى عرض ما يههم ويعنيهم على الامانة وتداولهم معها فيما يرتؤون ، وكان قبل هذا قد عمل نفس العمل مع اصحاب البساتين ، واصحاب المكابس ، وتجار التمور يوم كان مديرا لجمعية التمور العامة ، وأسس شعبة للشكاوى فى امانة العاصمة عهد اليها التعاون مع الاهلين فى تذليل الصعاب وتجنب الحيف والاضرار ثم اصدر نشرات ضمنها أهم ما يفيد الاهلين من الشؤون البلدية فيما يخص نظافة البيوت وكيفية مكافحة الارضة والنصراصيل وما ينبغى العمل فيما يخص مسارب المياه فى البيوت ، وسمى النشرة (تعاون معنا) وقد حث الاهلين فى كل نشرة على اىصال شكاواهم الى امانة العاصمة ، وقد عملت معه فى اخراج هذه النشرات على قدر ما استطعت ولكن طلبات الناس كانت كثيرة ، والعمال والموظفين لم يألوا بعد هذا النوع من المسؤوليات فتقلص عمل الشكاوى وتبادل الآراء بين (الامانة) والاهلين عند انتقال القصاب من امانة العاصمة .

وعند عودته الى جمعية التمور العامة مديرا عاما ، عاد ليواصل من جديد عمله فى تنظيم شؤون التمور فقد كان القصاب من اول الداعين الى تصنيع التمور ، وتنظيم الكبس والتجارة على أساس المقايضة ، وعلى انه قد ترك فى كل ناحية من النواحي التى عمل فيها اثرا محمودا فان اثاره فى جمعية التمور كانت واسعة وكيرة .

* * *

ودعاني ذات يوم وقال ان الجمعية بحاجة جد ماسة الى وضع كتاب استعراضى عن التمور على غرار الكتب العلمية يتناول كل ما يتعلق بالتمور من حيث الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، لغرض ايقاف التجار والموظفين والزراع والمستهلكين على مشاكل التمور عندنا وما يترتب على الجميع من الحكومة ، والمفارسين ، والمستهلكين ، والمتاجرين فى مثل هذه الاحوال ، فضحكت وقلت له : يسرنى كثيرا ان يحسن الناس الظن بى باكثر مما انا استحققه ، ولكن مغلاة فى الظن كهذه بحيث ينتظر منى ان اؤلف كتابا فى موضوع لا اعرف منه شيئا امر

مستغرب وغير منتظر اذا لم اقل انه امر غير داخل في حيز الامكان .

قال - ولكنه ممكن لك

قلت - وهذا هو الغلو بعينه

ورحت اجسم له خطورة الموضوع بالنسبة لكاتب مثل يتناول قضية واسعة

الاطراف وبعيدة كل البعد عن مفهومه .

فقال انه مستعد ليضع تحت يدي كل التسهيلات اللازمة من السجلات

والتقارير والاضابير ويزودني بمن اريد من الكتاب اساعدتي .

وعبثا رحت اورد له الدليل بعد الدليل على انني جاد فيما اقول ، وان

اعتذارى لا يشوبه شيء من التواضع ولكن احاحه كان قد تجاوز الحد وما زال

بى حتى قبلت هذه المهمة الشاقة على مضض ، ولكنى اشترطت على ان انفذ له

المطلوب واؤلف الكتاب دون ان اسمح بذكر اسمي فوق صفحة الكتاب وذلك

مبالغة في الاحتياط منى لنفسى ولكنه أبى متذعرا باناه انما يريد ان يستفيد من

الاسم والمسمى ، فكانت ثقة جاء بها حسن ظنه ، ولست ادري مأتى حسن ظنه

هذا الذى حمله على ان يطلب منى تأليف مثل هذا الكتاب .

وشرعت فى التأليف وبى شيء من الرهبة ، فهناك مواضيع تتعلق بفرس

النخيل ، وهناك مواضيع تتعلق بتركيب التمور الكيماوى وتحليلها ، وهناك مواضيع

تتعلق بصناعة التمور ، فكيف سأخوض هذه المواضيع ؟ وبأى نحو سأؤلف هذا

الكتاب ؟

ومضيت فى تأليفى ، وكنت اعرض اى فصل مما كتبت اكتبه من الامور التى

لاتدخل تحت اختصاصى على المتخصصين من بعض من اعرف ، وشجعنى ان

وجدت تأييدا عجبيا من هؤلاء بحيث ان التعليق على ما كتبت اعده كاد يكون مفقودا

الا ما ندر ولست انسى اننى حين عرضت القسم الكيماوى مما كتبتة على الصديق

الدكتور غازى حمدى بارك لى هذه الخطوة ، وعدّها فوزا كبيرا ، ومع كل ذلك

فقد قضيت في تأليف الكتاب نحو سنة وثلاثة شهور حتى اخرجته باسم (التمور العراقية قديما وحديثا) ، وبين عشية وضحاها واذا بالكتاب يصبح مرجعا علميا مهما للدراسة ، وقد تكاثرت عليه الطلب من الخارج فابتاعت منه الجامعة المصرية ، والجامعة العربية وكثير من المؤسسات العلمية الاجنبية كالجامعة الاميركية ببيروت والجامعة السورية بدمشق عددا كبيرا وصار المعول عليه في كتابة بعض الاطروحات ذات المساس بالزراعة ، والصناعة ، والنخيل ، وقد اضاف هذا التأليف الى مجموعة افكارى عن عبدالله القصاب فكرة اخرى وهى انه ذو ملكة من شأنها غرس التشجيع وخلق الامل فى النفوس حتى ليوجد من اللاشيء شيئا .

★ ★ ★

واشتكى عبدالله القصاب من عوارض كانت تأنيه بين آونة وأخرى فتحتل بسببها صحته فيلازم البيت بعض الايام ، وزادت الشكوى حتى اضطر ان يقضى شهور الصيف من بعض السنين بلبنان ثم اشتدت ازماته القلبية فامتدت زيارته الى اوربا حتى لقد قضى ذات مرة ثلاثة شهور فى قرية على الحدود الالمانية تسمى (بادن بادن) مستشفيا فى حماماتها وكان عليه ان يخلف كل عاداته وراء ظهره ، وان يرضخ لتعاليم الاطباء ، فياكل اكلا خفيفا منافيا لذوقه من حيث الطعام ، وان ينام مبكرا ، ويقلل من القراءة ، وزاد على ذلك ان فرضت هذه القرية التى لاتعرف سوى اللغة الالمانية الصوم عن الكلام عليه ، ولكن عبدالله القصاب القادر على الكبت ، والصبر ، وتحمل الشدة ، قد تحمل هذا النوع من الحبس بشيء كثير من الرضى .

★ ★ ★

وزادت آلامه ، فزاد صبره ، وطفح حلمه ، وتوثق ايمانه بالله وبالاقدار فراح يتقبل كل ذلك بشيء من الدعة والرضا والتسليم .
وفى ايامه الاخيرة كان يجب ان يكون اصدقاؤه المقربون الى جانبه طويلا كأنه كان عالما بان له لن تطول اقامته بينهم اكثر من هذا وحتى لقد كان يعتب اذا تخلف محبوه الخاصون عن زيارته ليلة من الليالى ، ولقد تأخر الشيخ على الشرقى ذات ليلة

وكنت انا عنده ، فتلفن له قائلاً :

- يا ولفى ليش ؟؟؟؟

وقلت له - اتسم الجملة لتكمل الاغنية المعروفة (يولفى ليش هاجرني) وكان من رقة العتب والدمامة والمجاملة انه لم يطق ان يقول للشرقى على لسانه (يولفى ليش هاجرني) وانما قال له ذلك على لساني كما لو كنت انا المتكلم مع الشرقى . وقال له يقول الخليلي : يولفى ليش هاجرني ؟

★ ★ ★

وقبل وفاته بليتين جئني له بصورة زيتية بريشة الرسام الشهير (صيمي) كان قد رسمها له قبل عدة سنوات فلم تصل اليه الا في تلك الليلة ونحن عند صديقه الدكتور ضياء جعفر فقال اتني لم اعد بحاجة اليها خصوصا وانها لم تحكني بواقعي اليوم .

قلت - ولكنها صورة حية تصلح ان تكون ذكرى طيبة .

قال - وما فائدة الذكرى ؟

وقد ارتج على فلم اعرف كيف اصور له فائدة الذكرى لانني انا نفسي كنت قانعا بعدم جدواها لصاحبها اذا غادر الدنيا ، ولكنني لم اكن اتصور انه سيغادر الدنيا بمثل هذه العجالة ، فقد كان في ايامه الاخيرة كأحسن ما يكون صحة وراحة بال نسبية .

★ ★ ★

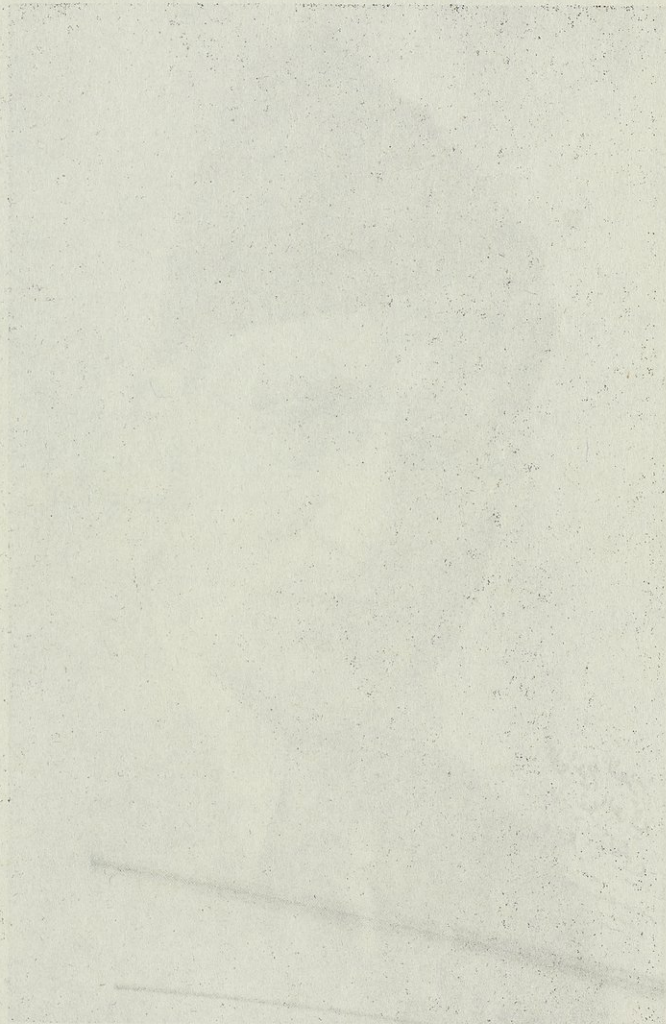
ما سافر مرة الى الخارج وعاد الى بغداد الا وجاهني بهدية من هناك ، وكانت هديته لي في هذه السنة قمصانا ولست ادري الى كم ستظل هذه القمصان معلقة في خزانة ثيابي ؟ ولكنني اريد ان تظل معلقة امام عيني الى الابد .

ولم ار نلان من يستسيغ تقطيع كبده مثلي على هذه الحالة ذلك لانني وانا

اعصر روحى لاستقطرها دموعا سخينة لاحس ان كل دمة منها تحكى قصة عما
كان لى فى يوم من الايام مع هذا الصديق الذى راح ولن يعود ، من ذكريات
غالية ، فاحس وكأنى فى عالم آخر ما اشبهه بالاحلام ولن استيقظ الا حين تكون
دموعى قد جفت وهذا ما لا احسبه سيقع مادمت مليئا بذكرياته •



اسكندر حريق



Handwritten text, possibly a signature or a name, located below the central rectangular area.

اسكندر حريق (١)

قبل ثلاثين سنة وأكثر كانت ثانوية النجف وثانوية الموصل منار دهشة رجال العلم والمعرفة لما كان يبدو على هاتين المؤسستين من جد ، ونشاط ، ومنافسة في التقدم العلمى استدعى وزارة المعارف ان تخصصا بشئ من الرعاية التي كانت تخصص بها الثانوية المركزية ببغداد ، وان تختار للمدرستين اساتذة اكفاء ممن كانوا يعملون عندها من ابناء مصر ولبنان وسوريا .

وكانت وزارة المعارف في حيرة ووجل من امر النجف ، لان خيرة اساتذة المعارف لم يكونوا من المسلمين ، وهى تخشى ان يكون رد الفعل في هذه المدينة المقدسة عنيفا اذا هى ارسلت لها مدرسين مسيحيين وغير مسلمين ، وعلى رغم ان الواقفين على حقيقة النجف من ابائها قد نفوا وجود ما يستدعى الحذر من ايفاد اى مدرس من أية طائفة فقد تأنت وزارة المعارف في ذلك ، ثم بالغت في حذرهما بحيث راحت تستعرض جملة من البنانيين لتختار ألينهم عريكة ، وابعدهم عن التعصب الدينى والطائفى ، واكثرهم انغماسا فى التربية والتعليم ، وكان اسكندر حريق فى صدر القائمة ، ولو كان رجل غير اسكندر حريق قد ولد مثله فى ضهور الشوير عروسة مصايف لبنان ، ودرس فى الجامعة الاميركية ببيروت ، وتخرج من جامعة كلمبيا باميركا ، وطاف باغلب اقطار اميركا الشمالية والجنوبية دارسا ، لا متع من المجيبى الى بلد كالتجف عدمت فيه الوسائل الصحية الكافية من المياه الجارية فى الانابيب ، والنور الكهربائى فى البيوت ، والكثير من الحاجات الضرورية التى

(١) جريدة الايام - بغداد - العدد ٤ - ١١/٤/١٩٦٢ .

تقضيها المدنية الحديثة ، فقد كانت النجف آنذاك كسائر المدن العراقية قريبة عهد بكل تلك الوسائل ، وجاء اسكندر الى النجف ، وقد وضع هذه الامور كلها نصب عينيه ، وكان يقول انه لم يكن يفكر فى شىء من هذه الاشياء بقدر ما كان يفكر فى كيفية اندماجه فى المجتمع النجفى وكسب رضاه ، فاذا بكل شىء يتلاشى فى ذهنه ، واذا باسكندر يتبوأ فى ايام قليلة محلا من القلوب قلما ظفر به احد من ابناء المسلمين فكيف بمسيحي ينتقل رأسا من عاصمة الكفار على حد تعبير بعض الجهلة الى عاصمة المسلمين ليتولى تعليمهم وليقوم بتدريس علم الاجتماع . . . !!

ولكن الواقع هو ان النجف عن كتب غيرها عن بعد ، وعلى ان قسما من موقية اسكندر فى الظفر برضا الناس جميعا يعود الى مكاتته وسيرته الخلقية فان النجف كانت ولم تزال تضم طوائف غير قليلة من النفوس السمحة الرضية التى تتصل بالكثير من الافكار الحديثة وبينها من تفوق جرأته فى الفلسفة حد التصور بحيث ينعدم فى نظره اى فرق يأتى من الجنسيات والاديان والمذاهب ، والغريب من أمر اسكندر ان أصبح فى أيام قليلة صديقا لعدد غير قليل من رجال الدين كان من بينهم الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائرى والشيخ محسن شرارة ومن الادباء كان موسى كاظم نورس ، وعدد من ادياء شباب الشيوخ آنذاك امثال حسين مروه ، ومحمد شرارة ، ولم تكن يومئذ مبادئ تفرق بين الناس ، وانما كان الادب اقوى حلقة وصل بين حلقات المجتمع ، وقد كان اسكندر على جانب كبير من الادب ، يحسن فهم تاريخه ، ويتقن قواعده ، ويفهم خواصه حتى لقد قل ان تجد له زلة فيما يقرأ ، وفيما يكتب ، وفيما يناقش من قواعد البلاغة ، وقد ساعدته اللغة الانكليزية ، والفرنسية ، والاسبانية على الاجادة فيما يقرأ وفيما يكتب .

★ ★ ★

وكنت يومها مدرسا ثانوية النجف ، ولا احسب ان التقائى اياه قد تجاوز مرة او مرتين حتى شعرت بانى اكاد اعرفه منذ زمن بعيد ، وان نفسى قد كانت تبحث عن امثاله بين الناس ، وبين الكتب ، وبين الصور الخيالية التى ينسجها الذهن

لتأسس بها الروح فاذا به يحكى الكثير مما كنت اشهد •
روح خالصة ، وسريرة طيبة ، وأدب جم ، وظرف يفتح على لسانه ووجهه
فيدخل على نفسك السرور لاول مرة تلتقيه فيها ، حتى لقد دعا الشاعر الكبير
رشيد سليم الخورى (الشاعر القروى) ان يرتجل وهو فى اعلى السلم مستقبلا
اسكندر حريق وهو يصعد السلم بسانباولو فى البرازيل ووجهه يفيض بالبشر
واللطف قائلا :-

يا رفيق الاحرار اهلا وسهلا (بحريق) بيل صدر (الخورى)

والتورية فى كلمة (حريق) و (الخورى) واضحة لاتحتاج الى توضيح ، وقد
رد عليه اسكندر قائلا : بل بيل ذقن الخورى وهى الاخرى تورية واضحة يقصد
بها الواحد من الخوارنة بيل ذقنه ليحلقة له •

كنا مرة على مائدة ابراهيم السالم وكان معنا نايف نصر فاشير اليه بالعود الى
جانب اسكندر حريق فقال نايف ولكنى لا اخاف شيئا كخوفى من (الحريق) فرد
عليه اسكندر قائلا :-

- تذكر يا نايف اتنا فى بيت ابراهيم ، وقد اراد بذلك ان النار لاتمس
ابراهيم وآله مصداقا للآية الكريمة (يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وآل
ابراهيم) •

★ ★ ★

وتوفى والده (منصور حريق) واسكندر فى النجف ، فضاعت الدنيا فى عينيه ،
وادركت انا عمق جرحه لاسيما وهو من رهافة الحس بحيث تسيل عواطفه سيلا ،
واشفقت عليه من الشعور بالغرابة ، واستعراضه لحياة أبيه ، ثم تفكيره فى
احتضاره وهو بعيد عنه ، فبالغت فى دنوى منه ، وحدثى عليه ، ونقلته الى بيتى
لقضاء يومين او ثلاثة تحاشيا من شدة الصدمة ، وفى بيتى زاره الكثير من معارفى
ومعارفه معزين ، وهنا رأى لونا جديدا من التعزية والسلوان والعواطف مما
خفف عليه الالم ، والنجف من هذه الناحية ناحية سبك العواطف فى الادب

وصياغة التعزية تكاد تكون منفردة وقد سمع اسكندر امثالا كثيرة سيقت له على سبيل العبرة والموعظة ، وسمع حكايات كثيرة نقلت له على سبيل التسلية انتزعتها من تاريخ ابي عبدالله الحسين (ع) وسمع عبارات كادت النجف تنفرد بها في مقام التعزية من قبيل :-

عظم الله لك الاجر •

وجعلها الله خاتمة الارزاء •

وصبرك الله على بلواه •

وقد عملت مثل هذه التعابير والحكايات عملها في نفس اسكندر •

واسكندر من كتاب القصة اللامعين ، وهو من المحدثين البارعين يتقن لحد كبير حبك الحديث وتطعيمه بالنكتة والتفنن في السيطرة على السامع اذا تحدث ، واستلقت انظار القراء اذا كتب ، ونقل السامع والقارىء الى عالم زاخر بالادب والمرح الجذاب ، لذلك كان اسكندر اكبر قوة استعنت بها انا يوم استقلت من التدريس واصدرت جريدة (الراعى) ثم اصدرت (الهاتف) حين اغلقت الحكومة جريدة (الراعى) ، وقد ترجم اسكندر في (الراعى) سلسلة من مقالات برتراند رسل ، ومواضيع اجتماعية ذات شأن كبير نقل بعضها من الانكليزية والبعض الاخر من الفرنسية •

وحين زرت كمبرج بعد مرور ست عشرة سنة على ترجمة اسكندر حريق لمقالات برتراند رسل ونشرها في (الراعى) اسعدنى الحظ برؤية الفيلسوف العظيم برتراند رسل في مقر جامعة كمبرج ، وفي سياق الحديث ذكرت له قيام جريدتي بنشر سلسلة من مقالاته ، فقال رسل انه يذكر انه قد كتب له يومذاك بان جريدة تصدر في العراق قد قامت بترجمة بعض مقالاته ، وقال انه لايعرف العربية ولكنه قد قيل له ان المترجم قد وفق توفيقا باهرا في نقل افكاره من الانكليزية الى العربية وقد حملنى اسنى تحياته وعميق شكره الى المترجم ، وحين نقلت حديثه

الى اسكندر حريق قال - لقد كنت انا الذى كتبت له بشروعى بترجمة مقالاته
ونشرها فى (الراعى) وقد بعثت له بعض الاعداد من الجريدة .
قلت له مازحا - اذن فانت الذى كتبت لبرتراندرسل مادحا نفسك ، ومطريا
ترجمتك ؟

قال وهو يضحك - ولم لا

ثم تحول الحديث الى جد وقال اسكندر - انه قد تلقى من (رسل) كتابا فى
وقته يقول فيه انه قد قرأ ترجمته لمقالاته عن طريق احد طلابه العرب فى الجامعة ،
ويسره ان يعرف بانه كان موفقا كل التوفيق فى نقل افكاره الى العربية وانه يشكره
كثيرا على ذلك .

★ ★ ★

وكتب اسكندر فى (الراعى) و (الهاتف) عشرات القصص والمقالات وقد نقل
الشيء الكثير من أدب الانكليز والفرنسيين مما لم ينقل من قبل الى العربية ، وقد
قمت انا بنشر مجموعة من قصصه جمعتها من جريدة (الهاتف) باسم (عشرون قصة)
كان قد ترجم بعضها عن مكسيم غوركى ، وهانس اندرسن ، وتولستوى ، وجان
نروادا ، واوسكار ويلد ، وانطون تشيكوف ، وميخائيل لرمنتوف ، ووضع بعضها
بقلمه ، وبلغ به التواضع ان ذكر لى يوم نويت ان اطبع كتابه هذا قائلا انه لايرى فيما
ازمعا عليه أية فائدة مرجوة للبلاد او للجيب من طبع كتابه هذا ، وبالغ فى تواضعه
وظرفه قائلا وياليت فى قدرة هذا الكتاب ان يحقق أمل ابى يوسف حين لم يستطع
ان يسدى للعلم والوطن شيئا ، فسألته عن قصة ابى يوسف فقال :-

« كان صديق يقرأ مقدمة كتاب لابى يوسف وقد قرأ فى هذه المقدمة قول

ابى يوسف :-

« والذى دعانا الى تأليف هذا الكتاب هو خدمة العلم والوطن » فقال له

الصديق :-

أهى خدمة العلم والوطن ام خدمة ام يوسف والاولاد ؟

ثم اورد اسكندر الحكاية المتقدمة فى مقدمته من كتاب (عشرون قصة) ،
ونفذت الطبعة من كتابه هذا فى شهر واحد .

★ ★ ★

وفى سنة ١٩٣٦ كنت مصطافا بظهور الشوير بلد اسكندر حريق الجميل ،
وكان اسكندر كعادته فى كل صيف يبحث جادا عن زوجة تلائمه فلم يوفق وذلك
لما كانت تكلفه التى كانت تقع تحت اختياره من شروط ثقيلة لاقبل اه بها وقد هدد
ذات يوم مازحا ، لقد هدد ونحن فى مجلس حافل بعدد من عائلات ظهور
الشوير قائلا :-

- لعنى الله ان لم ادخل فى الاسلام واتزوج بمئات النساء نكاية بعنصر
المرأة المسيحية واطل اتزوج واطلق الى ما شاء الله .

ولكن اسكندر فى هذه المرة عشر على بغيته وكانت الشروط ملائمة ، والفتاة
جميلة ومؤدبة ، وقد اعدت العدة لعقد اكليل الزواج فى اليوم التالى ، ولاسكندر
حقوق كثيرة عند الكثير من بلده وغير اهل بلده لما اتصف به من دماثة وخلق كريم
فلا بأس ان يكون لزواجه وقع فى النفوس وتحفز لحضور الاكليل .

وجاءنى رسول منه يستعجلنى الى بيته قائلا انه قد تركه فى حال من
الاضطراب لا يوصف ، وكان الوقت ظهرا وكنت قد القيت بنفسى على سريرى
فى اوتيل سترال بظهور الشوير ، فخففت اليه واذا به يتقلب فى فراشه كمن
لدغته افعى والدموع تتحادر من عينيه ، والى جانبه اخته الانسة (زلفا حريق) تصب
الدموع صبا واخته (مارى) وكانت اقدر من اختها زلفا على الجلد أو أنها لم تكن
تعرف سبب هذا النجيب وكانت تقدم له شيئا من الدواء الذى وصفه له الطبيب قبل
ساعة تهدئة الاعصاب - ، وظللت اكثر من ساعة وانا احاول ان اعرف الطارئ ،
وظل الاخ والاخت يسعيان للتغلب على ثورتها النفسية حتى اتيح لى ان اعرف

الحكاية ، والحكاية ليست مشكلة مستصية ، ولكن خلق اسكندر يجعلها من
المشاكل المستحيلة الحلول ، فقد علم اسكندر قبل ساعة بان البنت التي خطبها كان
لها خطيب من قبل وانها

قلت - افلم تسأل عنها من يعرفها حين اقدمت على خطبتها ؟
قال - لقد سألت السماوات والارضين ، والناس لا يصدقونك القول ،
ولسان الحال منهم يقول :-

« شوبدى منو »
فيكتمون عنك كل ما يعرفون ، وتنعدم النصيحة ، وهذا هو كل ما وقع
قلت - وهب انه كان للفتاة خطيب فما الضائر ؟
قال - ولكن لماذا اخفى اهلها عنى الخبر ؟ ثم ألم تقولوا انتم (النحفين) فى
كل شىء من هذا القبيل - ألم تقولوا :

قد قيل ما قيل ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيل
ألم تستشهدوا بهذا البيت فى كل مناسبة من مثل هذه المناسبات ؟
قلت - بلى ولكن

قال - ولكن ماذا ؟ لقد قيل لى اليوم عنها اشياء كثيرة وانا لا اعرف
كيف اعمل لكى اجنبها هذه الالهانة اذا اردت ان الغى الزواج ؟ انها اساءة كبيرة
ان لم تكن جريمة ، فانا لا استطيع بعد هذا ان اتزوجها ، ولا استطيع ان اعلن
فسخ الخطوبة لاعرضها للالهانة ، ولاجعلها مضغة فى افواه الغادين والرائحين ؟
ترى ما الذى سيقول الناس عن هذه المسكينة ؟

وهدأت من قلقه ، وحملته على ان يواجه الكارثة بالحلم ، وان يفسخ
الخطوبة بطريقة معقولة مقبولة وليس هذا محل ذكرها ، وقد ضحى بكل ما انفق
فى هذا السبيل من مال ، ولم يزل كلما يتذكرها يشعر بتأنيب لا يستطيع ان يعرف
مداه من لم يعرف اسكندر بحقيقته حتى بلغه زواج الخطيبة بعد ثلاث سنوات ونجاحها
فى زواجها وهنالك استراح من تعذيب الضمير
وأحسن الله الى هذا الرجل الطيب الطاهر فهبأ له بعد عدة سنوات زوجة

جمعت بين جميع مؤهلات الزوجة الصالحة ، من حسن تربية وأدب واخلاص
وحدثت عليه وزاد حد بها عليه شيئاً كثيراً من مزاياه فقد سمت عاطفته أكثر ورق
طبعه أكثر وأكثر . . .

وحين ترك العراق بعد خدمة طويلة للمعارف والادب عاد الى الجامعة
الاميركية بيروت وعمل فيها استاذاً من جديد ، ثم عمل بعد ذلك في شركة نفط
العراق بيروت ، وانيطت به رياسة تحرير مجلة اهل النفط وكانت الاقلام العربية من
مختلف الاقطار في هذه المجلة تتزاحم بحيث لم يكن مجال في المجلة الا للقليل من
الكتاب العراقيين قبل ان يتولى اسكندر رياسة التحرير ولكن اسكندر هو الذي
فج هذا الزحام وزاد من عدد الكتاب العراقيين في هذه المجلة على رغم قصر
المدة التي ادار فيها تحرير مجلة اهل النفط .

وزرت بيروت في ربيع سنة ١٩٥٧ وسررتني ان اجد اسكندر حريق متمتعاً بجو
عائلي بهيج ، وانه استطاع ان يجد الزوجة الحبيبة دون حاجة لان يضحى بمسيحيته
ويدخل الاسلام على حد مزاحه .

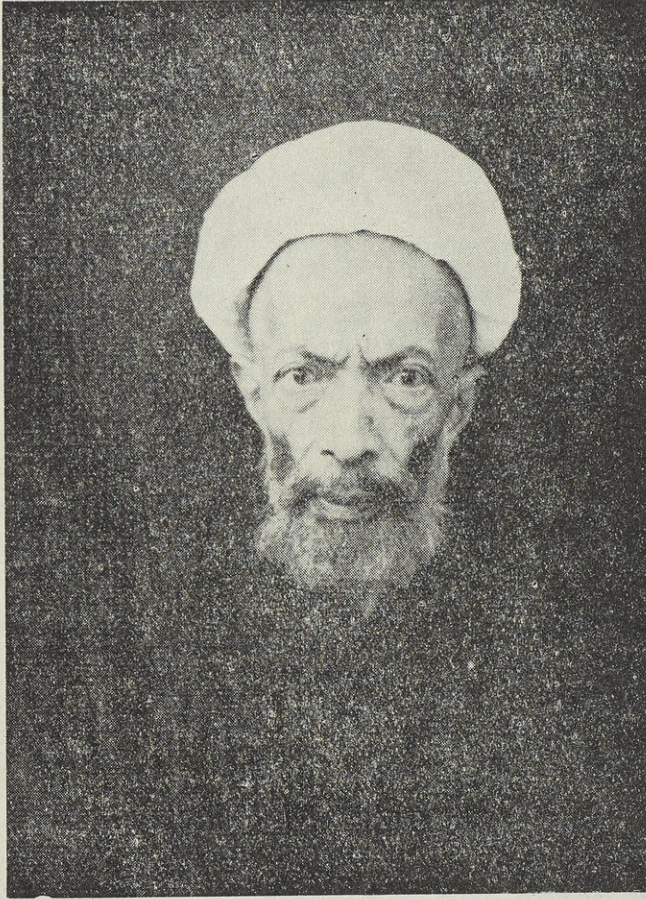
وتناولنا انا والصديق حسن الامين طعام العشاء في بيته واستعرضنا هناك
الماضي فاذا به يحن الى العراق ، والى ناسه ، والى الثلج وحياتها الخشنة حيننا
عميقاً ، واذا به يقول انه يحس بحاجة ما بعدها حاجة الى استجمام روحي يضمه
له قضاء شهر واحد في ربوع العراق ، ولكنه توفي قبل ان يتسنى له الظفر
بتحقيق هذه البغية .

وانا اقرأ خبر نعيه في الصحف كانت دموعي تحوط الخبر من جميع
اطرافه فكانت هذه الدموع اشبه بالاطار الذي يحيط بالصورة .

لقد مات اسكندر ، وكان من القلائل الذين لم يكن له قبر واحد في بقعة
واحدة ، وانما ترك في كل صدر من صدور عارفيه قبراً لن يعفى ، وفي مقدمة
اولئك طلابه اكثر في الجامعة الاميركية بيروت وثنائيات العراق ودار المعلمين
ببغداد وصدور حملة الاقلام العربية الذين تعرفوا به من طريق أدبه ، رحمه الله ووفاه
حقه من خدمته الصادقة للعلم والادب .



الشيخ عبدالكريم الجزائري



الشيخ محمد جواد الجزائري

الشيخ عبد الكريم الجزائري [١]

لان ملء السمع والبصر يوم وعيت ، وكانت لمجلسته شهرة خاصة بين عشرات المجالس النجفية لافصاره في الغالب على طبقة تجمع بين العلم ، والادب ، والسياسة ووزن الامور بموازين تختلف مقاييسها عن موازين الكثير من مجالس النجف ، ومن هذه المجالس اى (الدواوين) كانت تنتشر الاخبار السياسية ، وغير السياسية ذات العلاقة بالعالم الداخلى والخارجى ، البعيد والقريب ، وكان المنبع الذى تستمد منه المجالس الاخبار الخارجية يومذاك هو بعض الصحف التى كانت تصل الى النجف بين اونه واخرى من اسطنبول ، وايران ، وبيروت ، والقاهرة ، وبغداد ، فتدخل بعض المجالس وتظل الالسن تلوك اخبارها الى ان تصل رزمة جديدة منها بعد اسبوع او اسبوعين ، واحيانا بعد شهر واكثر لعدم انتظام وصول البريد يومذاك وكان المنبع الاخر الذى تستقى منه هذه المجالس اخبارها هم (الجنّازون) والجنّازون هم حملة الجنّازات الذين يأتون بالجنّازات من مختلف الاصقاع وبغاية ما يستطيعون من السرعة خشية تفسخ الجثث ليدفونها فى النجف فينقلون ما يعرفون من اخبار اصقاعهم ومواطنهم الى مضيفيهم ومعارفهم ، ينقلها هؤلاء رأسا الى تلك المجالس بحكم العادة ، ومن هناك تنتشر فى جميع اطراف النجف بسرعة البرق .

وعن طريق هؤلاء (الجنّازين) كثيرا ما تتضارب الاخبار وتتناقض ، ولكنهم كانوا كالراديو اسرع وسيلة يومذاك لوصول اخبار المدن وحروب القبائل وما كان يجّد هناك ، وكانت هذه الاخبار تصل صحيحة تامة الصحة حيناً ، وملفقة بعض التلفيق او كل التلفيق احيانا اخرى .

(١) جريدة الايام - بغداد - العدد ١٠٠ - ١٢/٨/١٩٦٢

وكثيرا ماتعوز رواة الاخبار غير الصحيحة الحجة فيما يروون فيتكون على الجنّازين ويتخذون منهم سندا فيما يروون قائلين :-

« روى ذلك جنّاز ورد على آل العادلي مثلا او آل حموزى »

وللسخرية بالاخبار غير المنطقية او الحوادث المستحيل وقوعها يقول النجفيون عنها : انها اخبار (جنّازين) ، وذلك كثيرا ما يتفكّهون في صوغ الاخبار الفكهية على السنة (الجنّازين) فيقولون مثلا ان البابا الاعظم ينوى ان يؤسس في الفاتيكان مقبرة واسعة يعارض بها مقبرة النجف ، ويدعو أهل الجنّاز ان يدفنوا جنّازهم فيها بدلا من دفنها في النجف ، ثم ينسبون الخبر الى (الجنّازين) قائلين - روى ذلك جنّاز جاء من ايطاليا حديثا ونزل على (آل الملك) أو (آل مال الله) مثلا ، وآل الملك وآل مال الله اسرتان من الاسر النجفية المعروفة .

ومع ذلك فكثيرا ما تصل الى النجف اخبار صحيحة وسريعة عن المدن العراقية والقبائل وما كان يجد في الاطراف بواسطة هؤلاء الجنّازين .

وهناك عامل آخر ذو شأن في اتصال النجف بالعالم الخارجى وهو كثرة من يخرج من النجف من طلاب الدين والمشايخ ومن يرد اليها منهم وكثرة الزوار الذين يؤمّون النجف من مختلف الاطراف ثم الرسل الذين يحملون المكاتب من العلماء والرؤساء في الخارج الى العلماء والرؤساء في النجف بقصد الاستفتاء أو التوسط في قضاء بعض الحاجات العامة والخاصة ، فكان كل هذا عاملا خطيرا في نقل الاخبار الى تلك المجالس وانتشار تلك الاخبار عن طريق المجالس ، هذا مضافا الى العدد الكبير من الوجوه وكبار الشخصيات الرسمية والاهلية ورؤساء القبائل الذين يؤمّون النجف في مختلف المواسم فيقصدون اول ما يقصدون - بعد زيارة مرقد الامام - اصحاب تلك المجالس توددا لهم وتكريما لشخصياتهم أو لداع من مصالح واستشارات وتبادل اراء بين ارباب تلك المجالس حول المسائل العامة أو الخاصة لذلك كانت النجف اكثر مدن العراق على الاطلاق اتصالا بالعالم الخارجى البعيد والقريب لكثرة ما كانت تعطى ، وكثرة ما كانت تأخذ من الاخبار والحوادث ،

وهذا ما ساعد النجف على ان تكون موضع التفات الاقطار الاسلامية والاقطار العربية فضلا عن قيمتها الروحية والعلمية والادبية ، وهذا ما جعل النجف اسرع المدن في تجاوب الافكار لذلك لم يكن غريبا ان يكون الشيخ محمد رضا الشيبى والشيخ على الشرقى من اوائل من أبّن الباخرة (تيتانيك) ووصف غرقها واحاسيس ركابها فى اثناء الغرق ، وكان لتلك الاتصالات او الصادرات والواردات كما يسميها أحمد الصافى النجفى متفكها شأن كبير فى قيمة مجالس النجف يومئذ وما كان لها من اثر سياسى ، وعملى ، وادبى فى الاوساط مما قد اشرنا اليه فى هذه المجموعة من قبل :

فصادرات بلدتى مشايخ وواردات بلدتى جنائز

ومجلس الشيخ عبدالكريم الجزائرى كان فى الطليعة من حيث اتصال الخارج به ، ومن حيث زيارة الوجوه له ، ومن حيث تلقيه الرسائل من مختلف الجهات وما كان له من قيمة فى تكوين الرأى العام وتوجيهه والوقوف به مواقف مشرفة فى دنيا الوطنية والتحمس لقيام المشروطة فى ايران والانقلاب العثمانى ، والمطالبة باللامركزية للعراق فى العهد العثمانى والتحفيز لطلب الاستقلال التام بعد الاحتلال البريطانى ذلك لان الشيخ عبدالكريم كان ذا جوانب متعددة ، ووجوه متنوعة ، وملكات ، ومواهب ، وقابليات ظهرت باجلى مظاهرها فى ميادين البحوث العلمية والادبية والتجديد فضلا عن النضج السياسى المعروف .

فاذا عدّ العلماء كان للجزائرى مقامه المرموق بينهم واذا عدّ الادباء كان الجزائرى فى الرعيل الاول منهم واذا عدّ كبار ساسة النجف كان الاول بعد ان مات الشيخ جواد الجواهرى ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ، لذلك كان لمجلس الجزائرى شأن خطير فى تاريخ المجالس النجفية .

وكنت اسمع باسم الشيخ عبدالكريم الجزائرى واسمع باسم مجلسه وانا صبى ، اسمع به مرددا على لسان ابي وعلى السنة اعمامى حينما تجيء المناسبة ، اما اين هذا الجزائرى ؟ وما هى اوصافه من حيث الشكل والهيكل والصورة ؟

فهذا ما لم اكن اعرف عنه شيئاً لاني لم ادنف بعد الى المجالس النجفية لارى هؤلاء بعيني بعد ان سمعت باسمائهم باذني ، ولكنني استطعت ان اعرف بعد زمن ان الشيخ محمد جواد الجزائري ، هذا الذي يندفع كالسيل اذا ما تحدث ، والذي لم تهدأ ثورته ، ولم تخمد جذوة حماسه الوطني ، هذا الشيخ لم يكن الا الاخ الاصغر للشيخ عبدالكريم ، لا لاني كنت قد رأيت الشيخ محمد جواد غير مرة في بيتنا وفي حجرة اخي الاكبر عباس الخليلي بمدريستنا فحسب وانما لان ثورة النجف التي اشترك في تنظيمها كل من السيد محمد علي بحر العلوم ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والشيخ محمد علي الدمشقي ، واخي عباس ، وأججوها نارا حامية ، وقد جعلت اسم الشيخ عبدالكريم يحتل من ذهني اكبر مجال عن طريق ذكر اخيه الشيخ محمد جواد الجزائري ♦

اما ثورة النجف فهي الجذوة والشرارة التي اراد هؤلاء الاربعة ان تكون مبعث الثورة العراقية الكبرى ففشلوا ، وكانوا قد دبروا الامر تديرا اعوزه الكثير من الاحتياط والعمل ، اذ اكنفوا بالاتصال ببعض القبائل وعلى الاخص (العوابد) و(آل علي) و(الحواتم) وادخلوا في اليمين بعض رجالات القبائل مثل مرزوق العواد ووداي العلي ، وسلمان الفاضل ، ومشكوف من شيوخ بني حسن (الحواتم) وعدد كبير من شيوخ النجف وحملة السلاح كالبوكلل ، وكاظم صبي ، وكريم الحاج راضي ، وعباس علي الرماحي ، والحاج نجم الذي كان له شأن يذكر وغيرهم مثل محسن ابي غنيم ، واقسم الجميع على ان يحملوا السلاح في وجه الانكليز ساعة تتطلق اول رصاصة من النجف وادار المؤتمر السري المؤامرة ادارة متقنة ، وعينوا يوم النوروز موعدا للثورة ، ولم يكن ذلك كافيا ، لان ثورة يراد لها النجاح المضمون لتتطلب دراسة اعمق ، وخبرة اوسع للناس ومدى تضحياتهم وما يملكون من استعداد قبال تلك القوة ، وكيفما كان الامر فقد ثارت النجف في الموعد المضروب وقتل الحاكم الانكليزي (الكابتن مارشال) ولكن الثورة ظلت ثورة محلية ، ذلك لان سلطة الاحتلال كانت قد احست في الوقت المناسب بالثورة

وتغلغلها بين العشائر فأسرعت لاتخاذ التدابير والاحتياطات الكافية لحصر الحركة في محلها والحيولة بينها وبين اشتراك القبائل فيها •

وفشلت الثورة وحارب النجفيون وحدهم ، وأبلوا بلاء حسنا • ودخل الانكليز المدينة بعد حصار دام اكثر من شهر ونصف شهر فتم القبض على زعماء الحركة ، وكان السيد محمد على بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري في مقدمة المقبوض عليهم وحوكم الثوار عسكريا ، وتم اعدام احد عشر شخصا منهم وزج اكثر من مائة رجل في السجن وتقرر نفيهم الى سمريور في الهند ، اما اخي عباس الخليلي فقد كان الشخص الوحيد الذي فرّ ونجا باعجوبة فحكم عليه بالاعدام غيابيا ، ولكيفية اختفائه وهروبه قصة طويلة ليس هذا محل شرحها •

واما الشيخ محمد جواد الجزائري ، وبحر العلوم فقد اتجاها من الحكم بالاعدام توسط أمير المحمرة الشيخ خزعل في أمرهما فصفدا بالسلاسل وارسلا ليقتضيا سجنهما في الهند عن طريق بغداد وعند مرورهما بالبصرة جدّد الشيخ خزعل توسطه فاطلق سراحهما ، وبقي عند الشيخ خزعل بخرم شهر (المحمرة) نحو سنة الى ان اذنت سلطة الاحتلال لهما بالعودة الى النجف فعادا •

ويعتبر الشيخ خزعل من اكثر المخلصين للشيخ عبدالكريم الجزائري ، ومن مقلديه والمقتدين به والآخذين برأيه والمطيعين لامره ، لذلك كثيرا ما كان الجزائري يتوسط لدى الشيخ خزعل في حل الكثير من الازمات العامة والخاصة وما كان يقع بين الحكومة العثمانية والارانية والقبائل في تلك الجهات بل كثيرا ما استعمل الجزائري وساطته لحمل الشيخ خزعل على الاسهام في المشاريع العامة فكان الشيخ خزعل اطوع له من بنانه ، حتى وقعت الحرب العامة الاولى ، واعتبرت هذه الواقعة حربا بين الكفار والمسلمين بنظر رجال الدين ، اضافة الى كره الشيخ عبدالكريم الشديد للانكليز ، فكتب الجزائري الى الشيخ خزعل يأمره بوجود تجهيز حملة من القبائل ودخول الحرب الى جانب العثمانيين ، ولكن الشيخ خزعل كان على خلاف تام من هذه الناحية مع الشيخ الجزائري فرد عليه معتذرا وشارحا له استحالة

قيامه في وجه الانكليز فقطع الجزائري علاقته بالشيخ خزعل منذ ذلك اليوم ولم يعد يذكره بخير أو شر كما هي عادته في القطيعة ، وسعى الشيخ خزعل لاسترضاء الشيخ الجزائري بمختلف الوسائل والوجوه فلم يوفق ، حتى حدثت ثورة النجف ، وسبق الشيخ محمد جواد الى المحكمة العسكرية فوجد الشيخ خزعل في هذا الحادث الفرصة الصالحة التي كان ينشدها للصلح مع الجزائري وسعى بكل مافي وسعه لاطلاق الشيخ محمد جواد ، ثم تودد وتوسل ، ولكنه اخفق ولم يفز حتى بكلمة شكر واحدة من الشيخ الجزائري على توسطه لانقاذ اخيه ، ولكن صلات الشيخ خزعل بالشيخ عبداللطيف الجزائري وهو الاخ الاصغر للشيخ عبدالكريم قد ظلت على حالها ، وعلى اساس هذه الصداقة قد شاع في اوساط النجف حينما خطر للشيخ خزعل ان يرشح نفسه لعرش العراق انه قد دفع للشيخ عبداللطيف الجزائري مبلغا قدره عشرون الف ليرة عثمانية لينفقها في بث الدعاية وتهيئة الرأي العام لهذا الترشيح وشاع ان الشيخ عبدالكريم ما كاد يسمع بهذا الخبر حتى نار وقامت قيامته في وجه اخيه الشيخ عبداللطيف ولم يعرف بعد مدى صحة هذه الاشاعة ، ولكن المؤكد ان قطيعة ما لزم من ما كانت قد حدثت بين الشيخ عبدالكريم والشيخ محمد جواد من جهة وبين اخيهما الشيخ عبداللطيف من جهة اخرى ، بيد انه ليس هناك من يستطيع ان يعين السبب الحقيقي لتلك القطيعة ، وهل كانت بداعي تلك الاشاعة ، او بداع اخر ، ذلك لان الشيخ عبدالكريم الجزائري لا يدع لاحد مجالا ان يستشف كوامنه ، فقد كان عف اللسان ، كثير الاحترام لخصومه بحيث لا يكون من السهل الوقوف على رأيه اذا كان غير مرضى في الاخرين ، وانا من القلائل الذين يعرفون ان العلاقات بين الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء لم تكن حسنة ، كما لم تكن العلاقة بينه وبين المرجع الروحاني السيد محسن الحكيم على ما يرام ولكن ليس هناك من قد عرف هذا من الشيخ عبدالكريم الا القليل القليل .

ولشدة تعلق الشيخ خزعل بالشيخ عبدالكريم قبل القطيعة كان قد شاع في

وقته ان الكتاب الذى تم تأليفه باسم (الرياض الخزعليه) والمنسوب الى الشيخ خزعل انما الفه الشيخ عبدالكريم الجزائرى ونسبه للشيخ خزعل والواقع ان الشيخ عبدالكريم اكبر بكثير من ان ينسب له مثل هذا التزلف وانما الكتاب هو من تأليف الشيخ محمد الهر ، أو الشيخ محمد خشاف كما حققته بنفسى فى حينه ونسيت الان ايهما كان المؤلف لبعده عهدى بذلك والكتاب المذكور - وقد قلت الان نسخه - نفيس جدا من حيث مواضيعه وابوابه واهدافه الادبية ولقد قرأته فى مقتبل شبابى قراءة معن يطلب الافادة والمتعة الادبية .

ومن داخل السجن ببغداد وهو فى طريق المنفى نظم الشيخ محمد جواد الجزائرى بعض الشعر الوطنى الذى يفيض بالحماسة ومن ضمنه القصيدة النونية التى يشير فيها الى الثورة النجفية فى قوله :-

عشقنا المنون وهمنا بها	وعفنا اباطحنا والحجوننا
وقمنا بها عزمات مضاء	ابت ان نسييس الردى او نلينا
وصنا كرامة شعب العراق	وكنا لعلياه حصنا حصينا
وخضنا المعامع وهى الحمام	ندافع عن حوزة المسلميننا
وجحفل اعدائنا الانكليز	يملاً سهل الفلا والحزوننا
وما ضامنا ثقل ذاك الحديد	اذا ما قضى للعلاء الديونا

ومن طهران يشير عباس الخليل الى هذه الثورة من قصيدة مطلعها :

أما وغمام يشبه الظلم اسودا ورعد حكى قصف المدافع بالصدى

الى ان يقول :

رويدا رجال الانكليز ومهله	ان اليوم أسرفتم فان لنا غدا
وان قصرت اقدمنا عن خطاكم	مددنا الى ما فوق هامكم يدا
يحبيكم اهل العراق على النوى	فتى فى سبيل المجد أمسى مشردا
تحية عان كلما هبت الصبا	ينوح كما ناح الحمام مغردا

ان اليوم اطلقت اللسان بحبكم فبالامس عنكم قد سللت المهندا
عواطف لاتنفك تغلى بمهجتي الى ان ارى فوق الصعيد موسدا

وحين جرى نفى عباس الخليلي من ايران الى العراق من قبل السلطة الايرانية
لسبب سياسي آخر وذلك في سنة ١٩٣١ على ما اذكر شرع وهو يلقي أول نظرة
على ارض العراق بعد خروجه منها بنظم قصيدة بدأها عند اجتيازه الحدود الايرانية
العراقية في السيارة واتمها قبيل دخوله بغداد وكان لهذه القصيدة يومها وقع كبير
في النفوس تقتطف منها هنا بعض ما يتعلق بحادث الثورة المذكورة اذ يقول :

قبلت منك بعيني الارض لا بضمي
وجف دمعى فرواك الحشا بدمي
عفرت بالترب وجهي اذ سجدت ضحي
فنا ب للسعي رأسي فيك عن قدمي
وكاد ينطق طرفي بالسلام على
ارض العراق فهذي أدمعي كلمي
ما الدمع واللفظ الا لؤلؤ رطب
خلطت متشرا منه بمنتظم
ارخصت درا غلامن ذا وذاك على
معالم للعلى والعز والكرم
رضعت فيك لبان المجد من صغر
فلست حتى الردى عنه بمنفطم
ما الرافدان وان ساغا بعذبهما
يبردان غليلي منك بالشبم
ضحيت انسان عيني بالبكاء على
ثرى كفاء دم القتلى عن الديم
كم من كمى تردى فيك ثوب ردى
وكم أبى بسهم التائبك رمى

وكم طريد مضي والويل رائده
فاتابه الحنف في الاجام والاكم
قد شردتني منك الحادثات وقد
ردتني اليوم ، فلتبتك عن همي
انا الذي هدّ ركنا من عدائك كما
قد شاد للمجد ركنا غير منهدم
جدنا بانفسنا نحمي حماك فلا
نرضى لك الذل ان قيل العراق (حمى)
متى تربى لك الايام مثلى من
ان خانه السيف يوما قام بالقلم
يا حسنها ساعة ردت اليك فتى
ما كان يرجو اليك العود في الحلم

وازيح الستار وعرف الناس رجال الثورة النجفية ، ولع اسم الشيخ عبدالكريم الجزائري اكثر باعتباره الاخ الأكبر للنائر الكبير الشيخ محمد جواد ، بل قال الكثير ان الثورة النجفية لم تكن خالية من اصبع للشيخ عبدالكريم ، وحتى اليوم والكثير يعتقد ان الشيخ عبدالكريم قد اسهم في الثورة النجفية من خلف ستار ، وكان لمجلسه وتردد القبائل والرؤساء عليه شأن في ربط اوئلك الزعماء بالثورة النجفية وقد أيد هذا الرأي ما اصاب الجزائري بسبب فشل هذه الثورة من هياج وعدم استقرار والتوجه بكله الى السعى لجمع الكلمة وتنظيم الامر من جديد والعمل مع الميرزا محمد رضا الشيرازي ابن الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي مفجر الثورة العراقية من جهة ومع قبائل القرات من جهة اخرى للقيام بثورة جديدة اذا بقى الانكليز مصرّين على عدم اجابة مطالب الشعب ، والحق انه لم يكن الشيخ عبدالكريم الجزائري وحده الذي نهض بالثورة ومهد لها في النجف وانما كان الشيخ عبدالكريم من اشد العاملين في بعثها ومن اكثرهم حماسا

وحرارة وانغماسا تحت ظل الامام ميرزا محمد تقى الشيرازى ، وكان ممن افاد من فشل الثورة النجفية فائدة جنبت الثورة العراقية الكبرى كثيرا من مواقع الزلزل، وكان مجلسه فى هذه المرة بمثابة مجلس القيادة السرية التى وضعت الخطط وهيأت الرأى العام للمطالبة بالاستقلال حتى كان احد المندوبين الاربعة الذين انتخبوا لتقديم المطالب الشعبية الى سلطة الاحتلال باسم الشعب العراقى •

وحين تألفت اول حكومة عراقية كان نشاط الشيخ عبدالكريم الجزائرى مضرب المثل فى الميدان السياسى فقد وقف منذ اليوم الاول موقفا سلبيا تجاه ما يسمى بالوصاية والانتداب والحماية من حيث اللفظ والمعنى ، وهو اول من ندد بمقام المستشارين الانكليز بالصورة التى وجدوا بها ، فقد كان يرى ان وجود المستشارين كفتنين ترجع اليهم الحكومة بقصد الاستشارة فى الامور الادارية والفنية والعلمية امر صحيح ، بل ولازم لدولة فتية لم تمارس عملا خطيرا كهذا ، ولكنه لم يكن يؤمن بان المقصود من ايجاد الاستشارة هو الاستشارة الصحيحة والا لما داخل الناس الشك فى حقيقة الحكومة العراقية خصوصا وقد كان للمندوب السامى كل القيمة فى كيان الدولة والحقيقة هى ان مفهوم الاستشارة كان كل شىء فى الحكومة يومها ولذلك تلقى الناس قول الشيخ باقر الشيبى :

المستشار هو الذى شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تعربد

لقد تلقى الناس قوله هذا بالشىء الكثير من الايمان بالواقع

وحين مرّ الملك فيصل فى اول طوافه بالفرات هزجت قبيلة آل قتلة

(بالهوسة) المعروفة وهى تخاطب رئيسها الشيخ عبدالواحد هازجة :

« يوحيّد صحح يومجبعينه »

اى هل ان هذا الملك ملك حقا ام انه مغطى ومستور بالعباءة ؟

اما الشيخ محمد جواد فانه كان يذهب الى ابعد من ذلك فانه لم يكن يعترف

حتى بوجود الحاجة العلمية والفنية والتجربة الادارية للمستشارين لذلك سمع مرة

وهو يصيح بعلى صوته امام الملك فيصل الاول وأكابر العلماء مجتمعون عنده في الحرم المقدس حيث جرت العادة ان يجتمع العلماء مع الملك كلما قدم النجف لقد سمع الشيخ محمد جواد يصيح :-

- اطرودوا هؤلاء المستشارين ، اطرودوهم فليس لاستقلالكم حقيقة وهؤلاء موجودون في مراكز الالوية ، ولم تعجب هذه الطريقة من الكلام الهائج النائر اخاه الشيخ عبدالكريم خصوصا وانه كان يرى وجوب تحديد عمل المستشارين تحديدا صحيحا واقعا الى ان يحين الوقت الذي يتم الاكتفاء منه بقدرة العراق على ادارة شؤونه لذلك حال بعدها بين اخيه وبين حضور مجلس الملك حين كان يقدم الملك الى النجف وكان الملك فيصل يسأل عن الشيخ محمد جواد فيجاب في كل مرة بعذر من الاعذار •

وظل الشيخ عبدالكريم يلح على وجوب تحديد سلطة المستشارين الى ان حمل هو وليس غيره حمل الحكومات العراقية على الاسراع في تقليص نفوذ المستشارين ، ولعل ياسين الهاشمي الذي نال تأييد الشيخ عبدالكريم في جميع خطواته السياسية كان قد اشترى هذا التأييد بانتهاج سياسة الشيخ عبدالكريم قبل الانكليز ونفوذهم ومعارضته للمعاهدة بناء على معارضة الجزائري العنيفة ، فلقد ايد الشيخ عبدالكريم سياسة الهاشمي تأييدا يكاد يكون مطلقا ، وحمل العشائر على الالتفاف حول الهاشمي نتيجة للتفاهم السياسي الذي كان قد تم بينه وبين الهاشمي في النجف وفي بيته نفسه •

واتهمت سياسة وزارة الهاشمي الداخلية بالتحيز الطائفي ، ونال الشيخ عبدالكريم شيء من لوم الناقلين على الهاشمي لتأييده اياه ، وذات مرة وانا عنده وجدت احد حضار مجلسه جريئا في انتقاد الهاشمي وفي لوم الجزائري على تأييده قائلا :- ان وزارة الهاشمي قد اغلقت ابواب الوظائف في وجوه الشيعة ، فقال الشيخ عبدالكريم وهو يضحك :

- ألم تر ان ذلك حق من حقوقهم ، فلقد كان العهد العثماني ، وكانت الوظائف كلها لهم ، ومقتصرة عليهم ، وكان الشيعة زاهدين فيها ، اما اليوم فلم يدع الشيعة طريقا لم يلجوه لاختطاف هذه الوظائف من ايدي اصحابها ، فهام اولاء الداخلون عليهم من الابواب ، والوالجون من الشبايك ، والمتسلقون للحيطان والنازلون عليهم من السطوح ، فلم لانسى الدفاع عن مصالحهم ضربا من ضروب تنازع البقاء ؟ افلم يكن هذا اصح من تسميته بالطائفية ؟

لقد قال ذلك وهو يضحك ، وكان لوصفه و اشاراته بيديه حاكيا كيفية نزول طلاب الوظائف من السطوح والدخول من الشبايك وثقوب الحيطان والولوج منها داع آخر لضحك حضار مجلسه .

وظل الشيخ عبدالكريم الجزائري زمنا طويلا وهو موضع استشارات كبار السياسة العراقيين ورجال الحكومة خصوصا في الادوار الاولى من تشكيل الحكومة العراقية وخصوصا في اثناء عقد اول معاهدة عراقية وبروتوكولها ، وكان له في هذه المعاهدة رأى أخذ بعضه ولم يؤخذ البعض الاخر .

الى هنا كان ذهنى مشحونا باخبار الشيخ عبدالكريم الجزائري الوطنية والسياسية وكانت بطولة اخيه الشيخ محمد جواد وجرأته وايمانه قد شغلت كل فراغ فى نفسى ، وانا الان فى نهاية العقد السادس استطيع ان اؤكد انى لم اشهد حتى اليوم من يشبه الشيخ محمد جواد وطنية ، وشجاعة ، وتدققا كالسيل فى ميادين الثورة على الفساد ، وعلى الضلال والطغيان ، دون ان يمازج نفسه خوف من اى شىء .

ونقلتلى السنين من صبى صغير الى شاب يافع وبدأت اخطو بعض الخطى فى قراءة الادب والتعرف بالادباء النجفيين عن بعد وعن قرب وصرت ارتاد المجالس واسمع ما يدور فيها من احاديث أدبية وطرائف فنية ومناظرات ومساجلات يرجع اليها وحدها فضل صقل الذهن ونمو القابليات الفكرية والفنية عند المتأدبين فتعرفت عن طريق هذه المجالس بالكثير من الادباء الذين ماتوا ولم ادركهم ، والادباء

الاحياء الذين كان يتألف منهم الرعيل الاول من ائمة الادب النجفي وكنت ارى كيف كان هؤلاء يدخلون المجالس وكيف كان يحتفى بهم ، ويبالغ في احترامهم ، ويهمس البعض من الشبان في اذن البعض بان الداخلى الى المجلس انما هو فلان صاحب القصيدة العصماء الفلانية ، والمساجلات الادبية المعروفة ، ويكاد الناس كلهم يعرفون لاولئك مزايهم حتى وان كانوا قد هجروا تعاطى الادب وزهدوا فيه ، ذلك لان كثيرا منهم ولاسيما العلماء كان يطلق قول الشعر ويصفى حين يضع اول قدم له في مرحلة الكهولة ومع ذلك فان ذكريات شبابه الادبى تظل شاغلة اذهان الادباء والمتأدبين على قدر مالها من قيمة فى عالم الادب ، وفى هذه الذكريات يكون الشئ الكثير انذى يحفظ ولا ينشر من مساجلات ، ومناظرات ، ومدائح وغزل ، ومهاجة واقعية وغير واقعية ، ودعابات لها قيمة كبيرة فى بناء الادب الحى وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى فى شبابه وحتى الى اوائل دور الكهولة من هذه الزمرة فى الطليعة وقد ترك حين طلق قول الشعر الكثير من الاثار التى تستشهد بها النجف فى موضع الاستشهاد الفنى فكان لشعره ثمن كثيرا ما حمل الادباء على مدارسته والتفكه بمناوشاته وتحرشاته الشعرية .

وكانت مجالس التهاني والاعراس ، ومجالس الفواتح والتأين والمناظرات والمساجلات التى كثيرا ما يشيرها التباهى والتنافس والدعابة والتنقيس عن النفس هى السوق الذى يستغله الادباء ويتخذون منه مناسبة لعرض منتوجهم الادبى فى النجف ولشد ما كان يفرح الشعراء حين يسمعون بعرض احد الوجهاء وخصوصا اذا كان هذا الوجيه ادبيا ، ولشد ما كانوا يفرحون حينما يسمعون بموت احد العلماء او الافاضل لان مباراة الشعر ستكون باوسع حدودها حتى وان لم يكن للشاعر كبير صلة بالعريس او الميت ، فقد كانوا يخلقون المناسبة خلقا ، وكانت هنالك طبقات وجماعات كل جماعة تضمها حلقة مستقلة يجمع بين افرادها التجانس النسبى ، وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى جزءا من حلقة تضم الشيخ جواد الشيبى والسيد جعفر الحلى والشيخ اغا رضا الاصفهاني والسيد باقر الهندى

والشيخ هادى الشيخ عباس واخرين ليرين وكان كل واحد من هؤلاء وهم فى دور السباب علما من اعلام الادب الحى ، ولانت النكت وافكاهه الاديه تلازمهم حتى فى اشد الازمات فلقد كانوا مرة فى الكوفة وفد نزوا النهر سابحين ولم يلتفتوا الا وفد اخذ الموج السيد جعفر الحلى واغرفه ، ولم يكن احد منهم يعرف السياحة فعلا صراخهم وعويلهم طالين النجدة وسمع هذا الصراخ رجل هناك من آل مواش يعرف سليمان ال كريم ، فاندفع الى النهر وبجهد جهيد انقذ السيد جعفر الحلى من الغرق فكان هذا الحادث موضوع مباراة بين تلك الحلقة عملت فيها الظرافة والدعابة عملها حتى السيد جعفر نفسه قد اسهم فى تلك المباراة وكان من نظمه وهو يصور منقذه سليمان ال كريم قائلا :-

فسخر الريح سليمان له من آل مواش كريم معرقه

ثم انتهى آخر البيت من شعره بتاريخ هذه الواقعة وقد تضمنت القافية هذا التاريخ بكلمة واحدة هي (يغرقه) واقسم السيد جعفر ان التاريخ قد صنعه وهو بين الحياة والموت ولم يخرج الى البر ويتنفس حتى كان قد اكمل التاريخ ، والغريب فى الامر ان تاريخ هذه الحادثة التى تجمعها كلمة (يغرقه) فى حساب الجمل وهو سنة ١٣١٥ هجرية هو نفسه الذى صار تاريخ وفاة السيد جعفر الحلى فقدمت الحلى فى تلك السنة نفسها التى ارخ فيها تاريخ مماته بنفسه !!* *!

والدعابة عند النجفيين بوجه عام وعند الشعراء بوجه خاص تكاد تكون طبيعة ثابتة ، وان الشعر النجفى الخاص مشحون بالوان من تلك الدعابات التى قد تفرغ احيانا فى قالب من الهجاء المقذع بينما هي ليست غير دعابة ومزاح يحسن النجفى تمييزها ويصفق لها حتى وان كان هو المقصود منها بالذات *

سأل مرة احد شيوخ اسرة كاشف الغطاء الافاضل : السيد محمد القزوينى - وآل كاشف الغطاء هم اخوال آل القزوينى - لقد سأله جادا -
- ترى من هو العلوى الذى تناول التاريخ خوولته بالطعن والتلب من حيث النسب ؟

فاجاب السيد - نا!!

وكان بين الشيخ عبدالكريم الجزائرى وبين السيد جعفر الحلى كثير من هذه الدعابات المفرغة فى قوالب يخالها السامع هجاء مرا فى حين ليست باكثر من صور للمزاح عند الشباب من شعراء النجف فى الجيل الماضى الذين كان يعوزهم التنفيس عن النفس فى بلد قاحل كالنجف لا ماء فيه ولا خضرة ولا رواء فكانوا يستعوضون عن كل ذلك بالشعر وبالمزاح وما اصدق قول احمد الصافى مرة اخرى فى وصف النجف حين يقول :-

صدق الذى سماك فى وادى طوى يا دار بل وادى طوى وعراء
جلست على الانهار بلدان السورى فعلام انت جلست فى الصحراء

قرأ مرة الشيخ جواد الشيبى ابياتا له كان يزعم ارسالها الى السيد جعفر الحلى - وكان الحلى يومها فى زيارة لاحدى قرى الحلة - وكانت الايات فائبة القافية فوجد فيها الشيخ عبدالكريم الجزائرى مناسبة مستملحة لاعادة نغمة (الكشفية) على سبيل المزاح ، والكشفية مذهب كان بعض اصدقاء السيد جعفر الحلى ينسبونه له فكان الحلى يهيج ويشتم ويتصل من الكشفية ويرميهم مقابل ذلك بما يجرى على لسانه فيضحكون ، وقد اخذ الجزائرى الايات الفائية من الشيخ الشيبى ودس فيها هذا البيت :-

لئن اكشف غطاء الهجو يوما لساءك جعفر الحلى (كشفي)

وليس من شك ان الشيبى قد اشار الى السيد جعفر الحلى بان البيت مدسوس من الشيخ الجزائرى توقيا من هجوم الحلى العنيف عليه وخوفا من شتائه * وبعد ايام تلقى الشيخ جواد الشيبى رسالة من السيد جعفر وفى ضمنها البيتين التالين :-

نح عبدالكريم عن حلبة الشعر فعار على ذوى الالباب
أعليك الحمول ويحك قلت فشددت السروج فوق الكلاب

ولم ينتشر هذان البيتان الا على لسان الشيخ عبدالكريم الجزائري نفسه ..
وبمناسبة هذه الدعابة اذكر ان الشيخ محمد جواد الجزائري كان قد
عارض قصيدة الطلاس لابي ماضى التى ينهى فيها ابو ماضى كل مقطع من موشحه
بكلمة (لست ادرى) ، لقد عارضها الشيخ محمد جواد الجزائري بقصيدة على نفس
النمط معارضة رد فيها على فلسفة اللا ادرين ، وانهى كل مقطع من الموشح
بكلمة : (انا ادرى) وما كاد الشيخ محمد جواد الجزائري ينشر هذه المعارضة
حتى تلقى رسالة فى البريد وفيها بيت مغفل من التوقيع يقول فيه صاحبه :-

انت مجنون ولكنى لست تدري انا ادرى

وليس من شك ان الشيخ محمد جواد الجزائري لم يتلق البيت تلقى الرضا
وليس من شك انه لم يرتج من قائله ولكنه ما كاد يعرف فيما بعد ان قائل البيت
هو الشيخ على الشرقى حتى سكن وراح يروى الحكاية بنفسه لانه يتقن ان المزح
فى هذا القول هو الهدف الاول لقائله خصوصا اذا علمنا ان الشيخ على الشرقى كان
ممن درس على الشيخ محمد جواد الجزائري بعض الحين .

ولست ادرى من قائل هذا البيت مزاحا فى آل الطريحي ؟ ولكنى ادرى ان
آل الطريحي انفسهم لا يحجمون عن الاستشهاد به اذا ما دعت المناسبة وهو :-

اذا شئت الدلاوة تشتريها فقم واستق من بيت الطريحي

ذلك لان الدعابة او الروح الرياضية تكاد تكون صفة ملازمة للتجفيين كما
ذكرت :-

ومن المؤسف ان يفوت مؤرخى الادب التجفى تسجيل مثل هذه الصور
فيفوتنا بسبب ذلك الشيء الكثير من ابرع واروع الصور الادبية التى كانت تؤلف
جانبا له قيمته الكبرى فى تعيين مدى الاستعداد الفنى والملكات والمواهب عند الاديب
التجفى فى الجيل الماضى .

★ ★ ★

وكنا نحضر مجالس الاعراس والفواتح بقصد الاستماع الى ما كان يتلى فيها من الشعر ولكي نرى كبار الادباء عن كتب ونسمع تعليقاتهم على ما كان يتلى هناك، فقد جرت العادة ان تكون هذه المجالس عامة في مثل هذه المناسبات ، وكنا نعالج تقفية القصيدة المنشودة ، بان نعيّن القافية قبل وصول المنشد اليها بكلمة ، وحيانا نعيّن القافية ومنشد الشعر لم يزل في صدر البيت من اشاده متوصلين اليها من سياق المعنى ومقتضيات الشعر بل كثيرا ما كنا نتخذ من التقفية وسيلة تسلية وأنس كما قد اشرت الى ذلك في مكان آخر من هذه الصور وانى لاذكر مرة ان مهدي الجواهري وكنا حوزة واحدة قد راهن بان يقفى من كل عشرة ابيات ثمانية ابيات من أية قصيدة وعرة القافية لم يسبق له ان قرأها من قبل كائنا من كان شاعرها على ان يكون الرهان نصف اقة او ما يقاربها من حلاوة كانت تعرف بالحلاوة المسقطية وكان لمهدي الجواهري مثل هذا الرهان فيما يتعلق باستظهار الشعر ، وتم الاتفاق فاستطاع ان يقفى الشعر بنسبة تسعة ابيات الى عشرة وكسب الرهان وأكلنا الحلاوة معا .

اجل لقد كنا نرى ونسمع كيف كان يقفى الذين سبقونا في نضجهم الادبي ، وكيف كانوا يعترضون طريق الانشاد اذا ما ورد البيت مغلوطا من حيث لغته واعرابه ووزنه ، وكيف كانوا يصححون البيت آنيا وبدون تأخير فيستلفتون بذلك الانظار الى قابلياتهم ومواهبهم ، وقد تحدث بسبب هذه الاعتراضات مناقشات طويلة فتستمر اياما تقلب فيها المعاجم والكتب التاريخية والدواوين الشعرية رأسا على عقب بغية التحقيق والبحث عن اصل هذا الاعتراض وصحته، وقد عجمت هذه المجالس اعواد مرتاديهما في الادب وجعلت لهم اذهانا حادة لفهم اية اشارة ادبية واردة مهما خفيت خصوصا في الجنس والتورية والتواريف الشعرية التي كثيرا ما تضمنت وجوب حذف عدد أو أكثر أو إضافة عدد أو أكثر الى التاريخ الشعري ليستقيم التاريخ وينطبق على السنة المطلوبة فكان الجميع يدركون المقصود في الغالب بدون اى عناء .

حدث ذات مرة الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى :-

ان السيد محمد العالمى وهو صديق حميم للشيخ عبدالكريم الجزائرى كان قد تزوج بالسيدة (هدى) فكانت مناسبة اديبة حملت الكثير على المباراة فى التهانى الشعرية بالنظر لمقام آل العالمى الادبى وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى من ضمن المتبارين وقد زاد الشيخ الجزائرى فيما فعل بان انهى البيت الاخير من قصيدته بايراد تاريخ الزواج فى الشعر ولكن حساب تأريخه الوارد فى عجز البيت كان يزيد اربعة على السنة المعينة لذلك كان قد تدارك الامر واثار الى هذه الزيادة فى صدر البيت اشارة فنية وجعل التاريخ يتضمن اسم العروس تورية فكان بيته كما يلى :-

مذ طاح قلب (هدى) فى عرسكم جدلا

ارخت شمس (هدى) زقت الى القمر

قال الشيخ عبدالرضا : فصاح احد الادباء الحاضرين وكان قد حسب التاريخ آيا وفاته الاشارة البديعية فظن ان فى التاريخ زيادة قد فاتت الشاعر لقد صاح هذا الاديب باعلى صوته فى المجلس :-

- ان فى هذا التاريخ زيادة قدرها اربعة اعداد ، ووجم المجلس
وانشغل بالحساب بعض من لم يلتفت للاشارة فى حساب التاريخ ، ولكن الشيخ جواد الشيبى قطع هذا الوجوم بان صاح موجه الكلام للمعترض - قائلا :

- ولكن فهمكم للاشارة ينقصه اربعة ليستقيم التاريخ •

ودوتى المجلس بالضحك وما اسرع ما استوضح الذين لم يلتفتوا لهذاه الاشارة فواضحها لهم الاخرون ، وكان الدكتور عبدالرزاق محيى الدين حاضرا مجلس الشيخ عبدالرضا وهو يروى هذه الحكاية فى معرض الحديث من التواريخ الشعرية وما تستلزم من ادراك فنى حين يكون فيها شىء من الزيادة او النقصان فقال الدكتور عبدالرزاق وهو يضحك -

- يبدو ان فهمى ينقصه ثمانية ليستقيم الحساب لانى انا الاخر لم التفت
للنكتة .

وهنا شرح الشيخ عبدالرضا الاشارة البديعية فالمقصود (بقلب هدى) هو حرف
الذال الذى يؤلف القلب وهو الوسط من كلمة (هدى) والذى يساوى حسابه
اربعة فاذا (طاح) هذا العدد وحذف من مجموع العجز من البيت فى قوله :
مذ طاح قلب (هدى) فى عرسكم جذلا

ارخت شمس هدى زفت الى القمر

يكون مجموع ما بقى هو تاريخ السنة التى تم فيها عرس السيد محمد

العاملى .

وعلى ان الشيخ عبدالكريم الجزائرى قد طلق قول الشعر مع الشباب فقد
ظل الكثير من الادباء يروى الشئ الكثير من شعره دليلا على ما كان يمتاز به شعر
الجزائرى من براعة التصوير ، وجمال الاخراج ، وعمق الفكرة ، وقد ظلت
قصيدته فى رثاء المرجع الاكبر السيد حسن الشيرازى متلوة على افواه الكثير من
متبعى الشعر لسلاستها وحسن صياغتها ومن هذه القصيدة قوله :-

أصبت بسهم واترة المنايا فى اخطى البرية من اصابا
أرى كاسا سقيت الحنف فيه تحسى منه كل الناس صابا
فلو ان الدموع تبل وجدا لاجريت الدموع حشى مذابا
ولو رد المنون هديل نوح لصيرت الحنين عليك دابا

ويوم رأيت الشيخ عبدالكريم الجزائرى لأول مرة بعد ان ملأت مسموعاتى
عنه كل فراغ فى نفسى دهشت ، لقد دهشت لانى لم اجد الرجل كما كنت اتصوره
عملاقا بدينا ذا صوت أجش خشن كما ينبغى ان يكون العظماء فى مخيلة السذج
البسطاء وانما رأيت رجلا نحيفا هادىء الصوت رقيق الحاشية فى صورة جذابة
ذات سحر خلاب ، وظللت بعيدا من حيث الدنو منه ، قريبا من حيث مسموعاتى
عنه ، وعن مجلسه العامر بما يسد حاجة الوطنى ، والعالم ، والاديب ، حتى بعنا

دارنا الاولى ، واشترينا احدى دور اسرتنا المتصل بعضها ببعض ، والتي لاتفصلها عن دار الشيخ عبدالكريم الجزائري غير ثلاث دور لاغير ، وحتى قامت قيامة السيد صالح الحلبي في وجه المصلح السيد محسن الامين الداعي الى حرمة التطير ، وما كان يجرى في شهر محرم من كل سنة باسم عزاء الحسين من ضرب السلاسل ، ودق الطبول والصنوج ، فكان الشيخ عبدالكريم الجزائري في مقدمة مؤيدي السيد محسن الامين بعد المرجع الروحاني الكبير السيد ابي الحسن الاصفهاني ، ولكن الاكثرية المطلقة من العلماء واثناس وفي طبيعتهم السيد صالح الحلبي الخطيب المعروف بلباقته وقدرته على تسيير دفة الدعاية كانوا ضد حركة الاصلاح التي نادى بها السيد محسن الامين فلم يكن في ميدان الدعوة الاصلاحية الا فئة قليلة من بعض العلماء وفئة من الشباب لاحول لها ولا قوة الا فيما كانت تكتبه من المقالات وتشره في بعض الصحف العراقية واللبنانية وفي وسائل قام بتأليفها ونشرها الشيخ محمد الكنجي مما كانت تعد اكبر اثر نسبي في القضية •

وكان لابد لهذه الاقلية المؤيدة لفكرة الاصلاح الديني ان تتكلم ، وان يتعرف بعضها ببعض ، فكان الشيخ محمد جواد الجزائري هو المحور لهذا التكتل ولما كنت واحدا من الشباب المتحمسين لفكرة الاصلاح التي نادى بها السيد محسن الامين فقد الفيتني في زمرة آل الجزائري وتحت شعاع الشيخ محمد جواد الذي كان يساكن اخاه الكبير الشيخ عبدالكريم في بيته ويشاركة في مجلسه •

وبدأت اتردد على بيت الجزائري واحضر مجلسه منذ ذلك اليوم تردد الغريب المتهيب على رغم اني كنت اعلم ان أباي قلما فارق مجلسه وانني كثيرا ما التقيته عنده ثم صار ترددى على الجزائري تردد الجار القريب ، ونم يظل الزمن حتى صار ترددى عليه تردد الصديق الحميم ، وعلى الاخص حين اصدرت جريدة (الفجر الصادق) ، وحين وضعت نصب عيني محاربة السيد صالح الحلبي ، وحين بنيت الدعاية للدعوة الاصلاحية على اوسع وجوها وعلى قدر ما كانت تصل اليه يدي طبعا •

وبلغ قربي من الشيخ الجزائري ان صرت اناقشه رأيه ، واعلن له مخالفتي اذا وجدتني مخالفا لرأيه في شيء ولقد شجصني فاعطاني شيئا من الحق والايتار في ان اتوسط لديه ، ولست بناس ما كان قد حدث بينه وبين السيد جعفر حمندى من سوء تفاهم ربما كان من الصعب ان يزول لو كان قد ترك لشأنه زمنا اطول وتوليت انا بناء على رغبة السيد جعفر حمندى التوسط في الامر ، وصحبت السيد جعفر الى بيت الشيخ الجزائري وكان هناك اعتذار من حمندى ، وظرف وتندر وتفكه من الجزائري ، شأنه في اغلب مجالسه العامة •

وحدث بينه وبين الحاج محسن شلاش شيء مثل ما حدث بينه وبين السيد جعفر حمندى واكثر بعد صداقة متينة كانت قد امتدت جذورها الى سنوات بعيدة ودعاني الحاج محسن شلاش ذات يوم وقص على ما كان قد وقع بينه وبين الشيخ الجزائري من جفوة ، وقال انه لم يشأ ان يسعى لازالة ما قد علق بذهن الشيخ عنه قبل اليوم لانه - اى الحاج محسن - كان وزيرا فخشى ان يحمل تودده للشيخ على سبيل الحاجة ، اما اليوم وقد خرجت من الوزارة - كما قال - فليس ثمة ما يحمل توددى على شيء وانا اريد ان تمهد لى الامر فازور الشيخ وانت معى ••• فكان الذى اراد •••

واشدت ثقة الجزائري بى حتى لقد كان يمر بى فى البيت اذا ما خطر له خاطر فنبحث معا امورا كان يعتقد - مصيبا كان ام مخطئا - ان لى فيها خبرة ورأيا ، واذا لم يجدنى هناك اوصى لى بان اقصده فى بيته ساعة وصولى الى البيت •

وحين اقتضت سياسة الحكومة ان تفرض الرقابة على بيته ، وان تصارح الناس برغبتها فى الابتعاد عن مجلسه ، فر الجميع فلم تعد ترى الا واحدا او اثنين فى عرض الاسبوع ممن يمر به دقائق معدودات ليسأل عنه ، وفى هذه الفترة كنت من اكثر الناس اتصالا به فلا اكاد افرغ من تناول العشاء فى اغلب الليالى حتى كنت اقصده فى بيته فاجده وحيدا او مع أخيه الشيخ محمد جواد فنقضى قسطا من الليل بالاحاديث المختلفة ، ودعاني الشيخ محمد جواد الجزائري مرة للاسهام معه

في قضية سياسية لم استسغها فامتعت وغضب على ، وحاول احتقاري غير مرة فلم اهتم ، وقد ظهرت بمظهر من لا يعنيه الرضا والغضب واحس الشيخ عبدالكريم مرة بهذه الجفوة الحاصلة بيني وبين أخيه وانا عنده وفي بيته فكشف لي ولاخيه عن احساسه وطلب ان تذكر له السبب، أما انا فسكت ، واما اخوه فقد قال والشرر يقدر من عينيه - قال :

- انه - وهو يعينى ويشير الى - يختلف عن اخيه عباس في كل شيء .

فقال الشيخ عبدالكريم - وانا يا اخي اختلف معك في كل شيء واى اخ لا يختلف مع اخيه في الجيلة والطبيعة والخلقة ؟ لابل متى اتفقت انا واياك لتطلب من جعفر ان يتفق مزاجه ومزاج اخيه ؟...

والحق انهما كانا يختلفان في كل شيء وعلى الاخص في طريقة معالجة الامور وفي الحلم والغضب وكل شيء آخر وكثيرا ما كان الشيخ محمد جواد يلقف الحديث من اخيه في المجلس ليسير به في الاتجاه الذي يعاكس اتجاه اخيه وعقيدته، وفي هذا المكان لاتسمع من الشيخ عبدالكريم غير حوقلة يرددها مع شيء من هزة الرأس علامة عدم الرضا ، ويظل يحوقل حتى يسكت الشيخ محمد جواد ، وكم كان يبدو برما حين يكون عنده أحد رجال الدولة وهو يحاول ان يعالج امرا باسلوبه الخاص فيتلقف الشيخ محمد جواد الحديث ويحيله الى ثورة يخرج بعدها الشخص الزائر وهو غارق في بحر من الخجل ، ولا يمنع الشيخ عبدالكريم وجودى انا - اذا كنت موجودا - ان يلوم اخاه بمحضر منى حين يخلو المجلس ويؤاخذه على طريقة اشتراكه في الحديث ولكن الشيخ محمد جواد أتون مشتعل ، لايمكن ان يخفف اللوم من حرارة ايمانه وطريقة حديثه وان جاء اللوم من اخيه الاكبر ، وهو على خلاف طبيعة اخيه الدافئة الحليمة التي تغتفر الزلة وتخلق العذر للخائب الفاشل لتحيي فيه الرجاء من جديد .

وذات يوم والشيخ محمد جواد في مثل هذا التجهم والمزاج الحاد وجه الى الشيخ نورى الجزائرى - وكان الشيخ نورى حينذاك صبيا وفي اول مراحل

تعلم النحو - لقد وجه اليه بيتا من الشعر ليعر به ، فتلجلج الشيخ نوري واصفر لونه
 ••••• ولح الشيخ عبدالكريم المشهد فقال يخاطب اخاه الشيخ محمد جواد :
 « والله لو انك لقيت سيويه بمثل مالقيت الشيخ نوري وانت تلقي عليه
 السؤال بمثل هذه الصرامة والحملقة وجحوظ العينين لارتج عليه ، ولا ضاع طريق
 الصواب ، فما حال الشيخ نوري وهو صبي ولم يقرأ النحو الا منذ شهر ؟ » •
 وكنت ذات يوم عنده وتطرق الحديث الى احد الزعماء وكان قد ارتكب خطأ
 لايمكن ان يرتكبه شخص في مثل تجربته واختباره ومركزه وقد أنحيت انا عليه
 باللائمة ، وكان الشيخ محمد جواد حاضرا فايدني واندفع بما عرف به من بلاغة
 وفصاحة وحلاوة حديث يصور خطيئة ذلك الزعيم تصويرا بارعا وحين سكتنا قال
 الشيخ عبدالكريم :

- الامر طبيعي جدا فان كل انسان مهما تقدم في العمر وعجم الدهر عوده
 وكثرت تجاربه فان ناحية من الطفولة تظل كامنة فيه فلا تستغربوا اذا بدرت ذات
 يوم من كبير بادرة تدل على هذه الطفولة وخذوا العبرة من نفسي فقد عدت ذات
 يوم من الحرم الشريف بعد ان ادّيت الصلاة وادى خلفي المؤمنون صلاتهم
 حتى اذا كدت ابلغ البيت ألفت في الطريق قطعة قحف من جرة مكسورة ، وقد
 جذبني وضعها من حيث ظهور سطحها المحذب الى الاعلى وانتصاب هذا القحف
 من الخزف على هيئة نصف قبة صغيرة في وسط الشارع ، ولذت لي ان اسحق هذا
 القحف بقدمي لمجرد سماع طقطقته وهو يتكسر ويتفتت تحت قدمي ، وهكذا فعلت ،
 وظللت نحو دقيقة وانا اضغط بقدمي على سطح القحف وهو يتكسر وانا متلذ بهذه
 الطقطقة الموسيقية التي لا اشك انها من بقايا لذائذ الطفولة ونحن نسحق
 مثل هذه الاقحاف في الشوارع وما كدت اخطو خطوة او اثنتين حتى انتهت الى
 نفسي •

- ترى ماذا يسمى مثل هذا العمل اذا لم يسم بالعمل الصياني ؟
 ان شيئا كبيرا يشغل مقاما روحانيا وقبل بضع دقائق كان يأتم به العشرات
 من المقتدين به والمؤمنين برجحان عقله يقفه قحف من كوز مكسور في قارعة

الطريق فيتخذ منه لعبة يلهو بها ولو لعدة ثوان ٠٠٠ بماذا ترى يفسر مثل هذا
اذا لم نفسره بتيقظ روح الطفولة في الانسان؟

وهنا التفت لى ولاحيه وقال :

- لا لوم على الرجل اذا ما تيقظت روح الطفولة في نفسه ذات يوم فأنى بعمل
الصق بالصبيان منه بالرجال وانما يجوز اللوم اذا تعدد مثل هذا التيقظ وكثر ٠٠٠
قال ذلك وهو يضحك *

والشيخ عبدالكريم الجزائرى يكاد ينفرد ببعض ما يستعمل من الكلمات
والاصطلاحات فينتقى اجمل الكلم ويصوغها اجمل صياغة فاذا اقسام مثلا فانه يقول :

« والله انذى لارب سواء »

واذا استقبل زائرا مثلا قال -

« أضاء البلد »

واذا عزى احدا في مصيبة قال -

« احسن الله لك العزاء »

ولكنه لا يجمد على مثل هذه التراكيب وانما يبتكر الاقوال المناسبة في
وقتها بحيث تظل كلمته راسخة في الذهن فقد التقاني مرة وأنا اضع نظارة سوداء
على عيني فقال لى :

- ارجو ان تكون هذه النظارة (للغوه وللوهو ، وليست للدوه) *

فقلت : وهى كذلك ، وزاد تعلقى به فزاد نطفه على وغمرنى بمحبته ، واعطانى
من عطفه الشيء الكثير الذى طالما اعتزرت به ، وكثيرا ما اتخذت من هذا العطف
وسيلة لقضاء بعض الحاجات للناس عنده ، وحين ازعمت النية على الانتقال من
النجف الى بغداد كان الشيخ عبدالكريم ممن عارض ومانع وحاول بكل جهد
ان يحول بينى وبين هذا الانتقال ولكنى كنت مصمما فودعنى بكلمة واحدة لاتزال
عالقة بذهنى وهى قوله -

- خار الله لك فى الامر -

وانقطعت عن زيارة النجف طويلا وحين كان يتاح لى ان ازور النجف كان اول عمل اعمله هو ان ازور الشيخ عبدالكريم الجزائرى فى مجلسه ، فلا اجد ترحيبا اشد من ترحيبه وهو يلتقىنى ، ولا فرحة اوسع من فرحتى وانا التقيه .
وكانت لى فى النجف قطعة ارض وهى كل ما بقى لى فيها من روابط مادية شاعت الظروف ان تقطعها فسافرت قبل شهور قليلة الى النجف لبيعها ، ومررت كالعادة بالشيخ الجزائرى ولشد ما حزنت ان رأيت صحته قد تدهورت ، وان نقل المائة من السنين التى قضاها فى خدمة متواصلة للعراق عن طريق السياسة ، والعلم ، والايمان الوطنى الخالص ، كان قد ظهر باشد ما يظهر على صحته وتمثل لى الماضى كله ففاضت عيناي بالدموع ، وترآى لى اننى لم آت لاقطع علاقتى بالنجف من الناحية المادية فحسب ، وانما اوشك ان اقطع علاقتى الروحية بها ، وهى كل ما املك من لذة فى هذا الوجود القاحل ، فلقد كان الشيخ عبدالكريم كل ماضى النجف الروحى وصورته الحية وكان اخر من مثل السلف الصالح وختم تلك السلسلة المتصلة الحلقات بحكاية قل من استطاع ان يحكيها مائة سنة واكثر كما حكها الشيخ عبدالكريم الجزائرى .

وقبل زيارتى الاخيرة له كان قد زاره صديقى السيد احمد الهندى وحين سأله الهندى عن صحته قرأ الجزائرى عليه هذا البيت الفارسى :

دلّم غرفته بحدى كه فكر باغ ندارم

بعد انكه گلى بوکنم دماغ ندارم

ومضى ذلك اننى اعانى من انحباس الطبع . وضيع الصدر بحيث يتعذر على حتى ذكر الخميطة وتصورها وتخيل ازهارها ، وبحيث يتعذر على حاسة الشم عندي حتى شم الوردة الذكية العطرة .

وهكذا انتهى الشيخ عبدالكريم وطواه التاريخ فطوى به صفحة من السجل

لِحافل بالمآثر ، وجلائل الاعمال كما توقعت ذلك قبيل وفاته •
وفي بحثة من الصوت الذى تخنقه العبرات وجدتهى اردد قول الجزائرى
نفسه فى رثاء استاذه لاننى وجدته خير ما يصور لوعتى ويحكى وجدى وأنا اقطع
آخر علاقة روحية لى بالنجف -

فلوان الدموع تبّل وجدا لاجريت الدموع حتى مذابا
ولو رد المنون هديل نوح لصيرت الحنين عليك دابا
ولم تبق لى من تلك العلاقة غير الذكريات المشحونة بالاهاات والالام
والحسرات •

اخذار

بالنظر لعدم امكان قيام المؤلف بالاشراف التام على تصحيح كتابه
هذا فقد وقعت فى الكتاب عدة اغلاط اقتضت المطبعة ان تستمىح عليها عفو
المؤلف وعفو القراء وغفرانهم •

مطبعة الزهراء

فهرست الاعلام

بعرور البناء ۲۷۸ .

- ت -

تقی الشیخ راضی ۸۷ ، ۸۹ .
تومان عدوه ۱۹۵ ، ۱۹۶ .

- ج -

جابر الکرمانی ۶۹ .
جعفر الاعسم ۲۳۸ .
جعفر بحر العلوم ۳۱۸ ، ۳۲۰ .
جعفر البیدی ۲۰۹ ، ۲۱۰ ، ۲۶۱ .
جعفر الحلی ۵۷ ، ۶۲ ، ۶۸ ، ۸۳ ، ۱۶۲ ،
۳۸۲ ، ۳۸۳ .
جعفر حمندی ۱۸۶ ، ۳۸۹ .
جعفر الشیبی ۷۱ ، ۱۲۶ ، ۱۲۷ .
جعفر الشیخ راضی ۶۵ ، ۳۰۶ .
جعفر نقدی ۸۵ .
جمال الدین الافغانی ۲۶۰ .
جمیل المدعی ۲۳۹ .
جواد الجواهری ۴۷ ، ۲۶۰ ، ۳۱۶ ، ۳۷۱ .
جواد الحیدری ۱۹۶ .
جواد شبر ۲۴۶ .
جواد الشیبی ۵۷ ، ۹۵ ، ۱۴۴ ، ۱۴۵ ،
۱۵۱ ، ۱۶۲ ، ۲۵۵ ، ۲۶۳ ، ۳۸۶ .
جواد علیوی ۶۶ .
جواد فاتی ۳۲۹ .
جواد الطیب ۱۱۷ ، ۱۱۸ .
جواد موسی ۲۰۱ .

- ح -

حسن الاسدی ۱۹۷ .
حسن الامین ۳۶۶ .
حسن البجنوردی (المیرزا) ۱۱۴ .
حسن الرفیعی ۱۵۲ ، ۳۰۳ ، ۳۰۴ .
حسن زینی ۱۶۴ .
حسن خصباک ۳۲۹ .
حسن الشیرازی (المیرزا) ۵۸ ، ۳۸۷ .
حسن الفراش ۱۷۳ ، ۱۷۴ ، ۱۷۵ .
حسن الماقدانی ۱۱۷ ، ۱۱۸ .
حسن محمد علی ۱۹۴ .
حسین جریو ۲۰۱ .

- ا -

ابراهیم الاطیمش ۶۳ ، ۶۴ ، ۶۶ ، ۷۴ .
ابراهیم السالم ۳۴۴ ، ۳۶۱ .
ابراهیم العریض ۱۳۱ .
ابراهیم الوائلی ۱۵ .
ابو الحسن الاصفهانی ۶۷ ، ۹۹ ، ۱۲۵ ،
۱۵۴ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۱۵ ، ۲۱۶ ، ۲۳۲ ،
۲۳۳ ، ۲۴۶ ، ۲۹۰ ، ۳۸۸ .
احمد امین ۱۵۴ ، ۲۴۰ ، ۲۴۱ .
احمد الجلی ۲۰۰ .
احمد الصافی ۱۳۱ ، ۱۸۱ ، ۲۶۸ ، ۳۷۱ ،
۳۸۳ .
احمد کاشف الغطاء ۱۵۱ ، ۲۲۷ .
احمد المظفر ۷۷ .
احمد الملا زکی ۹۹ .
احمد نسیم سوسه ۳۳۴ .
احمد الموسوی الهندی ۱۰ ، ۱۶ ، ۳۲ ،
۲۷۷ ، ۲۸۰ ، ۲۸۲ ، ۲۸۳ ، ۳۹۳ .
احمد الوائلی ۲۴۶ .
ارشد العمری ۲۴۹ ، ۲۵۰ ، ۳۴۸ .
اسد خان ۴۲ .
اسکندر حریق ۱۲۴ ، ۱۳۱ ، ۳۵۹ .
اسماعیل الخلیلی ۶۲ .
اسود شیر علی ۴۴ .
اغا رضا الاصفهانی ۲۵۵ .
اغا صدری ۴۲ .
اغا عباس ۴۲ .
امان محیی الدین ۲۷۳ .
امین خالص ۲۴۲ .
امین الریحانی ۲۳۰ .
امین الهلالی ۱۳۱ .
انیس العاملی ۱۲۴ .
باقر احمد الحسنی ۱۱۶ .
باقر حیدر ۸۱ ، ۸۳ .
باقر الشیبی ۳۷۸ .
باقر الهندی ۶۲ .
برتداند رسل ۳۶۲ ، ۳۶۳ .
بشاره الخوری ۱۳۱ .

- ب -

باقر احمد الحسنی ۱۱۶ .
باقر حیدر ۸۱ ، ۸۳ .
باقر الشیبی ۳۷۸ .
باقر الهندی ۶۲ .
برتداند رسل ۳۶۲ ، ۳۶۳ .
بشاره الخوری ۱۳۱ .

سعيد عجينه ٦٩ ، ١٠٩ ، ٥٨ ، ٧ (الميرزا) ، ١١٠ ، ١١٠
سعيد كمال الدين ٨٧ ، ٨٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣

سعيد ناجي ٦٨ ، ٦٩ ، ١٨٨ ، ١٨٣
سلمان البراك ٢٠٠
سلمان الصفواني ٢٧٤
سلمان الفاضل ٣٧٢
سمير الرفاعي ٣٥١

- ش -

شاكر خصباك ٣٢٩
شيل باشا ١٤٦ ، ١٤٧
شكري بك ٣٣٢ ، ٣٣٤

- ص -

صادق الكتبي ٤٩ ، ٥١ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩١ ، ١٨٨ ، ١٩٨
صالح جبر ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
صالح الجعفري ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

صالح الحلبي ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٣ ، ٢٧٧ ، ٣٨٨
صالح حمام ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠
صالح الخليل ٢٨١ ، ٢٨٣

- ض -

ضياء بحر العلوم ٣١٥ ، ٣٢٠
ضياء جعفر ٣٥٥

- ط -

طفار (السيد) ٣٤٦ ، ٣٤٧
طلب (السيد) ٢٠١

- ع -

عاصم الحماي ٢٠٠
عاس الخليل ٤٨ ، ١٠٣ ، ١٨١ ، ٣٢٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٠
عاس شبر ٨٥ ، ٨٦ ، ١٣١
عاس عدوه ٧٥ ، ٧٦
عاس عا الرماح ٣٧٢
عاس كاشف الغطاء ٥٧
عادى الحسين ١٧٢ ، ١٧٣
عاه ١١٧

عبدالجيل العادلي ٢٨٠ ، ٢٨١
عبدالحسين الشبري ١٠٧
عبدالحسين الجواهري ٥٧ ، ٦٠

حسين الخليل (الميرزا) ٧ ، ٥٨ ، ١٠٩ ، ١١٠

حسين الصراف ٢٩٨
حسين القزويني ٥٧ ، ١٥١
حسين كمال الدين ١٩٦ ، ١٩٧
حسين مروه ٣٦٠
حسين النائيني (الميرزا) ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ٢٥٩

حمدي ال حمدي ٩٠ ، ٩٥
حمد السني ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦
حمودي عبدالمجيد ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩
حميد خان ٤١

- ح -

حاجي البناء ٢٠٠
خزعل (الشيخ) ٣٧٣ ، ٣٧٤
خوام العبدالعباس ٢٣٥

- د -

داود السعدي ١٨٤

- ذ -

ذو النون ايوب ١٣١
ذيان الغبان ١٨٦ ، ٢٣٥

- ر -

رؤوف شلاش ١٦٦ ، ١٦٧
رئيس (الحاج) ١٦٩
رجب علي ٢٨

رايح العطية (الحاج) ٢٣٩
رشيد سليم الخوري ٣٦١
رشيد الصوفي ١٨٦

رشيد عالي الكيلاني ٢٣٦
رشيد القرغولي ٣٣٤
رضا الاصفهاني ٥٧ ، ٦٢

رضا الهندي ٢٣ ، ٦٨ ، ٢٥٥

- ز -

زلفا حريق ٣٦٤

- س -

سالم الحسنون ٩٠
سامي خونده ١٨٤
سعد صالح ١٨١ ، ٢٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
سعد عباس علي دوش ٢٩١
سعد عمر ١٩٣
سعيد الخليلي ٢٦٠

- عبد الحسين الحلبي ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،
 عبد الله القصاب ١٨٨ ، ٣٤٣ ،
 عبد الله الماقتاني ٢٦٠ ،
 عبد الله المقرم ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 عبد اللطيف الجزائري ٣٧٤ ،
 عبد المجيد محمود ١٣١ ،
 عبد المحسن القصاب ١٣١ ،
 عبد المحمد ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
 عبد المحمد زاير دهام ٦٦ ،
 عبد المنعم العكام ٨٦ ، ٢٧٦ ،
 عبد المهدي المنتفكي ٩٤ ،
 عبد الواحد الحاج سكر ٢٣٤ ، ٢٣٨ ،
 عبد الوهاب الصافي ٩١ ،
 عبد الوهاب المالكي ٢٦٤ ،
 عبد الوهاب محمود ١٩٩ ،
 عبد الهادي الظاهر ٣٤٨ ،
 عبود شلاش ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 عبيد آل عبد السادة ٢٣٨ ،
 عطيه ابو كلل ٢١٣ ،
 علي اغما ٤٢ ، ٤٣ ،
 علي البازي ١١١ ،
 علي بحر العلوم ١٢ ، ٦٨ ، ٣١٣ ،
 علي البهبهاني ١٦٤ ،
 علي ثامر ٢٨٣ ،
 علي جودة الايوبي ٢٣٩ ،
 علي الدشتي ١٨٢ ،
 علي الشرقي ٦٠ ، ٧١ ، ١٣١ ، ١٩٣ ،
 علي العلاق ٥٧ ، ٥٩ ، ١٥١ ، ١٩٤ ،
 علي القمي ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
 علي كاشف الغطاء ١٤٣ ، ١٥٢ ، ٢٢٧ ،
 علي محمود الشيخ علي ١٨٦ ،
 علي الخليلي (الملا) ٤٤ ،
 علي مردان ١١٨ ،
 علي ممتاز ١٩٩ ،
 علي الوردي (الدكتوراه) ٢٤٩ ،
 علوان الحاج سعدون ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
 عمران الحاج سعدون ٤٩ ، ٥٠ ،
 عمران الدجيلي ١١٢ ، ١١٣ ،
 عيسى الخلف ١٧٢ ،
 عبد الحسين الحلبي ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،
 ١٥٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٥٨ ،
 ٣١٨ ، ٢٥٥ ،
 عبد الحسين الحياوي ٥٨ ، ٥٩ ، ٢٥٧ ،
 عبد الحسين الخليلي ٣٢٩ ، ٣٣١ ،
 عبد الحسين الشيرازي ١٠٦ ،
 عبد الحسين شرف الدين ١٢٧ ، ٢٠٧ ،
 عبد الحسين صادق ٢٠٧ ،
 عبد الحميد السنيد ٩٠ ،
 عبد الحميد شلاش ١٦٢ ،
 عبد الحميد عبد المجيد ٣٤٨ ،
 عبد الحميد علي ٨٧ ، ٨٨ ،
 عبد الرحيم ابو شهرى ٩٩ ،
 عبد الرزاق الازري ٥٤ ،
 عبد الرزاق السعيد ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
 عبد الرزاق شمس ١٧٢ ، ١٨٥ ،
 عبد الرزاق الشيخ جعفر ٦٥ ،
 عبد الرزاق عدوه ٣٤٨ ،
 عبد الرزاق محيي الدين ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٣٨٦ ،
 عبد الرسول شريف ٣٤٤ ،
 عبد الرسول الشكرجي ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 عبد الرسول ١٠٣ ،
 عبد الرضا الشيخ راضي ٥٨ ، ٦٦ ، ٢٥٥ ،
 ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٧١ ، ٣٨٦ ،
 عبد الستار القرغولي ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
 عبد الصاحب السيد ادريس ٨٢ ، ٩٠ ،
 ١٨٩ ،
 عبد الظاهر ١٧٢ ، ١٧٣ ،
 عبد العزيز الشواف ١٤٨ ، ١٥٠ ،
 عبد العزيز القصاب ٣٤٣ ،
 عبد الغفار كاتبه ٢١٩ ،
 عبد الغفور البدرى ٥١ ،
 عبد الغنى الخضري ٨٧ ،
 عبد الغنى الشيخ جعفر ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
 عبد الكريم الجزائري ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٤ ،
 ١٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥ ،
 ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٥ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٩ ، ٣٨٦ ،
 عبد الكريم الزنجاني ٢١٨ ،

محمد تقى الشيرازى (الميرزا) ١١٤، ١٠١، ٣٧٨
 محمد جمال الهاشمى ٨٥، ٨٦، ٩١، ٩٢، ٢٨١، ٢٨٠
 محمد جواد الجزائرى ٤٨، ٣٢٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨
 محمد جواد الشيخ راضى ٢٨٠، ٢٨٣، محمد جواد قسام ١٧
 محمد جيوان ٢٦٨
 محمد حسن حيدر ١٢، ٨١، ١٣٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ٣٤٧
 محمد الحسنى ٢٠٠
 محمد حسين الجواهرى ١٢، ١٥، محمد حسين الشيبى ٧٥، ٧٦
 محمد حسين كاشف الغطاء ٧٤، ٧٥، ١١٠، ١٢٥، ١٥٤، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٥٥، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٦٠
 محمد حسين الكيشوان ٢٥٧
 محمد حسين المظفر ١٢، ٣٢٠، محمد خشاف ٣٧٥
 محمد الخطيب (الملا) ٨٢
 محمد الخليلى ٢١٧، ٢٨٠، ٢٨٣، ٣٠٨، محمد رشاد عجينة ١٦٤
 محمد رضا ذهب ١١٢، ١١٣، محمد رضا الزين ٢٨٠
 محمد رضا الشيبى ٩١، ١٣١، ١٨٧، ٣١٩، ٣٧١
 محمد رضا الصافى ١٨٨، ٣٤٥، محمد رضا كاشف الغطاء ١٤٣
 محمد رضا المظفر ٢٤٦، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٠٨
 محمد سعيد الجبوبى ٢٦، ١٦٣، ٢٥٥، محمد السماوى ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٤٨، ١٤٩
 محمد شرارة ٢٦٠
 محمد الشريعة ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٨٠، ٢٨١، محمد شلاش ١٧٨
 محمد طاهر الشيخ راضى ١٤، ٢٢٧، ٣٠٦
 محمد طه نجف ٢٠٦
 محمد العاملى ٣٨٦، ٣٨٧

- غ -

غازى القصاب ٣٥١

- ف -

فاضل عباس معله ١٩٤
 فرحان حماده ١٣١
 فيصل الاول ٥٢

- ق -

السيد قاسم ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٢، ٣٢٩
 قاسم محبى الدين ١٤، ١٩٢، ٢٤٠، ٢٧٣، ٣٠٤، ٣٠٥
 قربون على ٢٨٩

- ك -

كاظم الخراسانى (الملا) ١٠٩
 كاظم الخليلى ٢١٣
 كاظم السببى ١٠٨، ١٠٩
 كاظم السودانى ٢٧٨
 كاظم صبى ١٠٩، ٣٧٢
 كاظم على بيج ١٢
 كاظم فاتى ٣٢٩
 كاظم القزوينى ٨٧
 كاظم اليزدى ٤٧، ١٠٠، ١٠٩، ٢٦٠
 كامل الجادرجى ١٩٩
 كريم الحاج راضى ٣٧٢
 كلو الحبيب ٢١٦
 كمال عبدالمجيد ٢٥٠، ٣٤٩

- م -

مارى حريق ٣٦٤
 مجيد الصراف ٢٩٨
 مجيد كاشف الغطاء ١٤٧
 محسن ابو طبيخ ٣١، ٢٣٤، ٢٣٦
 محسن ابو غنيم ٣٧٢
 محسن الامين ٣١، ٦٩، ٧٤، ١٢١، ١٢٢، ٢٠٥، ٣٨٨، ٣٣٢
 محسن الحكيم ٢٥١، ٣٧٤
 محسن الخضرى ١٤٧
 محسن شراره ١٢١، ٢٠٩
 محسن شلاش ٤١، ١٥٩، ٣٨٩
 محمد الاردبيلى (الميرزا) ١١٨
 محمد امين عوض ٣٢٩، ٣١١
 محمد باقر العظمى ٣٠٩

- محمد عبدالحسين ٥١ ، ١٨٢
 • محمد عبده ٢٦٠
 • محمد علي بحر العلوم ٤٨ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
 • محمد علي الجعفري ٢٧٩
 • محمد علي الحوماني ٨٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦
 • محمد علي الدمشقي ٣٢٠ ، ٣٧٤
 • محمد علي الكاظمي ٨٦
 • محمد علي كمال الدين ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٧
 • محمد علي اليعقوبي ٢١٤ ، ٢٤٥
 • محمد قره علي ٢٨٥
 • محمد كاشف الغطاء ١٤٦ ، ١٤٧
 • محمد كاظم الشيخ راضي ٢٧٤ ، ٢٨٠
 • محمد مهدي الجواهري ٦٠ ، ١٨٧ ، ٢٢٩
 • محمد الهر ٣٧٥
 • مهدي الهندي ٣٠
 • محمود الحبوبى ٧٥
 • محمود الخليلي (المرزا) ٤٦ ، ٥٨ ، ٣٠٠
 • مرزا بحر العلوم ٣١٥
 • مرزا القزويني ٢٠٠
 • مرزوق العواد ١٧٢ ، ٢٣٨ ، ٣٧٢
 • مسعود ٤٤ ، ٤٦
 • مشكور ٢٧٨
 • مشكوف ٣٧٢
 • مصطفى خان ٥٣
 • مصطفى الصراف ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٩١
 • ممدوح افندي ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧
 • منصور حريق ٣٦١
 • موسى شرارة ١٢٨
 • موسى كاظم نورس ١٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٦٠
 • مولى الطريحي ٧٥
 • مهدي الاخوند (المرزا) ٤٧
 • مهدي البهبهاني ١١٥
 • مهدي زرندي ١٨١
 • مهدي سميمس ٧١
 • مهدي الصندوق ٢٠٠
 • مهدي الفلوجي ٣٢٩
 • مهدي القزويني ٢١٠
 • مهدي المحلاتي ٤٩
 • مير علي ٧ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ٢٦٨ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١
 - ن -
 • ناجي شوكة ٣٣٣
 • نافع ١٨٥
 • نافع (الملا) ٣٣٢ ، ٣٣٦
 • نايف نصر ١٣١ ، ٣٦١
 • الحاج نجم ٣٧٢
 • نور الياسري ٢٩ ، ٣٠
 • نوري الجزائري ٣٩٠ ، ٣٩١
 - و -
 • وداي العلي ٣٧٢
 • وناس ٦٨
 - ه -
 • هادي الخضري ٢٢٩
 • هادي الشيخ عباس ٥٧ ، ٦٢ ، ١٤٤ ، ٢٥٥
 • هادي الفياض ٢٨٠
 • هاشم الزامل ٢٣٨
 • هاكوب ١٢٦
 • هبة الدين الشهرستاني ٢١٠
 • هدي ٣٨٦
 - ي -
 • ياسين الهاشمي ١٨٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
 • يحيى قاسم ١٩٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣٧٩

الفهرست

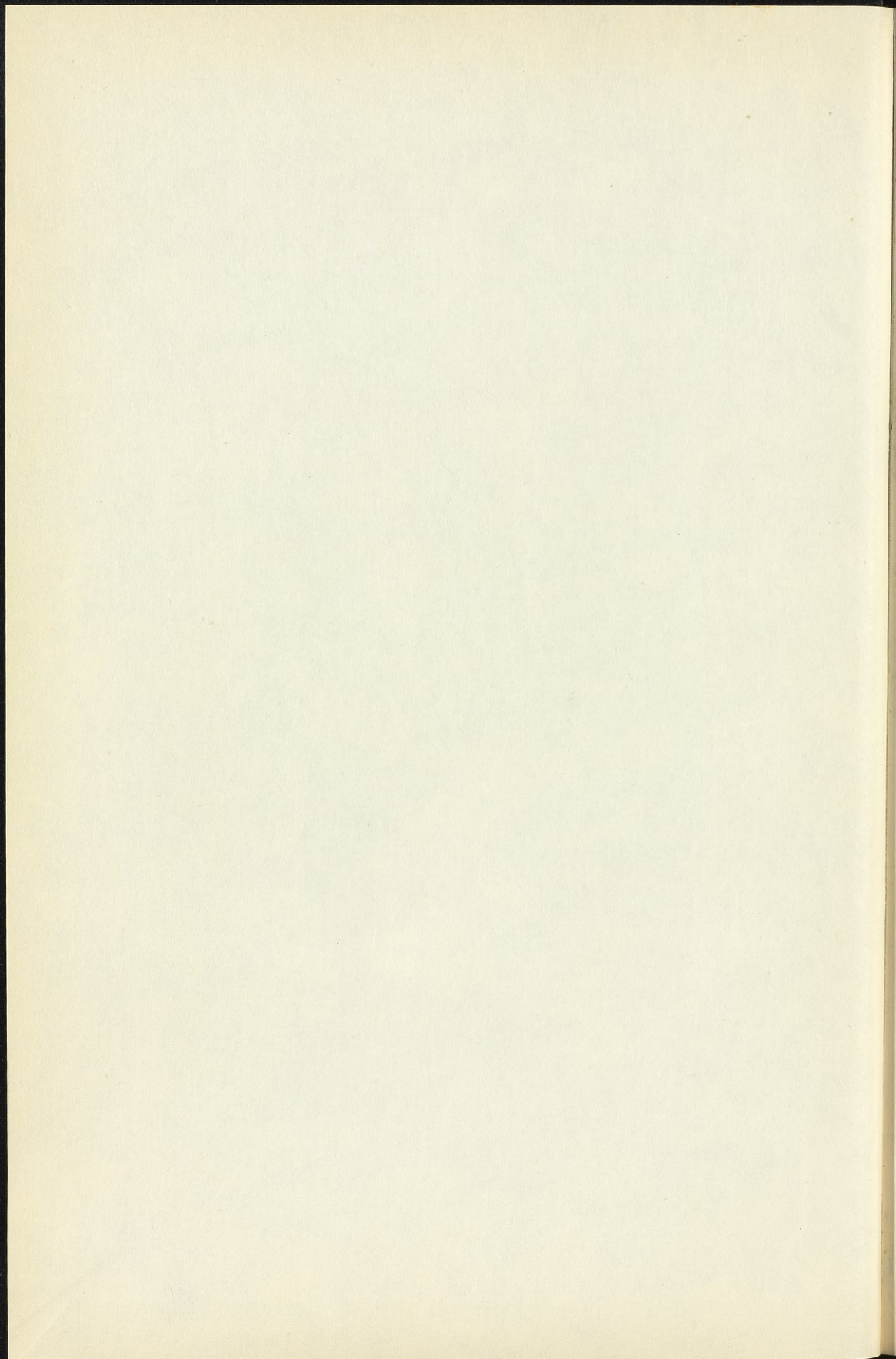
الموضوع	الصفحة
هكذا عرفتهم •	٣
كيف عرفت السيد مير علي ابي طيخ •	٧
» » السيد رضا الهندي •	٢٣
» » حميد خان •	٤١
» » الشيخ جواد اشيبيني •	٥٧
» » الشيخ محمد حسن حيدر •	٨١
» » السيد ابا الحسن الاصفهاني •	٩٩
» » الشيخ محسن شرارة •	١٢١
» » المحامي عبدالمحسن القصاب •	١٣١
» » الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء •	١٤٣
» » عبدالمحسن شلاش •	١٥٩
» » السيد سعد صالح •	١٨١
» » السيد محسن الامين •	٢٠٥
» » الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء •	٢٢٧
» » الشيخ عبدالحسن الحلي •	٢٥٥
» » الشيخ قاسم محيي الدين •	٢٧٣
» » الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي •	٢٩٧
» » السيد علي بحر العلوم •	٣١٣
» » عبدالستار القرعوي •	٣٢٧
» » عبدالله القصاب •	٣٤٣
» » اسكندر حريق •	٣٥٩
» » الشيخ عبدالكريم الجزائري •	٣٦٩
» » الشيخ محمد جواد الجزائري •	٣٦٩
» » فهرست الاعلام •	٣٩٠

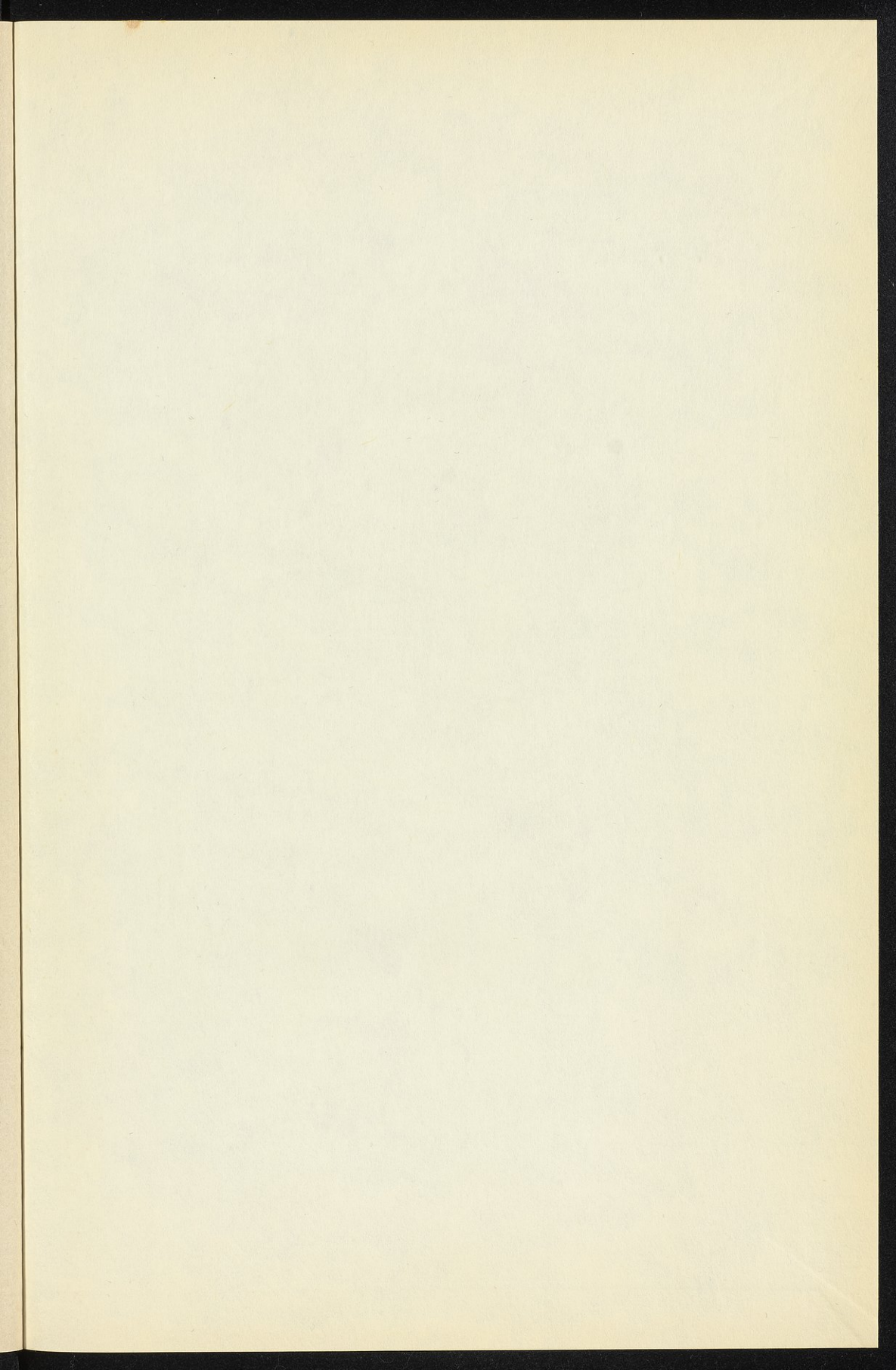
من مؤلفات الخليل المطبوعة

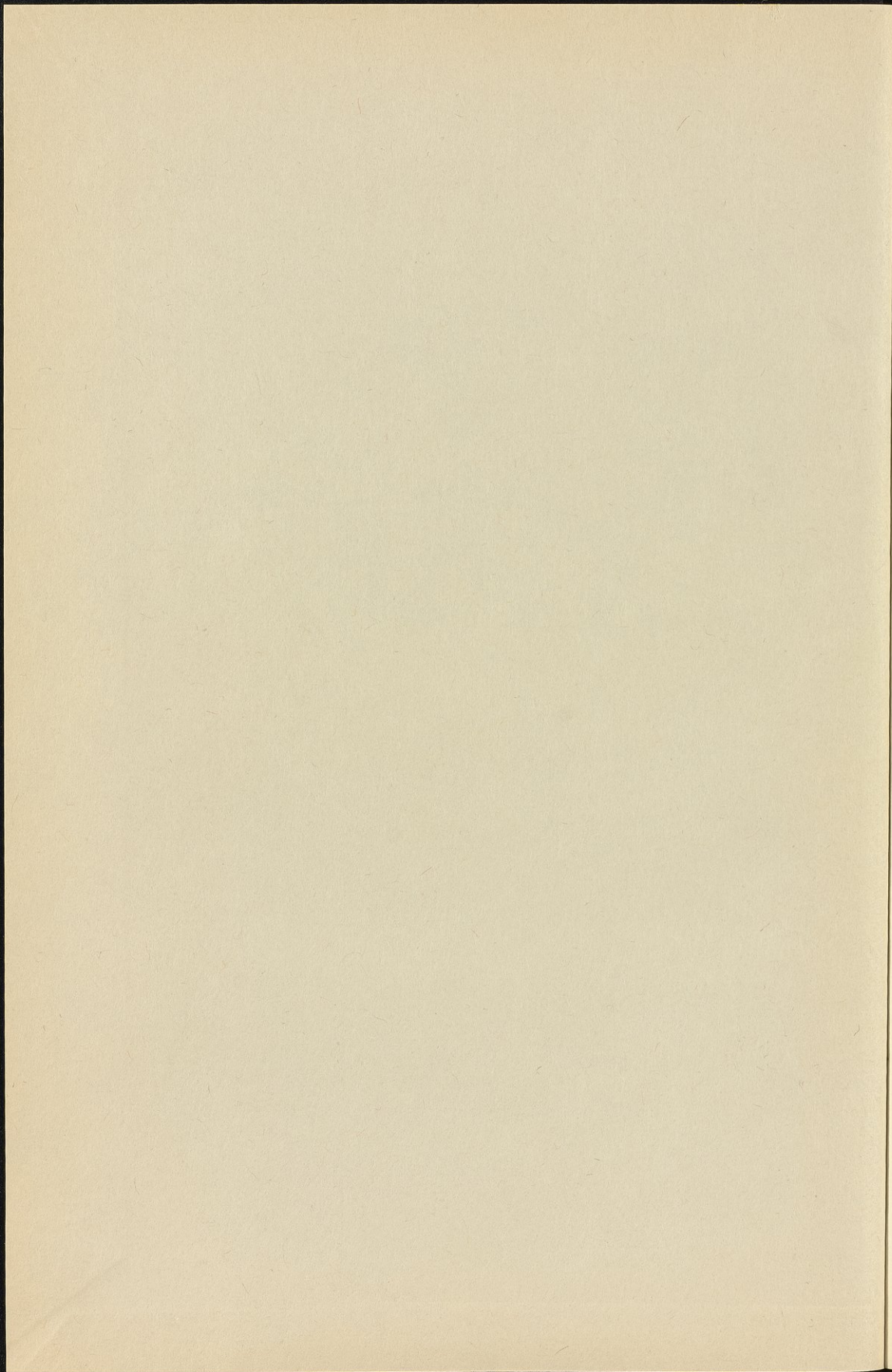
- ١ - اولاد الخليل - « مجموعة قصص » .
- ٢ - الضائع - « قصة » - طبعة ثانية .
- ٣ - على هامش الثورة العراقية الكبرى - حقائق لم يسبق نشرها عن الثورة العراقية ، من سنة ١٩٢٠ .
- ٤ - عندما كنت قاضيا - « استعراض مقتضب للاحوال الشخصية في العراق ، من زواج ، وطلاق ، ومواريث ، وواقف » طبعة ثانية .
- ٥ - يوميات : جزء آن - « صورة عابره من الحياة الاجتماعية » - طبعة ثانية .
- ٦ - جغرافية البلاد العربية للدراسة المتوسطة - طبعة ثانية .
- ٧ - حديث القوة - « مجموعة قصص قصيرة » - طبعة ثانية .
- ٨ - اعترافات - « مجموعة قصص قصيرة » - طبعة ثانية .
- ٩ - تسواهن - « ريبورتاج عن الجمال والغناء والرقص في العراق » .
- ١٠ - من فوق الراية - « مجموعة قصص قصيرة متنوعة » .
- ١١ - مجمع المتناقضات - « قصص موضوعة و مترجمة » .
- ١٢ - في قرى الجن - « قصة موضوعة على غرار المدينة الفاضلة » - طبعة ثانية .
- ١٣ - مقدمة عن القصة العراقية - « استعراض موجز لتاريخ القصة القديم والحديث » .
- ١٤ - كنت معهم في السجن - « دراسة واستعراض عن السجن والاجرام في العراق » .
- ١٥ - هؤلاء الناس « مجموعة قصص قصيرة » .
- ١٦ - التمور العراقية قديما وحديثا - « بحث شامل عن النخيل والتمور العراقية من اول نشأتها الى آخر مراحل استهلاكها » .
- ١٧ - القصة العراقية قديما وحديثا - « استعراض مجمل لتاريخ القصة العربية ثم القصة العراقية قديمها وحديثها » .
- ١٨ - هكذا عرفتهم - « خواطر عن اناس افذاذ عاشوا بعض الاحيان لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم » .

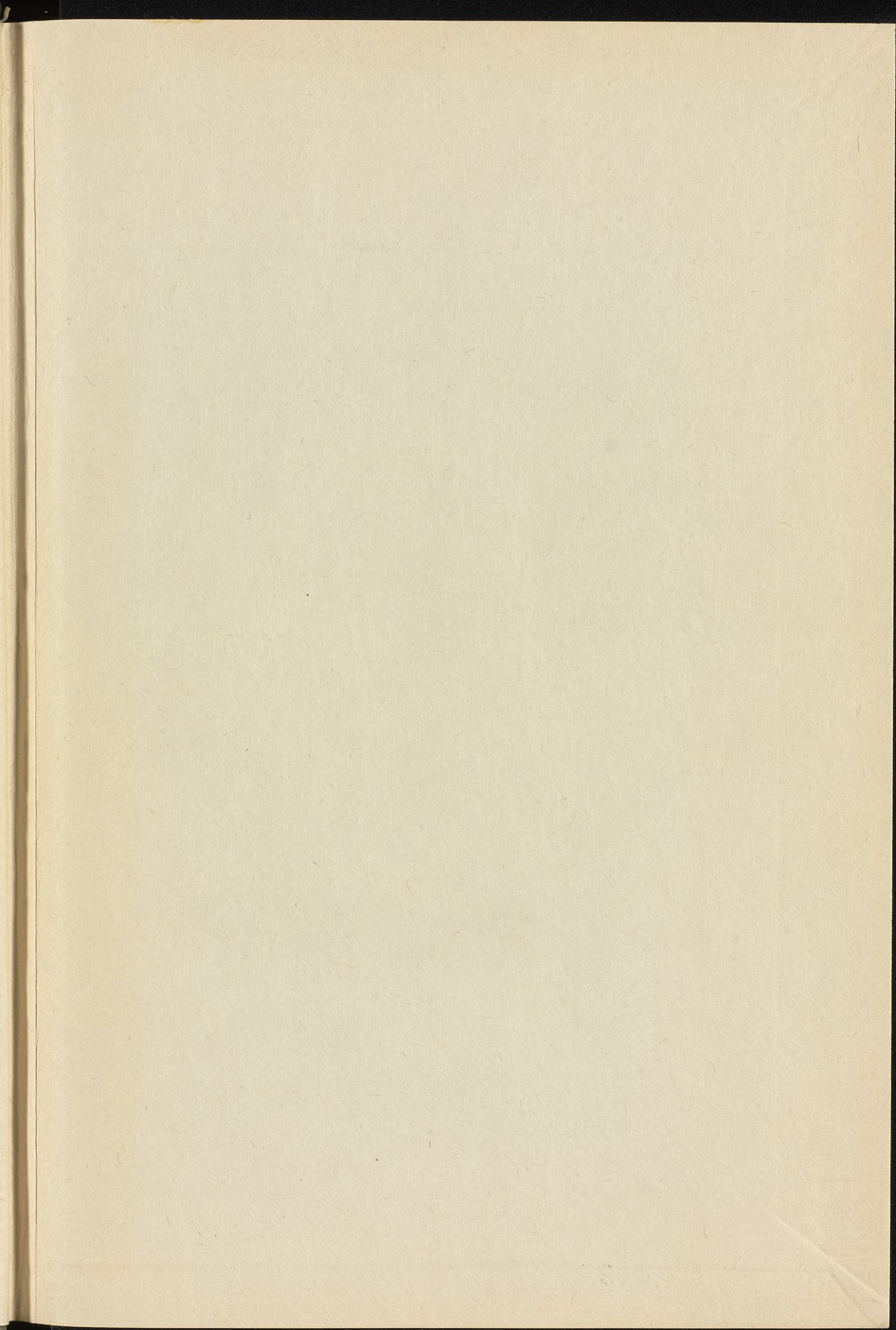
در بیان احوال و اشیای نادره

- ۱. در جمیع قریه ها و در ایشان و ...
- ۲. قریه ای که ...
- ۳. قریه ای که ...
- ۴. قریه ای که ...
- ۵. قریه ای که ...
- ۶. قریه ای که ...
- ۷. قریه ای که ...
- ۸. قریه ای که ...
- ۹. قریه ای که ...
- ۱۰. قریه ای که ...
- ۱۱. قریه ای که ...
- ۱۲. قریه ای که ...
- ۱۳. قریه ای که ...
- ۱۴. قریه ای که ...
- ۱۵. قریه ای که ...
- ۱۶. قریه ای که ...
- ۱۷. قریه ای که ...
- ۱۸. قریه ای که ...
- ۱۹. قریه ای که ...
- ۲۰. قریه ای که ...









COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU17733952